

صحح الطالب الأخطاء التي طلب المناقشة تصحيحها
المشرف على الرسالة
١٧/٦/١٤١٠هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى - كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فرع البلاغة والنقد

لجنة المناقشة
٢٢/٦/١٤١٠
د. محمد بن مريسي الحارثي

الفنون البيانية

في كتاب (الكاشف عن حقائق السنن)

للإمام الطيبي

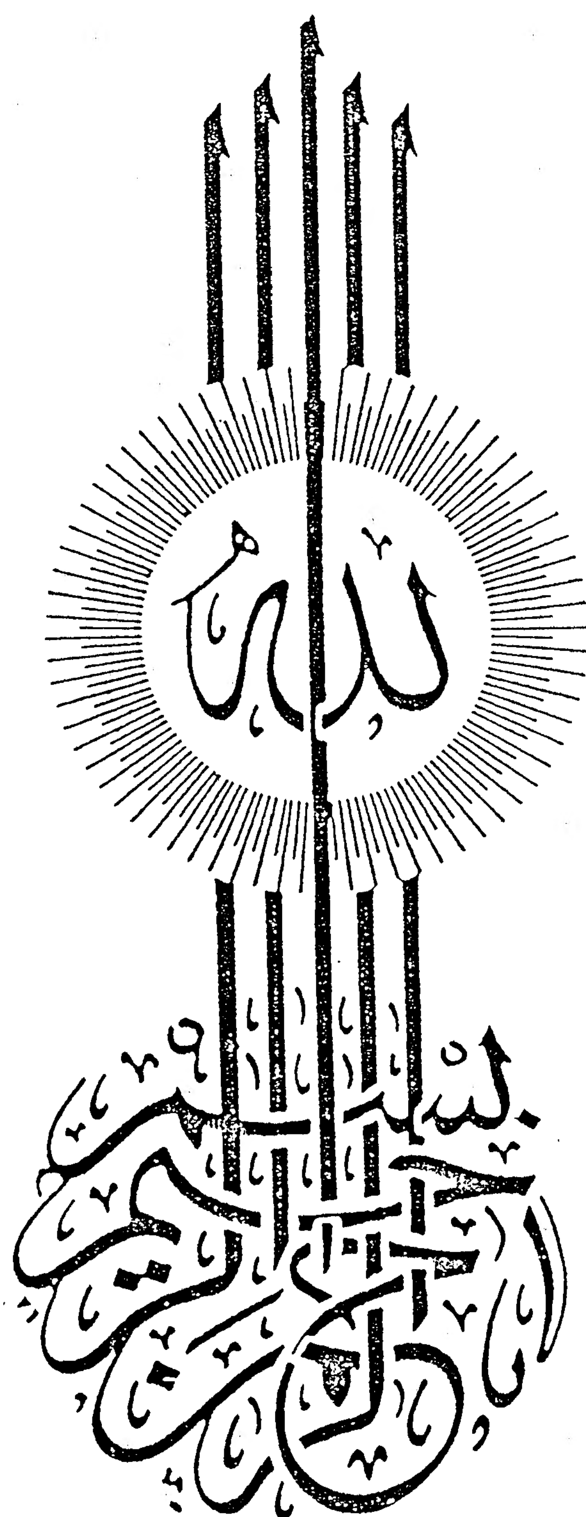
رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد

إعداد
محمد رفعت أحمد زنجير



بإشراف سعادة الدكتور
علي محمد حسن عبد الله العماري

١٤١٠هـ


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

الموضوع : رسالة ماجستير .
العنوان : (الفنون البيانية في كتاب الكاشف عن حقائق السنن للإمام الطيبي)
التقدير : جيد جداً .

قسمت هذه الرسالة إلى تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة .

تناولت في التمهيد دراسة موضوعين : الأول : الجانب البياني في الحديث النبوي قبل الطيبي ، والثاني : منهج الطيبي في كتاب الكاشف .

وفي الباب الأول درست فن التشبيه ضمن ثلاثة فصول ، هي :

الفصل الأول : أركان التشبيه ، تناولت فيه طرفي التشبيه المشبه والمشبه به ، والعلاقة بينهما ، وأداة التشبيه ، ووجه الشبه ، وقد بين الطيبي وجه الشبه في كثير من التشبيهات النبوية .

الفصل الثاني : صور من التشبيه ، درست فيه التشبيه المفرق والتشبيه التمثيلي والتشبيه البليغ .

الفصل الثالث : أغراض التشبيه ، درست فيه الأغراض العامة للتشبيه والأغراض الخاصة وأغراضاً أخرى ذكرها الطيبي .

وفي الباب الثاني درست فيه فن المجاز ضمن ثلاثة فصول أيضاً ، هي :

الفصل الاول : المجاز العقلي ، وقد سماه الطيبي (المجاز الإسنادي) وذكر بعض علاقاته ، وبين بعض أسراره .

الفصل الثاني : المجاز المرسل ، وقد ذكر الطيبي علاقاته المشهورة ، وبين بعض مزاياه في الكلام .

الفصل الثالث : الاستعارة ، تناولت فيه أنواع الاستعارة عند الطيبي ، ومصادرها وقيمتها البيانية .

وأما الباب الثالث فقد درست فيه فن الكناية ضمن فصلين هما :

الفصل الاول : أقسام الكناية وفائدتها ، ذكرت فيه الكناية عن صفة والكناية عن موصوف ، وفوائد الكناية التي ذكرها الطيبي .

الفصل الثاني : ألقاب أخرى للكناية ، درست فيه التعريض ، والكناية التلويحية والرمزية والإيمائية والزبدية .

وفي الخاتمة ذكرت فيها أبرز ما قمت به وخلاصة ما توصلت إليه من نتائج ، ومنها :

١ ـ أسهم الطيبي إسهاما جيداً في إثراء البحث البلاغي في الحديث النبوي .
٢ ـ سلك الطيبي منهجاً علمياً في التاليف ، وقد اعتنى بكتابه العلماء وأفادوا منه .
٣ ـ ظهر من خلال دراسة الفنون البيانية عنده أنه ملم بهذه الفنون ، وتقسيمات البلاغيين لها ، ولكنه يتساهل في تحديد المصطلحات البيانية أحياناً .

والله الموفق ...

الطالب	المشرف	عميد كلية اللغة العربية
محمد رفعت أحمد زنجير	د/علي محمد حسن العماري	د/ محمد بن مريسي الحارثي

= بسم الله الرحمن الرحيم =

- المقدمة -

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المرسلين ، وقائد المجاهدين ، سيدنا محمد الذى أرسله الله رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، اللهم ارزقنا حبهم ، واحشرنا معهم في جنان النعيم ، إنك أنت أكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين .

وبعد :

فقد أنعم الله علينا بنعم لا تعد ولا تحصى ، وأجل هذه النعم هي الانتساب إلى أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - هذه الأمة التي شرفها الله بحمل رسالته إلى العالمين ، لتنال بذلك سؤدد الدنيا وعز الآخرة ، وجعلها خير الأمم ، وأنزل إليها كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وتكفل بحفظه ، فكان هو المعجزة الباقية المتحدى بها إلى قيام الساعة ، لا يزيده مرور الزمان إلا تألقاً ، ولا كيد الأعداء إلا انتصاراً باهراً ، من تمسك به نال السعادة ولو كان في غيابة الجب ، ومن أعرض عنه خاب وخسر ولو كان في برج مشيد .

وقد يسر الله بفضله وكرمه لهذا الكتاب من يخدمه من العلماء عبر القرون الطويلة ، حتى أصبحت الدراسات القرآنية مثل نجوم السماء في كثرتها وإشراقها ، وسموها وهديها ، ينال بها الطالب أسمى الرغائب وأعلى المراتب ، وإن أهم ما أثرى علم البلاغة العربية عبر تاريخها الطويل هو القرآن الكريم ، فقد شغلت قضية الإعجاز أذهان العلماء فالتمسوها في كل اتجاه ، ويأتي في مقدمة الاتجاهات جميعاً أسلوبُ القرآن وبيانه وفصاحته التي بهرت العقول ، وأعيت الفصحاء ، وهزت المشاعر ، وجردت

من أعراب الصحراء جنداً للسماء ، بعد أن اعتقدوا أن هذا القرآن تعجز البشرية عن أن تقول مثله كعجزها عن أن تبث الحياة في الجمادات .

× ×

وفي خلال العصور الإسلامية الأولى وما جرى فيها من حروب وفتوحات وأحداث ، تركز اهتمام المسلمين على حفظ كتاب ربهم ، بينما كانت هنالك مؤامرات خطرة تحاك ضد الإسلام في أقطاره ، تقودها الفرق المنحرفة ، والشعوبية ، والزنادقة ، وغيرهم من أهل الباطل ، حيث سعى هؤلاء جميعاً إلى هدم الإسلام من داخله عن طريق الفتن والثورات من ناحية ، وعن طريق الافتراء على رسول الإسلام - صلوات الله وسلامه عليه - وذلك ببث الأحاديث الموضوعة ، والعقائد الهدامة في صفوف المسلمين ، وهنا تنبه الغيارى من علماء المسلمين وحكامهم ، فبدأت عملية تدوين الحديث ، وتوثيق رجاله ، وتصنيف علومه ، وانصرف جهد العلماء المحدثين في معظمه إلى دراسة سند الحديث ، ومتنه ، وفقهه ، ولغته ، دون أن يهتموا بالكشف عن جمال البيان النبوى ، اللهم إلا بإشارات عابرة في أماكن متناثرة ، ولعل عذرهم هو :

١- انشغالهم بالقرآن المعجز أكثر من السنة التي لم يتحد بها .

٢- اهتمامهم بتوثيق الحديث متناً وسنداً سبق اهتمامهم عن كشف الجانب البياني فيه ، إذ كانت السنة مهددة بالضياع أو التحريف لو لم يفعلوا ذلك .

٣- كانت الأذواق الأدبية عالية في فترة ظهور الإسلام وحتى القرن الرابع الهجرى ، فلم تكن بحاجة إلى كشف الجمال الأسلوبي في البيان النبوى قبل أن تفشو العجمة ، ويظهر اللحن في العصور اللاحقة ، بينما احتاجت لأن تظهر أسلوب

القرآن المعجز ، لأن التحدي قائم به ، وهنالك الغمازون ، والطاعنون من الزنادقة والملاحدة ، ولا بد من إقامة الحجة عليهم بالعقل والبرهان والأدلة الدامغة .

× ×

ولعل مما ميز الله به هذه الأمة إضافة إلى حفظ كتاب ربها ، هو حفظ أحاديث نبيها ، وهذا لم يتيسر لأى نبي غيره - صلى الله عليه وسلم -. فبعض المحدثين ألموا بالأحاديث النبوية كلها ، مثل الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - ، يقول عنه الأستاذ أبو الأعلى المودودى : " كان ابن تيمية إماماً في الحديث ، حتى قيل : إن كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث "(١).
علما أن حفظ الحديث أصعب من حفظ القرآن كماً وكيفاً ، وما كان أولئك العلماء الأجلاء ليقدروا على حفظ حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - لولا أن الله آتى نبيه - عليه السلام - جوامع الكلم ، فكان بيانه غاية في عذوبته وإحكامه وإيجازه .

× ×

بعد القرن الرابع بدأت البلاغة العربية تضرب جذورها فناً من أجل فنون العربية ، وقد أخذت شكلا مميزاً وحيزاً مستقلا على يد الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) في كتابيه : (دلائل الاعجاز) و (أسرار البلاغة) . ثم على يد جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) . وانتهت بشكل قواعد محددة على يد الإمام فخر الدين الرازى (ت ٦٠٦ هـ) ، و السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) ، وبدأ المحدثون يفيدون من البلاغة العربية بشكل فعلي ، فلم تعد مجرد إشارات خاطفة ، بل صار هنالك عناية بالجانب البياني في الحديث النبوى ، مثلما سبق وأن عني بهذا الجانب في تفسير القرآن ، إلا أن العناية بالحديث النبوى من هذا الجانب ظلت أقل بكثير مما هي في القرآن ، وكان ممن عنوا بالجانب

---

(١) موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه ، ص (٧٦) .

البياني في القرآن والسنة معاً الإمام الحسين الطيبي (ت ٧٤٣هـ) في حاشيته على الكشاف، وشرحه لمشكاة المصابيح الذي سماه: (الكاشف عن حقائق السنن).

والطيبي علم من أعلام بلاغتنا العربية، ألف فيها قبل أن يتناول الكتابة في التفسير وشرح الحديث، ولما اطلعت على شرحه للمشكاة أعجبني أسلوبه، وذوقه الأدبي الرفيع، وطريقته العلمية في التصنيف، فاخترت موضوع رسالتي في هذا الكتاب بعنوان (الفنون البيانية في كتاب الكاشف عن حقائق السنن للإمام الطيبي) لأسباب عدة، وهي:

١- خدمة البيان النبوي الذي لم ينل حظه الكافي من الدراسة الأسلوبية حتى الآن.

٢- الإسهام في تعميق دراساتنا للسان العربي المبين، لاسيما أن المتكلم هنا سيد الفصحاء، وإمام البلغاء، وأكرم الأنبياء صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

٣- السعي لإثراء الدراسات البيانية، حيث إن كتب البلاغة قليلة محدودة.

٤- الرغبة في الكشف عن شخصية الطيبي، وجهوده البيانية التي لم تلق حظها الكافي من الدرس.

الخطة في الرسالة :

أذكر فيما يلي الهيكل العام للخطة التي اتبعتها في الرسالة :

قسمت الرسالة إلى : تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة ، تناولت في التمهيد الموضوعات التالية :

١- الجانب البياني في الحديث النبوي قبل الطيبي .

٢- منهج المؤلف .

وأما الأبواب الثلاثة فهي :

الباب الأول : (فن التشبيه) وهو مقسم إلى ثلاثة فصول هي :

الفصل الأول : أركان التشبيه .

الفصل الثاني: صور من التشبيه .

الفصل الثالث : أغراض التشبيه .

الباب الثاني: (فن المجاز) وهو مقسم إلى ثلاثة فصول أيضاً ، هي :

الفصل الأول : المجاز العقلي .

الفصل الثاني: المجاز المرسل .

الفصل الثالث : الاستعارة .

الباب الثالث : (فن الكناية) وهو مقسم إلى فصلين ، هما :

الفصل الأول : أقسام الكناية ، وفائدتها .

الفصل الثاني: ألقاب أخرى للكناية .

والخاتمة ذكرت فيها أبرز ما قمت به ، وخلاصة ما توصلت اليه .

وقد قسمت بعض الفصول إلى مباحث ، وبعضها إلى فقرات متسلسلة حسب ما يخدم الرسالة شكلاً وجوهراً .

× × ×

مصادري في كتاب الكاشف :

اعتمدت على عدد من المخطوطات ، منها ما هو مصور عن أصول محفوظة في جامعة أم القرى ، ومنها ما هو مصور عن مخطوطات موجودة في الهند والمدينة المنورة وبغداد ، وهذه المخطوطات هي :

١- صورة عن مخطوطة أصلية تبدأ من أول الكتاب ، وتنتهي عند (كتاب المناسك) ، باب :(حرم المدينة حرمها الله تعالى) ، وهي محفوظة في المكتبة المركزية في جامعة أم القرى ، برقم (١١٥٢) ، وهي (٣٠١) ورقة ، في كل صفحة (٤١) سطراً ، ومقاس الصفحة (١٩×٣١) سم ، وهي مكتوبة بخط النسخ ، ومجهولة التاريخ وعليها بعض التواقيع .

٢- صورة عن مخطوطة أصلية تبدأ من (كتاب الجنائز) ، باب :(ما يقال عند من حضره الموت) ، وتنتهي بنهاية باب :(الوصايا) من (كتاب الفرائض والوصايا) وهي بخط الناسخ أحمد بن محمد شاه بن بلبان بن الحسن الكاتب الشيرازي ، وهي (٢٥٣) ورقة ، في كل صفحة (٢٧) سطراً ، ومقاس الصفحة (٢٣×١٥٫٥) سم ، وهي محفوظة في المكتبة المركزية بجامعة أم القرى ، برقم (١١٥٩) .

٣- صورة عن مخطوطة أصلية تبدأ من (كتاب الإمارة) ، وتنتهي بنهاية الكتاب ،

وهي بخط عبد الرحمن بن مرحوم طيب بن مرحوم ، تمت في (١٠٦٣/٣/٤ هـ) وهي (٣٣٥) ورقة بخط نسخ جميل ، مقاس الورقة (١٧×٢٨) سم ، وفي الصفحة (٢٧) سطراً ، وهي محفوظة في جامعة أم القرى برقم (١١٦٠) .

وهذه المخطوطات الثلاث كانت الأصول التي رجعت إليها ، ومجموعها يشكل مجموع الكتاب تقريباً ، ما عدا (كتاب النكاح) إلى نهاية (كتاب الحدود) ، فقد استوفيته من المخطوطة رقم (٤) .

٤- صورة من الجامعة الاسلامية ، مصدرها من الجامعة العثمانية ، وتبدأ من (كتاب البيوع) وتنتهي بنهاية الكتاب ، بخط الناسخ سليمان بن علي عبد الحافظ ، كتبت في غرة ذي القعدة سنة (١١٢٦ هـ) ، وعدد الأسطر فيها من (٣٠- ٣٣) سطراً .

ومجموع هذه المخطوطات يشكل نسخة كاملة من كتاب الكاشف ، وقد اعتمدت أيضاً على مخطوطات مساعدة ، وهي التي سيأتي ذكرها وذلك للتثبت من سلامة النصوص ، ومعرفة النقص ، والمصحف ، والغامض من الكلام .

٥- صورة عن مخطوطة في مكتبة المحمودية ، موجودة الآن بمكتبة الملك عبد العزيز في المدينة المنورة ، وتبدأ من أول الكتاب ، وتنتهي عند باب (ما لا يجوز من العمل في الصلاة وما يباح منه) ، وهي (٣٠٢) ورقة ، كتبها حسن بن حاجي ، في الصفحة (٢٣) سطراً ، ورقم المخطوط (٥٤٨) ، ومصدر الصورة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

٦- صورة عن مخطوطة في مكتبة المحمودية ، موجودة الآن في مكتبة الملك عبد العزيز في المدينة المنورة ، وهي تبدأ من (كتاب الطب والرقى) ، وتنتهي آخر الكتاب كتبها حسن بن حاجي جمعة ، تمت في (١٠٩٢/٤/٢١ هـ) ، وهي (٣٤٠) ورقة ، في كل صفحة (٢٣) سطراً ، ورقم المخطوط (٥٤٩) ، ومصدر الصورة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٧- صورة عن مخطوطة مصدرها (روضة الحديث) وعدد أوراقها (٣٩٠) ورقة ، وعدد الأسطر في الصفحة (٢٩) سطراً ، وتاريخ نسخها (٨٨٨ هـ) بيد عبد الله بن مسعود بن سدي الكازروني ، وتبدأ من أول (كتاب النكاح) ، وتنتهي آخر الكتاب ، ومصدر الصورة الجامعة الاسلامية .

٨- صورة عن مخطوطة مكتبة مظاهر علوم بسنهارنفور في الهند ، وتبدأ من أول الكتاب ، وتنتهي عند باب (المستحاضة) ، وهي (٢٠٨) ورقة ، في الصفحة حوالي (٢٢) سطراً ، كتبت في (١٣٥٤ هـ) ، ومصدر الصورة الجامعة الإسلامية .

٩- صورة عن الجزء الثاني من المخطوطة السابقة ، وتبدأ من(كتاب الصلاة)،وتنتهي عندباب :(زيارة القبور) ، مكتوبة سنة (١٣٥٤ هـ) ، وهي من نفس المصدر السابق وكلاهما بخط إسماعيل بن إسحاق الكاندهلوى .

١٠- صورة عن مخطوطة أصلية في بغداد ، تبدأ من أول الكتاب ، وتنتهي عند باب (العقيقة) ، وهي حوالي (٧٢٤) ورقة ، في الورقة (٢٩) سطراً ، وأخذتها من مركز البحث العلمي في جامعة أم القرى ، وهي مصورة على (ميكروفلم)،ورقمها (٥١٤) .

وقد أفدت من بعض شروح المشكاة ،مثل كتاب (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) للشيخ علي القاري ، وقد ضمن فيه كثيراً من كلام الطيبي ، ومن كلام العلماء الذين نقل عنهم الطيبي ، وكذلك أفادني كتاب (التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح) للشيخ محمد إدريس الكاندهلوى ، الذى ضمن أشياء كثيرة من كلام الطيبي ، ومن كلام العلماء الذين نقل عنهم الطيبي ، بيد أن فائدة(المرقاة)لي كانت أكبر وأعظم ، فالكتاب(١١) مجلداً ، خلافا (للتعليق الصبيح) فهو (٤) مجلدات فقط ، ولم يتم صاحب التعليق شرح المشكاة ، وإنما شرح حتى (باب الترجل) ، أى حوالي ثلثي كتاب المشكاة .

× × ×

المنهج الذي اتبعته :

ويمكن إبراز أهم معالمه في صور محددة ، وهي :

١- كتاب الكاشف ما يزال مخطوطاً ، لذلك حرصت على الحصول على نسخة كاملة جيدة منه تكون هي النسخة الأم التي أحيل اليها ، وقد تأكدت من وجود نسخة جيدة منه في تركيا في مكتبة أحمد الثالث في اسطنبول رقم (٢٩٤٨- ٢٩٥٣) في ستة مجلدات ، فسعيت للحصول عليها عن طريق مركز البحث العلمي في جامعة أم القرى ، ولم ترد مكتبة أحمد الثالث على الخطاب الذي وجهته إليها عمادة المركز ، فسافرت إلى تركيا لهذا الغرض فقيل لي إن تصوير هذه المخطوطة يحتاج إلى إذن مجلس الوزراء التركي في أنقرة ، وهذا يستغرق مدة ، وبالإمكان طلب الاذن عن طريق السفارة التركية في جدة ثم توكيل شخص في تركيا لتصوير الكاشف ، فاتصلت بالسفارة التركية عقب عودتي من تركيا وقدمت طلباً ، ولم يأتني جواب حتى الآن ، ونظراً لضيق الوقت وخشية فوات المدة القانونية لمرحلة الماجستير فقد شرعت في البحث عن مخطوطات أخرى من داخل المملكة أستطيع أن أقيم الدراسة عليها مبدئياً ، وقد عثرت على المخطوطات السالفة الذكر من جامعة أم القرى ومن الجامعة الاسلامية ، وهي مخطوطات مختلفة الأشكال والأحجام ، ومن مصادر مختلفة ، وكتب معظمها في أزمان متأخرة عن زمن المؤلف وهي من بلدان شتى ، ومتفاوتة في قيمتها العلمية ، ولا توجد بينها نسخة أم ، وإنما يكمل بعضها بعضاً ، ونظراً لما يعترض هذه المخطوطات من عدم دقة وعدم وضوح أحيانا ، حيث إن بعض اللوحات تكرر ترقيمها ، وبعضها رقم بخط غير واضح ، وبعضها لم يرقم ، وبعضها طمس الرقم فلم يعد مقروءاً وبعضها رقمت بأرقام هندية غير واضحة في بعض المواضع ، وبعض المخطوطات عليها أكثر من ترقيم ، لذلك فإنني لم ارجع كل نص نقلته من هذه المخطوطات إلى صورة المخطوطة التي نقلته منها إذ لايوجد بين هذه المخطوطات نسخة أم ، وأصولها حبيسة في المكتبات متوزعة في بلدان شتى ، وفي عثور القارئ عليها كلفة ومشقة ، وقد اتبعت طريقة علمية عملية في الاحالة ، وذلك لما كان كتاب الكاشف شرحاً للمشكاة يسير على ترتيبها ، رأيت أن آتي بالحديث النبوى الذى يشرحه الطيبي ، وأحيل إلى موقعه في المشكاة ، وقد نظمها الشيخ محمد ناصر الألباني تنظيماً جيداً ، ورتب الاحاديث تصاعدياً ، إضافة إلى ترتيبها في أبوابها ، ولذلك أشير إلى موقع الحديث في المشكاة ورقمه وبهذا يستطيع أى شخص في الدنيا لديه مخطوطة الكاشف أن يتاكد من وجود النص الذى أعزوه للطيبي في كتاب الكاشف ، وذلك إذا فتش عن الحديث النبوى في المخطوطة التي عنده فإذا وجد الحديث وجد الكلام المعزو إلى الطيبي بحذافيره عند هذا الحديث ، إذا كانت مخطوطته غير ناقصة ، علماً أن المشكاة مطبوعة ومترجمة إلى الانكليزية . وليس في العثور عليها أى مشقة . وليس هذا الوضع مستمراً في الرسالة ، وإنما هو حل مبدئي إلى حين طباعة الكاشف ، فإذا طبع بعون الله سهل أمر الاحالة اليه ، حيث إنه يسير على ترتيب المشكاة ، وطالما عرف موقع الحديث في المشكاة يعرف في الكاشف . وسوف أرجئ طباعة هذه الرسالة إلى أن يطبع الكاشف أولاً ، فأحيل إليه موثقاً كل النصوص التي نقلتها من مخطوطاته ، ثم أطبع الرسالة بعد ذلك عسى أن ينفع الله بها إخواني الطلبة من أبناء أمتنا الاسلامية المجيدة .

٢- بالنسبة لأحاديث المشكاة التي شرحها الكاشف، لم أجد ضرورة لتخريجها في كتب أئمة الحديث، إذ فعل ذلك الشيخ ناصر الألباني - جزاه الله خيراً - كما أن كتاب (مصابيح السنة) للبغوي، وهو أصل للمشكاة، قد حقق تحقيقاً علمياً دقيقاً وطبع، وكذلك كتاب (شرح السنة) للبغوي، وهو بمثابة أصل للمصابيح محقق ومطبوع، عني به الشيخ شعيب الأرناؤوط، ويستطيع من أراد معرفة موقع الحديث في كتب السنة أن يرجع إلى بعض الكتب السابقة، وقد نالت المشكاة أيضاً عناية العلماء والشارحين، فطبعت مع بعض شروحها وحققت، لذلك وجدت في هذا غنى عن تحقيق أحاديثها، فهو مجهود لا طائل من ورائه، وتكرار لا فائدة فيه، فاكتفيت بالإحالة إلى المشكاة التي حققها الشيخ ناصر الألباني، وأذكر راوي الحديث من المشكاة نفسها .

٣- ضبطت الآيات القرآنية، ووثقت الأحاديث التي استشهد بها خلال شرحه ولم ترد في المشكاة .

٤- أما نقول الطيبي عمن سبقه، فقد أحلتها إلى المطبوع من كتب أصحابها، ومن لم يطبع كتابه، ووجدت كلامه في بعض الكتب المقتبسة منه، فإنني أحيل إليها . وأنبه إلى أنه سلك مسلك الاختصار في نقوله، لذلك لم أشر إلى الفروق بين عباراته المنقولة، وبين مظانها الأصلية في كتب أصحابها، إلا إذا كانت كبيرة .

٥- أما فيما يتعلق بشواهده البيانية : فقد أحلت إلى أماكنها في الدواوين، أو إلى أماكنها في بعض كتب البلاغة العربية ما أمكن ذلك .

٦- جمعت المادة البيانية التي في الكتاب كلها، ثم أخذت خلاصتها، وقسمتها إلى موضوعات، ودرست كل موضوع على حدة، فقدمت رأى الطيبي فيه ثم قارنت ما قاله بما قاله أئمة علماء البلاغة، وبينت مواطن الالتقاء، وأماكن الاختلاف .

٧- بينت في التمهيد منهج الطيبي في كتاب الكاشف، ومصادره .

٨- لم أكن مجرد ناقل ومنسق لكلام الطيبي وعلماء البيان، بل كنت أبدي رأيي، وأبذل اجتهادي في بعض الموضوعات، بتحفظ حيناً وبصراحة حيناً آخر، كما أضفت، وشرحت، وعلقت على كلام الطيبي في بعض الأحيان .

٩- أبقيت كلام الطيبي كما هو فإذا اختصرته أشرت الى ذلك .

١٠- ربما ذكرت بعض النقول الطويلة التي ينقلها الطيبي عن أسلافه من العلماء لاتصالها بما سيقوله ، أو لعلاقتها بعلم البيان ٠

١١- قد يلابس بعض الأحاديث بعض الأمور البيانية ، يذكرها الطيبي توضيحاً ، أو استطراداً ، وهي لا تتصل بنص الحديث مباشرة ، فنذكر الحديث الذى قيلت عنده لتحديد موضعها في كتابه ، أو لأن هناك صلة غير مباشرة بينها وبين نص الحديث ٠

× × ×

وبعـــد :

فإن الله يعلم كم بذلت من جهد في هذا البحث ، سواء في الحصول على المخطوطات ، أو في جمع المادة العلمية ، وتهذيبها ، وترتيبها ، أو في الدراسة نفسها ، ولكن كل ما يبذل في سبيل الله هو قليل بجانب ما وهبنا سبحانه من النعم ٠

فلك الحمد يا رباه في الأولى والآخرة ، ولك الشكر يا إلهي حتى ترضى ٠

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساعدني وأرشدني الى كتابة هذه الرسالة من الأساتذة الكرام ، وأخص بالشكر المشرف الفاضل سعادة الدكتور علي العماري ، الذى كان ينير أمامي الطريق ، ويفتح الآفاق ، كما أشكر عمادة كلية اللغة العربية وأخص بالشكر كلا من الأساتذة الفضلاء الذين تشرفت بالدراسة على أيديهم ، وهم كل من سعادة الدكتور محمد الحارثي عميد الكلية ، وسعادة الدكتور عليان الحازمي العميد السابق ، وسعادة الدكتور حسن باجودة رئيس قسم الدراسات العليا العربية ، وسعادة الدكتور صالح بدوى وكيل الكلية ، كما أشكر جامعة أم القرى ممثلة بمديرها معالي الدكتور راشد الراجح ، سائلاً المولى عز وجل للجميع سعادة الدارين ، ولأمة الاسلام أن يجمع الله شملها على كتابه العظيم ، وسنة نبيها الأكرم

سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - .

كما أسأل الله الكريم في عليائه أن ينفع بهذا الجهد المتواضع ، وأن يكتب له القبول ، وأن يعفو عن السيئات .. إنه سبحانه سميع مجيب .. وبالله التوفيق .

١٤١٠/٢/١٠ هـ

مكة المكرمة

الطالب

محمود فتحي أحمد زجير

× × ×

× ×

×

- بيان الرموز والاصطلاحات -

عمدنا إلى اختصار أسماء بعض الكتب التي تكثر الإحالة إليها ، واستعملنا بعض الرموز لبعض الكلمات التي ترد بكثرة ، وذلك حسب ما يلي :

أ- الاصطلاحات :

- التعليق = التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح للكاندهلوي .
- الفائق = الفائق في غريب الحديث للزمخشري .
- الكشاف = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري .
- المرقاة = مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري .
- المشكاة = مشكاة المصابيح للتبريزي .
- النهاية = النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير .

ب- الرموز :

- ت = تحقيق .
- ج = جزء .
- ص = صفحة .
- ط = طبعة .

× × ×

التمهيد

أولاً : الجانب البياني في الحديث النبوي قبل الطيبي :

اتصل البحثُ البلاغي في تراثنا بموضوع إعجاز القرآن (١)، وتطور البحثُ البلاغي تطوراً ملحوظاً على يد الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ثم أخذ أُسسهُ وأَبعادهُ على يد الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) وانتهى بشكل قواعد محددة ومنظمة عند السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) في كتابه :(مفتاح العلوم) ،ثم جاء الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) فوضع كتابيه : (التلخيص) و (الإيضاح) ،وابتدأ بعد ذلك عصرُ الشروح والحواشي .

وقد رأيت من الأفضل أن لا أكتب عن البحث البلاغي قبل الطيبي بشكلٍ عام ،فما أكثر ما كتب في تاريخ البلاغة العربية ،فأغلب من يحققون كتباً في البلاغة ،أو يدرسون كُتبها ،أو رجالها ،أو علومها ،نجدهم يتحدثون في مقدماتهم عن نشأة علوم البلاغة وتطورها (٢)، كما أن هناك كتباً متخصصةً في تاريخ البلاغة العربية (٣)،ومعظمُ ما كتب متشابه ومكرر ،والاختلاف فيه محصور في التقسيمات والأسلوب،فمنهم مَنْ يطنبُ عند دراسة أحد العلماء ،ومنهم من يوجز في دراسته ،لذلك أرى عدم جدوى كتابة مقدمة في البحث البلاغي بشكلٍ عام ،وأفضلُ أن أدرسَ الجانبَ البياني في الحديث النبوي .

× × ×

(١) ينظر (فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر)،لنعيم الحمصي . ومقدمة السيد صقر لكتاب (إعجاز القرآن) للباقلاني .

(٢) هكذا فعل د. عبد العزيز عتيق في كتبه (علم البيان) و(علم المعاني) و(علم البديع) ،والدكتور عبد المنعم خفاجي في مقدمته للإيضاح ،والدكتور عبد الفتاح لاشين في كتابيه (البيان في ضوء أساليب القرآن) و(المعاني في ضوء أساليب القرآن) .... وكثيرون قد فعلوا ذلك .

(٣) مثل :(البلاغة تطور وتاريخ) للدكتور شوقي ضيف،وكتاب (مع البلاغة العربية في تاريخها) للدكتور محمد سلطاني ،وكتاب (التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس) لحمادي صمود ،وكتاب (القزويني وشروح التلخيص) للدكتور أحمد مطلوب وغيرها ...

نستطيعُ أن نلخصَ أبرزَ عناصرِ هذا الموضوع بالأمورِ التالية :

أ - انصرفَ جلُّ اهتمامِ معظم علماء المسلمين في مجالِ الدراساتِ البلاغية نحو القرآن الكريم ، وقضية الإعجازِ فيه ، وحظيت الدراساتُ البلاغيةُ المتصلةُ بالإعجاز بعنايةِ كبارِ أهلِ العلمِ ، أمثال الجاحظ ، والباقلاني ، وعبد القاهر وغيرهم ، مما جعل حظ الحديث النبوي في الدراساتِ البلاغيةِ ضئيلاً إذا ما قورن بالدراساتِ القيمةِ التي عُنيتْ بالقرآنِ ، وقضيةِ الإعجاز .

ب - كان معظمُ اهتمامِ علماء المسلمين من المحدثينَ وغيرهم منصباً في القرونِ الأولى على جمع السنة ، وتدوينها ، ومعرفةِ الصحيحِ من المنتحل ، وضبطِ الرواة ، ودراسةِ أحوالهم . وذلك حفظاً للسنة النبوية من الدسِّ والتحريفِ ، وهذا العملُ العظيم قد شغلَ العلماءَ في العصورِ الأولى عن دراسةِ الحديث النبوي من الوجهةِ البيانية .

ج - لقيت دراسةُ الحديثِ النبوي من الوجهةِ البيانية بعضَ الاهتمامِ عندَ بعضِ علماءِ الأدب والبلاغة ، ومن هؤلاء :

١- الجاحظ : (ت ٢٥٥ هـ) :

تكلمَ الجاحظُ عن البيانِ النبوي ووصفه وصفاً شاملاً دقيقاً عميقاً ، فكان مما قاله : " .. ثم لم يسمع الناسُ بكلامٍ قط أعم نفعاً ، ولا أقصد لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح معنى ، ولا أبين في فحوى ، من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيراً "(١).

وقرر الجاحظ أن ما ذهب إليه في وصف كلامِ النبي - صلى الله عليه وسلم - هو الحق ، وأنه لم يتكلفْ في مدحِ كلامِ النبي - صلى الله عليه وسلم - بل قالَ الحقيقة

---

(١) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص (١٧- ١٨) .

الساطعة كما هي فقال: "ولعل بعض من لم يتسع في العلم ولم يعرف مقاديرَ الكلم ، يظن أنا قد تكلفنا له من الامتداحِ والتشريفِ ، ومن التزيين والتجويدِ ما ليس عنده ، ولا يبلغه قدره ، كلا والذي حَرَّمَ التزيدَ على العلماء ، وقبح التكلف عندَ الحكماء ، وبهرج الكذابين عند الفقهاء ، لا يظن هذا إلا من ضل سعيه "(١).

ويأتي الجاحظ بنماذج من أحاديثه - صلى الله عليه وسلم - ويقارن بينها وبين أقوال بعض الشعراء ، مقرراً من خلال ذلك فضل كلامه - صلى الله عليه وسلم - على كلام غيره من البشر .

وكثيراً ما يورد الأحاديث دون أن يعلق عليها ، وقد انتقده أحد الباحثين لإيراده بعض الأحاديث الموضوعة ، قال الأستاذ محمد الصباغ : " وقد لاحظت أن عدداً من هذه الأحاديث غير صحيح ، بل قد ذكر العلماء أن بعضها من الموضوعات "(٢).

وهذا مما يؤخذ على الجاحظ ، وعلى عدد من علماء التفسير والدين والأدب الذين ذكروا بعض الأحاديث الموضوعة في كتبهم ، دون أن يتثبتوا من صحتها .

٢- الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ):

ألف الشريف الرضي كتاباً مستقلاً في البيان النبوي سماه : " المجازات النبوية " قال في مقدمته إنه رغب "في عمل كتاب يشتمل على مجازات الآثار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله إذ كان فيها كثير من الاستعارات البديعة ، ولمع البيان الغريبة وأسرار اللغة اللطيفة ، يعظم النفع باستنباط معادنها ، واستخراج كوامنها ، وإطلاعها من أَكِمَّتِها (٣) وأَكْنانِها (٤) ، وتجريدها من خِلَلِها (٥) وأجفانها (٦)".

(١) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص(١٨).
(٢) التصوير الفني في الحديث النبوي ، ص(٣٧).
(٣) الأَكِمَّة : جمع كِمام ، وهو الغطاء . ينظر: لسان العرب، مادة (كمم).
(٤) الكِنانُ كل ما يرد الحر والبرد من الأبنية والغيران ونحوها ، جمع أَكْنان ينظر : المعجم الوسيط ، مادة كَنَّ .
(٥) الخِلَل : جمع خِلَّة وهي جفن السيف المُغَشَّى بالأَدَم ، وبطانة يُغَشَّى بها جَفْنُ السيف تُنْقَشُ بالذهب وغيره ، ينظر : المعجم الوسيط ، مادة (خل)
(٦) ص (٢١) .

وذكر في مقدمته أنه: أشار إلى مواضع النكت، ومواقع الغرض بالاعتبارات الوجيزة والإيماءات الخفيفة، وذكر أن ما فاته أكثر مما وقع إليه[١]، وأنه اعتمد على كتب غريب الحديث المعروفة، وأخبار المغازي المشهورة، ومسانيد المحدثين الصحيحة.

وذكر أنه سيضيف في كتابة جملة من كلامه - عليه الصلاة والسلام - الموجز الذي لم يسبق الى لفظه، ولم يفترع من قبله[٢].

ومجموع الأحاديث الرئيسة التي درسها في كتابه (٣٦١) حديثاً، كما ذكر أحاديث أخرى خلال شرحه للأحاديث السابقة.

وكتاب الشريف الرضي يعد محاولة رائدة لدراسة الحديث النبوية من الوجهة البيانية ويمتاز بسهولة العبارة، والإيجاز، وقد استعمل بعض المصطلحات البيانية، مثل التشبيه، والمجاز، والاستعارة، والكناية[٣]، دون التعرض لما يدخل تحت كل مصطلح من المصطلحات السابقة من أقسام، وكان يستحسن بعض الأنواع البيانية مثل الاستعارة: يقول: " ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (إن الاسلامَ بدأ غريباً وسيعود غريباً) وهذا الكلام من محاسن الاستعارات، وبدائع المجازات، لأنه عليه الصلاة والسلام جعل الاسلام غريباً في أول أمره، تشبيهاً بالرجل الغريب الذي قل أنصاره، وبعدت دياره، لأن الاسلام كان على هذه الصفة في أول ظهوره، ثم استقرت قواعده، واشتدت معاقده، وكثر أعوانه، وضرب جرانه[٤]، وقوله عليه الصلاة والسلام:

---

(١) ينظر: المجازات النبوية، ص(٢٢).

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص(٢٣).

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص(٨٢- ٨٣)، الحديث رقم (٧٢).

(٤) ينظر: ص(٣١٦) من هذه الرسالة.

(وسيعود غريباً) أي: يعود إلى مثل الحال الأولى في قلة العاملين بشرائعه، والقائمين بوظائفه، لأنه ـ والعياذ بالله ـ تمحى سماته، وتدرس آياته "[١].

وهذا مثال آخر ينوه فيه بالاستعارة، يقول:

" ومن ذلك قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ في حديث يذكر فيه أشراط الساعة: (فعند ذلك تقيءُ الأرضُ أفلاذَ كبدِها) وهذه من الاستعارة العجيبة، لأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ شبه الكنوز التي استودعتها بطون الأرض بأفلاذ الكبد، وهي شعبها وقطعها، لأن شعب الكبد من شرائف الأعضاء الرئيسة، فكذلك الكنوز من جواهر الأرض النفيسة، ولما شبهها عليه الصلاة والسلام بأفلاذ الكبد من الوجه الذى ذكرناه، جعل الأرض عند إخراجها كأنها تقيأت ودسعت[٢] بما استودعته منها "[٣].

وخلاصة القول: إن الشريف الرضي عني بالجانب البياني في الحديث النبوي من ناحية المجاز خاصة، ولم يتناول بقية الجوانب البيانية تناولاً واسعاً، كما أن المصطلحات البيانية عنده عامة، ومتداخلة أحياناً، لأن علم البيان لم يُدوَّن حتى ذلك الوقت بقواعد منظمة.

٣ـ ابن رشيق القيرواني: (ت ٤٦٣ هـ):

استشهد ابن رشيق في كتابه العمدة بكلام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على القواعد التي يضعها، ولم يكن يعمد إلى تحليل النص ودراسته بيانياً، وإنما كان كلامه موجزاً وقد امتدح بيان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال في باب الإيجاز: " وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للأنصار: (إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع) وقال: (كفى بالسلامة داء) ومثل هذا كثير في كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

---

(١) المجازات النبوية، ص(٣٦).

(٢) الدسع: الدفع، ينظر: المعجم الوسيط، مادة (دسع).

(٣) المجازات النبوية، ص(٢٠٤).

ومن أولى منه بالفصاحة ؟. وأحق بالايجاز ؟. وقد قال : (أُعطيتُ جوامع الكلم)(١) ؟!.

وفي بداية كلامه في باب البلاغة يبدأ بكلام للنبي - صلى الله عليه وسلم - ثم يثني بكلام لغيره ، مما يدل على تعظيمه للبيان النبوي فيقول : " تكلم رجل عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : (كم دون لسانك من حجاب ؟) فقال : شفتاي وأسناني . فقال له : (إن الله يكره الانبعاق (٢) في الكلام ، فنضر الله رجلا أوجز في كلامه واقتصر على حاجته) . وسئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيم الجمال؟. فقال : (في اللسان) . يريد البيان "(٣).

وفي كلامه عن الاستعارة يقول : " والاستعارة كثيرة في كتاب الله عز وجل ، وكلام نبيه - صلى الله عليه وسلم - " . ويمثل لها بقوله عليه السلام : (الدنيا حلوة خضرة) وقوله : (رب تقبل توبتي واغسل حَوْبَتي) ويقول عقب هذا الحديث : " فغسل الحوبة (٤) استعارة مليحة "(٥).

٤- عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) :

استشهد عبد القاهر بالحديث النبوي ، وقد أتى بأحاديث كثيرة في كتابه أسرار البلاغة ، أما كتابه (دلائل الإعجاز) فكانت أحاديثه قليلة .

وقد قسم عبد القاهر المعاني قسمين : عقلي ، وتخييلي ، وقال :

" فالذي هو العقلي على أنواع : أولها : عقلي صحيح مجراه في الشعر والكتابة والبيان والخطابة مجرى الأدلة التي تستنبطها العقلاء ، والفوائد التي تثيرها الحكماء ، ولذلك تجد الأكثر من هذا الجنس منتزعاً من أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - وكلام

---

(١) العمدة ، ج ١ ، ص (١٧٥) .

(٢) الانبعاق : الصراخ ، ينظر : المعجم الوسيط ، مادة (بعق) .

(٣) العمدة ، ج ١ ، ص (١٦٧- ١٦٨) .

(٤) الحَوْبَة : الإثمُ والحاجةُ والهَمُّ ، ينظر : المعجم الوسيط ، مادة : (حاب)

(٥) انظر : العمدة ، ج ١ ، ص (١٩١) .

الصحابة رضي الله عنهم ، ومنقولاً من آثار السلف الذين شأنهم الصدق ، وقصد هم الحق ، أو ترى له أصلاً في الأمثال القديمة ، والحكم المأثورة عند القدماء "(١).

ومن الأحاديث التي أوردها قوله عليه الصلاة والسلام : (الناسُ كإبلٍ مائة لا تجد فيها راحلة)(٢).

وعقب عليه بقوله :" لا بد فيه من المحافظة على ذكر المشبه به الذى هو الإبل ، فلو قلت :(الناس لا تجد فيهم راحلة) أو (لاتجد في الناس راحلة) كان ظاهرُ التعسف "(٣).

والخلاصة : أن عبد القاهر - رحمه الله تعالى - كان يستشهد بالحديث النبوي في تقريره للقواعد البلاغية التي يضعها ، وقد كانت شواهده من الشعر أكثر من شواهده من الحديث .

---

(١) أسرار البلاغة ، ص(٢٤١) .
(٢) ينظر ص (١٣٤) من هذه الرسالة .
(٣) أسرار البلاغة ، ص (١٠٠- ١٠١) .

٥- ضياء الدين بن الأثير : (ت ٦٢٢ هـ):

استشهد ابن الأثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر بالحديث النبوي كثيراً ، واعتبر أن الحديث النبوي هو آلة من آلات علم البيان ، وهي عنده ثمان ، فقال : " النوع السابع : حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال "(١).

وكان لابن الأثير عناية في حفظ الحديث : يقول : " وكنت جردت من الأخبار النبوية كتاباً يشتمل على ثلاثة آلاف خبر ، كلها تدخل في الاستعمال ، وما زلت أواظب مطالعته مدة تزيد على عشر سنين ، فكنت أنهي مطالعته في كل أسبوع مرة ، حتى دار على ناظري وخاطري ما يزيد على خمسمائة مرة ، وصار محفوظاً لا يشذ عني منه شيء "(٢).

وكان يستشهد بالأحاديث النبوية على القواعد التي يضعها ، فقد قسم التشبيه الى أربعة أقسام ، ومنها : تشبيه مركب بمركب (٣)، وقال فيه :

" وأما القسم الثاني : وهو تشبيه المركب بالمركب ، فمما جاء منه مضمر الأداة ما يروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في حديث يرويه معاذ بن جبل - رضي الله عنه - وهو حديث طويل ، يشتمل على فضائل أعمال متعددة ، ولا حاجة إلى إيراده ههنا على نصه ، بل نذكر الغرض منه ، وهو أنه قال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أمسك عليك هذا) وأشار إلى لسانه ، فقال معاذ : " أونحن مؤاخذون بما نتكلم به ؟" فقال : (ثكلتك أمك يا معاذ ! وهل يَكُبُّ الناسَ على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائدُ ألسنتهم)

فقوله : (حصائد ألسنتهم) من تشبيه المركب بالمركب ، فإنه شبه الألسنة وما تمضي فيه من الأحاديث التي يؤاخذ بها بالمناجل التي تحصد النبات من الأرض "(٤).

والحق أن حصائد الالسنة من التشبيه البليغ من إضافة المشبه إلى المشبه به وليس من المركب .

(١) ج ١ ، ص :(٤٠-٤١) ، وينظر ص :(٦١) .

(٢) المصدر السابق ، ج ١ ، ص(١٥٠) .

(٣) ينظر : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص(١٣١) .

(٤) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص(١٣٦).

وكان ابن الأثير يعلق على بعض الأحاديث ببعض الكلمات التي تدل على استحسانه لهذه الأحاديث ، ومما أورده :" قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (رويدك سوقك بالقوارير) .

يريد بذلك النساء ، فكنى عنهن بالقوارير ، وذلك أنه في بعض أسفاره وغلام أسود اسمه أنجشة يحدو ، فقال له :(يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير) .

وهذه كناية لطيفة "(١).

وقد ذهب الأستاذ محمد الصباغ إلى أن ابن الأثير " من أكثر المتقدمين ضربا للأمثلة من الحديث في كتابه المذكور "(٢).

٦- يحيى بن حمزة العلوى : (ت ٧٤٥ هـ):

أشار العلوى إلى فضيلة البيان ، وقال :" الفضيلة الأولى : أن الرسول صلى الله عليه وآله ، مع ما أعطاه الله من العلوم الدينية ، وخصه بالحكم والآداب الدنيوية فلم يفتخر بشيء من ذلك ، فلم يقل : " أنا أفقه الناس " ولا " أنا أعلم الخلق بالحساب والطب " بل افتخر بما أعطاه الله من علم الفصاحة والبلاغة ، فقال عليه السلام :(أنا أفصح من نطق بالضاد)(٣). " .

كما تحدث عن فضيلة البيان النبوى ، فقال :" فإن كلامه - صلى الله عليه وسلم - وإن كان نازلاً عن فصاحة القرآن وبلاغته ، في الطبقة العليا بحيث لا يدانيه كلام ، ولا يقاربه وإن انتظم أي انتظام "(٤).

وقد أتى العلوى بطائفة من الأحاديث النبوية استشهد بها على القواعد البلاغية

---

(١) المثل السائر ، ج ٣ ، ص(٦٤) . وسيرد كلام حول هذا الحديث ص (٩٦ - ٩٧) من هذه الرسالة .

(٢) التصوير الفني في الحديث النبوى ، ص(٥٥) .

(٣) الطراز ، ج ١ ، ص (٣٢- ٣٣) .

(٤) المصدر السابق ، ج ١ ، ص(١٦٠) .

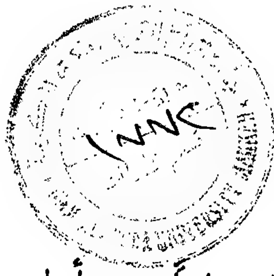
التي وضعها في كتابه ، وكان يعلق على بعضها بأحسن العبارات ، من ذلك قوله بعد أن أورد طائفة من الأحاديث النبوية :" فلينظر المتأمل ما اشتملت عليه هذه الكلم القصيرة من المعاني الجمة ، والنكت العديدة ، مع نهاية البلاغة ، ووقوعه في الفصاحة أحسن موقع "(١).

والعلوي معاصر للطيبي (ت ٧٤٣ هـ) وقد فرغ من تأليف كتاب الطراز سنة (٧٢٨ هـ)(٢).

× × ×

---

(١) الطراز ، ج ١ ، ص (١٦٣).
(٢) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص (٤٦٦).



د - لقيت دراسة الحديث النبوي من الوجهة البيانية اهتماماً عند أغلب شراح الحديث النبوي بعد مرحلة التدوين ، وقد بذل بعض الشراح جهوداً حسنة ، حيث أظهروا بعض الجوانب البيانية في الحديث النبوي ، ومن هؤلاء :

الإمام الخطابي (ت ٣٨٨ هـ) ، والإمام النووي (ت ٦٧٦ هـ) ، والبيضاوي (ت ٦٨٥هـ) وغيرهم .

ولكن المسائل البيانية عند هؤلاء لم تكن تعرض بشكل موسع ، وهي أشبه بإشارات مقتضبة غالباً إلى بعض المواطن البيانية ، وقد يرافقها تحليل موجز ، ولعل دراسة الإمام الطيبي (ت ٧٤٣ هـ) كانت من أوائل الدراسات القيمة التي تدرس الحديث النبوي من الوجهة البيانية دراسة مستفيضة ، وتوليها الاهتمام ، وقد قدمت إضافات جيدة أسهمت في إثراء ميدان دراسة الحديث من الوجهة البيانية بعد أن أفادت من الدراسات السابقة عليها ، مما جعلها تنال عناية الدراسات التي أتت بعدها ، فاعتمد عليها كثير من شراح الحديث النبوي ، وربما كانت دراسة الطيبي للحديث النبوي من الوجهة البيانية نافعة لبعض الشراح كي يهتموا بالجانب البياني في الحديث النبوي ، فيتحدثون عنه بشكل مستقل ضمن فقرات خاصة ، كما فعل الإمام البدر العيني في كتابه " عمدة القاري " .

× × ×

ثانياً: منهج المؤلف :

١- ذكر الإمام الطيبي - رحمه الله - في مقدمة كتابه - الكاشف - المنهج الذي اتبعه في هذا الكتاب ، وحدد القواعد الأساسية التي أقام عليها كتابه ، وذكر مصادره ، وطريقة نقله منها ، وما أضافه هو في هذا الكتاب ، وخصائص كتابه والمزايا التي تفرد بها عن غيره ، وما بذله من جهد في تحرير الكتاب وإخراجه في أكمل صورة ، وأنه نهج في شرحه نهج العلماء المحدثين ، ومن خلال مقدمته يمكن تحديد الخطوط العريضة لمنهجه في الكتاب بالأمور التالية :

(١) الشرح والتلخيص وحل المشكل ، وإبراز النكات البيانية ، واللطائف الأسلوبية على ما تستدعيه غرائب اللغة والنحو ، ويقتضيه علما المعاني والبيان وقد أشار الى ذلك بقوله :

" فلما فرغ من إتمامه ، شمرت عن ساق الجد ، في شرح معضله ، وحل مشكله ، وتلخيص عويصه ، وإبراز نكاته ولطفه ، على ما تستدعيه غرائب اللغة والنحو ، ويقتضيه علما المعاني والبيان ، بعد تتبع الكتب المنسوبة إلى الأئمة رضي الله عنهم وشكر مساعيهم ، معلماً لكل مصنف بعلامة مختصة به " .

(٢) - المصادر الأساسية لكتاب الكاشف :

ذكر الطيبي - رحمه الله تعالى - في مقدمة الكاشف أسماء الكتب التي اعتمد عليها والتي تكاد تشكل العمود الفقري للكتاب ، فقال رحمه الله تعالى :

" .... فلما فرغ (١) من إتمامه (٢) ، شمرت عن ساق الجد في شرح معضله ، وحل مشكله ، وتلخيص عويصه ، وإبراز نكاته ولطفه ، على ما تستدعيه غرائب اللغة والنحو ، ويقتضيه علما المعاني والبيان ، بعد تتبع الكتب المنسوبة إلى الأئمة رضي الله عنهم وشكر مساعيهم ، معلماً لكل مصنف بعلامة مختصة به .

فعلامة معالم السنن وأعلامها	(خط)
وشرح السنة	(حس)
وشرح صحيح مسلم	(مح)
والفائق للزمخشري	(فا)
ومفردات الراغب	(غب)
ونهاية الجزري	(نه)
والشيخ التُورِبِشْتي	(تو)
والقاضي ناصر الدين البيضاوي	(قض)
والمُظهر	(مظ)
والأشرف	(شف)

(٣) - ذكر أن نقله من مصادره كان باختصار ، فقال :

" وقد سلكت في النقل منها طريق الاختصار "

---

(١) أي الخطيب التبريزي .

(٢) أي اتمام " مشكاة المصابيح " .

(٤) كان مصدره الأول في الأهمية " شرح النووي على صحيح مسلم " وقد أثنى على هذا الكتاب بشكل خاص ، فقال عنه :

" وكان جل اعتمادي وغاية اهتمامي بشرح مسلم للإمام المتقن محيي الدين النووي ، لأنه كان أجمعها فوائدَ وأكثرها عوائد ، وأضبطها للشوارد والأوابد " .

(٥) ذكر أن هنالك إضافات أتى بها في كتابه فقال :

" وما لا ترى عليه علامةً فأكثرُه من نتائج خاطري الكليل ، فإن تر فيه خللاً فسده جزاك الله خيراً " .

(٦) قام بضبط ألفاظ الحديث النبوي ، وقد قال في هذا المجال :

" وكثيراً ما تجد في هذا الكتاب ضبط الألفاظ التي غيرها في المصابيح بعض من لا يد له في الرواية ، وفي نقل الثقات ، بما سنح له من وجوه العربية " سهواً منه " ، مُبَيِّناً خَطَأَهُ ، مُتَوَخِّياً صوابَه ، فجاء بحمد الله كاشفاً لأستار أسرارها ، حاوياً لمقاصدها وفوائدها " .

(٧) ذكر أن كتابه امتاز بالجمع ، والإيجاز ، والتحقيق في بيان حقائق السنة ودقائقها ، فقال :

" فإن نظرتَ بعين الإنصاف لم تر مصنفاً أجمع ولا أوجز " منه " ولا أشد تحقيقاً في بيان حقائق السنة ودقائقها ، وسميته بالكاشف عن حقائق السنن "

....

(٨) بين أن نهجه في الشرح هو نهج العلماء المحدثين(١) فقد قال :
" وإذا كنا التزمنا أن يكون شرحنا هذا على نهج أهل هذه الصناعة ، أوجب أن نصدر الكتاب بمختصر جامع لمعرفة علم الحديث ، ملخصاً من كتاب ابن الصلاح وغيره ، مرتباً على مقدمة ومقاصد وخاتمة ، أما المقدمة ففي بيان أصوله واصطلاحاته .."(٢)

٢- مدى التزام المؤلف بمنهجه :

لدى عودتي إلى كتاب الكاشف ، ومن خلال دراستي له ، وجدت أن الطيبي التزم بما قال التزاماً دقيقاً ، فقد شرح المعضل ، وحل المشكل ، ولخص العويص ، وأبرز النكات واللطائف على ما تستدعيه غرائب اللغة والنحو ، ويقتضيه علما المعاني والبيان ، وكذلك كان ينقل عن المصادر التي ذكرها باختصار وتصرف يسير غالباً ، ويرمز لكل كتاب بالرمز الذى وضعه له في مقدمة كتابه ، ونقوله كثيرة ، ومائلة إلى القصر في أكثر المواضع ، وقد اعتمد على شرح النووى على مسلم كثيراً ، وقد أضاف الطيبي إضافات كثيرة ، ومعظم إضافاته كانت في بيان البلاغة النبوية ، إذ كشف أسرارها ، وسبر أغوارها ، وأظهر كنوزها ، وقام بضبط الألفاظ النبوية ، وأشار إلى أوهام الرواة ، وإلى تباين النسخ ، واختلاف المصادر في بعض الألفاظ والروايات ، وكان يرجح ويختار ، ويصحح ونحو ذلك ، وقد سار على نهج العلماء المحدثين في الكتاب ، وكان يثني على رسول الله ، ويصلي عليه - صلى الله عليه وسلم - كلما ذكره ، ويثني

---

(١) يقصد بأهل هذه الصناعة : المحدثين ، ومن طريقتهم : بيان أحكام الأصول والفروع والآداب والزهديات ، وإيضاح معاني الألفاظ اللغوية وأسماء الرجال وضبط المشكلات واستخراج لطائف من علم الحديث ، والجمع بين الأحاديث المتعارضة ظاهراً . ينظر : صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ١ ، ص (٥) .
(٢) هذا الترتيب اتبعه المؤلف في كتابه " الخلاصة في أصول الحديث " ولدى مقارنتي هذا الملخص مع الخلاصة وجدته مختصراً لها مع فروق يسيرة بالكلام .

على صحابته ، ويتأدب مع من قبله من العلماء ، ويدعو لهم ، ويعرض رأيه بتواضع شديد ، ويرد على أهل البدع بالحجة والبرهان وأحسن البيان ، وقد كان كتابه جامعاً بحق ، وموجزاً إذا ما قورن بغيره ، وقد أظهر الدقائق وكشف الحقائق ، وهو بحق من أفضل الكتب التي عنيت بالجانب البلاغي في الحديث النبوي ، وقد امتاز بوضوح العبارة ، وعذوبة البيان ، وسهولة التعبير ، وعمق الأفكار ، وبراعة التحقيق فجزى الله مؤلفه أحسن الجزاء .

ولي بعض النظر في منهجه ويتمثل في أمور ، وهي :

(١) تأثر الطيبي رحمه الله بكتاب الكشاف تأثراً كبيراً ، فأكثر النقل عنه ، وكثيراً ما يقول : قال صاحب الكشاف أو ينقل كلاماً يذكر في أوله أحياناً أو في آخره أنه من الكشاف ، وتأثر بأسلوب الزمخشري في الكشاف لاسيما أسلوب الحوار الذى استخدمه الزمخشري في كشف النكات البلاغية ، إذ يلاحظ أن الزمخشري يفترض وجود القارئ أمامه يحاوره ، لذلك كثيراً ما يورد اعتراضات على لسان قارئه فيقول : " فإن قلت .. " ويورد اعتراض قارئه أو سؤاله ثم يجيب : " قلت ... "(١). وهذا الأمر بالذات يوجد بشكل واضح عند الطيبي ، ولا أبالغ إذا قلت إن الطيبي قد تأثر بالكشاف حتى في تسمية كتابه فسماه " الكاشف عن حقائق السنن" واسم كتاب الكشاف الكامل هو " الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، وعيون الأقاويل ، في وجوه التأويل " ويلاحظ من مقارنة عنوان الكاشف مع عنوان الكشاف أن هناك جناساً غير تام بين كلمة " الكاشف " و " الكشاف " ، ويوجد اتفاق في الكلمتين الثانية والثالثة ، وامتد التأثر إلى المنهج الذى اتبعه كل منهما ، فقد قال

---

(١) ينظر : " الكشاف " مثلا : ج ١ ، ص (٢- ٣- ٤- ٦- ٧- ٨- ٩- ١١- ١٢- ١٣- ١٤- ١٥ ١٦- ١٧- ٢٠- ٢١- ٢٣- ٢٤- ٢٥- ٢٦ ....) ، إلى آخره .

الزمخشري في مقدمته للكشاف : " والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه ، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه ، لا يتصدى أحد منهم لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما : علم المعاني وعلم البيان "(١).

فمزية الكشاف الأولى أنه عني بالبلاغة القرآنية من خلال هذين العلمين ، ونجد أن الطيبي قد ذكر في مقدمته أنه شرح معضل الكتاب وحل مشكله ولخص عويصه وأبرز نكاته ولطفه ، على ما تستدعيه غرائب اللغة والنحو ، ويقتضيه علما المعاني والبيان (٢).

لقد كان مركز انطلاق كل منهما في بحثه هو البلاغة العربية ممثلة في أهم علومها وهما هذان العلمان الجليلان : المعاني والبيان .

والظاهر أن الطيبي كان مهتماً بهذين العلمين في وقت مبكر من حياته العلمية بقصد الدخول من خلالهما إلى فهم الكتاب والسنة على طريقة العرب ، فألف التبيان في أواخر القرن السابع أو أوائل القرن الثامن ، ثم شرحه ، وبعد أن تمكن منهما تمكناً جيداً ، أقبل على وضع شرح للكشاف ، ثم أعقبه بشرح للمشكاة ، بعد أن أحاط ببلاغة الزمخشري علماً وتأثر به تأثراً كبيراً ، في مجال البلاغة وفي منهج البحث ، ولكنه لم يتأثر بما عند الزمخشري من اعتزال وفلسفة بل رد عليه ردوداً حسنة مع تأدبه - رحمه الله - مع الزمخشري ، وهذه هي أخلاق العلماء .

(٢) سلك منهجاً قائماً على علوم البلاغة العربية ، ويمكن تحديد بعض ملامح ذلك المنهج في الأمور التالية :

---

(١) الكشاف ، ج ١ ، ص (ن) .

(٢) ينظر : ص (١٢) من هذه الرسالة .

ـ اتخذ البلاغة العربية حجة في فهم الحديث، واستنباط الأحكام، ولو خالفت هذه الأحكام المستخرجة جمهور أهل الحديث، وأضرب لذلك مثلاً وهو موقفه من مسألة تكفير الحج للذنوب الكبائر، فقد استنبط حكماً يخالف حكم جمهور شراح الحديث النبوي معتمداً على البلاغة، وهذا الحكم هو أن الحج يكفر كل الذنوب وفيما يلي نص الحديث وتعقيب الطيبي :

" عن عمرو بن العاص، قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت : ابسط يمينَكَ فَلأُبايِعْك، فبسط يمينه، فقبضْتُ يدي، فقال : (مالكَ يا عمرو ؟) قلت : أردتُ أن أشترط . فقال : (تشترط ماذا ؟) قلت : أن يُغْفَرَ لي . قال : (أما علمتَ يا عمرو أن الاسلامَ يهدمُ ما كانَ قبلَهُ، وأن الهجرةَ تهدمُ ما كان قبلها وأن الحَجَّ يهدمُ ما كان قبله) (١).

يبدأ نا قلاً عن التُورِبِشْتي قوله :

" الإسلام يهدم ما كان قبله مطلقاً، مظلمة كانت أو غير مظلمة، كبيرة كانت أو صغيرة، فأما الهجرة والحج فإنهما لا يكفران المظالم، ولا يقطع فيهما أيضاً بغفران الكبائر التي بين الله وبين العباد، فيحمل الحديث على أن الحج والهجرة يهدمان ما كان قبلهما من الصغائر، ويحتمل أنهما يهدمان الكبائر أيضاً فيما لا يتعلق به حقوق العباد، بشرط التوبة، عرفنا ذلك من أصول الدين، فرددنا المجمل إلى المفصل، وعليه اتفاق الشارحين "(٢)، ثم يعقب

---

(١) رواه مسلم . ينظر المشكاة، ج ١، ص (١٥ـ ١٦)، رقم الحديث :(٢٨) .

(٢) ينظر : المرقاة، ج ١، ص (١٠٢)، والتعليق، ج ١، ص (٤١) .
ولعله يريد بالشارحين شراح كتاب المصابيح، وإلا فإن الإمام مسلماً أورد الحديث في باب " الإسلام يهدم ما قبله وكذا الحج والهجرة " . وقال النووي في شرحه : " فيه عظم موقع الاسلام والهجرة والحج، وأن كل واحد منها يهدم ما كان قبله من المعاصي " . ينظر : صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٢، ص (١٣٦ـ ١٣٨) .

الطيبي على كلام التوربشتي بقوله :

" وأقول : نحن ما ننكر ما اتفق عليه الشارحون ، ولكن نتكلم في الحديث بحسب ما تقتضيه البلاغة ، وذلك أن فيه وجوهاً من التأكيد تدل على أن حكم الهجرة والحج حكم الاسلام :

أحدها : أنه من الاسلوب الحكيم ، فإن غرض عمرو من إبائه عن المبايعة ما كان إلا حكم نفسه في إسلامه ، وحديث الحج والهجرة زيادة في الجواب كأنه قيل : لا تهتم بشأن الإسلام وحده وأنه يهدمُ ما كان قبلَه ، فإن حكم الهجرة والحج كذلك .

وثانيها : أن العطف في علم المعاني يستدعي المناسبة القوية بين المعطوف والمعطوف عليه ، وإلا فيدخل في حكم الجمع بين الأروى والنعام .

قال صاحب الكشاف في قوله تعالى :

(سنكتبُ ما قالوا وَقَتْلَهُمُ الأنبياءَ) (١).

عطف (وقتلهم الأنبياء) على (ما قالوا) ليدل على أن قولهم :

(إن اللهَ فقيرٌ ونحنُ أغنياءُ) (٢) في الفظاعة كقتل الأنبياء ، وفي أنه يجري مجرى الذنب السابق كقتل الأنبياء (٣).

---

(١) و (٢) سورة آل عمران ، الآية : (١٨١) ، والآية بتمامها : (لقد سمعَ اللهُ قولَ الذين قالوا إن اللهَ فقيرٌ ونحنُ أغنياءُ ، سنكتبُ ما قالوا وَقَتْلَهُمُ الأنبياءَ بغيرِ حقٍ ونقولُ ذوقوا عذابَ الحريق) .

(٣) في الكشاف : " وجعل قتلهم الأنبياء قرينة له إيذاناً بأنهما في العظم أخوان ، وبأن هذا ليس أول ما ركبوه من العظائم ، وأنهم أصلاء في الكفر لهم فيه سوابق ، وأن من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول " .
ينظر : ج ١ ، ص (٤٤٧) .

وثالثها : " أَمَا " فإن الهمزة فيها معنى النفي ، وما نافية ، فاذا اجتمعا دلا على التقرير، لا سيما وقد أُتْبِعَا بقوله :" علمتَ" إيذاناً بأن ذلك أمرٌ مقررٌ لا نزاعَ فيه ، ولا ينبغي أن يرتابَ مرتابٌ فيما يتلوهما .

ورابعها : لفظ " يهدم " فإنه قرينة للاستعارة المكنية ، شبهت الخصال الثلاث في قلعها الذنوب من سنخها بما يهدم البناء من أصله ، من نحو : الزلازل والمعاول ، ثم أثبت للإسلام ما يلازم المشبه به من الهدم ، ونسب إليه على سبيل الاستعارة التخييلية .

وخامسها : الترقي[١] ، فإن قوله:(الحج يهدم ما كان قبله)، أبلغ في إرادة المبالغة من الهجرةِ لأنه دونها ، فإذا هدم الحج الذنوب فبالطريق الأولى أن تهدمها الهجرة لأنها مفارقة الأوطان والأحباب ، وموافقة حبيب الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - وكذا حكم الهجرة مع الاسلام ، وعلى هذا قول المعرى شعراً :

سرى برقُ المعرةِ بعدَ وهنٍ ... فباتَ برامة[٢] يصفُ الكلالا[٣]

شجا[٤] ركباً وأفراساً وإبلاً ... وزادَ فكادَ أن يشجو الرِحَالا[٥]

---

(١) هو أن يذكر معنى ثم يردف بأبلغ منه .
ينظر : شروح التلخيص (عروس الأفراح) ، ج ٤ ، ص (٤٧٣) .

(٢) رامة : اسم موضع .

(٣) الكلال : التعب .

(٤) شجا : أحزن .

(٥) سقط الزند ، ص (٥١) .

وسادسها : تكرير يهدم في كل من الخصال ليدل على استقلال كل منها بالهدم .

ودعم الطيبي رأيه هذا بذكر بعض الأحاديث النبوية التي تدل على أن الحج يكفر الكبائر من الذنوب ، منها قوله عليه الصلاة والسلام :
(ما رُئِيَ الشيطانُ يوماً هو فيه أصغرُ ولا أدحرُ ولا أحقرُ ولا أغيظُ منه في يوم عرفةَ ، وما ذاك إلا لما يرى مِنْ تنزُّلِ الرحمةِ وتجاوزِ اللهِ عن الذنوبِ العظامِ إلا ما رئي يومَ بدر) (١).

ـ كشف الإمام الطيبي عن جوانب مهمة من البلاغة النبوية لم يقف عليها الشارحون قبله ، وربما أشاروا إلى بعضها دون أن يحللوها ويوضحوها ، فمن ذلك ما فعله عند قوله عليه السلام :
(إن اللهَ لا ينامُ ، ولا ينبغي له أن ينامَ ، يخفض القسطَ ويرفعه ، يُرفع إليه عملُ الليلِ قبلَ عملِ النهار ، وعملُ النهار قبل عمل الليل ، حجابُهُ النور ، لو كشفه لأحرقت سُبُحَاتُ وجهِهِ ما انتهى إليه بصره من خلقه) (٢).
فبعد أن عرض ما في هذا الحديث من نكات بلاغية تكلم عنها الشارحون ، أضاف نكاتاً جديدة فقال :
"وههنا وجوه متعلقة بلطائف المعاني ومحسنات البديع لا بد من ذكرها :
أحدها : أن قوله :(ولا ينبغي له أن ينام) جملة معترضة واردة على التتميم

---

(١) رواه مالك مرسلاً عن طلحة بن عبيد الله ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٧٩٨) ، الحديث رقم :(٢٦٠٠) .
(٢) رواه مسلم عن أبي موسى ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٣٣) ، الحديث رقم :(٩١)

صوناً للكلام عن المكروه ، فإن قوله :(لا ينام) لا ينفي جواز النوم كما قال الأشرف [١]، فعقب به لدفع ذلك التجوز ، قال أبو الطيب شعراً :

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها - وحاشاك - فانيا [٢]

فإن " حاشاك " تتميم [٣] في غاية الحسن ، ومعنى " لا ينبغي " : لا يصح ولا يستقيم النوم لأنه مناف لحال رب العالمين ٠

وثانيها : (يخفض ويرفع) و (عمل الليل وعمل النهار) من باب التضاد والمطابقة ٠

وثالثها : (لو كشفه) الجملة من الشرط والجزاء استئنافية مبينة للكلام السابق ، كأنه لما قيل إن (حجابه النور) وعرف الخبر المفيد للتخصيص ، اتجه لسائل أن يقول : لم خص الحجاب بالنور ؟. أجيب بأنه لو كان من غيره لاحترق ٠

ورابعها : الجمل الفعلية في النفي والإثبات كلها واردة على صيغ المضارع لإرادة

---

(١) في" التعليق" عزاه للطيبي ، ينظر : ج ١ ، ص (٨٦) ٠

(٢) شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ، ج ٤ ، ص (٤٢٧) ٠

(٣) وقد ورد في" الإيضاح " شاهداً على الاعتراض ، ينظر : ج ١، ص (٣١٣- ٣١٤) ٠

وقال الخطيب : " فإن قوله :" وحاشاك " دعاء حسن في موضعه " ٠

والتتميم : هو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة ٠

والاعتراض: هو أن يؤتى في أثناء الكلام ، أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب لنكتة كالتنزيه والتعظيم سوى ما ذكر في تعريف التكميل وقد أطلق الطيبي على إحدى صور الاعتراض اسم التتميم هنا، وجعل التتميم يكون صوناً للكلام عن المكروه ، وهذا ما يسميه الخطيب بالتكميل أو الاحتراس وهو: أن يؤتى به في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه ٠

ينظر الايضاح ، ج ١ ، ص (٣١٠). ولا ريب أنه ليس في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - " لا ينام " ما يوهم خلاف المقصود ٠

وعليه ٠ فالطيبي يتسامح في استعمال هذه المصطلحات البلاغية ٠ حسب تعريف الخطيب لها ٠

الاستمرار ، والمنفيتان فيها تدلان على الدوام من غير انقطاع ، والأربع المثبتة على التجدد مع الاستمرار ، وأما الجملة الاسمية فدلالتها على سبيل الثبات والدوام في هذا العالم ، والشرطية منبئة عن ذلك ، لما دلت أنها مخالفة للنور المتعارف ، فإذا انقلبت إلى النور لم يكن كذلك .

وخامسها : أن معنى الحديث بأسره مسبوك من معنى آية الكرسي (١).

فإن قوله سبحانه وتعالى :(الله لا إله إلا هو) إلى قوله :(من ذا الذى يشفع) مشعر بصفة الإكرام ،ومنه إلى الخاتمة يشير إلى صفة الجلال ، لما فيه من المنع عن الشفاعة إلا بالإذن ، ومن ذكر الكرسي الذى هو سرير الملك ، وهو مناسب لحديث الحجاب .

كذلك الحديث إلى قوله :(حجابه النور) منبئ عن صفة الإكرام ،ومنه إلى آخره عن صفة الجلال ، فتكون صفة الجلال محتجبة بصفة الإكرام ، فلو كشف حجاب الإكرام لتلاشت الأشياء ، وتفنى بتجلي صفة الجلال الكائنات ، (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) (٢) .

ومن أسماء الله الحسنى وصفاته العظمى : النور ، قال تعالى : (وأشرقت الأرض بنور ربها) (٣) ، وبيانه أن قوله :(لا تأخذه سنة) مقرر للكلام السابق. " الكشاف " : وهو تأكيد للقيوم لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوماً (٤) وهو مثل قوله :(لا ينام ولا ينبغي له أن ينام) ، وقوله:(له ما في السموات وما في الأرض) كالتعليل لمعنى القيومية ، أى كيف ينام وهو مالك ما في

---

(١) هي في سورة البقرة ، ورقمها : (٢٥٥) .
(٢) سورة الرحمن ، الآية (٢٧) .
(٣) سورة الزمر ، الآية (٦٩) .
(٤) الكشاف ، ج ١ ، ص(٣٠٠) .

السموات وما في الأرض ومربيهم ومدبر أمور معاشهم ومعادهم؟ وإلى الأول الإشارة بقوله : (يخفض القسط ويرفعه) وإلى الثاني بقوله : (يرفع اليه عمل الليل) إلى آخره .

فإن قلت : فأين معنى قوله تعالى (يعلم ما بين أيديهم) الآية في الحديث؟ قلت : تخصيص ذكره البصر هو نوع من طريق العلم ملوح إليه ، فما أجمعه من كلمات ، وما أفصحه من عبارات ، ولعمرك إن هذا الحديث سيد الأحاديث ، كما أن آية الكرسي سيدة الآيات " .

ـ صحح الطيبي بعض المفاهيم اللغوية التي تتصل ببلاغة المتكلم ، وذلك عند شرحه لقوله عليه السلام :(إن العبدَ إذا وُضِعَ في قبره ،وتولى عنه أصحابُه وإنه ليسمعُ قرعَ نعالِهم ، أتاه ملكان فيقعدانه)(١) وهنالك رواية عن البراء (فيجلسانه) (٢).

فهنا ينقل كلاماً للتوربشتي ويعقب عليه ، فيقول نقلاً عن التوربشتي :
" هذا اللفظ أولى اللفظين لأن الفصحاء يستعملون القعود في مقابلة القيام ، والجلوس في مقابلة الاضطجاع ، فيقولون : القيام والقعود ، ولا نسمعهم يقولون: القيام والجلوس ، يقال : قعد الرجل عن قيامه ، وجلس عن مضجعه .
وحكي أن النضر بن شميل دخل على المأمون عند مقدمه مرو ، وتمثل وسلم . فقال له المأمون : اجلس ، فقال : ياأمير المؤمنين لست بمضطجع فأجلس ،قال: فكيف أقول؟. قال : قل : اقعد ، فعلى هذا المختار من الروايتين هو الاجلاس لما أشرنا إليه من دقيق المعنى ، وفصيح الكلام ،وهو الأحق والأجدر ببلاغة

(١) من حديث متفق عليه عن أنس ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٥) ، الحديث رقم (١٢٦).
(٢) سيأتي تخريجه ص (١٠٢) من الرسالة .

الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولعل من روى فيقعدانه ظن أن الفعلين ينزلان من المعنى بمنزلة واحدة ، ومن هذا الوجه أنكر كثيرٌ من السلف رواية الحديث بالمعنى خشية أن يزل في الألفاظ المشتركة فيذهب عن المعنى المراد جانباً "[1] ثم يعقب بقوله :" أقول : لا ارتياب أن الجلوس والقعود مترادفان ، وأن استعمال القعود مع القيام والجلوس مع الاضطجاع مناسبة لفظية ، ونحن نقول بموجبه إذا كانا مذكورين معاً ، كقوله تعالى :(الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) [2] وكقوله :(دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً) [3] لكن لِمَ قلت إنه إذا لم يكن أحدُهما مذكوراً كانَ كذلك؟ ألا ترى إلى حديث جبريل عليه السلام : حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد قوله (إذ طلع علينا)[4] ولا خفاء أنه - عليه السلام - لم يضطجعْ بعدَ الطلوعِ عليهم ، وكذلك لم يرد في هذا الحديث الاضطجاع ليوجب أن نذكر معه الجلوس .

وأما الترجيح بما رواه عن النضر وهو من رواة العربية ، على رواية الشيخين العلمين الثقتين فبعيد عن مثله ، وهو من مشاهير المحدثين " .

ــ طابق بين معاني القرآن والسنة معتمداً على البلاغة العربية :

فمن ذلك : قوله في الحديث الآتي :

عن مسلم بن يسار ، قال : سئل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن هذه الآية (وإذْ أَخَذَ رَبُّكَ من بني آدمَ من ظهورهم ذُرِّيَّتَهُمْ)[5] الآية ، قال عمر : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُسْأَلُ عنها ، فقال : (إن اللهَ خلق آدمَ ، ثم

---

(١) ينظر : المرقاة ، ج ١ ، ص (١٩٨) ، والتعليق : ج ١ ، ص (١٠٧) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٩١) .

(٣) سورة يونس ، الآية (١٢) .

(٤) حديث جبريل متفق عليه عن عمر ، ينظر المشكاة ، ج ١ ، ص (٩) ، الحديث رقم (٢) .

(٥) سورة الأعراف ، الآية (١٧٢) .

مَسح ظهره بيمينه ، فاستخرج منه ذُريةً ، فقال : خلقتُ هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقتُ هؤلاء للنار ، وبعمل أهل النار يعملون) . فقال رجل : ففيم العمل ؟ يا رسول الله ! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إنّ اللهَ إذا خلق العبدَ للجنة استعمله بعملِ أهل الجنة حتى يموت على عملٍ من أعمال أهل الجنة ، فيدخلهُ به الجنة ، وإذا خلق العبدَ للنار ، استعمله بعملِ أهلِ النار حتى يموت على عملٍ من أعمال أهل النار فيدخله به النار) (١).

قالَ الطيبي بعدَ أن أفاضَ في شرحِ هذا الحديث : فإنْ قلت : فكيف يتطابق السؤال عن معنى الآية والجواب على معنى الحديث وبينهما هذا الاختلاف ؟

قلت : يتطابقُ من حيثيةِ الأسلوبِ الحكيم ، على منوالِ قوله تعالى :

(يسألونك ماذا ينفقونَ قُلْ ما أنفقتمْ مِنْ خيرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ) (٢) .

" سألوا عن بيان ما ينفقونه ، فأجيبوا ببيان المصرف ، وضمن بيان ما ينفقونه (٣).

كذا ههنا ، سأل الصحابي عن بيان الميثاق الحالي فأُجيب عن المقالي ، وضمن فيه الحالي ، على ألطف وجه ، كأنه قيل : الميثاق المسئول عنه ظاهر مكشوف بنصب الدلائل على ربوبيته ووحدانيته ، ومنح العقول والبصائر وجعلها مُمَيِّزَةً بينَ الحقِ والباطل ، لكِنْ ههنا ميثاقٌ آخر خفي عن العقول لا يعلمه أحدُ إلا من أرشده اللهُ تعالى إليه فسل عن ذلك ، وفائدته توكيد الميثاقين ، والإقامة

---

(١) رواه مالك والترمذي وأبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج١ ، ص " ٣٤- ٣٥ " الحديث رقم " ٩٥ " .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢١٥) .

(٣) ينظر : الكشاف ، ج ١ ، ص (٢٥٧) .

على العهدين ، والله أعلم .

- وازن بين القرآن والسنة في بعض الأساليب :

فمن ذلك قوله في شرح قول النبي صلى الله عليه وسلم :

(.. وإنه سيخرجُ في أمتي أقوامٌ تتجارى بهم تلك الأهواءُ كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه ، لا يبقى منه عِرْقٌ ولا مَفْصِلٌ إلا دَخَلَه)(١).

قال الطيبي : "شَبَّهَ حالَ الزائغينَ من أهلِ البدعِ في استيلاءِ تلكَ الأهواء عليهم ، ونهابها بهم في كل واد مود ، وفي سراية تلك الضلالة منهم إلى الغير بدعوتهم إليها ، ثم تنفرهم من العلم وامتناعهم من قبوله حتى يهلكوا جهلاً ، بحال صاحب الكلب وسريان تلك العلة في عروقه ومفاصله ، وحصول شبه الجنون منه ، ثم تعديه إلى الغير بعقره إياه ، وتنفره من الماء وامتناعه عنه حتى يهلك عطشاً ، ولعمري إن هذا التمثيل أبلغُ من تمثيلِ (بلعم بن باعور)(٢) في قوله تعالى : (فَمَثَلُهُ كمثلِ الكَلْبِ إنْ تحملْ عليهِ يلهثْ أو تَتْرُكْهُ يلهث)(٣)." .

ويقصد الطيبي بقوله : " أبلغ " أي أكثر مبالغة لا أكثر بلاغة ، وإلى هذا ذهب العلماء عندما يقولون المجاز أبلغ من الحقيقة ..

---

(١) من حديث رواه أحمد وأبو داود عن معاوية ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦١) الحديث رقم :(١٧٢) .

(٢) في الكشاف " بلعم بن باعوراء " ، ينظر : ج ٢ ، ص (١٧٨) ، وكذا في تفسير أبي السعود ، ج ٣ ، ص (٢٩٢) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٧٦) .

ـ اعتبر صحابةَ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قِمماً شامخةً في البلاغةِ فكان يخطئُ الرواةَ والشعراءَ ولا يخطئُ صحابةَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنهم عنده أفصح الناس وأعلاهم بلاغة .

فمثلاً قال في حديثٍ روته عائشةُ ، ومنه :(كنت أغتسل أنا والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكلانا جنب ، وكان يأمرني فأتزر ...)(١). قال الطيبي :

" قوله : (فأتزر) قال التوربشتي : صوابه بهمزتين فإن إدغام الهمزة في التاء غير جائز(٢)، ولما كانت أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ من البلاغة بمكان علمنا أنه نشأ من بعض الرواة " .

وكذلك يرد الطيبي على بعض العلماء عند كلامه على قول عمر :(بينا نحن عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ...) الحديث(٣) ، إذ يورد كلاماً لابن الأثير حول جواب (بينا وبينما) إذ الأفصح أن لا يكون فيه " إذْ و إذا "(٤)، وينقل كلاماً من الكتاب بهذا الخصوص ، إذ يقول صاحبه نقلاً عن الأصمعي :" لا يستفصح إلا طرحهما في جواب بين وبينما ، وأنشد :

× وبينا نحنُ نَرْقبُه أتانا ×(٥). " .

---

(١) من حديث متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (١٧١ـ ١٧٢) رقم الحديث (٥٤٦) .

(٢) وفي لسان العرب ، ج ٤ ، ص (١٧) ، مادة أزر : (الهمزة لا تدغم في التاء) .

(٣) تقدم تخريجه ص (٥) من هذه الرسالة .

(٤) ينظر : النهاية ، ج ١ ، ص (١٧٦) .

(٥) تتمة البيت : × مُعَلِّقَ وفْضَةٍ وزناد راعٍ × . والشطر الأول دون واو . وقد ورد كلام الأصمعي في المفصل . ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ، ج ٤ ، ص (٩٧) ، ولم أجد الكلام في كتاب سيبويه وإنما قد ذكر الشاهد في ج ١ ، ص (١٧١) ، وقائل هذا البيت رجل من قيس عيلان ، ولعلّ الطيبي أراد الكتاب المعهود ذهنياً عنده فأطلق عليه اسم الكتاب .

ويعقب الطيبي بقوله : " لا ريب أن عمرَ وأبا هريرة - رضي الله عنهما - كانا أفصح من الشاعر ، وقد أتيا بإذْ في الحديث ... " ويستشهد لرأيه بكلام للزمخشري وغيره مدعماً رأيه الذى ذهب إليه ..

إن الطيبي يعتبرُ بلاغةَ أصحابِ النبي - صلى الله عليه وسلم - بلاغةً قائمةً على الفطرةِ والطبعِ والسليقة .. لذلك هو لا يدافع عن بلاغتِهم - رضي الله عنهم - دفاعاً عاطفياً ، بل إن دِفاعَهُ قائمُ على الأدلةِ العلميةِ والفهمِ لهذه اللغةِ الكريمةِ .. لغةِ القرآنِ العظيم .

وقد صرح الطيبي بضرورة الاعتماد على علومِ البلاغة العربية في دراسة الكتاب والسنة في مواضع متعددة ، منها قوله :

" إن الاطنابَ والايجاز ، والحذفَ والاضمار ، والتقديمَ والتأخير ، والحصرَ وعدمه ، ولا سيما توسيطِ العاطفِ بين الجملِ وعرائها عنه ، وطريقَ المجازاتِ والكناياتِ ، والتشبيهاتِ ، والتحسينَ الراجعَ إلى اللفظِ والمعنى بابٌ ذو ذيولٍ وكلامٌ ذو أطراف ، قلَّما يقفُ عليهِ إلا المهرةُ من علماءِ البيان .

وكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أفصحَ من نطق بالضاد ، وأوتي جوامعَ الكلم ، وكلامهُ مصبوبٌ في هذه الأساليب ، ومسبوك في هذه القوالب ، فلا بد من مراعاتها ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل(١) " .

وقال في موضع آخر :

".. وعلم التفسير علمٌ يؤخذُ من أفواهِ الرجالِ ، كأسبابِ النزولِ ، والناسخ والمنسوخ ، ومن أقوالِ الأئمةِ وتأويلاتهم ، ثم يُنْظَرُ فيهِ بالمقاييسِ العربية كالحقيقةِ والمجاز ، والمجملِ والمفصل ، والعامِ والخاص .."(٢).

---

(١) ذكر ذلك عند الحديث رقم (٢٢٨) وهو في المشكاة ، ج ١ ، ص (٧٨) .

(٢) ذكر ذلك عند الحديث رقم (٢٣٥) وهو في المشكاة ، ج ١ ، ص (٧٩) .

إنّ منهجَ الطيبي في فهمِ الحديثِ النبوي حسبَ القواعدِ البلاغيةِ هو منهجٌ صحيحٌ وهو يتفقُ معَ القواعدِ الأصوليةِ عند المحدثين [١]، فهو الطريق لمعرفة مبراده -صلى الله عليه وسلم- ممَّا يقول ، وعندما يكون المحدث بعيداً عن البلاغة ،فإنه يحفظ متون الأحاديث وأسانيدها ، دون أن يفقهَ أسرارها ومعانيها وكنوزها فهو يملك ثروة هائلة من العلم ولكنه لا يحسن الاستفادة منها ، ولا يدرك أبعادها ، ولا ينفذ إلى أغوارها ، ولا ينفع بها الناس النفعَ المطلوب ، وما أشبه أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالمفاتيح ، إنها مفاتيح الخير في الدنيا والأخرة ، ولو ملكَ حاملوها قدرةَ النفوذِ إلى مضمونها ، واستطاعوا أن يحللوها التحليلَ الجيد الذي يفهمه الناس وليس تحليلاً سطحياً مباشراً ، لو ملكوا ذلك لفتحوا بها العالمَ من جديد ، فكلامُ النبوةِ له بالغُ التأثيرِ في النفس البشرية ، وهو كأشعةِ الشمسِ التي تستنبتُ البذورَ في التربةِ الصالحةِ مهما تراكمَ عليها التراب .

× × ×

---

(١) مما يؤكد أهمية علم البلاغة في فهم الحديث النبوي ذهاب بعض المحدثين إلى منع رواية الحديث النبوي بالمعنى ، وأجاز بعضهم روايته بالمعنى شريطة الإلمام باللغة ، وفي هذا الصدد يقول الدكتور صبحي الصالح :" وإذْ كانت علومُ العربيةِ متشعبةً ، والإحاطةُ بها وبالفوارق الدقيقة بين ألفاظها ومدلولاتها شبه مستحيلة ، منع بعض العلماء غير الصحابة من رواية الحديث بالمعنى ، لأن جبلتهم عربية ولغتهم سليقة .... على أن ابن الصلاح لا يرى ضرورة للتشدد في رواية الحديث بالمعنى في المرفوع دون سواه ، وإنما هو يشترطُ على من يريد الأداءَ بالمعنى في المرفوع وغيره اكتسابَ العلمِ بالعربية والمقدرة على التصرف الصحيح فيها .." ينظر : علوم الحديث ومصطلحه ، ص (٨٤- ٨٥) .

(٣)- اعتمد الطيبي على كلام أهل اللغة في الشرح وربما قدمه على كلام المحدثين ، مما جعل العلامة المحدث علي القاري ينتقده في مرقاة المفاتيح فيقول : " قال الطيبي : أما المِرْزَبَة فالمحدثون يشددون الباء والصواب تخفيفه ، إنما تشدد الباء إذا أبدلت الهمزة من الميم وهي الإِرزَبَّة، وأنشد الفراء : (ضربُكَ بالمِرْزَبَةِ العُودَ النَّخِرْ)(١) انتهى ، أقول : أخطأ الطيبي - رحمه الله - في تخطئة المحدثين وتصويب اللغويين ، إذ نقل الأولين من طرق العدول على وجه الرواية، ونقل الآخرين من سبيل الفضول على جهة الحكاية ، وأما استشهاده بإنشاد الفراء فضعيف ، إذْ يُحْتَمَلُ تخفيفهُ ضرورةً أوْ لغة أخرى ، وقد ذكرهما صاحب القاموس - روح الله روحه أبداً - فقال :

(الأِرْزَبَّة والمِرْزَبَّةُ مُشَدَّدتانِ أو الأُولى فقط ، عُصَيَّةٌ من حَديدٍ) (٢) انتهى فظهر أن التشديد فيهما لغة مشهورة عند أكثر أهل اللغة ، فلو وافق بعض اللغويين جميع المحدثين لاشك ولا ريب أنه هو الصواب ، فكيف بالأكثر ؟! مع أنه عند التعارض أيضاً يرجح جانب المحدثين ، لما تقدم ، وأغرب من ذلك طعن بعض علماء العربية في القراءات المتواترة حيث لم تكن على وفق مسموعهم ، وهو كفر ظاهر والله ولي دينه وحافظ كتابه ، وقادر على ثوابه وعقابه " (٣) .

× × ×

---

(١) ذكره ابن منظور في لسان العرب ، مادة : (رزب) وأضاف قائلاً " وفي حديث المَلَك وبيده مِرْزَبَة ، ويقال لها الإِرْزَبَّة أيضاً بالهمز والتشديد " .

(٢) القاموس المحيط ، مادة " رزبة " .

(٣) المرقاة ، ج ١ ، ص (٢٠٧) .

(٤) أما طريقة عرضه للمادة العلمية : فقد كان الطيبي لا يذكر متن الحديث وإنما يقول مثلاً: "كتاب الايمان " الحديث الأول ، عن عمر، ثم يأتي بالعبارات التي يشرحها من الحديث عبارة عبارة ، وفي آخر الحديث قد يذكر أحياناً راوي الحديث فيقول رواه البخاري ومسلم ونحو ذلك ، وعلى هذا النحو سار في كتابه ، وربما شرح الأحاديث المتتالية ممتزجاً بعضها ببعض إذا كانت تلك الأحاديث قصيرة وذات موضوع واحد ، فيقول مثلاً : الحديث الأول إلى الرابع ويتناول بعض العبارات الغامضة ويشرحها .

ولم تكن المادة العلمية مرتبة بشكل خاص ، بل هي ممزوج بعضها ببعض غالباً ، فربما تحدث عن البلاغة والنحو في آن واحد ، وربما اعتمد على البلاغة في إصدار أحكام شرعية ، ثم تحدث عن غريب الحديث ، ثم عاد يتحدث عن أمور بلاغية في الحديث ، ولكن المؤلف كثيراً ما يبدأ شرح الغريب ، ثم يعرض ما في الحديث من فقه وأحكام ، ثم يكشف ما فيه من بلاغة ، ويعرض في آخر الحديث ما نسميه فوائد الحديث ، وهذا الترتيب نجده في قسم كبير من الأحاديث ، وإن كان ليس ترتيباً مستقلاً تماماً ، بل فيه تداخل أحيانا بين النحو واللغة والفقه والبلاغة ،وهذا التداخل يفرضه منهج البحث ، حيث يتناول الحديث كنص مستقل فيعرض له من جميع جوانبه عرضاً متلاحماً يستخدم فيه علوم اللغة والدين ، للكشف عن كل جملة من جمله ، ولهذا لم يعن الطيبي - رحمه الله - بفصل المادة اللغوية عن المادة النحوية أو الفقهية أو البلاغية بشكل مستقل تماماً ، وهذا التداخل يشبه تداخل الألوان في اللوحة الجميلة عندما يصنعها فنان ، فهو يخدم الفكرة والأسلوب ، ويجعل من كل حديث مع شرحه وحدة مستقلة عن غيرها كاستقلال كل كائن عن الآخر .

× × ×

- الباب الأول -

- " فن التشبيه " -

عرف الطيبي التشبيه بأنه :" الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار،وأدواته حروف وأسماء وأفعال ، فالحروف: الكاف نحو : (كرماد)[١]، وكأن نحو : (كأنه رءوس الشياطين)[٢]. والأسماء مثل وشبه ونحوهما مما يشتق من المماثلة والمشابهة[٣] . والأفعال نحو : (يحسبه الظمآنُ ماءً)[٤] ، و (يُخيلُ إليه من

(١) سورة ابراهيم ، الآية (١٨) ، وأولها :(مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح) .

(٢) الصافات ، الآية (٦٥) .

(٣) إلى هنا ذكر السيوطي عبارة " قاله الطيبي" ثم استطرد قليلاً ، وأتم الحديث عن الأفعال بعد ذلك .

(٤) سورة النور ، الآية (٣٩) .

سحرهم أنها تسعى)(١) .

ويلاحظ أن تعريف الطيبي للتشبيه بعيد عن تعريفات البلاغيين ، ثم ليس فيه من الدقة ما يجعله خاصا بالتشبيه ، لأن المجاز والكناية يكشفان عن المعنى المقصود باختصار أيضاً ، فالكشف عن المعاني بإيجاز سمة الفنون البيانية عامة ، وليست هذه السمة مقصورة على التشبيه فقط .

× × ×

وقد عرض الطيبي أموراً تتصل بفن التشبيه من حيث أركانه وصوره وأغراضه من خلال شرحه للحديث النبوى ، وهذا ما سنجده في الفصول الثلاثة القادمة .

× × ×

(١) سورة طه ، الآية (٦٦) .
نقلاً عن الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ج ٢ ، ص (٥٥) .

"الفصل الأول"

(أركان التشبيه)

- المبحث الأول -

- "طرفا التشبيه والعلاقة بينهما" -

أولاً - المشبه :

المشبه عنصر من عناصر التشبيه الأربعة ، وقد تكلم الطيبي عن المشبه في بعض المواضع ، وكان له بعض المواقف في هذا المجال ، وهي :

أ - وضح الطيبي المشبه في بعض الصور التي قد يلتبس على المرء فيها المشبه ، كما في المثالين الآتيين :

١- عن أبي هريرة ، قال : قالوا : يا رسول الله ! هل نرى ربنا يوم القيامة ؟
قال : (هل تضارُّونَ في رؤيةِ الشمس في الظهيرةِ ليست في سحابة ؟) .
قالوا : لا . قال : (فهل تضارُّون في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البدرِ ليس في سحابة ؟)
قالوا : لا . قال : (فوالذى نفسي بيدِه لا تضارون في رؤيةِ ربكم إلا كما تضارُّونَ في رؤيةِ أحدهما) (١).

قال الطيبي: قال القاضي : في (تُضارون) المشدد من الضرر والمخفف من الضير ، أى تكون رؤيته تعالى رؤية جلية لا تقبل مراءً ولا مرية فيخالف فيها بعضكم بعضاً ، ويكذبه ، كما لا يشك في رؤية أحدهما ، يعني : الشمس والقمر ، فالتشبيه إنما وقع في الرؤية باعتبار جلائها وظهورها بحيث لا يرتاب فيها ، لا في سائر كيفياتها ، ولا في المرئي ، فإنه سبحانه وتعالى منزه عن الجسمية وعما يؤدى إليها (٢).

٢- ونحو ذلك صنع عند قوله عليه السلام : (إنكم سترون ربكم كما

---

(١) من حديث رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٤٠- ١٥٤١) ، الحديث رقم (٥٥٥٥) .
(٢) ينظر : المرقاة ، ج ١٠ ، ص (٢٦٦) .

ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته)(١).

فقد قال الطيبي :" قوله :(كما ترون) قال في جامع الأصول :" قد يخيل إلى بعض السامعين أنّ الكاف في قوله (كما ترون) كاف التشبيه للمرئي ، وإنما هو كاف التشبيه للرؤية ، وهو فِعْلُ الرائي ، ومعناه: ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تمترون ·

وقوله :(لا تضامون) روى بتخفيف الميم من الضيم ، المعنى: إنكم ترونه جميعكم ، ولا يظلم بعضكم بعضاً في رؤيته فيراه البعض دون البعض ، وروى بتشديد الميم من الانضمام والازدحام، أى لا يزدحم بسكم في رؤيته ، و يضم بعضكم إلى بعض من ضيق كما يجرى عند رؤية الهلال مثلاً دون رؤية القمر ، إذ يراه كل منكم موسعاً عليه منفرداً به "(٢).

فالمشبه في الحالتين هو الرؤية لا المرئي على رأى الطيبي الذى نقله من القاضي أولاً ومن ابن الأثير ثانياً ·

ب - وتكلم عن التلميح إلى المشبه وعدم ذكره صراحة وذلك بمقام التعظيم ، ذكر ذلك في حديث جابر ، قال :(جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم ، فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً · قال بعضهم : إنه نائم ،

---

(١) من حديث رواه الشيخان عن جرير بن عبد الله ، ينظر : المشكاة ، ج ٣، ص (١٥٧٤) الحديث رقم (٥٦٥٥) ، وقد ذكر الشريف الرضي هذا الحديث في كتابه : المجازات النبوية ، ص (٤٥- ٤٩) وطعن في سنده، وقال :" لو صح نقله ، وسلم أصله ، لكان مجازاً كغيره من المجازات التي تحتاج أن تحمل على التأويلات الموافقة للعقل " وهذا خطأ ، فالحديث صحيح ، وهو على ظاهره ، والرؤية متحققة بكرم الله ، وهل يمنع العقل رؤية الرب التي هي كمال النعيم في دار النعيم؟!.

وأهل السنة يثبتون الرؤية في الدار الآخرة لأهل الجنة، وهذا هو الصواب ،ينظر: العقيدة الطحاوية ، ص (٢٦- ٢٨) ·

(٢) ج ١٠، ص (٥٥٨)

وقال بعضهم : إن العينَ نائمة والقلب يقظان . فقالوا مَثَلُه كمثل رجلٍ بنى داراً، وجعل فيها مأدُبة،وبعث داعياً ، فمن أجاب الداعيَ دخل الدار،وأكل معه من المأدُبة. ومن لم يجب الداعيَ لم يدخل الدار ، ولم يأكل من المأدُبة . فقالوا أوِّلوها له يفقهها . قال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العينَ نائمةٌ والقلب يقظان . فقالوا : الدارُ الجنة ، والداعي محمدٌ ، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله ، ومن عصى محمداً فقد عصى الله ، ومحمد فَرَّقٌ بين الناس)(١).

قال الطيبي :" روعي في التأويل أدب حسن حيث لم يصرح المشبه بالرجل ،ولكن لمح في قوله :(فقدأطاع الله) ما يدل على أن المشبه من هو " اهـ .

أقول : التلميح هنا هو أولى وأليق بالبلاغة النبوية والذات الإلهية .

× × ×

---

(١) رواه البخارى، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥١- ٥٢) الحديث رقم (١٤٤) .

ثانياً ـ المشبه به :

من المعلوم أن المشبه به لا بد أن يكون ملائماً للمشبه ، واختيار المشبه به المناسب للمشبه هو من أسرار البيان التي لا يهتدى إليها إلا من رزقه الله فهماً سليماً ، وذوقاً عالياً.

وقد تكلم الطيبي عن سر اختيار المشبه به في بعض المواضع ، وفيما يلي طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة ، يُعْقِبُ كلاً منها كلامُ الطيبي مبيناً سبب اختيار المشبه به وملاءمته للمشبه .

١ـ قال عليه السلام متحدثا عن سؤال الملكين للمؤمن في القبر:(ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ، ثم يُنَوَّر له فيه ، ثم يُقال له : نم ، فيقول : أرجع إلى أهلي فأخبرهم ، فيقولان : نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحبُّ

أهله إليه ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك)(١).

يوضح الطيبي سر التمثيل بنومة العروس فيقول :

« إنما مثل بنومة العروس لأن الانسان أعز ما يكون في أهله وذويه وأرغد وأنعم ليلة الإعراس » .

أقول : من جمال هذا التشبيه أنه يؤنس نفس المؤمن ، ويجعله غير هياب للموت لاسيما وقت الجهاد حيث يتشوق إلى لقاء ربه عز وجل .

٢ـ عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (مَثَلُ ما بعثني اللهُ به من الهدى والعلمِ كمثلِ الغَيثِ الكثيرِ أصابَ أرضاً ...)(٢).

قال الطيبي مبيناً سر استعمال كلمة الغيث هنا :

« والغيث : المطر ، وإنما اختير الغيث على سائر أسماء المطر ليؤذن باضطرار الخلق إليه حينئذ ، قال الله تعالى :(وهوَ الذي يُنَزِّلُ الغيثَ من بعد ما قَنَطُوا)(٣) وقد كان الناس في الزمان الأول قبل المبعث ، وهم على فترة من الرسل ، قد امتحنوا بموت القلب ونضوب العلم ، حتى أصابهم الله برحمة من عنده ، فأفاض عليهم بسِجَال (٤) الوحي السماوي ، فأشبهت حالهم حال من توالت عليهم السنون

---

(١) من حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٦ـ ٤٧) الحديث رقم (١٣٠) .

(٢) من حديث متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٤) الحديث رقم (١٥٠) .

(٣) سورة الشورى ، الآية (٢٨) .

(٤) السِجال : جمع السَّجْل ، وهي الدّلْو العظيمة ، ينظر : المعجم الوسيط ، مادة (سجل) .

وأخلفتهم المخايل (١)، حتى تداركهم الله بلطفه ، وأرخت عليهم السماء عَزالِيَها (٢) ثم كان حظ كل فريق من تلك الرحمة على ما ذكره من الأمثلة والنظائر .

وإنما ضرب المثل بالغيث للمشابهة التي بينه وبين العلم ، فان الغيث يحيي البلد الميت ، والعلم يحيي القلب الميت " .

أقول : إن الغيث هو مطر يذهب الظمأ ويحيي الأرض ، وأما غيث الاسلام ، الذى بعث به نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، فهو يقي حرجهم ، ويقود المؤمن إلى الحياة الطيبة الرغيدة في الدنيا والآخرة معاً ، فشتان ما بين الغيثين ، وإن بدا أنهما متشابهان .

٣- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إن الايمانَ لَيأرِزُ إلى المدينةِ كما تأرِزُ الحيَّةُ إلى جُحرها) (٣).

قال الطيبي : " شبه الإيمان ، وفرار الناس من آفات المخالفين والتجاءهم إلى المدينة ، بانضمام الحية وانقباضها في جحرها ، ولعل هذه الدابة أشد فراراً

---

(١) المَخايلُ : جمع المَخِيلَة ، وهي السحابة التي تَخالُها ماطرةً لرعدها وبرقها . ينظر : المعجم الوسيط ، مادة (خال).

(٢) في المعجم الوسيط ، مادة (عزله) :
(أرسلت السماءُ عَزالِيَها : انهمرتْ بالمَطَر ، وأرخت الدنيا عَزالِيَها : كثُر نعيمُها) .

(٣) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٦) الحديث رقم (١٦٠) وذكره الشريف الرضي في (المجازات النبوية) ص (٨٥) بلفظ :(إن الاسلام ..) وقال : (وهذه استعارة والمراد أن الاسلام ليأوى الى المدينة كما تأوى الحية إلى جحرها ، وأصل ذلك مأخوذ من التقبض والاجتماع ، يقال : أرز أُروزاً إذا كان منه ذلك) .

وانضماماً من غيرها ، فشبه بها بمجرد هذا المعنى ، فإن المماثلة يكفي في اعتبارها بعض الأوصاف والله أعلم " .

إذاً فالتشبيه بالحية هنا لمجرد الفرار والانقباض لا لشيء آخر ، فالمراد من سياق الحديث تصوير حالة لجوء الايمان إلى المدينة وفراره إليها ولما كانت الحية هي أشد فراراً من غيرها شبه الرسول عليه السلام بها ، فالتناسق قائم إذاً بين المشبه والمشبه به .

٤- قال عليه الصلاة والسلام :(.. ولَيَعْقِلَنَّ الدينُ من الحجاز مَعقِلَ الأُرْوِيَّةَ من رأس الجبل)(١).

قال الطيبي مبيناً سر التشبيه بالأروية :

" قوله :(ليعقلن) :ليتحصنن به ويعتصم ويلتجئ إليه كما يلتجئ الوعل إلى رأس الجبل ، (والأُرْوِيَّة :الأنثى من الوعول)(٢) ، كأنه -صلى الله عليه وسلم- خص الأنثى بالذِكْرِ لأنها أقدر على التمكن مما توعر من الجبال " .

أقول : وناسب ذكر الأروية هنا ذكر الحجاز التي تكثر فيها الجبال الوعرة ، فالتشبيه قريب من الواقع ، ملائم لبيئة المخاطبين .

٥- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :(من سُئل عن علمٍ ثم كتمه ، أُلجمُ يومَ القيامة بلجامٍ من نار)(٣).

---

(١) من حديث رواه الترمذي ، عن عمرو بن عوف ، ينظر :المشكاة ، ج ١ ، ص(٦٠) الحديث رقم :(١٧٠) .

(٢) الصحاح للجوهري ، مادة : روى .

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذي ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٧٧) ، الحديث رقم (٢٢٣) .

يبين الطيبي سبب اختيار "اللجام" هنا فيقول :

" وخص اللجام بالذكر تشبيهاً له بالحيوان الذى سخر ومنع من قصده ما يريده، فإن العالم شأنه أن يدعو الناس إلى الحق ويرشدهم إلى الطريق المستقيم. قال تعالى :(وإذْ أخَذَ اللهُ ميثاقَ الذين أُوتُوا الكتاب لَتُبَيِّنُنَّهُ للناسِ ولا تكْتمُونَه)(١). لاسيما وقد سئل مما يضطره إلى الجواب، فإذا امتنع عنه جوزى بما امتنع عن الاعتذار، كما قال تعالى :(ولا يُؤذنُ لهم فيعتذرون)(٢). ويدخل في زمرة من (نختمُ على أفواههم وتكلمنا أيديهِم وتشهدُ أرجلُهُم)(٣)".

أقول إن قوله :(بلجام من نار)هو من الاستعارة المكنية، شبه كاتم العلم بحيوان، ثم حذف المشبه به وأبقى من لوازمه ما يدل عليه وهو اللجام، وتسمية الاستعارة بالتشبيه من باب التسامح (٤) هذا إذا حمل الكلام على غير الحقيقة، والظاهر أنه على سبيل الحقيقة لأن في المجاز مبالغة وتخييلا ولا مبالغة في هذا الجزاء.

٦- عن ابن عباس، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :(إنَّ أناساً من أمتي سيتفقهون في الدين ويقرؤون القرآن، يقولون : نأتي الأمراءَ فنصيبُ من دنياهم ونعتزِلُهم بديننا، ولا يكون ذلك، كما لا يُجتنى من القتادِ إلا الشوكُ ..)(٥)

يشير الطيبي في هذا الحديث إلى أن المشبه به إذا كان حقيراً كان المشبه كذلك، فلا بد من التوافق بينهما، لذلك لا بد من اختيار المشبه به الملائم للمشبه، فيقول :

" قوله (ولا يكون ذلك) أى : لا يصح ولا يستقيم الجمع بين الأمرين لما سبق أن

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٨٧) .

(٢) سورة المرسلات، الآية (٣٦) .

(٣) سورة يس، الآية (٦٥) .

(٤) ينظر ص (٦٨ - ٧٠) من هذه الرسالة .

(٥) من حديث رواه ابن ماجه، ينظر: المشكاة، ج ١، ص (٨٧) الحديث رقم (٢٦٢) .

مثل هذا النفي يستلزم لنفي الشيء مرتين تعميماً أو تخصيصاً ، ثم ضرب له مثلاً" بقوله :(كما لا يجتنى) شبه التقرب إليهم لإصابة جدواهم ، ثم الخيبة والخسارة في الدين بطلب الجنى من القتاد فإنه من المحال ، لأنه لا يثمر إلا الجراحة والألم .

وتخصيص المشبه به بالقتاد وأنه لا يصلح إلا للنار ، تلميح إلى أن المشبه لا يستأهل إلا النار ، وكذا من ركن إليهم تمسهم النار ، كما قال تعالى: (ولا تركَنُوا إلى الذينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النارُ)[1]. " .

٧ـ عن ابن عباس ، قال :(كانَ رسولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجودَ الناسِ بالخير ، وكانَ أجوَدَ ما يكونُ في رمضانَ ، وكانَ جبريلُ يلقاه كلَّ ليلة في رمضان، يعرضُ عليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم القرآنَ ، فإذا لقيه جبريلُ كانَ أجوَدَ بالخيرِ من الرِّيحِ المُرْسَلَةِ)[2].

يبين الطيبي معنى (الريح المرسلة) والجهة الجامعة بين المشبه والمشبه به فيقول :

" قوله(كان أجود بالخير من الريح المرسلة) يحتمل أنه أراد بها التي أرسلت بالبشرى بين يدى رحمة الله تعالى ، وذلك لشمول روحها وعموم نفعها ، قال الله تعالى :(والمرسلات عرفاً)[3] وأحد الوجوه في الآية أنه أراد بها الرياح المرسلات للإحسان والمعروف ، ويكون انتصاب عرفاً بالمفعول [4]، يعني هو أجود من تلك

(١) سورة هود ، الآية (١١٣) .

(٢) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٤٨) الحديث رقم (٢٠٩٨) .

(٣) سورة المرسلات ، الآية (١) .

(٤) في الكشاف ، ج ٤ ، ص (٦٧٧) ما يلي :" ويكون بمعنى العرف الذى هو نقيض النكر وانتصابه على أنه مفعول له ، أى أرسلن للإحسان والمعروف " ويلاحظ أن كلام الطيبي مستوحى من الكشاف .

الريح في عموم النفع والإسراع فيه ، فالجهة الجامعة بينهما : إما الأمران أو أحدهما ، ولفظ الخير شامل لعموم أنواعه ، فلهذه المعاني في المرسلة شبه نشر جوده بالخير في العباد بنشر الريح القطر في البلاد ، وشتان شتان ما بين الأثرين ، فإن أحدهما يحيي القلب بعد موته ، والآخر يحيي الأرض بعد موتها ، وإنما لم نقتصر في تأويل الخير على ما يبذله من مال ، ويوصله من احتياج ، لما عرفنا من تنوع أغراض المضطرين إليه ، واختلاف حاجات السائلين عنه ، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجود على كل واحد منهم بما يسد خَلَّتَهُ(١)، وينفع غلته ، ويشفي علته ، وذلك المراد بقوله : (أجود بالخير من الريح المرسلة) . " .

٨ـ عن أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
(مَثَلُ المؤمنِ الذي يقرأُ القرآنَ مثل الأُتْرُجَّةِ (٢) ، ريحُها طَيِّبٌ ، وطعمُها طيب ، ومثلُ المؤمن الذي لا يقرأُ القرآنَ مثلُ التمرةِ ، لا ريحَ لها وطعمها حُلوٌ ، ومثلُ المنافقِ الذي لا يقرأُ القرآنَ كمثل الحَنْظَلَةِ ، ليس لها ريحٌ وطعمها مُرٌّ ، ومثل المنافقِ الذي يقرأُ القرآنَ مثلُ الرَّيْحَانة ، ريحُها طيب وطعمها مُرٌّ)(٣)

هذا الحديث من روائع الصور الجميلة في البيان النبوي ، وقد بين الطيبي ملاءمة المشبه به للمشبه ، وأفاض في ذلك فقال :

" قال التوربشتي : الأُتْرُجَّة أفضل ما وجد من الثمار في سائر البلدان وأجدى

---

(١) الخَلَّةُ : الحاجة والفقر ، ينظر : المعجم الوسيط ، مادة " خل " .
(٢) الأُترجّ : بضم الهمزة وتشديد الجيم ، فاكهة معروفة ، الواحدة أُتْرُجَّة " ينظر : المصباح المنير ، مادة " ترج " .
(٣) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٥٢) الحديث رقم (٢١١٤) .

لأسباب كثيرة جامعة للصفات المطلوبة منها ، والخواص الموجودة فيها فمن ذلك كبر جرمها ، وحسن منظرها ، وطيب مطعمها ، ولين ملمسها ، تأخذ الأبصار صبغة ولوناً (فاقعٌ لونُها تَسُرُّ الناظرين)(١)، تتشوق إليها النفس قبل التناول، يفيد أكلها بعد الالتذاذ بذوائقها طيب نكهة ، ودباغ معدة ، وقوة هضم ، اشتركت الحواس الأربع دون الاحتظاء بها ، البصر والذوق والشم واللمس ، ثم إنها في أجزائها تنقسم على طبائع،فقشرها حارٌ يابس ، ولحمها حار رطب ، وحماضها بارد يابس ، وبزرها حار مجفف ، وفيها من المنافع ماهو مذكور في الكتب الطبية (٢) وأيةُ ثمرةٍ تبلغ هذا المبلغ في كمالِ الخِلْقَة وشمولِ المنفعةِ ، ثم إنه -صلى الله عليه وسلم -ضرب المثل بما تنبته الأرض ويخرجه الشجر للمشابهة التي بينها وبين الأعمال ، فإنها من ثمرات النفوس ، فخص ما يخرجه الشجر من الأترجة والتمر بالمؤمن ، وما تنبته الأرض من الحنظلة والريحانة بالمنافق، تنبيهاً على علو شأن المؤمن وارتفاع عمله ودوام ذلك ، وتوقيفاً على صفة شأن المنافق وإحباط عمله وقلة جدواه " (٣) .

أقول : إذا كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم - قد ضرب المثل بما تنبته الأرض للمشابهة التي بينه وبين الأعمال ، فإن القرآن الكريم قد سبق في هذا الاتجاه حينما شبه النبي عليه السلام ومن معه من الصحابة الكرام - رضي الله

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٦٩) .

(٢) أفاض الإمام ابن قيم الجوزية في ذكر فوائد الأترجة ، وقال بعد ذلك " وحقيق بشيء هذه منافعه ، أن يشبه به خلاصة الوجود ، وهو المؤمن الذى يقرأ القرآن "

ينظر : " الطب النبوى " ص (٣٠٩- ٣١١) .

(٣) التعليق ، ج ٣ ، ص (٥- ٦) .

عنهم - بزرع يعجبُ الزراع ، فقال الله تعالى في صفة النبي وأصحابه: (ذلك مَثَلُهُمْ في التوراةِ وَمَثَلُهُمْ في الإنجيلِ كزرعٍ أخرجَ شطأَهُ فآزرهُ فاستغلظَ فاستوى على سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ليغيظَ بهمُ الكفارَ) (١).

٩- عن ابن مسعود قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك) (٢).

قال الطيبي : " قوله (من شراك نعله) :

قال في النهاية : الشراك أحد سيور النعل التي تكون على وجهها (٣)

أقول: ضرب القرب مثلاً بالشراك لأن سبب حصول الثواب والعقاب إنما هو بسعي العبد وتحرى السعي بالأقدام (٤)، وكل من عمل خيراً استحق الجنة بوعده ، ومن عمل شراً استحق النار بوعيده ، وما وعد وأوعد منجزان فكأنهما حاصلان ، وقوله (مثل ذلك) إشارة إلى المذكور ، أي النار مثل الجنة في كونها أقرب من شراك النعل " .

والأصوب انه لاتشبيه في قوله (الجنة...نعله) ويأتي التشبيه في قوله: (والنار مثل ذلك)

١٠- عن أبي موسى ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (كمُل من الرجالِ كثير ، ولم يكملْ من النساءِ إلا مريمُ بنتُ عمران ، وآسيةُ امرأة فرعون ، وفضلُ عائشةَ على النساءِ كفضلِ الثريدِ على سائرِ الطعامِ) (٥)

يلاحظ أن في الحديث تشبيهاً ، فما السر في تشبيه عائشة بالثريد؟ هذا ما يجيب

---

(١) سورة الفتح ، الآية (٢٩) .

(٢) رواه البخاري ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٧٣١ - ٧٣٢) ، الحديث رقم (٢٣٦٨) .

(٣) النهاية ، ج ٢ ، ص (٤٦٦-٤٦٧) .

(٤) يؤيد كلام الطيبي قوله تعالى : (إن تنصروا اللهَ ينصرْكُمْ ويثبتْ أقدامَكُمْ) سورة محمد ، الآية (٧) قال الزمخشري شارحاً : " في مواطن الحرب أو على محجة الاسلام " ينظر : الكشاف ، ج ٤ ، ص (٣١٨) .

(٥) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٩٥) الحديث رقم (٥٧٢٤) .

عنه الطيبي قائلاً :

" قال التوربشتي : قيل إنما مثل بالثريد لأنه أفضل طعام العرب ولا يرون في الشبع أغنى غناء منه ، وقيل إنهم كانوا يحمدون الثريد فيما طبخ بلحم ، وروى : (سيد الطعام اللحم) [١]، فكأنها فضلت على النساء كفضل اللحم على سائر الأطعمة ، والسر فيه أن الثريد مع اللحم جامع بين الغذاء واللذة ، والقوة وسهولة التناول ، وقلة المَؤُونَة [٢]في المضغ ، وسرعة المرور في المرى، فضرب به مثلاً ليؤذن بأنها أعطيت مع حسن الخَلْقِ والخُلُقِ حلاوة النطق وفصاحة اللهجة ، وجودة القريحة ورزانة الرأى ، ورصانة العقل والتحبب إلى البعل ، فهي تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس والاصغاء إليها ، وحسبك أنها عقلت من النبي - صلى الله عليه وسلم - ما لم تعقل غيرها من النساء ، وروت ما لم يرو مثلها من الرجال ، ومما يدل على أن الثريد أشهى الأطعمة عندهم وألذها قول الشاعر :

إذا ما الخبز تأدمه بلحم ... فذاك أمانة الله الثريد[٣]" انتهى.

أقول : مما يؤيد كلام الطيبي الذى نقله عن التوربشتي حول فضل الثريد قول الإمام ابن قيم الجوزية :

" والثريد - وإن كان مركباً - فإنه مركب من خبز ولحم ، فالخبز أفضل الأقوات واللحم سيد الإدام ، فإذا اجتمعا لم يكن بعدهما

---

(١) في سنن ابن ماجه من حديث أبي الدرداء :" سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم" ، ج ٢ ، ص (١٠٩٩) الحديث :(٣٣٠٥) وهو مذكور في الطب النبوى ، ص (٣٩٢)

(٢) المؤونة تهمز ولا تهمز .. وهي التعب والشدة ، ينظر : الصحاح ، مادة (مأن)

(٣) ينظر : المرقاة ، ج ١١، ص (٣٢) ، وبيت الشعر المذكور يقال إنه مما وضعه النحويون ، وقد ذكرته عدد من المصادر منها :
الكتاب لسيبويه ج٣، ص (٦١) وص (٤٩٨) . والكشاف ، ج ١ ، ص (٢٤) .
وشرح المفصل لابن يعيش ، ج٩ ، ص (٩٢) وص (١٠٢) وص (١٠٤) .
وشرح الكافية الشافية لابن مالك ، ج ٢ ، ص (٨٢٤) .
والطب النبوى ، لابن قيم الجوزية ، ص (٣٩٣) .

غاية "(١)، ولعل في هذا التمثيل ما يشير إلى أنها أفضل النساء ، ومما يدل على علو مكانتها قول الزمخشري :

" لقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة : برأ يوسف بلسان الشاهد " وشهدَ شاهدٌ من أهلها "(٢) ، وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ، وبرأ مريم بإنطاق ولدها ، وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر ، مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات ، فانظر ، كم بينها وبين تبرئة أولئك؟. "(٣)

وتفضيلها على سائر النساء قد لا يدخل فيه تفضيلها على مريم وآسية ، لاحتمال أن يكون المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة فقط ، حسب ما ذكره النووي (٤).

١١- عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : (أولُ ما بُدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرُّؤيا الصادقةُ في النوم ، فكان لا يرى رُؤْيا إلا جاءتْ مثلَ فلقِ الصبحِ ..)(٥).

يشرح الطيبي هذا التشبيه مبينا وجه الشبه فيه فيقول :

" قوله : (مثل فلق الصبح) قال القاضي : شبه ما جاءه في اليقظة ووجده في الخارج طبقاً لما رآه في المنام بالصبح في إنارته ووضوحه ، والفلق : الصبح ، لكنه لما كان مستعملاً في هذا المعنى وفي غيره كالفلق في قوله تعالى : (قُلْ

---

(١) الطب النبوي ، ص (٣٢١) .

(٢) سورة يوسف ، الآية (٢٦) .

(٣) الكشاف ، ج ٣ ، ص (٢٢٣) .

(٤) ينظر : صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٥ ، ص (١٩٩) .

(٥) من حديث متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٦٢٣ - ١٦٢٤) الحديث رقم (٥٨٤١) .

أعوذ برب الفلق) (١) وغير ذلك أضيف إليه للتخصيص والبيان إضافة العام الى الخاص كقولهم : عين الشئ ونفسه "(٢).

بعد ذلك يبين سر التشبيه بالفلق فيقول :

" للفلق شأن عظيم ، ولذلك جاء وصفاً لله تعالى في قوله سبحانه :(فالِقُ الإِصْبَاحِ) (٣) وأمر بالاستعاذة برب الفلق لأنه ينبئ عن انشقاق ظلمة عالم الشهادة وتباشير الصبح بظهور سلطان الشمس وإشراقها الآفاق ، كما أن الرؤيا الصالحة مبشرات تنبئ عن وفودِ أنوارِ عالم الغيب ، وآثار مطالع الهدايات ، شبه به الرؤيا التي هي جزء يسير من أجزاء النبوة وتنبيه من تنبيهاتها لمشتركي العقول على ثبوت النبوة ، لأن النبي إنما سمي نبياً لأنه ينبئ عن عالم الغيب الذى لا تستقل العقول بإدراكه " .

× × ×

---

(١) سورة الفلق ، الآية (١) .

(٢) المرقاة ، ج ١١ ، ص (١٠٥) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (٩٦) .

ثالثاً - " قيمة القيود في المشبه به " :

للقيود في المشبه به أهمية كبيرة في التشبيه ، يقول الدكتور محمد أبو موسى :

" من عادة القرآن في رسم صورة التشبيه أن يذكر فيها من القيود وأحوال الصياغة ما يجعلها معبرة تعبيراً دقيقاً عن الغرض المَسُوقة فيه ، ولهذه القيود والأحوال شأن في صورة التشبيه لا ينتبه إليها إلا المُعْنَى بإبراز نواحي الجمال وسر البلاغة في الأسلوب ، وللزمخشري وقفات في هذا المجال يدرك فيها أسرار هذه القيود ومعانيها الأدبية الدقيقة "(١).

أقول : إذا كان من عادة القرآن ذكر القيود التي تعبر تعبيراً دقيقاً عن الغرض فإن من عادة الحديث النبوي ذلك أيضاً ، وإن كان للزمخشري وقفات فإن للطيبي صولات وجولات كما يظهر في الأمثلة الآتية :

---

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، ص (٤٠٧) .

١- عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (مَثَلُ المنافقِ كالشاة العائرة بين الغنمين تُعير إلى هذا مرةً وإلى هذا مرةً)(١).

يقول الطيبي معللاً وصف الشاة بكلمة (العائرة) :

" قال التوربشتي : العائرة أكثر ما تستعمل في الناقة وهي التي تخرج من الإبل إلى أخرى ليضربها الفحل، والجمل عائر يترك الشَّوْلَ إلى أخرى (٢) ثم يتسع في المواشي ، ضرب النبي - صلى الله عليه وسلم - للمنافق مثل السوء فشبه تردده بين الطائفتين من المؤمنين والمشركين تبعاً لهواه ، وقصداً لغرضه الفاسد ، وميلاً إلى ما يبتغيه من الشهوات بتردد الشاة العائرة ، وهي التي تطلب الفحل فتردد بين الثلتين ، فلا تستقر على حال ، ولا تثبت مع إحدى الطائفتين ، وبذلك وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال جل من قائل : (مُذبذبينَ بينَ ذلكَ لا إلى هؤلاءِ ولا إلى هؤلاء)(٣)" .

ثم يعقب الطيبي :

" أقول : وخص الشاة العائرة إدماجاً (٤) لمعنى سلب الرجولية عن المنافقين من طلب الفحل للضراب " .

---

(١) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٢٤) الحديث رقم : (٥٧) .

(٢) نحوه في الصحاح ، مادة " عير "

وأما الشَّوْل : فهي جمع شَائِل ، وهي الناقة التي تَشُول بذَنَبِها للّقاح ولا لبنَ لها أصلاً .

ينظر : الصحاح ، مادة " شول "

(٣) سورة النساء ، الآية (١٤٣) .

ينظر : المرقاة ، ج ١ ، ص (١٢٨)

والتعليق ، ج ١ ، ص (٥٤) .

(٤) الإدماج هو أن يضمن كلام سيق لمعنى معنى آخر ، ينظر : الإيضاح ، ج ٢ ، ص (٥٢٦) .

٢- عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(مثل القلب كريشة بأرض فلاة يقلبها الريح ظهراً لبطن)[١] .

قال الطيبي موضحاً سر وصف الأرض ب (فلاة) :
" قوله : (مثل القلب) : المثل هنا بمعنى الصفة لا القول السائر ، لأن المعنى صفة القلب العجيبة الشأن ، وورود ما يرد عليه من عالم الغيب من الدواعي وسرعة تقلبها بسبب الدواعي كصفة ريشة واحدة تقلبها الرياح بأرض خالية عن العمران ، فإن الرياح أشد تأثيراً فيها من العمران " .

٣- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(من آتاهُ اللهُ مالاً فلم يؤدِّ زكاتَه ، مُثِّلَ له مالُهُ يومَ القيامةِ شُجاعاً أقرعَ له زَبيبَتَان يُطَوَّقُهُ يومَ القيامة ...)[٢].

قال الطيبي مبيناً سر وصف المشبه به بالزبيبتين :
" قال في الفائق : الزَّبيبتان هما النُكْتَتان السَّوْداوان فوق عَيْنَيْه ، وهو أَوْحَشُ ما يكون من الحيات وأخبثها ..."[٣] .

٤- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(مثلُ البخيلِ والمتصدقِ ، كمثلِ رجلين عليهما جُنَّتان من حديدٍ ، قد اضطُرَّت أيْدِيهما إلى ثُدِيِّهما وَتَراقيهما ، فجعلَ المتصدقُ كلما تصدقَ بصدقةٍ انبسَطتْ عنهُ ، وجعل البخيلُ كلما هم بصدقةٍ قَلَصَتْ ، وأَخَذَتْ كلُّ حلْقةٍ بمكانها)[٤].

---

(١) رواه أحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٣٧) الحديث رقم (١٠٣) .
(٢) من حديث رواه البخارى ، ينظر : المشكاة ، ج١ ، ص (٥٥٧) الحديث رقم (١٧٧٤) .
(٣) ج٢ ، ص (٢٢٣) .
(٤) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج١ ، ص (٥٨٤) الحديث رقم (١٨٦٤) .

يبين الطيبي القيود التي ذكرها النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمشبه بهما فيقول :

" خص المشبه بهما بلبس الجنتين من الحديد إعلاماً بأن القبض والشح من جبلة الإنسان وخلقته ، ومن ثم أضاف الشح إليه في قوله تعالى: (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ)(١) وأن السخاوة من عطاء الله وتوفيقه يمنحها من يشاء من عباده المفلحين ، وخص اليد بالذكر لأن السخي والبخيل يوصفان ببسط اليد وقبضها ، فإذا أريد المبالغة في البخل قيل : يده مغلولة إلى عنقه وثديه وتراقيه ، وإنما عدل عن الغل إلى الدرع لتصوير معنى الانبساط والتقلص " .

٥- عن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

(إن أهلَ الجنةِ يترآءونَ أهلَ الغرفِ من فوقهم كما تترآءونَ الكوكبَ الدري الغابر في الأفق ، من المشرقِ أو المغربِ ، لتفاضُلِ ما بينَهم)(٢) .

يوضح الطيبي فائدة القيد بقوله :(من المشرق أو المغرب) فيقول :" فإن قلت: ما فائدة ذكر الشرق والغرب وهلا قيل من السماء أي في كبدها ؟ ، قلت لو قيل في السماء كان القصد الأولي في بيان الرفعة ويلزم منه البعد ، وفي ذكر المشرق والمغرب القصد الأولي البعد ويلزم منه الرفعة " .

× × ×

---

(١) سورة الحشر ، الآية (٩)
وفي الكشاف ، ج ٤ ، ص (٥٠٥) : " وقد أضيف إلى النفس لأنه غريزة فيها "
ويلاحظ أن عبارة الطيبي هنا مستمدة من الكشاف .

(٢) من حديث متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٦٤) الحديث رقم (٥٦٢٤) .

وقد يشرح الطيبي ما يلابس المشبه به من النكات البلاغية كالتعريف والتنكير مثلاً ، ويستطرد خلال ذلك فيذكر شواهدَ قرآنية ويوازن بينها وبين الحديث ، يفعل ذلك كله لبيان ما في الصورة البيانية من جمال وأسرار كما في الحديث التالي :

- عن عبد الله بن مسعود ، قال : خَطَّ لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطاً ، ثم قال : (هذا سبيلُ الله) ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ، وقال : (هذه سُبُلٌ ، على كل سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه) وقرأ : (وأَنَّ هذا صِراطِي مستقيماً فاتبعوه)[1] الآية "[2]

قال الطيبي :

" قوله :(هذا سبيل الله) وقوله : (هذا صِراطي مستقيماً) أضيفا إلى رب العزة وعرفا وفخما تفخيماً وتعظيماً لشأنهما ، ونكر حين نسب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قوله تعالى : (إنكَ على صراطٍ مستقيم)[3] وقوله : (وإنك لتهدِي إلى صراطٍ مستقيم)[4] مدحاً وتنويهاً بشأن رسوله - عليه السلام - أي إنك على صراط وتهدي إلى صراط ، أي صراط؟ (صراطِ العزيزِ الحميد)[5] ثم عرف في قوله :(اهدنا الصراطَ المستقيم)[6] تعليماً للعباد وإرشاداً لهم إلى طلب هذه البغية السنية والرفعة العلية والثبات عليها ، والمواظبة لها ، ولرفعة شأنها جيء بالفاء في قوله تعالى : (فاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ)[7] .. " .

× × ×

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٥٣) .
(٢) رواه أحمد والنسائي والدارمي ، ينظر: المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٨ - ٥٩) الحديث رقم (١٦٦) .
(٣) سورة يس ، الآية (٤) .
(٤) سورة الشورى ، الآية (٥٢) .
(٥) سورة سبأ ، الآية (٦) .
(٦) سورة الفاتحة ، الآية (٥) .
(٧) سورة الأنعام ، الآية (١٥٣) .

رابعاً ـ العلاقة بين الطرفين :

يمكن تحديد ما قاله الطيبي حول العلاقة بين الطرفين بالأمور التالية :

أ ـ اذا ذكر الطرفان فالصورة من باب التشبيه ·

هذا ما أكده الطيبي عند هذين المثالين :

١ـ قال عليه الصلاة والسلام :

(من آتاهُ اللهُ مالاً فلم يؤدِّ زكاته ، مُثِّلَ له مالُهُ يومَ القيامةِ شُجاعاً أقرَعَ له زبيبتَان يُطَوَّقُهُ يومَ القيامة)(١).

قال الطيبي " قوله (يطوقه) أي يجعل طوقاً في عنقه،فهو تشبيه لذكر المشبه والمشبه به (٢) كأنه قيل : يجعل كالطوق في عنقه " ·

٢ـ عن الزبير ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(دَبَّ إليكم داءُ الأممِ قبلكم الحسدُ ، والبغضاءُ هي الحالقةُ ، لا أقولُ تحلقُ الشعرَ ولكنْ تحلق الدينَ)(٣)

قال الطيبي :

" قوله (الحالقة) : فإنها تستعمل في حلق الشعر ، فاستعملت فيما يُستأصلُ

---

(١) تقدم ص (٥٣) من هذه الرسالة ·

(٢) هذا مذهب البلاغيين عموماً ، فقد أشار عبد القاهر إلى أن ذكر المشبه والمشبه به في نحو : " زيد أسد " و " هند بدر " يدل على التشبيه ، وفي إطلاق الاستعارة هنا بعض الشبهة.ينظر : أسرار البلاغة ، ص (٢٩٧ ـ ٢٩٨) ،
وقال السكاكي : " إن وجود طرفي التشبيه يمنع عن حمل الكلام على غير التشبيه "
ينظر : مفتاح العلوم ، ص (١٦٨) ·

(٣) من حديث رواه أحمد والترمذي ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٠١) الحديث رقم (٥٠٣٩)، ونحوه في " المجازات النبوية " ص (١٢٧) ، وقال الشريف الرضي بعد أن ذكر الحديث " وهذه استعارة ، والمراد بالحالقة هاهنا المبيرة المهلكة "
ونهاب الطيبي إلى التشبيه هو الصواب ·

من الدين ، وهي ليست باستعارة لذكر المشبه والمشبه به ، أى البغضاء تذهب بالدين كالموسى يذهب بالشعر "

ب - يذكر الطيبي أن بابَ التشبيه بابٌ واسعٌ لا يفتقر إلا إلى العلاقةِ بين الطرفين. يبين ذلك عند الحديث الآتي :

- عن عائشة ، قالت : سألَ أناسٌ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - عن الكهان ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنهم ليسوا بشيء) قالوا يا رسول الله ! فإنهم يحدّثونَ أحياناً بالشيء يكون حقاً ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (تلك الكلمة من الحقِ يخطفها الجني ، فَيَقُرُّها في أُذنِ وَليِّهِ قَرَّ الدجاجةِ، فيخلِطون فيها أكثر من مائة كذبة)(١)

قال في النهاية " في حديث استِراقِ السَّمع : يأتي الشيطانُ فَيَتَسَمَّعُ الكلمةَ فيأتي إلى الكاهنِ فَيُقِرُّها في أُذنه كما تُقَرُّ القارُورة إذا أُفْرِغَ فيها ، وفي رواية : فيقذفها في أُذن وليه كقَرِّ الدجاجة... ويروى : كقَرِّ الزُّجاجة، بالزاى أى كصَوْتها إذا صُبَّ فيها الماء "(٢)

قال الطيبي :

" أقول : لا ارتياب أن قَرَّ الدجاجة مفعولٌ مطلق ، وفيه معنى التشبيه، فكما يصح إيراد ما اختطفه من الكلام في أذن الكاهن بصب الماء في القارورة ، يصح أن يشبه ترديد الكلام من الجني في أُذنِ الكاهن بترديد الدجاجة صوتها في أُذن صاحبها ، كما تشاهد الديكة إذا وجدت حبة أو شيئاً فتقر وتسمع صواحبها

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٢٩٣) ، الحديث رقم (٤٥٩٣) .
(٢) النهاية ، ج ٤ ، ص (٣٩) .

فيجتمعن عليها .

وباب التشبيه باب واسع لا يفتقر إلا إلى العلاقة ..." .

ويقرر الطيبي أن رواية (قز الدجاجة) أنسب من (كقر الزجاجة) فيقول :
" على أن الاختطاف ههنا مستعار من خطف الطير ، قال تعالى :(فَتَخْطَفُهُ الطيرُ)(١)
فتكون الدجاجة أنسب من القارورة لحصول الترشيح في الاستعارة " .

أقول : فيما ذهب إليه الطيبي دلالة على أن الترشيح أبلغ من التجريد عنده ،وهذا مذهب البلاغيين (٢).

ج - يوضح الطيبي العلاقةَ بين المشبه والمشبه به في بعض الصور الغامضة ، يظهر هذا من خلال الأحاديث الآتية :

١- عن السائب بن يزيد ، قال : ذهبت بي خالتي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله! إن ابنَ أختي وجِعٌ ، فمسح رأسي ودعا لي

---

(١) سورة الحج ، الآية (٣١) .
(٢) ينظر ص (٢٩) من هذه الرسالة .

بالبَرَكَةِ ، ثُم توضأَ ، فشربتُ من وَضوئِهِ ، ثم قمتُ خلفَ ظهرِه ، فنظرتُ إلى خاتَم النبوة بين كتِفيه مِثلَ زِرِّ الحَجَلة(١).

يبين الطيبي معنى (خاتم النبوة) ومعنى (زر الحجلة) فيقول :

« قال القاضي : خاتم النبوة ، أثرٌ كان بين كتفيه ، نعت به في الكتب المتقدمة، وكان علامةً يعلم بها أنه النبي الموعود المبشر به في تلك الكتب ، وصيانةً لنبوته عن تطرق التكذيب والقدح إليها صيانة الشيء المستوثق بالختم(٢).

قوله : (زر الحجلة) قال التوربشتي : الرواية بتقديم الزاء المنقطة على الراء المهملة المشددة ، والحجلة بتحريك الجيم ، قيل إن المراد به واحد الأزرار التي يشد بها حجال العرائس من الحلل والستور ، وهذا بعيد من طريق البلاغة ، قاصر عن التشبيه والاستعارة ، ثم إنه لا يلائم الأحاديث المروية في خاتم النبوة (٣)» .

ويعقب على رأي التوربشتي مبيناً العلاقة بين المشبه والمشبه به فيقول :

« أقول : في قوله : (قاصر عن التشبيه والاستعارة) نظر ، لأن الاستعارةَ ذكرُ أحد طرفي التشبيه والمراد به الطرف الآخر ،وههنا الطرفان مذكوران فلا يكون استعارة ، ولا يجب في التشبيه أن يكون المشبهُ موافقاً للمشبه به في جميع الأوصاف، فيكفي في خاتم النبوة أن يكون شيئاً ناتئاً من الجسد له نوع مشابهة بزر الحجلة،كما في قوله تعالى :(إِنَّ مَثَلَ عِيسى عندَ اللهِ كمثَلِ آدمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ)(٤)، فإن (خلقه من تراب) بيان لما شبه به عيسى بآدم(٥) وآدم مخلوق من التراب حقيقة ، وعيسى مخلوق منه بوسائط كثيرة » .

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (١٤٨) الحديث رقم (٤٧٦) .

(٢) و (٣) المرقاة ، ج ٢ ، ص (٥٣- ٥٤) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية (٥٩) .

(٥) ينظر : الكشاف، ج ١ ، ص (٣٦٧) .

٢- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(تعاهدوا القرآنَ ، فوالذي نفسي بيدِه لَهُوَ أشدُّ تفصياً من الإبلِ في عُقُلِها)(١).

قال الطيبي مبيناً العلاقة بين الطرفين :

" قوله (أشد تفصياً) التفصي من الشيء التخلص منه ، تقول تفصيت من الديون إذا خرجت منه (٢).

شبه القرآنَ وكونه محفوظاً على ظهر القلب بالإبل الآبدة النافرة وقد عقل عليها (٣) وشد بذراعيها الحبل المتين ، وذلك أن القرآنَ ليس من كلام البشرِ بل هو كلامُ خالق القوى والقدر، وليس بينه وبين البشرِ مناسبة قريبة ، لأنهم حادثون وهو قديم ، والله - سبحانه - بلطفه العميم ، وكرمه القديم ، مَنَّ عليهم ومنحهم هذه النعمة العظيمة ، فينبغي لهم أن يتعاهَدُوهُ بالحفظِ والمواظبة عليه ما أمكنهم " .

٣- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(مثَلُ المجاهدِ في سبيلِ الله كمثلِ الصائمِ القائمِ القانتِ بآياتِ الله ، لا يفتُرُ من صيامٍ ولا صلاةٍ حتى يرجعَ المجاهدُ في سبيل الله)(٤).

يوضح الطيبي العلاقة بين المشبه وهو المجاهد في سبيل الله والمشبه به وهو الصائم القائم القانت ، فيقول :

" فإن قلت : فِيمَ شُبهتْ حالُ المجاهدِ بحال الصائم ؟

قلت : في نيل الثواب في كلِ حركةٍ وسكون في كل حينٍ وأوانٍ ، لأن المرادَ من

---

(١) متفق عليه ، ينظر المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٧١) الحديث رقم (٢١٨٧) .

(٢) في الصحاح ، مادة فصا :(وتَفَصَّيْتُ من الديون ، إذا خرجتَ منها وتَخَلَّصت)

(٣) في المعجم الوسيط ، مادة عقل :(عقل البعير : ضم رسغ يده إلى عضده وربطهما معاً بالعقال ليبقى باركاً) .

(٤) متفق عليه ، ينظر المشكاة ، ج٢ ، ص (١١١٧) الحديث رقم (٣٧٨٨) .

الصائم القائم مَنْ لايفتر ساعةً من ساعاتِهِ آناءَ الليلِ وأطرافَ النهار من صيامه وصلاته .

شبه المجاهد الذي لا تضيع لمحةٌ من لمحاته من أجرٍ وثوابٍ سواء كان قائماً أو نائماً ، يقاتل العدوَ أم لا ، بالصائم القائم الذي لا يفتر عما هو فيه ، فهو من التشبيه الذي المشبه به مفروض غير محقق ، وهو من قوله تعالى : (ذلك بأنَّهُمْ لا يُصيبُهُمْ ظمأٌ ولا نَصَبٌ ولا مَخْمَصَةٌ في سبيلِ اللهِ ولا يطئون موطئاً يغيظُ الكفارَ ولا ينالونَ مِنْ عدوٍ نيلاً إلا كُتِبَ لَهُمْ بهِ عملٌ صالحٌ إن اللهَ لا يضيعُ أجرَ المحسنين ، ولا ينفقونَ نفقةً صغيرةً ولا كبيرةً ولا يقطعونَ وادياً إلا كُتِبَ لهم ليجزيَهُمُ اللهُ أحسنَ ما كانوا يَعْمَلُونَ)(١).

وكان يمكن للطيبي أن يقول هذا من التشبيه الخيالي، وهو أدق من قوله: المشبه به مفروض ...

٤- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (الطاعِمُ الشاكرُ كالصائمِ الصابرِ)(٢)

يوضح الطيبي العلاقة بين المشبه وهو (الطاعم الشاكر) والمشبه به وهو (الصائم الصابر) فيقول :

« قوله (كالصائم الصابر) قد تقرر في علم البيان أن التشبيه يستدعي الجهة الجامعة ، والشكر نتيجة النعماء كما أن الصبر نتيجة البلاء فكيف شبه الشاكر بالصابر؟ وأجاب المظهر بأن هذا تشبيه في أصل استحقاق كل واحد منهما الأجر لا في المقدار ، وهذا كما يقال : (زيد كعمرو) ومعناه : زيد يشبه عمراً في بعض الخصال ولا يلزم المماثلة في جميعها فلا يلزم المماثلة في الأجر أيضاً (٣).

(١) سورة التوبة ، الآيتان (١٢٠- ١٢١) .

(٢) رواه الترمذي ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٢١٧) ، الحديث رقم (٤٢٠٥) .

(٣) ينظر : المرقاة ، ج ٨ ، ص (١٨٢) .

أقول : قد ورد (الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر)[1]، وربما يتوهم متوهم أن ثواب شكر الطاعم يقصرُ عن ثواب صبر الصائم، فأُزيلَ توهمه به، يعني هما سيانِ في الثواب، ونظيره قولك لِعِمَامَةٍ سوداء بحضرة السامع وهو متردد في لون عمامتك، فقلت : (لونُ عِمَامتي كلون هذه)[2].

وفيه وجه آخر أن الشاكر لما رأى النعمة من الله تعالى، وحبس نفسه على محبة المنعم بالقلب، وأظهرها باللسان، نال درجة الصابر فيكون التشبيه واقعاً في حبس النفس بالمحبة، والجهة الجامعة حبس النفس مطلقاً، فأينما وجد الشكر وجد الصبر ولا ينعكس "

× × ×

كما يوازن الطيبي بين تشبيهين مبرزاً ملاءمة المشبه للمشبه به في كل منهما :

- عن أبي مالك الأشعرى، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

(الطُّهورُ شطرُ الإيمان، والحمدُ للهِ تملأُ الميزانَ، وسُبحانَ الله والحمدُ لله تملآن - أو تملأ - ما بين السماواتِ والأرضِ، والصلاةُ نورٌ، والصَّدَقَةُ برهانٌ، والصبرُ ضياءٌ ..)[3]

قال الطيبي موضحاً الفرق بين تشبيه الصلاة بالنور، والصبر بالضياء : "فإن قلت : هل في تخصيص الصلاة بالنور والصبر بالضياء فائدة ؟. قلت : أجل لأن الضياء فرط الإنارة، قال الله تعالى : (هو الذى جعلَ الشمسَ ضياءً والقمَرَ نوراً)[4]، ولعمرى

---

(١) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الاحياء :" أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد القرشي عن أنس ويزيد ضعيف "
ينظر : إحياء علوم الدين، ج ٤، ص (٦٠) .

(٢) المثال مقتبس من مفتاح العلوم للسكاكي، ص (١٦٢) .

(٣) من حديث رواه مسلم، ينظر : المشكاة، ج ١، ص (٩٣)، الحديث رقم (٢٨١) .

(٤) سورة يونس، الآية (٥) .

إن الصبر بنيت عليه أركان الاسلام ، وبه أحكمت قواعد الايمان ، لأنه تعالى لما مدح عباده المخلصين بقوله :(وعبادُ الرحمنِ الذينَ يمشونَ على الأرضِ هوناً)[١] إلى قوله :(واجعلنا للمتقينَ إماماً)[٢]، عقبه بقوله : (أولئكَ يُجْزَوْنَ الغرفةَ بما صَبَرُوا)[٣] ، فوضع الصبر موضع تلك الأعمال الفاضلة ، والأخلاق المرضية ، لأنه ملاكها وعليه يدور قطبها " انتهى .

فالطيبي يرى أن النور أقل من الضياء ، وأن الصبر فوق الصلاة ، فتشبيه الصلاة بالنور والصبر بالضياء هو ذروة البلاغة لأن المشبه به ملائم للمشبه في الصورتين ، فالمشبه به لا يأتي في البيان النبوي كيفما اتفق كما في بعض كلام البشر ، بل يأتي ملائماً للمشبه في انسجام كامل وصورة بيانية رائعة ، وما ذهب إليه الطيبي هو الصواب ، فالضياء من الشمس والنور من القمر قال تعالى: (تبارك الذى جعلَ في السماءِ بروجاً ، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً) [٤].

ولا شك أن نورَ الشمسِ أكثرُ فائدةً من نورِ القمر ، ولولا ضياء الشمس ما أنارَ القمر ، ولذلك نجد أن القرآن عني بالصبر الذى شبه هنا بالضياء عناية فائقة فقدمه على الصلاة في الذكر ، قال تعالى :(واستعينوا بالصبرِ والصلاة) [٥]. كما أوصى بالصبر مرتين في قوله تعالى :(وتواصوا بالحقِّ وتواصوا بالصبر) [٦] حيث عطف الخاص على العام " وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق لابراز كمال الاعتناء به "[٧].

---

(١) سورة الفرقان ، الآية :(٦٣) .
(٢) سورة الفرقان ، الآية :(٧٤) .
(٣) سورة الفرقان ، الآية :(٧٥) .
(٤) سورة الفرقان ، الآية :(٦١) .
(٥) سورة البقرة ، الآية :(٤٥) .
(٦) سورة العصر ، الآية :(٣) .
(٧) تفسير أبي السعود ، ج ٩ ، ص(١٩٧) .

د - الطرفان من جهة المعقول والمحسوس :

ذكر البلاغيون أن طرفي التشبيه يأتيان على أربعة أقسام هي :

١- إما حسيان : كما في تشبيه الخد بالورد .

٢- وإما عقليان : كما في تشبيه العلم بالحياة .

٣- وإما مختلفان : والمعقول هو المشبه كما في تشبيه المنية بالسبع .

٤- أو بالعكس : كما في تشبيه العطر بخلق كريم(١).

وفي البيان النبوي يهدف الرسول الأكرم - صلى الله عليه وسلم - إلى تقريب المعاني الكبرى المتعلقة بعالم الغيب والكون والإنسان والحياة إلى أذهان المخاطبين وقلوبهم عن طريق تشبيه الأشياء المعقولة بالأشياء المحسوسة ، وفي هذا الصدد يقول الطيبي نقلاً عن التوربشتي :" والمعاني إذا ارتفعت عن مدارك الأفهام ، واستعلت عن معارج النفوس ، لكبر شأنها ، صيغت لها قوالبُ من عالم الحس حتى تتصورَ في القلوب ، وتستقرَ في النفوس "(٢).

ولذلك يكثر تشبيه المعقول بالمحسوس في البيان النبوي ، وقد أشار إلى هذا الطيبي في دراسته ، لكنه لم يعن ببيان الأقسام الأخرى من خلال دراسته للحديث ، فكل ما وجدته أنه عرض صوراً من تشبيه المعقول بالمحسوس ، علماً أنه لو أراد استنباط صورٍ للأقسام الأخرى لأمكنه ذلك ، لأن الحديث النبوي غنيٌ بمادته البيانية .

---

(١) ذكرت هذه التقسيمات في عدد من كتب البلاغة ومنها :
نهاية الإيجاز في دراية الاعجاز ، للفخر الرازي ، ص (٩٢- ٩٣) .
ومفتاح العلوم ، للسكاكي ، ص (١٥٨) .
والمصباح لابن الناظم ، ص (٥١) .
والتلخيص ، للخطيب القزويني ، ص (٢٤٣) .
والإيضاح ، ج ٢ ، ص (٣٣٥) .

(٢) ذكر ذلك عند الحديث رقم (٥٥٩١) من المشكاة ، وهو في المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٥٦) والكلام مذكور في المرقاة ، ج ١٠ ، ص (٣٠٤) .

وفيما يلي بعض الأمثلة التي ذكرها من تشبيه المعقول بالمحسوس :

١- عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : كانَ رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - إذا رفعَ ظَهره من الركوعِ قال : (سمعَ اللهُ لمن حمِدَه ، اللهم ربنا لك الحمد مِلْءَ السماواتِ وملءَ الأرضِ ، وملءَ ما شئتَ من شيءٍ بعدُ) (١).

قال الطيبي مبيناً التشبيه في قوله : (ملء السموات .....) :

" قال المظهر : هذا تمثيل وتقريب إذ الكلام لا يقدر بالمكاييل ولا تسعه الأوعية، وإنما المرادُ منه تكثيرُ العددِ حتى لو يقدر أن تكونَ تلك الكلمات أجساماً تملأُ الأماكنَ لبلغت من كثرتها ما تملأُ السمواتِ والأرضَ "(٢).

وعن فائدة هذا التشبيه يقول الطيبي :

" قال التوربشتي وهذا يشير إلى الاعتراف بالعجز عن أداء حق الحمد بعد استفراغ المجهود ، فإنه حمده ملء السموات والأرض وهذه نهاية إقدام السابقين، ثم ارتفع فأحال الأمر فيه على المشيئة إذ ليس وراء ذلك للحمد منتهى ، فإن حمدَ اللهِ تعالى أعزُّ من أن نتصورَهُ بحسبانٍ أو يكشفه الزمان ، ولم ينته أحد من خلق الله في الحمد مبلغه ومنتهاه ، وبهذه الرتبة استحقَّ صلوات الله عليه أن يسمى بأحمد "(٣).

٢- عن أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (مَثَلُ المؤمنِ الذي يقرأُ القرآنَ مثل الأُتْرُجَّةِ ، ريحُها طيبٌ وطعمُها طَيِّبٌ ، ومثل المؤمنِ الذي لا يقرأُ القرآنَ مثلُ التمرةِ ، لا ريحَ لها وطعمها حلوٌ ، ومثلُ المنافقِ

---

(١) رواه مسلم ، ينظر المشكاة ، ج ١ ، ص (٢٧٦) الحديث رقم (٨٧٥) .
(٢) المرقاة ، ج ٢ ، ص (٣١٢) .
والتعليق ، ج ١ ، ص (٣٨٨) .
(٣) المرقاة ، ج ٢ ، ص (٣١٣) .
والتعليق ، ج ١ ، ص (٢٨٨)

الذى لا يقرأُ القرآنَ كمثلِ الحنظلةِ ، ليس لها ريحٌ وطعمها مُرٌّ ، وَمَثَلُ المنافقِ الذى يقرأُ القرآنَ مثل الريحانةِ ، ريحُها طيبٌ وطعمها مُرٌّ)[1].

قال الطيبي :

« اعلم أن هذا التشبيه والتمثيل في الحقيقة وصف لموصوف اشتمل على معنى معقول صرف لا يبرزه عن مكنونه إلا تصويره بالمحسوسِ المشاهد ، ثم إن كلام الله المجيد له تأثير في باطن العبد وظاهره ، وإن العبادَ متفاوتونَ في ذلك ، فمنهم من له النصيبُ الأوفر من ذلك التأثيرِ وهو المؤمنُ القارئ ، ومنهم من لا نصيبَ له البتة وهو المنافقُ الحقيقي ، ومنهم من تأثرَ ظاهره دون باطنه وهو المرائي ، أو بالعكس وهو المؤمن الذى لم يقرأه ، وإبراز هذه المعاني وتصويرها في المحسوسات ما هو مذكور في الحديث ، ولم نجد ما يوافِقُها ويلائمُها أقرب ولا أحسن ولا أجمع من ذلك ، لأن الناس إما مؤمن أو غير مؤمن ، والثاني إما منافق صرف أو ملحق به ، والأول إما مواظب على القراءة أو غير مواظب عليها ، فعلى هذا قس الأثمار المشبه بها ، ووجهُ التشبيهِ في المذكوراتِ مركبٌ[2] منتزع من أمرين محسوسين طعم وريح وليس بمفرق كما في قول امرئ القيس شعراً :

---

(١) تقدم ص (٤٥) من هذه الرسالة .

(٢) ذكر العلوى هذا الحديث مرتين ، الأولى : اعتبره فيها من تشبيه المفرد بالمفرد ، والثانية اعتبره من تشبيه المركب بالمركب ، فهو يصلح للإفراد والتركيب عنده ينظر : الطراز ، ج ١ ، ص (٢٨٦) وص (٢٩٠) .

كأن قلوبَ الطيرِ رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي[١]

ثم إن إثبات القراءة في قوله صلوات الله عليه: (يقرأ القرآن) على صيغة المضارع، ونفيه في قوله: (لا يقرأ). ليس المرادُ حصولَها مرة ونفيها بالكلية، بل المراد منها الاستمرار والدوام، وأن القراءةَ دأبه وعادته[٢] وليس ذلك من هاجريه، كقولك: فلان يقرى الضيف ويحمي الحريم، والله أعلم ".

---

(١) ديوان امرئ القيس، ص (٣٨).

(٢) يريد الطيبي هنا أن الجملة الفعلية تدل على التجدد، وهو في هذا يذهب إلى نحو ما قاله عبد القاهر في دلائل الاعجاز، ص (١٣٣) وذلك خلال حديثه عن الفروق في الخبر، حيث قال: " إن موضوعَ الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء، من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء ".

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :

(مَنْ طافَ بالبيتِ سبعاً ، ولا يتكلمُ إلا ب : سبحانَ الله والحمدُ لله ولا إلـــه إلا اللهُ واللهُ أكبر ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله ، مُحيتْ عنه عشرُ سيئاتٍ وكُتِبَ له عشرُ حسنات ، وَرُفِعَ له عشر درجات ، ومن طافَ فتكلّمَ وهو في تلك الحالِ خاضَ في الرحمةِ برجليه كخائضِ الماءِ برجليه) (١).

قال الطيبي في شرحه لهذا الحديث :

" قوله :(ومن طاف فتكلم) أي بتلكَ الكلمات وهو في حالةِ الطواف ، وإنما كـــرر طاف ليناط به غير ما نيط به أولاً ، وليبرز المعنى المعقول في صورة المشـــاهـد المحسوس ، فشبه الرحمة المعنى بها الثواب بالماء ، وسعيه في حالة الذكـــر بالخائض فيه ، فترك المشبه به وهو الماء وجعل القرينة الدالة عليه كلمة خاض ثم شبه هذا التمثيل بما يزيد التصوير من قوله (كخائض الماء برجليه)"٠

يلاحظ أن الطيبي أطلق على الاستعارة المكنية في قوله :(خاض الرحمة برجليـــه) مصطلح التشبيه

٤- عن أنس ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

(يا أبا ذرٍ ألا أدلُّك على خصْلَتينِ هما أخفُّ على الظَّهْرِ وأثقلُ في الميزان ؟) قال : قلت : بلى . قال : (طُولُ الصَّمتِ وحُسْنُ الخُلقِ ، والذي نفسي بيده ما عمل الخلائـقُ بمثلهما)(٢).

قال الطيبي :

" في قوله :(أخف على الظهر) تشبيه ، شبه المعقول بالمحسوس ، في تأتيـــهِ بسهولة ، كما في قوله - صلى الله عليه وسلم - : (كَلمتانِ خفيفتانِ على اللسانِ ثَقيلتانِ في الميزانِ)"(٣) ٠

---

(١) رواه ابن ماجه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٧٩٥) الحديث رقم (٢٥٩١) ٠

(٢) رواه البيهقي في شعب الايمان ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٦٥) الحديث رقم (٤٨٦٧) ٠

(٣) سيَرِد ص (٣٢٤) من الرسالة ٠

أقول : قوله (أخف على الظهر) هو من الاستعارة المكنية، وسماه تشبيهاً تجوزاً ، لأن التشبيه أصل الاستعارة ، يقول عبد القاهر - رحمه الله - : " أما الاستعارة فهي ضربٌ من التشبيهِ ، ونَمَطٌ من التمثيلِ ، والتشبيه قياس ، والقياس يجرى فيما تعيه القلوب ، وتدركهُ العقول ، وتُسْتَفْتَى فيه الأفهامُ والأذهان ، لا الأسماع والآذان "(١) ،

ويقول في موضع آخر من الأسرار : " والتشبيهُ كالأصلِ في الاستعارة ، وهي شبيهة بالفرع له ، أو صورة مقتضبة من صوره "(٢)

ومثل هذا الخروج عن دائرة المصطلحات البلاغية ، نجده عند الزمخشرى .

يقول الدكتور محمد أبو موسى في حديثه عن الفرق بين التشبيه والاستعارة عند الزمخشرى بعد أن قدم أمثلة لتفريق الزمخشرى بينهما :

" ومع هذه التفرقة الدقيقة ، والتنبه اليقظ ، للفرق بين الأسلوبين ، نرى في كلام الزمخشرى ما يوهمُ عدمَ مراعاةِ هذه الفروق ، حيث يطلق المجازَ على صورة التشبيه البليغ في قوله تعالى : (نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ)(٣) يقول : فيها مواضع حرث لكم ، وهذا مجاز شبههن بالمحارث ، تشبيهاً لما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور(٤) . وقد تردد العلماء في تفسير كلامه هذا لأنه وضح رأيه في مثل (زيد أسد) أنه من التشبيه ، فكيف يطلق المجاز على مثله؟.... ولست أجد مبرراً لهذه التفسيرات ، ولعل أقربها إلى الحق هو القول بأنه أطلق المجاز هنا باعتبار حمل المشبه به على المشبه ، فيكون قد أطلق المجاز على صورة التشبيه

---

(١) أسرار البلاغة ، ص (٢٠) .

(٢) المصدر السابق ، ص (٢٨) . وينظر ص (٤٣٤) من الرسالة .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٢٣) .

(٤) ينظر ص (٤١٠-٤١١) من الرسالة .

تساهلاً ، وعدم التزام برأي المحققين فقد قال هذا مجاز شبههن بالمحارث وهذا تفسير واضح لظاهر التركيب (نساؤكم حرث لكم) ولعل بناء هذا التشبيه على تشبيه آخر هو الذى ساعد على هذا التساهل ، وقد يتسامح العلماء في غير مواطن التحقيق، فالخطيب القزويني يطلق الاستعارة على اليد في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - :(المؤمنونَ تتكافأُ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يَدٌ على من سواهم) (١).

وواضح أن هذا من التشبيه البليغ كما يذكر المحققون ومنهم الخطيب . والإمام عبد القاهر وهو خير من حقق الفرق بين التشبيه والاستعارة يذكر قولهم (هو يصفو ويكدر ، ويمر ويحلو ويشج ويأسو ، ويسرج ويلجم) مثالاً لما يجيء فيه التشبيه معقوداً على أمرين أو أمور لا تتشابك تشابك المركب (٢)، وواضح أيضاً أن هذا من قبيل الاستعارة المكنية .

كما يذكر في أمثلة التشبيه التمثيلي الذى ينتزع فيه الشبه من الوصف لأمر لا يرجع إلى نفسه قولهم : " أخذ القوس باريها " وقولهم " ما زال يفتل منه في الذروة والغارب" . وواضح أيضاً أن هذا من قبيل الاستعارة التمثيلية كما حقق عبد القاهر نفسه .

وقد أشار عبد القاهر إلى هذا الذى نقوله ، فذكر أن المتخصصين في هذا الشأن قد يتسامحون ، ولكن ذلك لا يكون عند ذكر القوانين ، وحيث تقرر الأصول (٣) ثم ذكر كلاما للآمدى فيه هذا التسامح". (٤)

فالتسامح جائز ، لكن يجب ألا يكون في أمور مقننة ومعروفة .

× × ×

---

(١) الإيضاح ، ج ٢ ، ص (٣٩٨) .

(٢) ينظر : أسرار البلاغة ، ص (٩١- ٩٢) .

(٣) ينظر : المصدر السابق ، ص (٣٧٠- ٣٧١) .

(٤) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشرى ، ص (٤١١- ٤١٢) .

هـ - التشبيه في الحركات:

اعتمدت بعض التشبيهات النبوية الكريمة على عنصر الحركة، فقد يكون المشبه به حركة أو إشارة أو رسماً بيانياً (١) حتى تستوعب الأذهان المعاني الكبرى، فربما أدت الحركة والإشارة ما لم تؤده الكلمة والعبارة، يقول الدكتور محمد أبو موسى موضحاً أهمية التمثيل بالحركات:

" هناك إدراك ذهني من خلال اللغة المجردة والتعبير المباشر، وهذا هو المستوى الأول، وفيه قَدْرٌ صالح من الوعي بالمعنى والتأثر به.

وهناك إدراك من خلال الصور التي تمثلها الكلمات، ويتحول المعنى بواسطتها إلى شيء محسوس يشخص في هذه الصور، ويمثل فيها، وهذا هو المستوى العالي لإدراك المعاني، واستيعاب المواقف بواسطة اللغة.

وهناك إدراك من خلال الأفعال والحركات التي لا تراها العين بواسطة الكلمة، وإنما تراها وهي تقع أحداثاً حية في الوجود، كالقصة الممثلة والرواية المشاهدة، وهذا المستوى أعلى وأقدر على بث المعاني وإقناع النفوس بها "(٢).

وقد أشار الشيخ عبد الله علوان إلى منهج الرسول - صلى الله عليه وسلم - في إلقاء الموعظة، وذكر منه: "الموعظة بالتمثيل باليد" وقال:

" وكان - صلى الله عليه وسلم - إذا أراد أن يؤكد أمراً هاماً يمثل بكلتا يديه إشارة منه إلى الأمر الهام الذي يجب أن يهتموا به ويمتثلوه ... والأمثلة على هذا في السنة كثيرة ومستفيضة "(٣).

---

(١) ينظر ص (١٩٠) من هذه الرسالة.

(٢) التصوير البياني، ص (١٣٠).

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، ج ٢، ص (٧١٦ - ٧١٧).

ومن الأحاديث النبوية التي أشار فيها الطيبي إلى عنصر الحركة ما يلي :

١- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(لا يزني الزاني حين يزني وهوَ مؤمنٌ ، ولا يسرقُ السارقُ حين يَسْرِقُ وهو مؤمنٌ ، ولا يشربُ الخمرَ حين يَشْرَبُها وهو مؤمنٌ ، ولا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يرفعُ الناسُ إليه فيها أبصارَهُمْ حين يَنْتَهِبُها وهو مؤمنٌ ، ولا يَغُلُّ أحدكم حين يَغُلُّ وهو مؤمنٌ ، فإيَّاكم إيَّاكم) متفق عليه ، وفي رواية ابن عباس :(ولا يَقْتُلُ حينَ يَقْتُلُ وهو مؤمنٌ) قال عِكْرِمَةُ : قلت لابن عباس : كيفَ يُنْزَعُ الإيمانُ منه ؟ . قال : هكذا ، وشَبَّكَ بين أصابعِهِ ثم أخرجها ، فإن تابَ عادَ إليه هكذا ، وشَبَّكَ بين أصابعِهِ[1].

قال الطيبي :
" مُثِّلَ حياؤه فيه ثم وقاحته وخروج الحياء منه ، ثم نزعه عن الذنب وإعادة الحياء إليه ، بتشبيك الرجل أصابعه ثم إخراجها منها ، ثم إعادتها إليها ، كما كانت على ما روى عكرمة عن ابن عباس تخويفاً وردعاً حيث صورت بهذه الصورة " . اهـ .

٢- عن أبي موسى ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :
(المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً) ثم شبك بين أصابعه .[2].

قال الطيبي :
" قوله (يشد بعضه بعضاً) بيان لوجه التشبيه ، وقوله (ثم شبك بين أصابعه) كالبيان للوجه ، أي شداً مثل هذا الشد "[3].

---

(١) هذا لفظ البخاري ، ينظر المشكاة ، ج١ ، ص (٢٣) الحديث رقم (٥٣) و (٥٤) .
(٢) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٨٥) الحديث رقم (٤٩٥٥) .
(٣) في هذه الإشارة تأكيد على أخوة الاسلام التي لو استشعرها المسلمون اليوم لما كان واقعهم مؤلماً إلى هذا الحد الذي نراه .

٣- عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(مَنْ مسحَ رأسَ يتيمٍ لم يمسحْه إلا لله ، كان له بكل شعرةٍ تمرُّ عليها يدُه حسناتٌ، ومن أحسنَ إلى يتيمةٍ أو يتيمٍ عنده كنتُ أنا وهو في الجنَّةِ كهاتين) وقرنَ بين أصبعَيهِ[1].

قال الطيبي :
" قوله (كهاتين) : أي مقترنتين في الجنة اقتراناً مثل هاتين الأصبعين[2] ويجوز أن يكون كهاتين حالاً من الضمير المستتر في الخبر ، وأن يكون هو الخبر ، و(في الجنة) ظرفاً لكنت".

٤- عن أبي هريرة ، أن نبيَّ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - قال :
(إذا قضىَ اللهُ الأمرَ في السماءِ ضرَبتِ الملائكةُ بأجنحتها خُضعاناً لقوله ، كأنَّه سلسلةٌ على صَفْوانٍ ، فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا : ماذا قالَ ربُّكُمْ؟ قالوا للذى قال الحقَّ وهوَ العليُّ الكبيرُ ، فسمعها مُسْترِقو السَّمع ، ومسترقو السمعِ هكذا بعضه فوقَ بعضٍ) . ووصف سفيانُ[3] بكفه فحرَّفَها ، وبدَّدَ بين أصابعِه[4].

قال الطيبي :
" قوله (بعضه فوق بعض) توضيح أو بدل وفيه معنى التشبيه ، أي : مسترقو

---

(١) رواه أحمد ، والترمذى وقال : وهذا حديث غريب ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٨٨) الحديث رقم (٤٩٧٤) .

(٢) في هذه الإشارة تأكيد على سمَو مرتبة كافل اليتيم ، وحث على رعاية الأيتام والضعفاء في المجتمع ، ودليل على رحمة الاسلام ورعايته للمستضعفين في الأرض ، فهو الذى ينصر الأيتام بحق إلى قيام الساعة ، وما تدعيه بعضُ المذاهبِ المادية من نصرتها للفقراء والأيتام محض كذب ، فجل أيتامِ العالمِ اليوم سبب يُتْمِهِمْ جرائمُ هذه المذاهب وحروبها ضد الشعوب .

(٣) في المشكاة : أي ابن عيينة راوى الحديث .

(٤) من حديث رواه البخارى ، ينظر: المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٢٩٥) الحديث رقم (٤٦٠٠) .

السمع بعضهم راكبُ فوقَ بعضٍ مردفين ركوبَ أصابعي هذه بعضها فوقَ بعض"[١] .

أقول : لقد أشار الطيبي إلى قيمة عنصر الحركة في التشبيه الوارد في الحديث الأول ، وهي التخويف والردع ، وكنت أود لو أنه أشار إلى قيمة هذا العنصر في باقي الأحاديث وبسط القول فيه .

× × ×

---

(١) في هذه الإشارة دليل على تعاون الشياطين وتعاضدهم في الشر من أجل غواية الانسان ، فهم يتجمعون ويصعدون لاستراق السمع وإضلال البشر ، فجدير بالانسانية أن تبتعد عن درب الشياطين وأن تتصاعد في طريق الخير .

- المبحث الثاني : " أداة التشبيه " -

عرض الطيبي لأداة التشبيه ، وكان في عموم ما قاله يحذو حذوَ أسلافه من البلاغيين وقد قسم أدوات التشبيه تقسيماً مشابهاً لتقسيم البلاغيين ، إذ قسمها إلى حروف وأسماء وأفعال [١]، ويمكن إبراز أهم ما قاله عن الأداة بالأمور التالية :

أولاً : موقفه من حذف الأداة :

عرض الطيبي لموضوع حذف أداة التشبيه ، وكان يرى أن حذفَها أبلغُ من إثباتها . يقول عند قول أبي موسى الأشعري : " ما أبالي شربتُ الخمرَ أو عبدْتُ هذه السَّارِيَة دونَ الله "[٢]: " قوله (ما أبالي) : أي ما أبالي في تسويتي بين هذين الأمرين وجعلهما منخرطين في سلك واحدٍ مبالغة ، وهو أبلغ مما مرّ في الحديث السابق من قوله :(مُدْمِنُ الخمرِ إنْ ماتَ لقيَ اللهَ كعابِدِ وَثَنٍ)[٣]، لتصريح أداة التشبيه فيه وخلوه عنه هنا ".

وأنبه هنا إلى أن حديثِ أبي موسى ليس فيه تشبيه اصطلاحي وإنما فيه معنى التشبيه.

× × × ×

ثانياً : تقدير حرف التشبيه :

قد تحذف أداة التشبيه في بعض المواضع [٤]، فيقوم الطيبي بتقديرها أو الإشارة إلى حذفها ، كما فعل عند الأحاديث التالية :

---

(١) ينظر ص (٣٣-٣٤) من الرسالة .

(٢) رواه النسائي ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٠٨٤) ، الحديث رقم :(٣٦٦٠) .

(٣) رواه أحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٠٨٤) ، الحديث رقم (٣٦٥٧) .

(٤) لا سيما كلمة مثل فحذفها كثير ، ينظر : الكشاف ، ج ١ ، ص (٣٨٤) وص (٦٢٤).

١- قال عليه الصلاة والسلام :

(تقيءُ الأرضُ أفلاذَ كبدِها أمثالَ الأسطوانةِ من الذهبِ والفِضَّة ، فيجيءُ القاتلُ فيقول: في هذا قَتلتُ ، ويجيءُ القاطعُ فيقولُ : في هذا قطعتُ رَحِمي ...)(١).

قال الطيبي :

" وقوله :(هذا) المشار إليه ليس عين ما قتل فيه بل هو من جنسه ، فيكون في الكلام تشبيه نحو قوله تعالى :(هذا الذي رُزقنا مِنْ قَبْلُ)(٢) أى مثل هذا " انتهى .

والطيبي في تقدير أداة التشبيه يسير على خطى الزمخشرى الذى يقول عند الآية السابقة :" وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا ؟ قلت : معناه : هذا مثل الذى رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله :(وأُتُوا بــه متشابهاً)(٣)، وهذا كقولك : أبو يوسف أبو حنيفة ، تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته "(٤).

٢- قال عند حديث عمر - رضي الله عنه - :(تعلَمُنَّ أيها الناسُ أنَّ الطمعَ فقرٌ)(٥):

" تشبيه بحذف الأداة ، والمعنى الجامع : كما أن الفقيرَ لم يزل عنه الاحتياج ، كذلك الطامع الحريص لا يشبع " .

٣- وقال عند قوله عليه السلام :(ألا كلكم راعٍ وكلُّكُمْ مسؤولٌ عن رعيَّته)(٦) :

" قوله :(كلكم راع) : تشبيه مضمر الأداة(٧) أى كلكم مثل الراعي " .

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٩٩) الحديث رقم (٥٤٤٤)

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٥) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٥) .

(٤) الكشاف ، ج ١ ، ص (١٠٨) .

(٥) من حديث رواه رزين ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٨١) ، الحديث رقم (١٨٥٦) .

(٦) من حديث متفق عليه عن عبد الله بن عمر ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٠٩٠) الحديث رقم (٣٦٨٥) .

(٧) أراد بالإضمار : الحذف ، وقد استعمل بعض البلاغيين كلمة إضمار بهذا المعنى مثل ابن الاثير في كتابه " المثل الثائر " ، ج ٢ ، ص (١١٥) . والعلوى في الطراز ج ١ ص (٢٠٤) و (٣١١) .

٤- وقال عند قوله عليه السلام :(اللهم لا تجعلْ قبري وُثناً يُعبَدُ)(١): " فيه تشبيه، أى لا تجعل قبرى مثلَ الوثنِ المعبود في تعظيم الناس وعودهم للزيارة إليه بعد بدئهم واستقبالهم نحوه في السجود ، كما نسمع ونشاهد الآن بعض المزارات والمشاهد " .

× × × ×

ثالثاً : تقديم حرف التشبيه :

تحدث الطيبي عن تقديم حرف التشبيه اهتماماً به ، فقال عند قول النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الشعر :(والذى نفسي بيدِهِ ، لكأنّما ترمونهم به نَضْحَ النَّبْلِ)(٢): " واللام في قوله (لكأنما) زائدة لتأكيد القسم ، والتقدير : والذى نفسي بيده إنما ترمونهم به كنضح النبل ،لأن أصلَ كأن زيداً الأسدُ ، أن زيداً كالأسدِ ، فقدم حرف التشبيه اهتماماً به ، يدل عليه ما في المفصل من قوله : والفصل بينه وبين الأصل أنك ههنا بان كلامك على التشبيه من أول الأمر (من)(٣) ثم بعد مضي صدره على الإثبات "(٤)

× × × ×

---

(١) من حديث رواه مالك مرسلاً ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٢٣٤) ، الحديث رقم (٧٥٠) .

(٢) من حديث رواه أحمد والبغوى عن كعب بن مالك ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٥٢) ، الحديث رقم (٤٧٩٥).

(٣) ليست في المفصل .

(٤) شرح المفصل لابن يعيش ، ج ٨ ، ص (٨١) .

رابعاً: اختيار أداة التشبيه :

تحدث الطيبي عن اختيار أداة التشبيه المناسبة للمعنى ، فقال عند حديث عثمان - رضي الله عنه - وكان قد توضأ ثم قال : (رأيتُ رسولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - توضأ نحوَ وُضوئي هذا)[1].

قال نقلاً عن الإمام النووي :

" قال نحو ولم يقل مثل لأن حقيقة مماثلة وضوئه - صلى الله عليه وسلم - لا يقدر عليها غيره "[2].

---

(١) من حديث متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٩٥) الحديث رقم (٢٨٧) .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٣ ، ص (١٠٨) .

خامساً : تحدث عن موقع أداة التشبيه من حيث الاعراب ، واختار ما هو أوجه من حيث الأسلوب :

قال عند قوله - عليه السلام - عندما سأله جبريل عن الإحسان : (أن تعبدَ اللهَ كأنك تراه ، فإن لم تكنْ تراه فإنهُ يراك)[1] : " (كأنك) إما مفعول مطلق ، أو حال من الفاعل ، والثاني أوجه ، لأنه يحصل فيه للعابد حالات ثلاث ، كما إذا قلت : (كأن زيداً قائم) فتصور له حالات القعود والانتصاب والقيام ، فتشبه حالة الانتصاب بالقيام ، لأنك بإدخال (كأن) توهم أن له حالة غير القيام ، وهي المشبهة بالقيام كما إذا رأى الناظر شخصاً من بعيد ، فتردد بين قيامه وقعوده ، ثم خيل إليه أنه إلى القيام أقرب ، فقال : (كأنه قائم) ، أي : يشبه انتصابه القيام .

وكذلك الحديث للعبد بين يدى مولاه حالات ثلاث :

أحدها اشتغاله بالعبادة على سنن تسقط عنه القضاء من حفظ شرائطها وأركانها وهيآتها .

وحالة تمكنه من الإخلاص في القصد ، وأنه بمرأى من مولاه ، وهو مراقب لحركاته وسكناته .

وحالة مشاهدته واستغراقه في بحار المكاشفة وإليه لمح قوله - عليه السلام - (وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاةِ)[2] و(أرحنا بها يا بلال)[3] .

فشبه الحالة الثانية التي هي حالة المراقبة بحالة المكاشفة التي هي من خواص سيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم - في الدنيا ، ووجه التشبيه حصول الاستلذاذ بالطاعة ، والراحة بالعبادة ، وانسداد مسالك الالتفات إلى الغير باستيلاء أنوار الكشف عليه " .

---

(١) من الحديث رقم (٢) وقد تقدم تخريجه ص (٥٧) من هذه الرسالة .

(٢) من حديث رواه أحمد والنسائي عن أنس ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٤٨) الحديث رقم (٥٢٦١) .

(٣) هو في مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج ٥ ، ص (٣٦٤) بلفظ : " يا بلال أرحنا بالصلاة " وقد رواه عن أبي الجعد عن رجل من أسلم .

سادساً : صور التشبيه عند حذف الأداة :

عندما تحذف الأداة ، وجب أن يجيءُ التشبيهُ على صورة خاصة حتى يعتبر تشبيهاً اصطلاحياً وصور التشبيه كثيرة عند حذف الأداة ، وقد اعتبر الطيبي بعض الصور من باب التشبيه ، كما سيتضح من خلال الأمثلة التالية :

١- عن أنس ، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - :(إن الشيطانَ يجرى من الإنسانِ مجرى الدم)(١).

قال الطيبي :

" قوله (مجرى الدم) : مجرى يجوز أن يكون مصدراً ميمياً ، وأن يكون اسم مكان ، وعلى الأول تشبيه ، شبه كيد الشيطان وجريان وساوسه في الإنسان بجريان دمه في عروقه ، وجميع أعضائه ، والمعنى أن الشيطان يتمكن من إغواء الإنسان وإضلاله تمكناً تاماً ، ويتصرف فيه تصرفاً لا مزيد عليه " .

أقول :

يلاحظ أنه اعتبر مجيء المشبه به مصدراً ميمياً هو أحد صور التشبيه المحذوف الأداة .

٢- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - :(الناسُ معادن كمعادن الذهبِ والفضة ، خِيارُهم في الجاهلية خِيارُهم في الإسلام إذا فَقُهوا)(٢).

قال الطيبي :

" قوله (الناس معادن) المعدن المستقر والمستوطن من (عَدَنْتُ البلدَ إذا توطَّنته) (٣)

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٢٦) ، الحديث رقم (٦٨) .

(٢) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج١ ، ص (٧٠) الحديث رقم (٢٠١) .
وذكر بعضه الشريف الرضي في (المجازات النبوية) ، ص (١٠١) وقال :" قوله عليه الصلاة والسلام (الناس معادن) وهذه استعارة " .

(٣) ينظر : الصحاح ، مادة " عدن " .

ومنه المعدن المستقر الجواهر والفلزات .(١)

ومعادن خبر المبتدأ ، ولا يستقيم عليه إلا بأحد وجهين :

إما أن يكون محمولاً عليه على التشبيه ، كقولك زيد أسد ، فيكون كمعادن الذهب بدلا منه .

وإما أن يكون المعادن مجازاً من التفاوت ، فالمعنى : الناس متفاوتون تفاوتاً مثل تفاوت معادن الذهب والفضة ".

يلاحظ أنه اعتبر مجيء المشبه به خبراً للمشبه هو أحد صور التشبيه المحذوف الأداة ، وأما ذهابه إلى أن المعادن مجاز فلا وجه له ، وهو بعيد عن المعنى المراد .

٣- عن عبد الله بن عمر ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(مَنْ دُعِيَ فلَمْ يُجِبْ فقد عصى اللهَ ورسولَه ، وَمَنْ دخلَ على غيرِ دعوةٍ دخلَ سارقاً وخرجَ مُغيراً)(٢).

قال الطيبي :

" قوله :(دخل سارقاً) هو حال بيان لهيئة الفاعل عند الدخول ، وهو تشبيه لذكر المشبه والمشبه به ، يعني : إن هيئته كهيئة السارق من الدخول بالخفية واستراق النظر ، وعلى هذا قوله (خرج مغيراً) " .

أقول :

يلاحظ أنه اعتبر مجيء المشبه به حالاً هو أحد صور التشبيه المحذوف الأداة .

× × × ×

(١) في المعجم الوسيط ، مادة " عدن " :

" المَعْدِنُ : مكانُ كلِّ شيءٍ فيه أصلُهُ ومركزُهُ ، وموضع استخراجِ الجَوْهَرِ من ذهب ونحوه - والفِلِزُّ في لغة العلم " .

(٢) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٩٦٢) الحديث رقم (٣٢٢٢) .

- المبحث الثالث : " وجه الشبه " -

فيما يلي أبرز آراء الطيبي حول " وجه الشبه " وأبرز ما صنعه هنا :

- يرى الطيبي أن وجه الشبه إذا أضمر (١) عم تناوله ، فيكون أبلغ مما لو صرح به .
- وجه الشبه يكون صفة أو صفات معينة ، ولا يراد جميع الصفات بالضرورة .
- أظهر أكثر من وجه في بعض التشبيهات .
- وازن بين وجوه الشبه في بعض التشبيهات ، وفاضل بينها .
- تحدث عن الغرابة في وجه الشبه .
- معظم التشبيهات النبوية محذوفة الوجوه ، مما جعل الطيبي يعنى بذكر وجوه الشبه المحذوفة في أكثر التشبيهات النبوية .

وسنتناول هذه الأمور بالتفصيل .

× × × ×

---

(١) الإضمار : الحذف .

ينظر : ص (٧٦) الهامش (٧) من هذه الرسالة .

أولاً : موقفه من حذف الوجه :

- عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(يدخل الجنةَ أقوامٌ أفئدتُهم مثلُ أفئدةِ الطير)(١).

يبين الطيبي ما ذهب إليه العلماء في بيان وجه الشبه هنا فيقول :
" قال النووي : قيل مثلها في رقتها ، كما ورد (أهل اليمن أرق قلوباً وأضعف أفئدة) وقيل في الخوف والهيبة والطير أكثر الحيوان خوفاً وفزعاً ، قال تعالى : (إنما يخشى اللهَ من عبادِهِ العلماءُ)(٢) . وقيل : المراد متوكلون ، كما ورد : (لو أنكم تتوكلونَ على اللهِ حقَّ توكلهِ لرزقَكم كما يرزقُ الطيرَ تغدو خِماصاً وتروح بطاناً)(٣).

وبعد نقله لكلام النووي يرى أن المراد جميع الصفات السابقة وهي : الرقة والخوف والتوكل ، وذلك لأن الوجه مضمر هنا بقصد التعميم لذلك يعقب بقوله :
" قد تقرر في علم البيان أن وجه التشبيه إذا أضمر عم تناوله فيكون أبلغ مما لو صرح به ، فينبغي أن يحمل على المذكورات كلها ، ومن ثمة خص الفؤاد بالذكر دون القلب . قال الراغب : الفؤادُ كالقلبِ ، لكنْ يقالُ له فؤادٌ إذا اعْتُبِرَ فيه معنى التَّفَؤُّدِ أي التَّوَقُّدِ ، يقال : فَأَدْتُ اللحمَ : شَوَيْتُهُ ، ولَحْمٌ فَئِيدٌ : مشوي ، قال تعالى :(ما كذبَ الفؤادُ ما رأى)(٤) . . " .

---

(١) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٦٥) الحديث رقم (٥٦٢٥) .
(٢) سورة فاطر ، الآية :(٢٨) .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٧ ، ص (١٧٧) ولم يورد الحديث الثاني وهو في المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٥٨) الحديث رقم :(٥٢٩٩) . ورواه الترمذي وابن ماجه عن عمر .
(٤) سورة النجم ، الآية :(١١) .
ينظر : المفردات في غريب القرآن ، مادة (فأد) .

أقول :

إن حذفَ الوجهِ يوهم العمومَ ولا يعم ، فليس المراد إلا صفات معينة مشتركة بين أفئدة الأقوام وأفئدة الطير ، ولو أريد العموم لأدى ذلك إلى المماثلة وإلى تطابق المشبه والمشبه به في كل شيء ، وهذا غير المراد وغير الواقع ، وإنما المراد بعض الصفات لا كلها ، فحذف الوجه يوهم العموم فقط ، ولا يعم تناوله كل شيء ، كما قال الطيبي .

أما كون حذف الوجه أبلغ من ذكره ، فهذا مذهب جمهور البلاغيين .

ثانياً : وجه الشبه يكون في بعض الصفات لا كلها :

هذا ما قرره الطيبي عند الأمثلة التالية :

١- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(مَثَلُ عِلمٍ لا يُنتفعُ به كمثَلِ كنزٍ لا يُنفقُ منه في سبيلِ الله)(١).

قال الطيبي :

" هذا التشبيه على نحو قولهم : النحو في الكلام كالملح في الطعام (٢) ، في الصلاح باستعمالهما ، والفساد بإهمالهما ، لا في القلة والكثرة .
كذلك تشبيه العلم بالكنز وارد في مجرد عدم النفع في الانتفاع والإنفاق منهما لا في أمر آخر ، وكيف لا ، والعلم يزيد بالإنفاق والكنز ينقص ، والعلم باق والكنز فان ؟!
قال شعراً :

فإن المال يفنى عن قريبٍ وإن العلم باق لا يزال " .

٢- عن أبي أُمامَة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(مَنْ خرجَ مِنْ بيتهِ متطهراً إلى صلاةٍ مكتوبةٍ ، فأَجْرُهُ كأجرِ الحاجِّ المحرمِ ، وَمَنْ خرج إلى تسبيح الضُّحى لا يُنصِبُه إلا إيّاهُ فأجرهُ كأجرِ المُعْتَمِرِ)(٣).

قال الطيبي معقباً على هذا الحديث :

" قال التوربشتي : شبه حال المتطهر الخارج من بيته للصلاة بحال الحاج المحرم من حيث أنه يستوفي أجره من لدن خروجه من بيته إلى أن يرجع اليه ، كالحاج المحرم فإنه يستوفي أجره من حيث يخرج من بيته إلى أن يرجع ، وذلك مثل قولنا : فلان كالأسد ، فلا يقتضي تشبيهه به من سائر الوجوه ، بل يحمل على الشجاعة ، فكذلك

---

(١) رواه أحمد والدارمي ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٩٢) الحديث رقم :(٢٨٠) .
(٢) من أمثلة عبد القاهر في (أسرار البلاغة) ، ص (٦٥) ، والفخر الرازي في (نهاية الإيجاز) ، ص (٩٩) ، والسكاكي في (مفتاح العلوم) ، ص (١٦١) ، والخطيب القزويني في (التلخيص) ، ص (٢٤٨) ، و(الايضاح) ، ج ٢ ، ص (٣٤٠) . ومحمد بن علي الجرجاني في (الإشارات والتنبيهات) ، ص (١٧٧) . ووجه الشبه الذي ذكره الطيبي هو خلاصة ما ذهبوا اليه .
(٣) من حديث رواه أحمد وأبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٢٢٧) الحديث رقم (٧٢٨) .

الأجران لا يقتضيان المشاركة من سائر الوجوه " .

وقال في قوله :(فأجره كأجر المعتمر):" إشارة إلى أن نسبة ثواب الخروج للنافلة من الصلوات إلى الخروج لفرائضها مثل نسبة ثواب الخروج للعمرة إلى الخروج للحج ".

٣- عن سعد ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(لا يكيدُ أهلَ المدينةِ أحدٌ إلا انماعَ كما ينماعُ الملحُ في الماءِ)(١).

قال الطيبي :

قوله :(كما ينماع) ، قال في النهاية :" أي يذوب ويجري ، ماعَ الشيءُ يميعُ وانْمَاعَ إذا ذابَ وسالَ "(٢).

وعقب على ذلك الطيبي بقوله :

" أقول : وفيه معنى قوله تعالى :(ولا يَحِيقُ المكرُ السيِّئُ إلا بأهلِهِ)(٣). شبه أهل المدينة مع وفور علمهم وصفاء قريحتهم بالماء ، وشبه من يريد الكيد بهم بالملح ، لأن نكاية كيدهم لما كانت راجعة إليهم شبهوا بالملح الذي يريد إفساد الماء فيذوب هو بنفسه .

فان قلت : يلزم على هذا كدورة أهل المدينة بسبب إفنائهم ؟

قلت : المراد مجرد الإفناء ولا يلزم من وجه التشبيه ، أن يكون شاملاً جميع أوصاف المشبه به ، نحوه قولهم :(النحو في الكلام كالملح في الطعام)(٤) " .

---

(١) متفق عليه ، ينظر المشكاة ، ج ٢ ، ص (٨٣٨) الحديث رقم (٢٧٤٣) .

(٢) النهاية ، ج ٤ ، ص (٣٨١) .

أقول : وفي كلمة انماع استعارة ، والمراد أنه ينمحق كيده ويضمحل أمره فيكون كالهباء ، ينظر :(المجازات النبوية) للشريف الرضي ، ص (٢٢٢) .

(٣) سورة فاطر ، الآية (٤٣) .

(٤) تقدم ص (٨٥) من هذه الرسالة .

٤- عن ابن عباس ، قال : (يكونُ قومٌ في آخرِ الزمانِ ، يخضبونَ بهذا السوادِ كحواصلِ الحمامِ ، لا يجدونَ رائحةَ الجنة)(١).

قال الطيبي مبيناً سر تشبيه الخضاب بالسواد بحواصل الحمام :

" التشبيه بالحواصل لأجل أنه لا يشوبه شيء من لون آخر ، ونحوه في التشبيه قول ابن المعتز :

وكأنَّ البرقَ مُصْحَفُ قارٍ   فانطباقاً مرةً وانفتاحاً (٢)

لم ينظر إلى شيء من أوصاف المشبه والمشبه به سوى الهيئة من انبساطٍ غِبَّ انقباض " .

أقول : بيت ابن المعتز السابق ذكره عبد القاهر وقال :

" لم ينظر من جميع أوصاف البرق ومعانيه إلا إلى الهيئة التي تجدها العين له من انبساطٍ يعقُبه انقباضٌ ، وانتشارٍ يتلوه انضمامٌ ، ثم فكر في نفسه عن هيئات الحركات لينظر أيها أشبه بها ، فأصاب ذلك فيما يفعله القارئ من الحركة الخاصة في المصحف إذا جعل يفتحه مرة ويطبقه أخرى ، ولم يكن إعجاب هذا التشبيه لك وإيناسه إياك لأن الشيئين مختلفان في الجنس أَشَدَّ الاختلاف فقط ، بل لأن حَصَلَ بإزاء الاختلاف اتفاقٌ كأحسن ما يكون وأتمه ، فبمجموع الأمرين - شدة ائتلاف في شدة اختلاف - حلا وحسُن وراق وفتن ." (٣)

ويلاحظ أن عبارة الطيبي قريبة من عبارة الشيخ عبد القاهر ، فلا يبعد أن يكون قد تأثر به ونقل عنه وإن لم يصرح بذلك .

والخلاصة : أن ما ذهب إليه الطيبي من أن وجه الشبه يكون في بعض الصفات لا كلها هو أمر أشار إليه عددٌ من العلماء قبله .

---

(١) رواه ابو داود والنسائي ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٢٦٥) الحديث رقم (٤٤٥٢) .

(٢) ديوانه ، ص (١٣٢) وأول البيت فيه :" فكأن " وقد ورد في عدد من كتب البلاغة منها : نهاية الإيجاز ، للرازي ، ص (١٠٥)
و التلخيص ، للخطيب القزويني ص (٢٥٨) والإيضاح ، ج ٢ ، ص (٣٤٨)
والطراز ، للعلوي ، ج ١ ، ص (٢٨٤) ، و معاهد التنصيص ، للعباسي ، ج٢ ، ص (٣٤) .

(٣) أسرار البلاغة ، ص (١٤٠) .

ثالثاً : إظهار أكثر من وجه في بعض التشبيهات :

١- عن عمار ، قال : سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :(إنَّ طولَ صلاةِ الرجلِ وقِصَرَ خُطبتهِ ، مَئِنَّةٌ[١] من فِقهِه ، فأطيلوا الصلاةَ واقصروا الخطبةَ ، وإن من البيانِ سِحْراً)[٢].

قال الطيبي مبيناً وجه الشبه بين البيان والسحر ما يلي :

« قوله (وإن من البيان سحراً) الجملة حال من (اقصروا) أي : اقصروا الخطبة وأنتم تأتون بها معاني جمة في ألفاظ يسيرة ، وهو من أعلى طبقات البيان ، ولذلك قال صلوات الله وسلامه عليه :(أُوتيتُ جوامعَ الكَلِمِ)[٣]، قال النووي :(قال القاضي عياض فيه تأويلان : أحدهما أنه ذم لإمالة القلوب وصرفها بمقاطع الكلام حتى يكسب آبق الإثمَ به كما يكسب بالسحر ، وأدخله مالك في الموطأ في باب ما يكره من الكلام وهو مذهبه في تأويل الحديث ، والثاني أنه مدحٌ لأن الله تعالى امتن على عباده بتعليمهم البيان ، وشبهه بالسحرِ لميل القلوب إليه وأصل السحر الصرف والبيان ، يصرف القلوب إلى ما يدعو إليه ، وهذا التأويل الثاني هو الصحيح المختار)[٤]» .

لكن الطيبي يعود إلى نفس التشبيه في الحديث الآتي ويقرر رأياً آخر .

٢- عن ابن عمر ، قال : قدم رجلانِ من المشرقِ فخطبا ، فعَجِبَ الناسُ لبيانِهما ، فقال

---

(١) أي علامة .

(٢) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٤٢) الحديث رقم (١٤٠٦) .

(٣) هو في المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٦٠١) الحديث رقم : (٥٧٤٨) وقد رواه مسلم عن أبي هريرة ، وهو بلفظ : « أُعْطِيتُ » وفي رواية للشيخين عن أبي هريرة :(بُعثتُ بجوامعِ الكَلِمِ) ينظر : الحديث رقم (٥٧٤٩) ، ص (١٦٠٢) .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٦ ، ص (١٥٨ - ١٥٩) .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(إنّ منَ البيانِ لسحراً)(١).

قال الطيبي :

" وجه التشبيه يتغير إرادة المدح والذم .

قال في شرح السنة : اختلفوا في تأويله ، فمنهم من حمله على الذمّ ، وذلك أنه ذمَّ التصنعَ في الكلامِ والتكلف لتحسينه ليروقَ للسامعينَ قولُهُ ويستميل به قلوبهم، وأصل السحر في كلامهم الصرْفُ ، وسمي السّحْرُ سِحْراً لأنه مصروف عن جهته ، فهذا المتكلمُ يصرفُ قلوبَ السامعينَ إلى قبول قوله وإنْ كان غيرَ حقٍ ، والمرادُ من صرف الكلام : فضله ، وما يتكلف الإنسانُ من الزيادة فيه من وراء الحاجة قد يدخلهُ الرياءُ ويخالطهُ الكذبُ ، وأيضاً فإنه قد يختل الشيءُ عن ظاهرِ ببيانه ويزيله عن موضعه بلسانه . وقيل : أراد التلبيس عليهم فيصير بمنزلة السِّحر الذي هو تخييلٌ بما لا حقيقةَ له .

وقيل : أراد به أنّ من البيان ما يَكتسب به صاحبه من الإثم ما يكتسب الساحر بسحره .

وقيل معناه : الرجلُ يكون عليه الحقُ وهو ألحنُ بحجته من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه ، فيذهب بالحق ، شاهده قول النبي :(إنكم تختصمونَ إليَّ ولعل بعضكم أن يكونَ ألحنَ بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع ، فمن قضيتُ له بشيءٍ من حقِ أخيه فلا يأخذ نه) الحديث .

وذهب آخرون إلى أن المرادَ منه مدحُ البيان والحثُّ على تحسينِ الكلامِ وتحبيرِ الألفاظِ

---

(١) رواه البخاري ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٥٠) ، الحديث رقم (٤٧٨٣) وقد أورده الشريف الرضي في كتابه " المجازات النبوية " ص (٨٩) وقال " وهذا القول مجاز " .

لأن إحدى القرينتين وهي قوله : (إن من الشعر حُكْماً)(١) على طريقة المدح ، فكذلك القرينة الأخرى .

وروى عن عمر بن عبد العزيز ، أن رجلاً طلب إليه حاجة كان يتعذر عليه إسعافه بها ، فاستمال قلبهُ بالكلام فأنجزها له ثم قال : هذا هو السحرُ الحلال "(٢)

وبعد هذا النقل الطويل ... يناقش الطيبي رأي من قال إن الحديث أراد مدح البيان والحث على تحسين الكلام ، فيبرز رأياً جديداً في القرينة التي استند إليها من قال بالمدح مطلقاً فيقول :

" أقول : يمكن أن يجاب عن التمسك بقوله لأن أحد القرينتين وهو قوله :(إن من الشعر حُكْماً) الخ ... بأن يقال : إنه رد لمن زعم أن الشعر كله مذموم قبيح يشهد لذلك التوكيد بإنّ واللام ، ولذلك صان الله رسوله - صلوات الله عليه - عن ذلك ، والنثر كله حسن محمود ، فقيل له : إن بعض البيان كالسحر في الباطل ، وبعض الشعر كالحكمة في أنه حق ، يدل عليه قوله عن الشعر : (هو كلام فحسنهُ حسنٌ وقبيحه قبيحٌ)(٣)" .

ثم يقرر الطيبي بعد التبيان السابق ما يراه حقاً في نظره فيقول :

" والحق أن الكلامَ ذو وجهين ، يختلف بحسب المغزى والمقاصد ، لأنه مورد المثل على ما رواه الشيخ التوربشتي ، وقال الميداني : يضرب هذا المثل في استحسان المنطق وإيراد الحجة البالغة "(٤) انتهى .

---

(١) يريد ما رواه أبو داود عن بُريدة ، أنه عليه السلام قال :(إن منَ البيانِ سِحْراً وإن من العلمِ جهلاً ، وإن من الشعر حُكْماً ...) والحديث في المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٥٤) ورقمه (٤٨٠٤) .

(٢) شرح السنة للبغوى ، ج ١٢ ، ص (٣٦٣ - ٣٦٥) .

(٣) رواه الدارقطني عن عائشة ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٥٥) الحديث رقم (٤٨٠٧) .

(٤) ينظر : مجمع الأمثال للميداني ، ج ١ ، ص (٧) وقد استشهد الطيبي بكلام الميداني ليثبت أن الحديث موضع المثل فقط . وإلا فالميداني يرى أن هذا المثل يضرب لاستحسان المنطق ، والطيبي يرى أنه يجوز أن يضرب لذم البيان أيضاً .

ويلاحظ أن الطيبي عدل رأيه في الحديث الثاني ، ففي الأول ارتضى ترجيح النووي،وفي الثاني قرر أن الكلام ذو وجهين ، وأعتقد أن موقفه الثاني هو الصواب ، فلا يمكن مدح البيان مطلقاً لأنه بيان حتى لو كان البيان زخرفاً من القول وزوراً ، ولا يمكن ذمه مطلقاً وهو من أجل نعم الله على الإنسان ، وإنما يمدح أو يذم بحسب الموضوع والهدف منه .

٣- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - قال : (يحشر المتكبرون أمثالَ الذرِّ يومَ القيامةِ ، في صورِ الرجال ، يغشاهم الذلُّ من كل مكان ..)(١)

يشرح الطيبي كلمة الذر فيقول :

" قوله (أمثال الذر) ، قال في النهاية : الذر النمل الأحمر الصغير واحدتها ذَرَّة ، وقيل يراد بها ما يرى من شعاع الشمس الداخل في النافذة "(٢).

ثم ينقل أقوال العلماء في هذا التشبيه فيقول :

" قال التوربشتي : يحمل ذلك على المجاز دون الحقيقة ، أي أذلاء مهانين تطأهم الناسُ بأرجلهم ، وإنما منعنا عن القول بظاهره ، ما أخبرنا به الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم - أن الاجساد تعاد على ما كانت عليه من الأجزاء حتى إنهم يحشرون غُرْلاً يعاد فيهم ما انفصل عنهم من القُلْفَة ، وإلى هذا المعنى أشار بقوله - صلى الله عليه وسلم -(يغشاهم الذل من كل مكان) (٣).

وقال الأشرف : إنما قال (في صورة الرجال) بعد قوله (أمثال الذر) قطعاً منه على حمل قوله (أمثال الذر) على الحقيقة ، ودفعاً لوهم من يتوهم أن المتكبر لا يحشر

---

(١) من حديث رواه الترمذي ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤١٤) الحديث رقم (٥١١٢).

(٢) النهاية ، ج ٢ ، ص (١٥٧) .

(٣) ينظر : المرقاة ، ج ٩ ، ص (٣١٠) .

في صورة الإنسان ، وتحقيقاً لإعادة الأجساد المعدومة على ما كانت عليه من الأجزاء .(١)

وقال المظهر : يعني صورهم صور الإنسان وجثثهم كجثة الذر "(٢)

ثم يبين رأيه في وجه الشبه في هذا الحديث فيقول :

" أقول لفظ الحديث يساعد على هذا ، لأن قوله :(أمثال الذر) تشبيه لهم بالذر ، ولا بد من بيان وجه التشبيه ، لأنه يحتمل أن يكون وجه التشبيه الصغر في الجثة ، وأن يكون الحقارة والصغار ، فقوله :(في صور الرجال) بيان للوجه ودفع لوهم من يتوهم خلافه ، وأما قوله :(إن الأجساد تعاد على ما كانت عليه من الأجزاء) فليس فيه أنه لا تعاد تلك الأجزاء الأصلية في مثل الذر لأنه تعالى قادر عليه . وعلى هذا الحقارة ملزوم هذا التركيب ، فلا ينافي إرادة الجثة مع الحقارة " انتهى .

أقول : لقد حاول الطيبي التوفيق بين آراء العلماء التي ذكرها ، ولذلك أظهر أكثر من وجه للشبه ، إذ يجوز عنده أن يكون وجه الشبه الصغر في الجثة مع إرادة التحقير وهذا موقف سليم جمع فيه بين آراء العلماء المختلفة .

× × × ×

---

(١) ينظر : المرقاة ، ج ٩ ، ص(٣١٠).

(٢) ينظر : المصدر السابق في الجزء نفسه ، والصفحة نفسها .

رابعاً : المفاضلة بين وجوه الشبه :

يقارن الطيبي بين أوجه الشبه ويفضل ما هو أكمل وأجمل كما يلاحظ عند المثالين التاليين :

١- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(إن أولَ زُمرةٍ يدخلونَ الجنةَ على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ ، ثم الذين يلونَهم كأشدِّ كوكبٍ دُريٍّ في السماء إضاءةً ...)(١).

قال الطيبي مبيناً الفرق بين الزمرة الثانية ممن يدخلون الجنة والزمرة الأولى :
" قوله :(كأشد كوكب دري) أفرد المضاف اليه ليفيد الاستغراق (٢) في هذا النوع من الكوكب ، يعني إذا تقصيت كوكباً كوكباً رأيتهم كأشده اضاءة .
فإن قلت : ما الفرق بين هذا التركيب والتركيب السابق ؟
قلت : كلاهما تشبيهان ، إلا أن الوجه في الثاني هو الإضاءة فقط ، وفي الأول الهيئة والحسن والضوء ، كما إذا قلت : (إن زيداً ليس بإنسان ، بل هو في صورة الأسد وهيئته وجرأته) وهذا التشبيه قريب من الاستعارة المكنية .
والكوكب الدري هو شديد الإنارة(٣) نسب إلى الدر وشبه صفاءه بصفائه " انتهى .

٢- عن جابر بن سمرة ، قال في صفة النبي صلى الله عليه وسلم :
(... وكان كثيرَ شعر اللحية ، فقال رجل : وجهه مثل السيف ؟ قال : لا، بل كان مثلَ الشمسِ والقمر ، وكان مستديراً ...)(٤).

---

(١) من حديث متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٦٣- ١٥٦٤) الحديث (٥٦١٩).
(٢) الاستغراق : الاسْتِيعابُ . ينظر : الصحاح ، مادة (غرق) .
(٣) في الصحاح :(الكوكب الدرى : الثاقب المضيء ، نسب إلى الدر لبياضه) ينظر: مادة (درر) .
(٤) من حديث رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٦٠٩) الحديث رقم (٥٧٧٩).

قال الطيبي مبيناً الفرق بين تشبيه وجه النبي عليه السلام بالسيف أو بالشمس والقمر :

" قوله :(لا.بل كان مثل الشمس ...) رده الراوي رداً بليغاً حيث شبهه بالسيف الصقيل، ولما لم يكن الوجه شاملاً للطرفين ، قاصراً عن إتمام المراد من الاستدارة والإشراق الكامل والملاحة ، قال : لا بل (كان مثل الشمس)في نهاية الاشراق ، (والقمر) في الحسن والملاحة .

وحين جرى التعارف في تمثيل الشمس بالإشراق ، والقمر في الحسن دون الاستدارة ،أتى بقوله :(وكان مستديراً) شاملاً للمراد منهما " انتهى .

أقول :

إن التشبيه بالشمس والقمر شائع في لغة العرب ، والظاهر من كلام أكثر العلماء عدم التفريق بينهما في الحسن والجمال ، ومنهم من فرق مثل الشيخ عبد القاهر .

وفيما يلي بعض أقوالهم :

- قال الجاحظ :" وقد يشبه الشعراء والعلماء والبلغاء الإنسانَ بالقمر والشمس ، والغيث والبحر ، وبالأسد والسيف "(١).

- وقال المبرد : " والعرب تشبه المرأة بالشمس والقمر "(٢).

- وذكر ابن طباطبا من تشبيه الشيء بالشيء معنى لا صورة :
" تشبيه الجميل الباهر الحسن الرواء بالشمس "(٣).

- وذكر أبو هلال العسكري أن :" الطريقة المسلوكة في التشبيه والنهج القاصد في التمثيل عند القدماء والمحدثين ، فتشبيه الجواد بالبحر والمطر ، والشجاع

---

(١) الحيوان ، ج ١ ، ص (٢١١) .
(٢) الكامل ، ج ٢ ، ص (٥٥) .
(٣) عيار الشعر ، ص (٢٦) .

بالأسد ، والحسن بالشمس والقمر "(١).

- ويرى الشيخ عبد القاهر أن القمر " هو الأصل والمثل ، وعليه الاعتماد والمعول في تحسين كل حَسَن ، وتزيين كل مزين ، وأول ما يقع في النفوس إذا أُريد المبالغة في الوصف بالجمال ، والبلوغ فيه غايةَ الكمال ، فيقال : وجهٌ كأنه القمر ، وكأنه فِلقة القمر "(٢).

ولم أجد فيما يعتمد عليه من كلام أهل العلم ما يوافق ما ذهب إليه الطيبي من أن المتعارف عليه تمثيل الشمس بالإشراق والقمر بالحسن ، فربما كان كلامه اجتهاداً منه بيد أنه يحتاج إلى إثبات .

× × × ×

---

(١) الصناعتين ، ص (٢٦٥) .
(٢) أسرار البلاغة ، ص (٣٢٠) .

خامساً : الغرابة في وجه الشبه :

في الحديث النبوي بعض التشبيهات الغريبة أشار الطيبي إلى نموذجين منها وهما :

١- عن أبي أمامة ، قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (اقرؤوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرؤوا الزهراوين[٢] البقرةَ وسورةَ آلِ عمرانَ ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتانِ أو غيايتان[٣] أو فِرقانِ من طيرٍ صوافَّ تُحاجانِ عن أصحابهما ...)[٤]

في هذا الحديث يبين الطيبي تفاوت المشبهات فيقول :

" أو في الحديث للتنويع لا لشك الراوي[٥]، لا تساق الروايات كلها على هذا الوجه

---

(١) الإيضاح ، ج ٢ ، ص (٣٧٧) .

(٢) في المرقاة :(الزهراوين : تثنية الزهراء ، تأنيث الأزهر ، وهو المضيء الشديد الضوء).

(٣) في المرقاة :(ما يكون أدونَ منهما في الكثافة وأقرب إلى رأس صاحبهما ، كما يفعل بالملوك ، فيحصل عنده الظل والضوء جميعاً) ينظر : ج ٤ ، ص (٣٤٢)
وفي المعجم الوسيط، مادة (أغيا) :
(الغياية كل ما أظل الانسان فوق رأسه كالسحابة والغبرة والظل ونحو ذلك)

(٤) من حديث رواه مسلم ، ينظر: المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٥٤) الحديث رقم:(٢١٢٠) .

(٥) قال ابن هشام في " مغني اللبيب " ، ج ١ ، ص (٩٥) : (" التحقيق أن (أو)موضوعة لأحد الشيئين أو الأشياء ، وهو الذي يقوله المتقدمون ، وقد تخرج إلى معنى بل ، وإلى معنى الواو ، وأما بقية المعاني فمستفادة من غيرها) .

قالوا : الأول يقرأهما ولا يفهم معناهما ، والثاني من وفق للجمع بين تلاوة اللفظ ودراية المعنى ، والثالث لمن ضم إليهما تعليم المستعدين وبيان حقائقهما لهم لاجرم تتمثل له يوم القيامة مساعيه طيوراً صواف يحرسونه ويُحاجونَ عنه "

ويعقب الطيبي بعد ذلك مبيناً تفاوت المشبه بها فيقول :

" وإذا تحقق التفاوت في المشبهات يلزم التفاوت في المُشَبهِ بها ، فالتظليل بالغمامةِ دون التظليلِ بالغياية ، فإن الأول عام في كل واحد ، والثاني يختص بمثل الملوك ، والثالث مختص بمن دعا بقوله :

(وَهَبْ لي مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بَعدي)(١) " .

بعد ذلك يتحدث عن الغرابة في هذا التشبيه فيقول :

" ثم في هذا التشبيه من الغرابة أنه شبههما أولاً بالنيرين في الإشراق وسطوع النور ، وثانياً بالغمامة والغياية بما ينبئ عما يخالف النور من الظل والسواد كما في الحديث الذي يلي هذا الحديث (أو ظُلتان سودَاوان)(٢) فآذن بهما أن تَيْنَكَ المظلتين على غير ما عليه المظلة المتعارفة في الدنيا ، فإنها وإن كانت لدفع كرب الحر عن صاحبها ولتكرمته ، ولكن لم تخل عن نوع كدورة وشائبة أو نصب ، وتلك رزقنا الله منها مبرأة عن ذلك كالنيِّرين في النور والإشراق مسلوبتي الحرارة والكرب .

---

(١) سورة ص ، الآية :(٣٥) .

(٢) وهو حديث رواه مسلم عن النواس بن سمعان ، ونصه :

(يؤتى بالقرآن يوم القيامةِ وأهلهِ الذين كانوا يعملونَ به ، تقدمه سورةُ البقرة وآلُ عمرانَ ، كأنهما غمامتانِ أو ظُلَّتانِ سودَاوانِ بينهما شَرقٌ ، أو كأنهما فِرْقانِ من طيرٍ صوافَّ تُحاجَّانِ عن صاحبهما) .

ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٥٤) الحديث رقم : (٢١٢١) .

وآذن بالتشبيه الثالث أنهما مع كونهما مشرقتين مشبهتان بمظلة نبي الله ، ثم بولغ فيه وزيد (تحاجان) لينبه على أن ذينك الفريقين على غير ما عليه طير نبي الله من كونهما حاميتين صاحبهما عما يسوءه .

شبههما أولاً بالنيرين لينبه على أن مكانيهما مما عداهما مكان القمرين بين سائر النجوم فيما يتشعب منهما لذوي الأبصار ، ثم أوقع قوله (البقرة وسورة آل عمران) بدلاً منهما مبالغة في الكشف والبيان ، (كما تقول : هل أدلك على الأكرم والأفضل فلان ، وهو أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك : هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل لأنك ثنيتَ ذكره مجملاً أولاً ، ومفصلاً ثانياً ، وأوقعتَ البقرةَ وآلَ عمرانَ تفسيراً وإيضاحاً للزهراوين فجعلتهما عَلَمَيْنِ في الإشراقِ والإضاءة)"[1].

ويعتبر الطيبي التشبيه المبين أقوى من الاستعارة التي ليس فيها بيان فيقول :

" ثم إن هذا البيان أخرج الزهراوين من الاستعارة إلى التشبيه ، كقوله تعالى : (حتى يتبينَ لكُمُ الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجرِ)[2] وهو مع كونه تشبيهاً[3] أبلغ من الاستعارة[4] لادعاء أنه مفسر مبين للمبهم " انتهى .

---

(١) كلامه هنا مستوحى من الكشاف مع تصرف بالعبارات ، ينظر : ج ١ ، ص (١٦) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٨٧) .

(٣) إلى هذا ذهب الزمخشري في (الكشاف) ج ١ ، ص (٢٣١) ، والسكاكي في (مفتاح العلوم) ص (١٦٨) .

(٤) قال الزمخشري (.. من شرط المستعار أن يدل عليه الحال أو الكلام ، ولو لم يذكر (من الفجر) لم يعلم أن الخيطين مستعاران ، فزيد (من الفجر) فكان تشبيهاً بليغاً وخرج من أن يكون استعارة).وكأن الطيبي نظر إلى كلام الزمخشري هنا ، فاستنبط منه أن التشبيه المبين أبلغ من الاستعارة التي ليس فيها بيان .

٢- عن أنس، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (مثلُ أمتي مثلُ المطر، لا يُدرى أولُه خيرٌ أم آخرهُ)(١)

قال الطيبي :

« أقول: تمثيل الأمة بالمطر إنما يكون بالهدى والعلم، كما أن تمثيله صلوات الله عليه الغيث بالهدى والعلم (٢)، فتختص هذه الأمة المشبهة بالمطر بالعلماء الكاملين منهم، والمكملين لغيرهم، فيستدعي هذا التفسير أن يراد بالخير النفع، فلا يلزم من هذا المساواة في الأفضلية، ولو ذهب إلى الخيرية، فالمراد وصف الأمة قاطبة سابقها ولاحقها، أولها وآخرها بالخيرية، وأنها ملتحمة بعضها مع بعض مرصوصة كالبنيان، مفرغة كالحلقة التي لا يدرى أين طرفاها، على منوال قوله (المر تلكَ آياتُ الكتابِ والذي أُنزلَ إليكَ من ربكَ الحقُّ)(٣) قال في الكشاف: أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في آياتها، ثم قال: (والذي أنزل إليك) من القرآن كله هو (الحق) الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها، وفي أسلوب هذا الكلام قول الأنمارية: هم كالحلْقةِ المفرغةِ لا يُدرى أينَ طرفاها (٤)، تريد الكملة (٥). ويلمح إلى هذا المعنى قول الشاعر :

إن الخيار من القبائل واحد   وبنو حنيفة كلهم أخيار » .

أقول: هذا التشبيه لا يخلو وجه الشبه فيه من غرابة، وهو محتاج إلى تأمل دقيق وبحث عميق، وفي استشهاد الطيبي بقول الأنمارية إشارة إلى الغرابة في وجه

---

(١) رواه الترمذي، ينظر: المشكاة، ج ٣، ص (١٧٧٠)، الحديث رقم (٦٢٧٧).

(٢) وذلك في حديث أبي موسى، عنه عليه السلام قال: (مثل ما بعثني اللهُ به من الهدى والعلم كمثلِ الغيثِ الكثيرِ أصاب أرضاً ..) وقد تقدم تخريجه ص (٤٠) من الرسالة

(٣) سورة الرعد، الآية (١).

(٤) هذا القول نسبه عبد القاهر إلى كعب الأشقرى في وصف بني المهلب، ينظر: أسرار البلاغة، ص (٨٤). والأنمارية هي: فاطمة بنت خرشب، وقد سئلت عن بنيها أيهم أفضل؟ فقالت: هم ...

(٥) ج ٢، ص (٥١١).

الشبه ، وليس معنى الخير هو ما يتبادر للذهن من أول وهلة ، بل إن هذه الكلمة لتمتد وتتسع حتى تملأ الآفاق ، فهي شاملة لكل معاني البر والفضل والإحسان في هذا الوجود ، وقوله : (لا يدرى أوله خير أم آخره) لا ينفي أفضلية أوائل الأمة قال النووي وقد أورد الحديث بطريق آخر بلفظ : (مثل أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره) : " هو حديث ضعيف ، ولو صح لكان معناه أن هذا يقع بعد نزول عيسى - عليه السلام - حين تظهر البركة ويكثر الخير ، ويظهر الدين بحيث يتشكك الرائي هل هؤلاء أفضل من أوائل الأمة أم الأوائل أفضل ، وهذا فيما يظهر للرائي ، وإلا فأول الأمة أفضل في نفس الأمر ... "(١).

× × × ×

---

(١) فتاوى الإمام النووي ، ص (٢٨١- ٢٨٢) .

سادساً : تبيان وجه الشبه :

تبيان وجه الشبه وإبرازه في الحديث النبوي عمل بلاغي وديني عظيم . فهو بلاغي لأنه - صلى الله عليه وسلم - سيد البلغاء ، وهو عمل ديني لأنه ما لم يفهم وجه الشبه لم يفهم التشبيه ، ومن ثم لم يفهم المراد من كلامه عليه السلام المتضمن لهذا التشبيه ، وحينذاك يبتعد الخيال بمن لا يعرف أسرار العربية عن الطريق المستقيم ، ولا يخفى ما يترتب على ذلك من آثار وأخطار .

وقد بذل الطيبي جهداً ملحوظاً في تبيان الوجه في التشبيهات النبوية ، وفيما يلي بعض الأحاديث النبوية مبيناً فيها وجه الشبه : .

١- عن جابر ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :(الفارُّ من الطاعونِ كالفار من الزَّحفِ ، والصابر فيه له أجرُ شهيد)(١).

قال الطيبي :

" قوله : (كالفار من الزحف) شبهه به في ارتكاب الكبيرة ، قال تعالى :(يا أيها الذينَ آمنوا إذا لقيتمُ الذين كفروا زحفاً فلا تُوَلُّوهُمُ الأدبارَ)(٢).
والزحف : الجيش الدهم الذى يرى لكثرته كأنه يزحف أى يدب دبيباً ، من زحف الصبي إذا دب على استه قليلاً قليلاً ، سمي بالمصدر "(٣) انتهى .

أقول : ذكر العلامة القاري رأياً آخر في وجه الشبه فقال :" شبه به في إبطال أجر الشهادة لا في أنه كبيرة "(٤).

---

(١) رواه أحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٠١) الحديث رقم (١٥٩٧) .
(٢) سورة الأنفال ، الآية (١٥) .
(٣) الكشاف ، ج ٢ ، ص (٢٠٦) ، وتفسير أبي السعود ، ج ٤ ، ص (١٢) .
(٤) المرقاة ، ج ٣ ، ص (٣٨٢) وقد نقله عنه الشيخ محمد إدريس الكاندهلوى ، ينظر : التعليق ، ج ٢ ، ص (٢١١) .

وهذا الرأى هو الأقرب إلى الصواب ، حيث جاء في كتاب أخبار عمر لعلي الطنطاوى وأخيه ناجي مايلي :

"ولما خرج عمر إلى الشام في إحدى قدماته لقيه في سرع (قرب تبوك) أمراء الأجناد أبو عبيدة وأصحابه فأخبروه ان الطاعون وقع في الشام (قال ابن عباس) فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين ، فدعاهم واستشارهم وأخبرهم ان الوباء وقع في أرض الشام فاختلفوا، فقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء ، وقال بعضهم : قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه ، فقال ارتفعوا عني، ثم قال : ادع لي الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم، فقال : ارتفعوا عني ، ثم قال : ادع لي من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان ، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء . فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه . قال أبو عبيدة بن الجراح : أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ..... " (١)

فكيف يكون الفرار كبيرة وقد فعله عمر - رضي الله عنه - ومعه عدد كبير من الصحابة وهم أحرص الناس على اتباع سنة نبيهم - صلى الله تعالى عليه وسلم -!؟.

٢- قال عليه السلام في صفة خروج روح المؤمن :(فتخرجُ تَسِيلُ كما تسيلُ القطرةُ من السِّقَاءِ)(٢). وقال في صفة نزع روح الكافر :(ثم يجيءُ ملكُ الموتِ، حتى يجلسَ عند رأسِهِ ، فيقول : أيتها النفسُ الخبيثةُ اخرجي إلى سخطٍ مِنَ اللهِ) قال :(فَتَفَرَّقُ في جسدِهِ فينتزِعُها كما يُنزعُ السَّفُّودُ من الصُّوفِ المبلولِ)(٣).

قال الطيبي شارحاً التشبيهين ومبيناً لوجه الشبه في كل منهما :

" قوله :(فتفرق) أى :فتفرق الروح من جسده كراهة الخروج إلى ما يسخن عينه من العذاب الأليم ، كما أن روح المؤمن تخرج وتسيل كما تسيل القطرة من السقاء فرحاً

---

(١) ص (٨٠- ٨١) وقد أحال الحديث إلى صحيح البخارى وموطأ مالك . وقد رواه مسلم أيضاً ، ينظر : صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ١٤ ، ص (٢٠٨- ٢١١)

وقد ذكره ابن قيم الجوزية ، في الطب النبوى ، ص (٨٣- ٨٤) .

(٢) و(٣) من حديث رواه أحمد عن البراء بن عازب ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥١٢- ٥١٥) الحديث رقم (١٦٣٠) .

إلى ما تقربه عينه من الكرامة والنعيم ، شبه نزع روح الكافر من أقصى عروقه بحيث تصحبها العروق كما قال في الرواية الأخرى (وتنزع نفسه مع العروق)[١] بنزع السفود ، وهو الحديدة التي يشوى بها اللحم فيبقى معها بقية من المحروق فيستصحب عند الجذب شيئاً من ذلك الصوف مع قوة وشد ، وبعكسه شبه خروج روح المؤمن من جسده بترشيح [٢] الماء وسيلانه من القربة المملوءة ماء مع سهولة ولطف " .

٣- عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(صائمُ رمضانَ في السفرِ كالمفطرِ في الحضرِ)[٣].

قال الطيبي :

" قوله :(كالمفطر في الحضر) شبه الصائم في السفر بالمفطر في الحضر ، في كونهما متساويين في الإباء عن الرخصة في السفر وعن العزيمة في الحضر " .

٤- عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : (إن هذهِ القلوبَ تصدأ كما يصدأُ الحديدُ إذا أصابَهُ الماءُ) قيل : يا رسول الله وما جلاؤها ؟ قال : (كثرةُ ذكرِ الموتِ وتلاوةُ القرآنِ)[٤].

يوضح الطيبي العلاقة بين صدأ القلوب وصدأ الحديد فيقول :

" قوله :(كما يصدأ الحديد) صدأ الحديد وسخه ، شبه القلوب الطاهرة من أَوْضارِ

---

(١) مسند الإمام أحمد ، ج ٤ ، ص (٢٩٦) .

(٢) الترشيح : تنقية الماء ونحوه من المواد العالقة به . ينظر : المعجم الوسيط مادة (رشح) .

(٣) رواه ابن ماجه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٣٠) الحديث رقم (٢٠٢٨) .

(٤) رواه البيهقي في شعب الايمان ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٦٦) الحديث رقم (٢١٦٨) .

الذنوب بالمرآة المجلوة ، وما يكتسبها من الآثام بالصدأ في تكدير الصفاء ، قال الله تعالى :(كلا بَلْ رانَ على قُلُوبِهِمْ ما كانوا يَكْسِبونَ)(١).

أما جلاؤها فيذكر الموت، فإن ذكر هادم اللذات التي حملت الشخص على ارتكاب الفواحش والمعاصي وتصفيتها بتلاوة القرآن ، لأن القلب الخالي عن القراءة كالبيت الضيق الخرب المظلم ، ونور القرآن يشرحه ويوسعه وينوره، قال الله تعالى :(فمنْ يُرِدِ اللهُ أن يهديَهُ يشرحْ صَدْرَهُ للإسلامِ ، ومن يردْ أن يُضِلَّهُ يجعلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً)(٢)".

٥- عن عُقبةَ بن عامر ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(الجاهرُ بالقرآنِ كالجاهرِ بالصَّدقةِ ، والمُسِرُّ بالقرآنِ كالمُسرِّ بالصدقة)(٣).

قال الطيبي :

" شبه القرآن جهراً وسراً بالصدقة جهراً وسراً ، ووجه الشبه أنه جاءت آثار بفضيلة رفع الصوت بالقرآن وآثار بفضيلة الإسرار ، والجمع بينهما أن الإسرار أبعد عن الرياء فهو أفضل في حق من يخاف ذلك ، فإن لم يخفْ فالجهرُ أفضل بشرط أن لا يؤذي غيره من مصلٍ أو نائمٍ أو غيرهما ، ودليلُ فضيلةِ الجهرِ أن العملَ فيه أكثرُ ، ولأنه يتعدى نفعه إلى غيره ، ولأنه يوقظُ قلبَ القارئ ، ويجمع همه إلى الفكرِ ، ويصرف سمعه إليه ، ولأنه يطرد النومَ ، ويزيد في النشاطِ ، ويوقظ غيره من نائمٍ وغافلٍ وينشطه ، فمتى حضره شيءٌ من هذه النيات فالجهر أفضل " انتهى .

أقول :

لم يوضح الطيبي الوجه بين القرآن والصدقة ، حيث جاءت آثار بفضيلة الجهر بالصدقة وأخرى بفضيلة الإسرار ، ولعل الجهر يكون أفضل إذا كان فيه تشجيع على البذل

---

(١) سورة المطففين ، الآية (١٤) .
(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٢٥) .
(٣) رواه الترمذي وأبو داود والنسائي ، وقال الترمذي:هذا حديث حسن غريب ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٧٤) الحديث رقم (٢٢٠٢) .

والعطاء ، لاسيما في أوقات العسر والحرب ، حيث يشح الناس بالعطاء ، ويتزودون بالسلع الضرورية ، ويشيع الاحتكار ، ويعم الغلاء ، فإذا تصدق من وهبه اللهُ نعمةَ المال وفضيلةَ الكرمِ ، يكون قدوةً لغيرهِ كي يسارعَ في البذلِ والعطاء احتساباً لله عز وجل .

والسر أفضل إذا خاف المتصدق على نفسه من الرياء ، أو أراد أن يتصدق على أناس يتعففونَ عن المسألةِ ، فلا بأس أن يوصلَ صدقته إليهم سراً كأن يبعثها مع غلام أو يسلمها لهم ليلاً ، أو نحو ذلك ..

فالوجه في الحديث أن الجهر بالقرآن كالجهر بالصدقة إذا كان المراد تحريض الناس على العمل الصالح ، والإسرار به كالإسرار بالصدقة إذا كان المراد البعد عن الرياء ونحو ذلك .

ومن الآيات القرآنية التي ذكرت الجهر بالصدقة والإسرار بها قوله تعالى :(إن تُبدوا الصدقاتِ فَنِعِمَّا هي وإن تُخفُوها وَتُؤْتُوها الفقراءَ فهوَ خيرٌ لكُمْ وَيُكَفِّرُ عنكم مِن سيئاتكم واللهُ بما تعملونَ خبيرٌ)(١).

قال العلامة الزمخشرى :"(فنعما هي) فنعم شيئاً إبداؤها ... (فهو خير لكم) فالإخفاء خير لكم . والمراد الصدقات المتطوع بها ، فإن الأفضل في الفرائض أن يجاهر بها"(٢) وذكر نحوه أبو السعود (٣).

٦- عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (مثلُ الذي يذكرُ ربَّهُ ، والذى لا يذكرُ ، مثلُ الحيِّ والميتِ)(٤) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٧١) .

(٢) الكشاف ، ج ١ ، ص (٣١٦) .

(٣) تفسير أبي السعود ، ج ١ ، ص (٢٦٣) .

(٤) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٦٩٨) الحديث رقم (٢٢٦٣) .

وجه الشبه هنا محذوف، فيحدثنا عنه الطيبي قائلاً :

" شبه الذاكر بالحي الذي تزين ظاهره بنور الحياة وإشراقها فيه وبالتصرف التام فيما يريد ، وباطنه منور بنور العلم والفهم والإدراك، كذلك الذاكر مزين ظاهره بنور العمل والطاعة ، وباطنه بنور العلم والمعرفة ... وغير الذاكر عاطل ظاهره وباطل باطنه " .

٧- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(كلُّ خطبةٍ ليسَ فيها تَشَهُّدٌ فهي كاليدِ الجَذْماءِ)(١).

قال الطيبي :

" قوله :(كاليد الجذماء) قال التوربشتي : أي المقطوعة ، والجَذْمُ سرعة القطع ، يعني أن كل خطبة لم يؤت بالثناء فيها على الله تعالى فهي كاليد المقطوعة التي لا فائدة فيها لصاحبها .

وأصل التشهد قولك :" أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله "ويعبر به عن الثناء "(٢).

٨- عن أنس، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :(اسمعوا وأطيعوا وإنِ اسْتُعملَ عليكم عبدٌ حبشيٌّ كأن رأْسَه زبيبةٌ)(٣).

قال الطيبي :

" قوله :(كأن رأسه زبيبة) صفة أخرى لعبد ، شبه رأسه بالزبيبة إما لصغره ، وإما لأن شعرَ رأسه مُقَطَّطٌ كالزبيبة ، تحقيراً لشأنه " .

---

(١) رواه الترمذي ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٩٤٢) الحديث رقم (٣١٥٠) .

(٢) ينظر : المرقاة ، ج ٦ ، ص (٢١٦) .

(٣) رواه البخاري ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٠٨٥) الحديث رقم (٣٦٦٣) .

٩- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(ألا كلُّكُم راعٍ ، وكُلُّكُمْ مسؤولٌ عن رعيَّتِهِ ، فالإمامُ الذي على الناس راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته ، والرجلُ راعٍ على أهل بيته وهو مسؤولٌ عن رعيتِهِ، والمرأةُ راعيةٌ على بيتِ زوجها وولدِهِ وهي مسؤولةٌ عنهم ، وعبدُ الرجلِ راعٍ على مالِ سَيدِهِ وهو مسؤولٌ عنه ، ألا فكلكم راعٍ ، وكلكم مسؤولٌ عن رعيته)(١).

قال الطيبي مبيناً وجه الشبه :

" وجه التشبيه حفظ الشيء ، وحسن التعهد لما استحفظ ، وهو القدر المشترك في التفصيل ، وفيه أن الراعي ليس مطلوباً لذاته ، وإنما أُقيمَ بحفظ ما استرعاه المالكُ ، فعلى السلطانِ حِفظُ الرعيةِ ، فيما يتعين عليه من حفظ شرائعهم ، والذب عنها لكل متصد لإدخال داخلة فيها ، أو تحريف لمعانيها ، أو إهمال حدودهم أو تضييع حقوقهم ، أو ترك حماية من جار عليهم ، ومجاهدة عدوهم ، أو ترك سيرة العدل فيهم ، فينبغي أن لا يتصرف في الرعية إلا باذن الله ورسوله ، ولا يطلب أجره إلا من الله (٢) ، فهو كالراعي ".

ثم عقب مبيناً رأيه بهذا التشبيه :

" وهذا تمثيل لا يرى في الباب ألطف وأجمع ، ولا أبلغ منه ، ولذلك أجمل أولاً ، ثم فصله ثانياً ، ثم أتى بحرف التنبيه مكرراً ، وبالفذلكة (٣) كالخاتمة ".

---

(١) تقدم تخريجه ص (٧٦) من هذه الرسالة .

(٢) يريد بالأجر الثواب ، فالثواب الحقيقي للإمام العادل هو رضوان الله وجنته وهذا لا ينفي أن يكون له أجر من بيت المال طالما سيشتغل بأمور المسلمين . فإن أبا بكر رضي الله عنه وهو أفضل صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان له أجر من بيت المال وعلى هذا سار بقية الخلفاء والولاة .
ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١٠٦) الحديث رقم (٣٧٤٧) .

(٣) الفَذْلَكَةُ : مجمل ما فُصل وخلاصته (محدثة) ينظر : المعجم الوسيط ، ج ٢ ، ص (٦٧٨) مادة : (فَذْلَكَ) .

١٠- عن عبدِ الله بن عمروٍ ، أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (قُفْلَةٌ كغزوةٍ)(١)

ينقل الطيبي عن ابن الأثير وجوهاً في هذا التشبيه فيقول :

« قال في النهاية : هي المرَّة من القُفول وهو الرجوعُ من سفرِه وفيه وجوه :

أحدها : أجرُ المجاهدِ في انصرافه إلى أهله بعد غزْوِه كأجرِه في إقباله إلى الجهاد .

وثانيها : أراد به التَّعْقِيب وهو رُجوعه ثانياً في الوجه الذي جاء منه مُنْصَرِفاً وإن لم يلقَ عدواً ولم يشهدْ قِتالاً .

وثالثها : أن يكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سُئِلَ عن قوم قفلوا لِخَوْفِهم أن يَدْهَمَهُمْ من عَدُوِّهم مَنْ هو أكثرُ عَدَداً منهم ، فَقَفَلُوا ليَسْتَضِيفوا إليهم عدداً آخر من أصحابهم ثم يَكُرّوا على عدوِّهم .

والأول أقومُ ، لأن القفولَ إنما يستعمل في الرجوع عن الوجه الذي ذهب إليه لحاجة إلى حيث توجه منه »(٢).

ثم يعقب الطيبي مبيناً وجه الشبه فيقول :

« أقول : التشبيه إنما يذهب إليه إما لإلحاق الناقص بالكامل ، أو لبيان المساواة. فالتنكير إما للتعظيم فيكون معناه رُبَّ قُفلةٍ تساوى الغزوة لمصلحة ما، كما مر في الوجه الأول ، بل ربما تكون القفلةُ أربحَ من الغزوةِ إذا لم يكنْ في الغزوةِ مصلحة للمسلمين وفي القفلة مصلحة لهم كما مر في الوجه الثالث ، ولا يبعد أن تُستعارَ القفلةُ للكرة » .

---

(١) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١٢٨) الحديث رقم (٣٨٤١) .
(٢) النهاية ، ج ٤ ، ص (٩٣) .

١١- عن أبي هريرة ، أن ناساً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : الكمْأَةُ جُدَرِيُّ الأرض؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - :(الكمأةُ من المنِّ ، وماؤُها شِفاءٌ للعينِ)(١).

قال الطيبي :

"قال في النهاية :شبه الكَمْأَةَ بالجُدَرِيِّ ، وهو الحَبُّ الذي يظهر في جسد الصَّبي ، لظُهورها من بطن الأرض كما يظهر الجُدَرِي من بطن الجِلْدِ وأراد به ذَمَّها .

وقوله (من المن) أي هي مِمَّا مَنَّ اللهُ تعالى على عباده ، وقيل : شَبَّهها بالمَنِّ وهو العَسَلُ الحُلْوُ الذي يَنْزِلُ من السماء صفواً بلا عِلاجٍ ، وكذلك الكَمْأَةُ لا مُؤُونَةَ فيها ببَذْرٍ وسَقْيٍ "(٢) .

وعقب الطيبي على كلام صاحب النهاية بقوله :

" أقول : كأنهم لما ذموها وجعلوها من الفضلات التي تضمن المضرة ، تدفعها الأرضُ إلى ظاهرها كما تدفع الطبيعة الفضلات بالجدري ، قابله - صلى الله عليه وسلم - بالمدح أي ليست من الفضلات بل هي من فضلِ الله وَمَنِّه أنزله على عباده ، وليست مما يتضمن المضرة بل هي شفاءٌ للناس كالمن النازل ، وماؤها شفاء للعين "(٣).

١٢- عن النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (ترى المؤمنينَ في تراحُمِهم وتوادِّهم وتعاطفهم كمثلِ الجسدِ إذا اشتكى عضواً ، تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمَّى)(٤).

---

(١) من حديث رواه الترمذي وقال : وهذا حديث حسن ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٢٨٧-١٢٨٨) الحديث رقم (٤٥٦٩) .

(٢) النهاية ، ج ١ ، ص (٢٤٦) ، وج ٤ ، ص (٣٦٦) .

(٣) ذهب صاحب الطراز ، في ج ١ ، ص (٣١٣) إلى أن الكمأة " مفسدة للأرض كما يفسد الجدري البدن " .

(٤) متفق عليه ، ينظر: المشكاة ، ج٣ ، ص (١٣٨٥) الحديث رقم (٤٩٥٣) .

قال الطيبي :

" قوله :(تداعى) قال في النهاية : كأنَّ بعضَه دُعا بعضاً ، ومنه قولهم : تداعت الحيطانُ ، أي تَسَاقطَتْ أو كادت (١).

ووجه التشبيه هو التوافقُ في المشقةِ والراحةِ ، والنفع والضر " .

١٣- عن عقبة بن عامر ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(من رأى عورةً فسترها كان كمن أحيا موءودة)(٢).

وجه الشبه هنا خفي غامض ، وهذا من التشبيهات الغريبة الجميلة ، وقد بذل الطيبي جهده لتبيان الوجه ، ويبدأ بالنقل عمن سبقه .

يقول الطيبي :

" قال المظهر :-ووجه تشبيه الستر على عيوب الناس بإحياء الموءودة ، أن من انهتكَ ستره يكون من الخجالةِ كميتٍ ويحب الموتَ منها ، فإذا سُتر أحدٌ على عيبهِ فقد دفعَ عنه الخجالةَ التي هي عنده بمنزلةِ الموتِ "(٣).

لكن الطيبي بعد عرضه لكلام المظهر يرى رأياً آخر ، فيقول :

" يمكن أن يقال أن وجه الشبه الأمر العظيم ، يعني من ستر على مسلم فقد ارتكب(٤) أمراً عظيماً كمن أحيا موءودة ، فإنه أمر عظيم فيدل على فخامة تلك الشنعاء ، ونحوه قوله تعالى :(ومن أحياها فكأنما أحيا الناسَ جميعاً)(٥). قال صاحب الكشاف : فيه تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ، ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها ، لأن المتعرض لقتل النفس إذا تصور قتلها بصورة قتل الناس

---

(١) النهاية ، ج ٢ ، ص (١٢١) .

(٢) رواه أحمد والترمذي ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٩٠) الحديث رقم (٤٩٨٤).

(٣) ينظر : المرقاة ، ج ٩ ، ص (٢٣٥) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات ، وفي المرقاة أيضاً ، ولعل الأنسب أن تكون اكتسب .

(٥) سورة المائدة ، الآية (٣٢) .

جميعاً عظم ذلك عليه فثبطه ، وكذلك الذي أراد إحياءها [١] انتهى كلامه .
فكذلك من أراد أن يستر عيب مؤمن وعرضه إذا تصور أنه أحيا الموءودة ، عظم عنده ستر عورة المؤمن ، فيتحرى فيه ويبذل جهده " .

١٤- عن أبي خراش السُّلَمي ، أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :
(مَنْ هَجَرَ أَخاهُ سنةً فهو كَسَفْكِ دَمِه) [٢].

يشرح الطيبي هذا التشبيه ناقلاً عن المظهر فيقول :
" قوله : (كسفك دمه) قال المظهر : أي مهاجرة الأخ المسلم سنة توجب العقوبة كما أن سفك دمه يوجبها ، فهي شبيهة بالسفك من حيث حصول العقوبة بسببها لا أنها مثله في العقوبة ، لأن القتل كبيرة عظيمة لا يكون بعد الشرك أعظم منه ، فشبه الهجران به تأكيداً في المنع عنه ، وفي المشابهة تكفي المساواة في بعض الصفات " [٣]
لكن الطيبي بعد إيراده لهذا القول يرى رأياً آخر فيقول :
" أقول التشبيه إنما يصار إليه للمبالغة كما يُقال : زيدٌ كالأسد ، إلحاقاً له بالأسد في الجرأة ، وأنه نظيره فيها ، ولم يقصد أنه دونه ، كذلك ههنا ، لأن قوله صلى الله عليه وسلم :(لا يحلُّ لمؤمنٍ أن يهجرَ مؤمناً فوقَ ثلاث) [٤] دل على أن التهاجر فوق الثلاث حرام ، وراكبه راكب للإثم ، فإذا امتد إلى مدة يهجر فيها الغائب والمسافر عن أهله غالباً بلغ التهاجر والتقاطع إلى الغاية ، وهذا معنى تخصيص ذكر السنة والله أعلم " انتهى .

---

(١) ج ١ ، ص (٦٢٧) .
(٢) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٠١) الحديث رقم (٥٠٣٦) .
(٣) ينظر : المرقاة ، ج ٩ ، ص (٢٦٨) .
(٤) من حديث رواه أبو داود عن أبي هريرة ، ينظر : المشكاة ، في الموضع السابق ، الحديث رقم (٥٠٣٧) .

أقول :

كأن كلام الطيبي يوحي بأن المرادَ في هذا التشبيه التسويةُ بين الذنبين مبالغة في النهي عن القطيعة ، وكلام المظهر أقوم في نظرى لأن التشبيه هنا وارد على المبالغة للزجر ولا يراد منه التسوية .

١٥ـ عن أنس ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(يأتي على الناس زمانٌ الصابرُ فيهم على دينه كالقابض على الجمر)(١).

قال الطيبي :

" أى : كما لا يقدر القابضُ على الجمرِ أن يصبرَ لاحتراقِ يده ، كذلك المتدين يومئذ لا يقدرُ على ثباتهِ على دينهِ ، لغلبةِ العصاةِ والمعاصي ، وانتشار الفتنِ وضعف الإيمان " انتهى .

والحقيقة أن فهم الطيبي لوجه الشبه بعيد عن الصواب ، فلو كان الوجه ما رآه الطيبي لعذر الناس بترك دينهم في ذلك الزمن ، وكيف يعذرون بعد أن جاءتهم البينات والهدى ، ثم إن المشبه في الحديث هو الصابر على دينه ، أى من تحققت صفة الصبر فيه ، فإذا تحققت هذه الصفة بالقابض على دينه تحققاً كاملاً استهان بكل ألوان العذاب التي يلاقيها في سبيل الله ، وقد ذكر القرآن مواقف خالدة لثبات المؤمنين الصادقين على دينهم ، منها موقف السحرة من فرعون حين هددهم فقالوا :(فاقضِ ما أَنْتَ قاضٍ)(٢) فالوجه ما ذكره القارى بعد نقله لكلام الطيبي حيث قال :" والظاهر أن معنى الحديث : كما لا يمكن القبض على الجمرة إلا بصبر شديد وتحمل غلبة المشقة

---

(١) رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب إسناداً ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٧٤) الحديث رقم (٥٣٦٧) .

(٢) سورة طه ، الآية (٧٢) . أقول : ويظهر في هذه العبارة صلابة موقفهم واستهانتهم بكل ألوان العذاب في سبيل الله تعالى . وفي أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نماذج كثيرة من هؤلاء الأبطال ، وهذا من فضل الله وكرمه .

كذلك في ذلك الزمان ، لا يتصور حفظ دينه ، ونور إيمانه إلا بصبر عظيم وتعب جسيم ومن المعلوم أن المشبه به يكون أقوى فالمراد به المبالغة "(١)

١٦- عن حذيفة قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :
(تُعْرَضُ الفتنُ على القلوبِ كالحصير عُوداً عُوداً ، فأي قلبٍ أُشْرِبَها نُكِتَتْ فيه نُكْتَةٌ سوداء ، وأي قلب أنكرها نُكِتَتْ فيه نكتة بيضاء ، حتى يصير على قلبين ، أبيضَ بمثل الصَّفا ، فلا تضرُّهُ فتنةٌ ما دامت السماوات والأرض ، والآخر أسودُ مِرْباداً ...)(٢)
قال الطيبي مبيناً المشبه به :
" قال التوربشتي : الصفا الحجارة الملساء (٣) وأريد به ههنا : النوع الذي صفا بياضه ، ونبه عليه بقوله :(أبيض) وإنما ضرب المثل به لأن الأحجار إذا لم تكن معدنية لم تتغير بطول الزمان ، ولم يدخلها لونٌ آخر لا سيما النوع الذي ضرب المثلُ به ، فإنه أبداً على البياض الخالص الذي لا تشوبه كدورة ، (والرُّبدَةُ لونٌ بين السواد والغُبْرَة ، ومنه : ظَلِيمٌ أَرْبدُ ، وقد ارْبدّ ارْبِدَاداً)(٤). أي تلون وصار على لون الرماد ، وإنما وصف القلب بالربدة لأنه أنكر ما يوجد من أنواع السواد "
ويبين الطيبي وجه الشبه في هذا التشبيه فيقول :
" قال النووي : قال القاضي عياض : ليس تشبيهه بالصفا بياناً لبياضه ، لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل ، وأن الفتنَ لم تلصقْ به ولم تؤثرْ فيه ، كالصفا الذي لا يعلق به شيء ..."(٥)

---

(١) المرقاة ، ج ١٠ ، ص (٩٧) .
(٢) من حديث رواه مسلم ، المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٨٠) الحديث رقم (٥٣٨٠) .
(٣) في الصحاح ، مادة صفا :(الصَّفَاةُ صخرةٌ مَلْسَاء) .
(٤) ينظر : المصدر السابق ، مادة (ربد) .
(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٢ ، ص (١٧٢) .

١٧- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(لا تقومُ الساعةُ حتى تقاتلوا قوماً ، نِعالهم الشعر ، وحتى تقاتلوا التركَ صغارَ الأعين ، حمر الوجوه ، ذُلفَ الأنوفِ ، كأن وجوهَهُم المَجانُّ المُطْرَقة)(١).

قال الطيبي :

« قوله (ذلف الأنوف) قال القاضي : ذُلْفٌ : جمع أَذْلَف ، وهو الذي يكون أنفه صغيراً ويكون في طرفه غِلَظ ، والمَجانُّ بفتح الميم : جمع مِجن ، وهو الترس ، و(المطرقة) الذي أطرق ، أي : جعل ظهره طِراقاً ، وهو جلد يقطع على مقدار الترس فيلصق على ظهره . شبه وجوههم بالترس لتبسطها وتدويرها ، وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها »(٢).

١٨- قال عليه الصلاة والسلام في صفة عيسى - عليه السلام - عند نزوله من السماء :
(.. فينزلُ عندَ المنارةِ البيضاءِ ، شرقيَّ دمشقَ ، بين مَهْرُوذَتَيْنِ(٣)، واضعاً كَفَّيْهِ على أجنحةِ مَلَكَيْنِ ، إذا طأطأَ رأسَهُ قَطَرَ ، وإذا رفعه تحدَّرَ مِنْهُ مثلُ جُمَانٍ كاللؤلؤ ...)(٤).

قال الطيبي :

« الجُمان بضم الجيم وتخفيف الميم ، حب يتخذ من الفضة ، على هيئة اللآلئ الكبار(٥)، شبهه بالجمان في الكبر ، ثم شبه الجمان باللؤلؤ في الصفاء والحسن ، فالوجه

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٩٠ - ١٤٩١) الحديث رقم : (٥٤١١) .
(٢) المرقاة ، ج ١٠ ، ص (١٤٢) .
(٣) معناه لابس مهروذتين أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران ، وقيل هما شقتان والشقة نصف الملاءة .
ينظر : صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٨ ، ص (٦٧) .
(٤) من حديث النواس بن سمعان ، وقد رواه مسلم والترمذي ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٠٧ - ١٥٠٩) ، الحديث رقم (٥٤٧٥) .
(٥) ينظر : صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٨ ، ص (٦٧) .

أن يكون الوجهُ الكبرُ معُ الصفاءِ والحسن".

١٩- عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(يُحشر الناسُ يومَ القيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عفراءَ كَقُرْصَةِ النَقِيِّ ، ليس فيها عَلَمٌ لأحد)(١).

قال الطيبي :

" قوله : (عفراء) قال القاضي :" الأعفر البياض الذى لا يخلص بياضه ولا يشتد ، والعفرة لون الأرض ، وقوله :(كقرصة(٢) النقي) النقي : هو الدقيق المنخول المنظف الذى يتخذ منه الحُوَّارَى(٣) ، والتشبيه بها في اللون والشكل دون القَدْرِ(٤)" .

٢٠- قال عليه السلام في صفة حوضه :(وكيزانُهُ كنجومِ السماءِ ، من يشرب منها فلا يظمأ أبداً)(٥).

قال الطيبي :

" قوله :(وكيزانُهُ كنجومِ السماءِ) أى في الإشراق والكثرة " .

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٣٣) الحديث رقم (٥٥٣٢) .
(٢) القرصة : الرغيف ، ينظر : المرقاة ، ج ١٠ ، ص (٢٤٧) .
(٣) الحُوَّارَى : الدقيقُ الأبيضُ ، وهو لبابُ الدقيق . ينظر : المعجم الوسيط ، مادة (حار) .
(٤) ينظر : المرقاة ، في الموضع السابق .
(٥) من حديث متفق عليه ، ورواه عبد الله بن عمرو ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٤٥) الحديث رقم (٥٥٦٧) .

٢١- جاء في حديث رواه أبو سعيد ، وذكر فيه شفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين ، إلى أن قال : (ولم يبق إلا أرحمُ الراحمين ، فيقبضُ قبضةً من النارِ فيُخْرِجُ منها قوماً لم يعملوا خيراً قطُّ ، قد عادوا حُمَماً ، فيُلقيهم في نَهرٍ في أفواهِ الجنةِ يُقال له نهرُ الحياةِ ، فيخرجونَ كما تخرجُ الحبَّةُ في حميلِ السيلِ ، فيخرجون كاللؤلؤِ في رقابهمُ الخواتمُ . فيقول أهلُ الجنة : هؤلاءِ عُتقاءُ الرحمنِ ، أدخلهمُ الجنةَ بغير عملٍ عملوه ولا خيرٍ قدَّموهُ)(١).

قال الطيبي :

" حميلُ السيلِ ، هو ما يحمله السيل من غثاءٍ أو طينٍ ، فإذا اتفقَ فيه الحبة ، واستقرت على شط مجرى السيل ، تنبتُ في يوم وليلة ، وهي أسرعُ نابتةٍ نباتاً ، وإنما شبههم بها لسرعة نباتها وحسنها وطراوتها " .

٢٢- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (سيحانُ وجيحانُ والفراتُ والنيلُ كلٌّ من أنهارِ الجنة)(٢).

يقف الطيبي عند هذا الحديث وقفة طويلة ينقل فيها آراء العلماء فيما إذا كان نص الحديث محمولاً على ظاهره أم التشبيه ، وهو لا يجزم بشيء في النهاية ولكنه يقرر وجه الشبه فيما إذا كان الكلام تشبيهاً . وفيما يلي كلامه :

" قال القاضي : خص الأنهار الأربعة بالذكر لعذوبة مائها ، وكثرة منافعها ، كأنها من أنهار الجنة ، ويحتمل أن يكون المرادُ بها الأنهار الأربعة (٣) التي هي أعظم أنهار

---

(١) من حديث متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٥٠- ١٥٥١) الحديث رقم (٥٥٧٩) .

(٢) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٦٥) الحديث رقم (٥٦٢٨) .

(٣) زاد في المرقاة : " التي هي أصول أنهار الجنة ، وسماها بأسامي الأنهار الأربعة التي ... " ينظر : ج ١٠ ، ص (٣٢٩) .

الدنيا وأشهرها وأعذبها وأفيدها عند العرب على سبيل التشبيه والتمثيل ، ليعلم أنها في الجنة بمثابتها ، وأن ما في الدنيا من أنواع المنافع والغنائم فنموذجات لما يكون في الآخرة ، وكذا ما فيها من المضار المردية والمستكرهات المؤذية .

وقال النووي : قال القاضي عياض : كون هذه الأنهار من الجنة أن الإيمان عم ببلادها ، وأن الأجسامَ المتغذية بمائها صائرةٌ إلى الجنة ، والأصح أنها على ظاهرها ، وأن لها مادة من الجنة ، لأن الجنة مخلوقة موجودة اليوم عندَ أهلِ السنة وقد ذكر مسلم في كتاب الإيمان ، في حديث الإسراء أن الفراتَ والنيلَ يخرجان من الجنة ، وفي البخاري : من أصل سدرة المنتهى [(١)].

وفي معالم التنزيل [(٢)]: إن الله تعالى : أنزل هذه الأربعة من الجنة واستودعها الجبال ، وأجراها في الأرض ، وذلك قوله تعالى :

(وأنزلنا من السماءِ ماءً بِقَدَرٍ فأَسْكَنَّاهُ في الأرض) " (٣) .

بعد هذه النقول يعقب الطيبي معتمداً على ما أورده من كلام العلماء :

" أقول : (سيحان) مبتدأ ، و(كل) مبتدأ ثان ، والتقدير كل منها ، و(من أنهار الجنة) خبر المبتدأ الثاني ، والجملة خبر الأول ، فإذا أريد التشبيه قدر من جنس أنهار الجنة ، والفرق بين الوجه الأول والثاني على ما ذكره القاضي ناصر الدين : أن المشبه في الأول أنهار الدنيا ، والمشبه به أنهار الجنة ، ووجه التشبيه السلاسة والعذوبة والهضم والبركة ، وفي الثاني على العكس ، وعلى هذا

---

(١) في صحيح مسلم بشرح النووي : (فيه تأويلان ذكرهما القاضي عياض أحدهما أن الإيمان عم بلادها ... والثاني وهو الأصح أنها على ظاهرها ...)
ينظر : ج ١٧ ، ص (١٧٧) ، ولا ريب أن الطيبي قد اختصر الكلام فأوهم قوله :(والأصح أنها على ظاهرها) أنه كلام النووي ، فكان الاختصار هنا مخلاً .

(٢) معالم التنزيل للبغوي ، ج ٥ ، ص (٣٤ _ ٣٥) ،

(٣) سورة (المؤمنون) الآية :(١٨) .

وجه التشبيه الشهرة والفائدة والعذوبة ، وفي الوجه الثالث على ما ذكره القاضي عياض وجه التشبيه المجاورة والانتفاع بها ، سمى أنهار الدنيا بأنهار الجنة لمجاورتها المؤمنين والانتفاع بها . و(من أنهار الجنة) على الوجه الرابع يجوز أن تكون من ابتدائية ، أي مبتدئة ناشئة منها ، أو اتصالية ، أو تبعيضية "(١) انتهى .

أقول : لقد أحسن الطيبي صنعاً حين لم يجزم هنا بالتشبيه أو عدمه ، لأن هذا الحديث وأمثاله لا يعرف كنه المراد منه حقيقة إلا الله تعالى ، ورسوله - صلى الله عليه وسلم - والأولى الوقوف عند ظاهر النص ، والإيمان به دون الانجراف في بحر التأويل ما لم يستند التأويل إلى أدلة علمية ثابتة .

٢٣- عن سعد بن أبي وقاص ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعلي : (أنتَ مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي)(٢).

يوضح الطيبي وجه الشبه في هذا الحديث فيقول :

" يعني أنت متصل بي ونازل مني بمنزلة هارون من موسى ، وفيه تشبيه ، ووجه التشبيه مبهم ، لم يفهم أنه - رضي الله عنه - فيما شبهه به - صلوات الله وسلامه عليه - فبين بقوله (إلا أنه لا نبي بعدى) أن اتصاله به ليس من جهة النبوة ، فبقي الاتصال من جهة الخلافة لأنها تلي النبوة في المرتبة ، ثم هي إما أن تكون في حياته أو بعد مماته ، فخرج أن تكون بعد مماته لأن هارونَ مات قبل موسى ، فتعين أن تكون في حياته عند مسيره إلى غزوة تبوك " .

---

(١) تأتي من على خمسة عشر وجهاً عند ابن هشام منها : ابتداء الغاية والتبعيض. ينظر : مغني اللبيب ، ج ١ ، ص (٤١٩ - ٤٢٥) .

(٢) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٧١٩) الحديث رقم (٦٠٧٨) .

٢٤- عن زيد بن أرقم ، قال : قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً فينا خطيباً بماءٍ يدعى : خُمّاً ، بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكّرَ ، ثم قال :

(أمّا بعدُ ألا أيها الناسُ ، إنما أنا بشر ، يوشِك أن يأتيَني رسولُ ربي فأجيب وأنا تاركٌ فيكم الثّقَلين أوّلهما كتاب الله ، فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به) فحث على كتاب الله ورغّبَ فيه ، ثم قال :(وأهل بيتي أُذكّركم اللهَ في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي)[1].

قال الطيبي :

" قال في الفائق : الثّقَل المتاع المحمول على الدابة ، وإنما قيل للجن والإنس الثّقلان ، لأنهما قُطّانُ الأرض فكأنهما أثقالها ، وقد شبه بهما الكتاب والعِتْرة في أن الدين يستصلح بهما ، ويعمر كما عُمرت الدنيا بالثقلين "[2] .

يلاحظ أن الطيبي قد اكتفى بنقل كلام الزمخشرى ، ولم يضف إليه شيئاً .

٢٥- عن جعفر ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

(أبشروا وأبشروا ، إنما مثلُ أُمّتي مَثَلُ الغيثِ ، لا يُدرى آخرُهُ خيرٌ أم أوّله ، أو كحديقةٍ أُطعم منها فَوجٌ عاماً ، ثم أطعم منها فَوجٌ عاماً ، لعلّ آخرها فوجاً أن يكون أعرَضَها عرضاً ، وأعمَقَها عمقاً ، وأحسنَها حسناً)[3].

يشرح الطيبي هذا التشبيه مبيناً وجهه خلال ذلك فيقول :

" معناه أن كيفية صفة أمتي مشبهة بكيفيتي المطر والحديقة ، وأنهما سواء في

---

(١) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٧٣٢) الحديث رقم (٦١٣١) .

(٢) الفائق ، ج ١ ، ص (١٧٠) .

(٣) من حديث رواه رزين ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٧٧٠) ، الحديث رقم (٦٢٧٨) .
وقد سبق ذكر حديث آخر حول تمثيل الأمة بالمطر ص (٩٩) من هذه الرسالة .

استقلال كل واحد منهما بوجه التمثيل ، فبأيتها مثلتها فأنت مصيب ، وإن مثلتها بهما جميعاً فكذلك ، فإن قلت : أي فرق بين التمثيلين ؟ . قلت : شبهت في التمثيل الأول بالمطر في نفع الناس بالهدى والعلم ، وفي الثاني بالاستنفاع من علم الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهداه في إنباته الكلأ والعشب الكثير وحصول الأخذ (١) ثم انتفاع الناس منهما بالرعي والسقي ، وهو المعني بالفوج الذي أطعم من الحديقة عاماً "

× × × ×

(١) في الصحاح ، مادة (أخذ) ما يلي :
(الإِخَاذَةُ شيء كالغدير ، والجمع إِخَاذٌ وجمع الإِخاذِ أُخُذٌ) .

نعقب هذا الفصل ببعض الأمور التي ذكرها الطيبي ، وهي تتصل بفن التشبيه فنذكرها باقتضاب :

١- تحدث عن الشك في وجه الشبه " وهو السرعة الشديدة " في حديث أبي هريرة ، عنه عليه السلام وهو يتحدث عن الصراط، قال : (فيمرُّ أوّلكم كالبرقِ) قال أبو هريرة . قلت : بأبي أنت وأمي ، أي شيء كمر البرق ؟. قال : (ألم تروا إلى البرق كيف يُمُرُّ ويرجع في طرفة عين ، ثم كمرّ الريحِ ، ثم كمرّ الطيرِ ، وشدّ الرجال (١) ، تجرى بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول : ياربِّ سلِّم سلِّم . حتى تعجز أعمالُ العباد)(٢).

قال الطيبي :

" قوله : (أي شيء كمر البرق) أي ما الذي شبه من المارين بمر البرق ؟. وقوله : (ألم تروا إلى البرق) بيان لما شبهوا به بالبرق ، وهو سرعة اللمعان ، يعني سرعة مرورهم على الصراط كسرعة لمعان البرق ، كأنه استبعد أن يكون في الإنسان ما يشبه البرق في السرعة ، فسأل عن أمر آخر وهو المشبه ، فأجاب بأن ذلك غير مستبعد وليس بمستنكر أن يمنحهم الله تعالى ذلك بسبب أعمالهم الحسنة ، ألا ترى كيف أسند الجريان إلى الأعمال في قوله :(تجرى بهم أعمالهم) أي تجرى وهي متلبسة بهم ، كقوله تعالى :(وهيَ تجرِي بهم في موجٍ كالجبالِ)(٣) ويجوز أن تكون الباء للتعدية (٤) ، ويؤيد الأول قوله :(حتى تعجز أعمال العباد) " انتهى.

---

(١) أي جريهم .

(٢) من حديث رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٦٠ - ١٥٦١) الحديث رقم (٥٦٠٩) .

(٣) سورة هود ، الآية (٤٢) وقد قال أبو السعود في تفسيرها :(أي فركبوا فيها مسمين وهي تجرى ملتبسة بهم) .
ينظر : ج ٤ ، ص (٢٠٩). وهذا يؤيد ما ذهب اليه الطيبي .

(٤) باء التعدية وتسمى باء النقل أيضا ، وهي المعاقبة للهمزة في تصيير الفاعل مفعولاً .. تقول في ذهب زيد: ذهبت بزيد ، وأذهبته .
ينظر : مغني اللبيب ، ج ١ ، ص (١٣٨) .

٢- استعان الطيبي بالتشبيه في بيان بعض المعاني الغامضة مبيناً وجه الشبه من خلال مقارنة المعنى بالتشبيه الذي أضافه وذلك كما في المثال الآتي :

(عن حسان[١] قال : ما ابتدَعَ قومٌ بدعةً في دينهم إلا نزَعَ الله من سُنَّتِهم مثلَها ثم لا يُعيدُها إليهم إلى يومِ القيامة)[٢] .

قال الطيبي :

" قوله :(ثم لا يعيدها إليهم إلى ......) وذلك أن السنة القديمة كانت متأصلة مستقرة في مكانها ، فلما أزيلت عن مقرها لم يكن إعادتها كما كانت أبداً ، فمثلها كمثل شجرة ضربت عروقها في تُخُومِ الأرضِ ، فلا تكون إعادتُها بعد قلعها مثلما كانت في أصلها ، قال تعالى :

(ألمْ ترَ كيفَ ضربَ اللهُ مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أَصلُها ثابتٌ وَفَرْعُها في السماءِ)[٣]".

٣- صحح الطيبي ما قاله الشارحون عن بعض الأحاديث بأن فيها تشبيهات ، فينفي ذلك معتمداً على أسس علمية من النحو والآثار المروية ، وفيما يلي نموذج من هذا الذى صنعه الطيبي :

- عن عائشة ، ورافع بن خديج ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :

(الحُمَّى من فيحِ جهنم ، فأَبردوها بالماءِ)[٤].

---

(١) هو ابن عطية وليس حسان بن ثابت .

(٢) رواه الدارمي ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٦) الحديث رقم (١٨٨) .

(٣) سورة ابراهيم ، الآية (٢٤) .

(٤) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٢٧٩) الحديث رقم (٤٥٢٥) .

قال الطيبي :

" قوله (من فيح جهنم) الفيح سطوع الحر وفورانه وفيه وجهان :

أحدهما : أنه تشبيه ، قال المظهر : شبه اشتعال حرارة الطبيعة في كونها مؤذية للبدن ومعذبة له بنار جهنم ، فكما أن النار تزال بالماء كذلك حرارة الحمى تزال بالماء البارد .

وثانيهما : قال بعضهم : إن الحمى من حرارة جهنم حقيقة ، أرسلت إلى الدنيا نذيراً للجاحدين ، وبشيراً للمتقين ، لأنها كفارة لذنوبهم ، وجابرة عن تقصيرهم .(١) "

انتهى .

وهو بعد نقل رأي المظهر ، سرعان ما يعود إليه مفنداً له ، ومبيناً أنه لا تشبيه ولا ثمة وجه شبه ، فيقول :

" أقول : من ليست بيانية حتى تكون تشبيهاً كقوله تعالى :(حتى يتبينَ لَكُمُ الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجرِ)(٢).

فهي إما ابتدائية ، أي الحمى نشأت وحصلت من فيح جهنم ، أو تبعيضية أي بعض منها ، ويدل على هذا التأويل ما ورد في الصحيح :

(اشتكت النارُ إلى ربها فقالتْ: رب أكلَ بعضي بعضاً ، فَأُذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف)(٣) الحديث ، فكما أن حرارة الصيف أثر من فيحها كذلك الحمى " انتهى .

---

(١) المرقاة ، ج ٨ ، ص (٣٤٧) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٨٧) .

(٣) تمام الحديث :(فأشد ما تجدونَ من الحرِّ ، وأشد ما تجدون من الزمهرير) وقد رواه البخاري عن أبي هريرة ، ينظر : فتح الباري ، ج ٦ ، ص (٣٣٠) وهو تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ، نشر دار الفكر والمكتبة السلفية .

٤- اخترع الطيبي تشبيهاً عجيباً في الحديث الآتي :

عن البراء بن عازب ، وزيد بن أرقم ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما نزل بغدير خُمٍّ ، أخذ بيد علي فقال :(ألستمْ تعلمونَ أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟) قالوا : بلى ، قال :(ألستم تعلمون أني أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسه؟) قالوا : بلى ، قال :(اللهم من كنت مولاه فَعَلِيٌّ مولاه ، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه) فلقيه عمر بعد ذلك فقال له : هنيئاً يا ابن أبي طالب! أصبحتَ وأمسيتَ مولى كل مؤمن ومؤمنة)[1].

يقول الطيبي مبيناً هذا التشبيه ووجهه :

" قوله (إني أَوْلَى بالمؤمنينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) يعني به قوله تعالى :(النبيُّ أولى بالمؤمنينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ)[2] أطلق فلم يعرف بأي شيءٍ هو أولى بهم من أنفسهم ، ثم قيد بقوله :(وأزواجُهُ أُمهاتُهُمْ)[3] ليؤذن أنه بمنزلة الأب وأزواجه بمنزلة الأمهات ، ويؤيده "قراءة ابن مسعود : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم) ، وقال مجاهد : كل نبي فهو أبو أمته ، ولذلك صار المؤمنون إخوة"[4]، فإذن وقع التشبيه في قوله :(من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه) في كونه كالأب فيجب على الأمة احترامه وتوقيره وبره ، وعليه أن يشفق عليهم ويرأف بهم رأفة الوالد على الأولاد ، ولذلك هنأه عمر بقوله : (هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة) " .

---

(١) رواه أحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٧٢٣) الحديث رقم (٦٠٩٤) .
(٢)و(٣) سورة الأحزاب ، الآية (٦) .
(٤) ينظر : الكشاف للزمخشري ، ج ٣ ، ص (٥٢٣) وتفسير أبي السعود ، ج ٧ ، ص (٩١) .

ويذكر الطيبي أن الشيعة فهمت من الحديث إمامة علي للمؤمنين فيقول :

" قال القاضي : قالت الشيعة هو المتصرف ، وقالوا معنى الحديث أن علياً - رضي الله عنه يستحق التصرف في كل ما يستحق الرسول - صلى الله عليه وسلم - التصرف فيه ، ومن ذلك أمور المؤمنين فيكون إمامهم "(١).

ولكن الطيبي يرد على هذا الرأي قائلاً :

" لا يستقيم أن تحمل الولاية على الإمامة التي هي التصرف في أمور المؤمنين ، لأن المتصرف المستقل في حياته - صلى الله عليه وسلم - هو هو لا غيره ، فيجب أن تحمل على المحبة وولاء الاسلام ونحوهما " انتهى .

أقول : لقد تكلف الطيبي كثيراً في اختراع التشبيه في هذا الحديث ، لماذا لا تكون كلمة مولى هنا بمعنى محب أو حليف أو نحو ذلك ، ألم ينقل الطيبي نفسه عن ابن الأثير (٢) قوله في النهاية :" المَوْلى يقع على جماعةٍ كثيرةٍ ، وهو الرَّبُّ والسيِّد والمَالكُ والمُنْعِم والمُعْتِقُ والنَّاصِرُ و المُحِب والتَّابع والجارُ وابنُ العَمّ والحَلِيفُ والعَقِيدُ والصِّهْر والعَبْدُ والمُعْتَقُ والمُنْعَمُ عَلَيْهِ وأكثرها قد جاءت في الحديث ، فَيُضاف كل واحدٍ إلى ما يَقْتَضِيه الحديثُ الوَارِدُ فيه ، وقوله :(مَنْ كُنْتُ مَوْلاه..) يُحْمَل على أكثرِ هذه الأسماءِ المذكورةِ ، قال الشافعي - رحمه الله - يعني بذَلِكَ ولاءَ الإسلامِ كقوله تعالى :(ذلكَ بأَنَّ اللهَ مولَى الذينَ آمنوا وأَنَّ الكافرينَ لا مَوْلَى لَهُمْ)(٣) "(٤).

---

(١) ينظر : المرقاة ، ج ١١ ، ص (٣٤١) .

(٢) عند الحديث (٦٠٨٢) وهو في المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٧٣٠) .

(٣) سورة محمد ، الآية (١١) .

(٤) النهاية ، ج ٥ ، ص (٢٢٨) وقد ورد نحو هذا الكلام في فتاوى الامام النووى ص (٢٨٤ - ٢٨٥) .

فإذا كانت كلمة مولى تحتمل أكثر المعاني السابقة ، فلماذا تخصيصها بالأب؟ولماذا حمل الأسلوب على التشبيه؟ إليس لهذا أي تفسير عندي سوى أنه من اهتمام الطيبي الزائد في إبراز النكات البيانية في الحديث النبوي .

٥- أضاف الطيبي إلى بعض التشبيهات ما يتممها حتى تبدو صورة متكاملة كما في الحديث الآتي :

- عن أبي ذر ، أنه قال وهو آخذ بباب الكعبة : سمعتُ النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : (ألا إن مثَلَ أهل بيتي فيكم مثَلُ سفينةِ نوحٍ ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك)(١)

قال الطيبي :

" شبه الدنيا بما فيها من الكفر والضلالات والبدع والجهالات والأهواء الزائغة ببحر (لُجِّيٍّ يغشاهُ موجٌ مِنْ فوقهِ موجٌ من فوقهِ سَحَابٌ ظلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ) (٢) . وقد أحاط بأكنافه وأطرافه الأرض كلها ، وليس منه خلاص ولا مناص إلا تلك السفينة وهي محبةُ أهل بيت رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - " انتهى .

يلاحظ أنه أضاف تشبيه الدنيا بما فيها من ضلال ببحر لجي ، ثم فسر السفينة بأنها محبة أهل بيت النبي عليه السلام ، ولعل هذا وجه الشبه ، وإن لم يشر

---

(١) رواه الطبراني والبزار وإسناده واه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٧٤٢) ، الحديث رقم :(٦١٧٤) .

(٢) إقتباس من سورة النور ، الآية (٤٠) وأولها : (أو كظلماتٍ في بَحرٍ ..) الآية . والاقتباس هو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية ، أو آية من آيات كتاب الله تعالى خاصة . هذا هو الإجماع .

ينظر : معجم البلاغة العربية لبدوي طبانة ، باب القاف ، ص (٥١٩) .

إليه الطيبي صراحة(١) . فلا يعدو أن يكون الوجه غير حبهم ، والدعاء لهم ،والتأسي بهم ، حتى ينجو من يفعل ذلك كما نجا من ركب سفينة نوح من غرق الدنيا وعذاب الآخرة .

٦- قد يشرح الطيبي التشبيه شرحاً بيانياً جميلاً كما في الحديث :

- عن أبي هريرة ، قال : قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - :(المعِدَةُ حوضُ البدنِ ، والعروقُ إليها واردةٌ ، فإذا صحّت المعدة صدرت العروق بالصحة وإذا فسدت المعدةُ صدرت العروقُ بالسُقْمِ)(٢).

يشرح الطيبي هذا التشبيه ، مبيناً وجه الشبه فيه ، فيقول :

" شبه صلوات الله عليه المعدة بالحوض ، والبدن بالشجر ، والعروق الواردة إليها بعروق الشجر الضاربة إلى الحوض الجاذبة ماءه إلى الأغصان والأوراق ، فمتى كان الماء صافياً ، ولم يكن ملحاً أجاجاً ، كان سبباً لنضارة الأشجار وغضاضتها ،وإلا كان سبباً لذبولها وجفافها ، فكذا حكم البدن مع المعدة ، وذلك أن الله تعالى بلطيف حكمته وبديع فطرته جعل الحرارة الغريزية في بدن الانسان مسلطة عليه بحلل الرطوبات تسليط السراج على السَلِيط (٣)، وخلق فيه أيضاً قوة جاذبة سارية في مجاري عروق ، واردة إلى الكبد ، طالبة منه ما صفى من الأخلاط التي حلت فيه

---

(١) هذا من باب التسامح ، وقد نبه عليه السكاكي قائلاً :" واعلم أنه ليس بملتزم فيما بين أصحاب علم البيان أن يتكلفوا التصريح بوجه التشبيه على ما هو به ، بل قد يذكرون على سبيل التسامح ما إذا أمعنت فيه النظر لم تجده إلا شيئا مستتبعاً لما يكون وجه التشبيه في المآل " ينظر : مفتاح العلوم ، ص (١٦١).

(٢) رواه البيهقي في شعب الايمان ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٢٨٧) الحديث رقم (٤٥٦٦) . وأورده ابن قيم الجوزية في الطب النبوى ، ص (١٤٢) .

(٣) السَلِيطُ : الزيتُ ، ينظر : الصحاح ، مادة (سلط)

بسبب عروق واردة منه إلى المعدة ، جاذبة ما انهضم فيها من المشروب والمطعوم ، لينطبخ في الكبد مرة أخرى ، فتصير بدلاً لما تحلل منه ، وهذا معنى الصدور بعد الورود ، لأن العروق مجاري لما يرد فيها ويصدر عنها كعروق الشجر ، فالأسلوب من باب : (سال الوادي وجرى الميزاب)[١]. فإذا كان ما في المعدة غذاءً صالحاً وانحدر في تلك العروق إلى الكبد ، يحصل منه الغذاء المحمود للأعضاء خلفاً لما تحلل منها ، وإذا كان فاسداً ، إما لكثرة أكل وشرب ، أو إدخال طعام على طعام ، أو غير ذلك كان سبباً لتولد الأخلاط الردية الموجبة للأمراض المردية ، وذلك بتقدير العزيز العليم " .

× × × ×

(١) يريد أن الإسناد إلى العروق في الحديث هو إسناد مجازي علاقته المكانية .

- الفصل الثاني -

- صور من التشبيه -

، عرض الطيبي بعض صور التشبيه ، وتسهيلاً لدراستها قسمتها إلى مباحث ثلاثة هي :

المبحث الأول : التشبيه المفرق .

المبحث الثاني : التشبيه التمثيلي .

المبحث الثالث : التشبيه البليغ .

- المبحث الأول -

- التشبيه المفرق -

نتناول في هذا المبحث نماذج من التشبيه المفرق ، وصلة التشبيه المفرق مع التشبيه التمثيلي .

أولاً : أشار الطيبي إلى التشبيه المفرق ، وهو عنده ما أمكن مقابلة كل جزء من أحد الطرفين بما يقابله بالطرف الآخر .(١)

وفيما يلي بعض الأحاديث التي ذكر عندها التشبيه المفرق :

١- عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - :

(إنما مَثَلي ومثلُ ما بعثني اللهُ به كمَثل رجُلٍ أتى قوماً ، فقال : يا قوم ! إني رأيتُ الجيشَ بعينيّ وإني أنا النَّذيرُ العُريانُ ! فالنَّجاءَ النَّجاءَ . فأطاعه طائفةٌ من قومه فأدلجوا ، فانطلَقوا على مُهْلِهم فنجَوا ، وكذَّبتْ طائفةٌ منهم فأصبحوا مكانهم ، فصبَّحهم الجيشُ فأهلكهم واجتاحَهم ، فذلك مَثَلُ من أطاعني فاتَّبَعَ ماجئتُ به ، ومن عصاني وكذَّبَ ما جئتُ به من الحقّ)(٢).

قال الطيبي :

« أقول : التشبيه من التشبيهات المفرقة ، شبه ذاته -صلى الله عليه وسلم - بالرجل ، وما بعثه الله به من إنذار القوم بعذاب الله القريب بإنذار الرجل قومه بالجيش المصبح ، وشبه من أطاعه من أمته ومن عصاه بمن كذب الرجل في إنذاره وصدقه »(٣).

وهذ التشبيه واضح في أنه مركب ، والذهاب إلى التفريق فيه بعد .

٢- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - :

(مثلُ البخيلِ والمتصدقِ ، كمثل رجلين عليهما جُنَّتان من حديدٍ ، قد اضطُرَّتْ أيْديهما

---

(١) ينظر : ص (٦٦ - ٦٧) و ص ١٤٥ - ١٤٦ من الرسالة .

(٢) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٣) ، الحديث رقم (١٤٨) .

(٣) أطلق الطيبي على أحاديث مشابهة لهذا الحديث اسم التمثيل : ينظر : ص (١٤٨ - ١٤٩) من الرسالة .

إلى ثُديِّهما وتَرَاقيهما ، فجعلُ المتصدقُ كلما تصدقُ بصدقةٍ انبسَطتْ عنهُ ، وجعل البخيلُ كلما هم بصدقةٍ قلَصَتْ وأَخَذَتْ كُلُّ حلْقةٍ بمكانها)[١]

قال الطيبي :

" .. الأسلوب من التشبيه المفرق ، شبه السخي الموفق إذا قصد التصدق يسهل عليه ، ويطاوعه قلبه ، بمن عليه الدرع ويده تحت الدرع ، فأراد أن يخرجها منها وينزعها يسهل عليه ، والبخيل على عكسه " .

٣- عن النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(مَثَلُ المدهنِ في حدودِ اللهِ والواقعِ فيها ، مَثَلُ قومٍ استَهَموا سفينةً ، فصار بعضُهم في أسفلها ، وصارَ بعضُهم في أَعْلاها ، فكان الذى في أسفلِها يمرُّ بالماءِ على الذينَ في أعلاها ، فتأذَّوا به ، فأخذَ فأساً ، فجعل ينقرُ أسفلَ السفينةِ ، فأتوهُ فقالوا : مالكَ ؟ قال : تأذَّيتُم بي ولا بُدَّ لي منَ الماءِ ، فإن أخذوا على يديه أنجَوهُ ونَجَّوا أنفسهم ، وإن تركوه أهلَكوهُ وأهلكوا أنفسَهم)[٢]

يرد الطيبي كل جزء من أحد الطرفين إلى ما يقابله بالطرف الآخر فيقول :

" قال الأشرف : شبه النبي - صلى الله عليه وسلم - المداهن في حدود الله بالذي في أعلى السفينة ، وشبه الواقع في تلك الحدود بالذي في أسفلها ، وشبه انهماكه في تلك الحدود وعدمَ تركهِ إياها بنقرهِ أسفلَ السفينةِ ، وعبر عن نهي الناهي الواقع في تلك الحدود بالأخذِ على يديه ومنعهِ إياهُ عن النقرِ ، وعبر عن فائدةِ ذلك المنعِ بنجاةِ الناهي والمنتهي ، وعبر عن عدم نهي الناهي بالترك ، وعبر عن الذنب الخاص للمداهنين الذين ما نهوا الواقع في حدود الله بإهلاكهم إياه وأنفسهم .

---

(١) تقدم تخريجه ص (٥٣) من هذه الرسالة .

(٢) رواه البخارى ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٢١) ، الحديث رقم : (٥١٣٨) .

وكأن السفينة عبارة عن الإسلام المحيط بالفريقين (١) ، وإنما جمع فرقة النهاة إرشاداً إلى أن المسلمين لا بد وأن يتعاونوا على أمثال هذا النهي ، أو إلى أن من يصدر عنه هذا النهي يكون كاملاً ، فهو كالجميع ، قال تعالى : (إنَّ إبراهيمَ كان أُمَّةً قانِتاً لله)(٢) . ، وأفردَ الواقعَ في حدود الله تعالى لأدائه إلى ضد الكمال "(٣)

وهذا الحديث من روائع الكلم والصورة فيه من التشبيه المركب ، والذهاب إلى التفريق فيه بعد.
ويتضح من خلال الأمثلة السابقة أنه يريد بالتشبيه المفرق ما عده البلاغيون ، متعدد الطرفين .(٤)

ثانياً : يردد الطيبي بعض صور التشبيه بين التشبيه التمثيلي من جهة ، والتشبيه المفرق أو المفرد من جهة ثانية ، كما في الأمثلة :

١- عن كعب بن مالك ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(مَثَلُ المؤمنِ كمثل الخامة من الزرع تُفيِّئُها الرياحُ ، تصرعُها مرّة وتُعَدِّلُها أخرى حتى يأتيَه أجلُه ، ومثل المنافقِ كمثل الأَرْزةِ المُجْذِيَة (٥) التي لا يُصيبُها شيءٌ حتى يكونَ انجعافُها (٦) مرّةً واحدة)(٧) .

شرح الطيبي بعض ألفاظ الحديث فقال :

---

(١) ذكر الأستاذ محمد قطب هذا الحديث تحت عنوان (سفينة المجتمع) وهذا أليق، فالمجتمع يغرق آنئذ وليس الإسلام ، لأن كلمة الله هي العليا دائماً ، فلا يناسبها الغرق ، ينظر :(قبسات من الرسول) ، ص (١٥٧) .

(٢) سورة النحل ، الآية (١٢٠) .

(٣) المرقاة ، ج ٩ ، ص (٣٣١) .

(٤) ينظر : (الإيضاح) للخطيب القزويني ، ج ٢ ، ص (٣٧٠) و(الإشارات والتنبيهات) لمحمد بن علي الجرجاني ، ص (١٨٢) و(علوم البلاغة) للمراغي ص (٢٠٠) و(جواهر البلاغة) للهاشمي ص (٢٥٢) ، وقد درس الدكتور محمد أبو موسى التشبيه المفرق تحت عنوان المفرد والمتعدد والمركب ، وذلك في كتابه :(البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري) ، ينظر : ص (٣٩٨ - ٤٠٢) من كتابه .

(٥) المُجْذِيَة : الثابتة ، ينظر: الصحاح ، مادة (جذى)

(٦) في الصحاح ، مادة (جعف) : (جَعَفْتُ الشيءَ فانْجَعَفَ ، أي قَلَعْتُهُ فانقلع).

(٧) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٨٧) ، الحديث رقم (١٥٤١) .

« قال في النهاية : الخامة : الطاقة الغضة اللينة من الزرع [١].

وقال المظهر : الأرزن : شجر صلب يجعل منه السوط والعصا» [٢].

ثم عقب الطيبي بقوله :

« وهذا التشبيه يجوز أن يكون مفرقاً فنقدر للمشبه معاني مقابلة للمشبه به ، وأن يكون تمثيلياً فيتوهم للمشبه ما للمشبه به ..»

٢- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(تعلَّموا القرآنَ فاقرؤوه ، فإن مَثَلَ القرآنِ لمن تعلَّم فقرأ وقام به كمثل جرابٍ مَحْشُوٍّ مِسكاً ، تفوح ريحُه كلَّ مكانٍ ، ومَثَلُ من تعلَّمهُ فرقَدَ وهو في جوفِهِ كَمَثَلِ جرابٍ أُوكِئَ على مِسْكٍ)[٣]

قال الطيبي :

« قوله (فرقد) أي نام وغفل ، وقع مقابلاً لقوله (فقرأ وقام به) فالتشبيهان يحتمل أن يكونا مفرقين ، شبه قراءة القارئ وتعليمه الناس وإسماعهم قراءته بفتح رأس الجراب ، وشبه استفادة الناس من التعليم ، واستلذاذهم بسماعه والعمل بمقتضاه ، باستنشاق الخياشم عرف المسك وانتفاعهم به ، وشبه الإمساك عن القراءة والتعليم ، وبخله عنها ، بإيكاء الجراب ، وشبه عدم الاستفادة والاستلذاذ بعدم التضوع [٤].

---

(١) النهاية ، ج ٢ ، ص (٨٩) .

(٢) في الصحاح ، مادة (رزن) : (الأَرْزَنُ : شجرٌ صُلبٌ تتخذ منه العصيّ)

وفي المرقاة ، ج ٣ ، ص (٣٥٧) : المراد بالأرزة : شجرة الصنوبر أو الأرزن .

(٣) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٦١) الحديث رقم (٢١٤٣) .

(٤) في المعجم الوسيط ، مادة (ضاع) :

(ضَاعَ الشيءُ ـ ضَوْعاً : تحرّكَ فانتشرتْ رائحتُه ، تَضَوَّعَ : اشتدَّ ضَوْعُهُ)

ويجوز أن يكونا مركبين تمثيليين ، لجواز انتزاع الوجه من عدة أمور متوهمة " .

٣- عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(إنما الناسُ كالإبل المائة ، لا تكاد تجدُ فيها راحلة)[١] .

قال الطيبي :

" قوله (كالإبل المائة) اللام فيهما للجنس ، قال التوربشتي : الرواية فيه على الثبت كإبلٍ مائة بغير ألف ولام فيهما [٢] ، والمعنى أنك لا تكاد تجد في مائة إبل راحلة تصلح للركوب ، فإنما يصلح للركوب ما كان وطيئاً سهل القياد ، وكذلك لا تجد في مائة من الناس من يصلح للصحبة ، ويعاون صاحبه ، ويلين له جانبه [٣] " .

وعقب على كلام التوربشتي بقوله :

" أقول : على القول الأول : (لا تكاد تجد ....) صفة للإبل ، والتشبيه مركب تمثيلي والوجه منتزع من عدة أمور متوهمة .

وعلى الثاني : هو وجه للتشبيه ، وبيان لمناسبة الناس بالإبل ، والتشبيه مفرد " انتهى .

× × ×

تعقيب :

أقول : جوز البلاغيون في بعض التشبيهات المركبة الطرفين تشبيه كل جزء من أجزاء أحد الطرفين بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر ، ولكن الإبقاء على التركيب أفضل عندهم ، يقول الشيخ عبد القاهر :

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٣) الحديث رقم (٥٣٦٠) .
(٢) هكذا ذكره عبد القاهر في أسرار البلاغة ، ينظر : ص (٧) [illegible] الرسالة .
(٣) ينظر : المرقاة ، ج ١٠ ، ص (٩٢) .

" وقد يكون الشيء منه إذا فض تركيبه استوى التشبيه في طرفيه ، إلا أن الحال تتغير ، ومثال ذلك قوله :

وكأن أجرامَ النجوم لوامعاً   دُرَرٌ نُثرن على بساط أزرق

فأنت وإن كنت إذا قلت : (كأن النجوم دُرَرٌ وكأن السماء بساط أزرق) وجدت التشبيه مقبولاً ممتازاً مع التفريق ، فإنك تعلم بعد ما بين الحالتين ، ومقدار الإحسان الذى يذهب من البين ، وذلك أن المقصود من التشبيه أن يُرِيَكَ الهيئةَ التي تملأ النواظر عجباً ، وتستوقف العيون ، وتستنطق القلوب بذكر الله تعالى من طلوع النجوم مؤتلفةً مفترقةً في أديم السماء ، وهي زرقاء زرقتها الصافية التي تخدع العين ، والنجوم تتلألأ وتبرُق في أثناء تلك الزرقة ، ومن لك بهذه الصورة إذا فَرَّقْتَ التشبيه وأزلت عنه الجمع والتركيب؟ وهذا أظهر من أن يخفى "(١).

أقول :

لو أن الطيبي أبقى على التركيب والتمثيل في الأحاديث السابقة لكان أجمل وأقوم من الذهاب إلى التفريق وإرجاع كل جزء من أحد الطرفين إلى ما يقابله في الطرف الآخر.

---

(١) أسرار البلاغة ، ص (١٧٧- ١٧٨) .

- المبحث الثاني -

- التشبيه التمثيلي -

نتناول في هذا المبحث العلاقة بين التشبيه والتمثيل ، وتعريف التمثيل ، ونماذج من التشبيه التمثيلي عند الطيبي :

أولاً : التشبيه والتمثيل عند الطيبي :

استعمل الطيبي كلمة التمثيل بمعان متعددة ، منها : التشبيه التمثيلي ، والاستعارة ، والكناية ، وغير ذلك ... فهي كلمة عامة الدلالة عنده ، فلا يراد عند إطلاقها التشبيه التمثيلي ، أو الاستعارة التمثيلية دائماً .

وهذه نماذج تؤيد ما ذكرته :

١- عن عثمان - رضي الله عنه - ، قال : قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - :
(من تَوَضَّأَ فأحسنَ الوُضوءَ ، خَرجتْ خطاياهُ من جَسَدِه حتى تخرجَ من تحتِ أظفاره)(١).

قال الطيبي :

« قوله : (خرجت خطاياه) تمثيل وتصوير لبراءته عن الذنوب كلها على سبيل المبالغة ،لكن هذا العام خص بالصغائر » انتهى .

أقول : قوله (خرجت خطاياه) هو استعارة مكنية . لأن الخروج من صفات الأعيان فاستعاره للخطايا . وقد أطلق عليها الطيبي مصطلح التمثيل .

٢- جاء في حديث قوله - عليه السلام - : (..فإذا طلعت الشمسُ فأَمسِكْ عن الصلاةِ

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٩٤) ، الحديث رقم :(٢٨٤) .

فإنها تطلعُ بينَ قَرْنَي الشيطانِ)(١).

قال الطيبي في أحد وجوه الحديث :

" إنه من باب التمثيل ، شبه الشيطان فيما يسوله لعبدة الشمس ، ويدعوهم إلى معاندة الحق ، بذوات القرون التي تعالج الأشياء وتدافعها بقرونها " انتهى .

أقول : (قرني الشيطان) استعارة مكنية ، والتركيب كله كناية عن سوء هذا الوقت ، وقد أطلق الطيبي على هذا التركيب مصطلح التمثيل .

٣- عن سلمانَ ، قال : سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :

(من غدا إلى صلاة الصبحِ غدا براية الايمان ، ومن غدا إلى السُّوقِ غدا براية إبليسَ)(٢).

قال الطيبي :

" قوله : (براية الايمان ..) تمثيل لبيان حزب الله وحزب الشيطان ، فمن أصبح يغدو إلى المسجد كأنه يرفع أعلام الايمان ، ويظهر شرائع الاسلام ، ويتحرى في توهين أمر المخالفين ، ومن أصبح يغدو إلى السوق فهو من حزب الشيطان ، يرفع أعلامه ، ويشد من شوكته ، وينصر حزبه ، ويتوخى توهين دينه " انتهى .

أقول : هذا التركيب من الاستعارة المكنية ، حيث شبه الإيمان بجيش له راية ، ثم حذف المشبه به وأبقى الراية وهي من لوازمه لتدل عليه ، وكذلك الأمر بشأن راية إبليس ، وقد أطلق على الاستعارة المكنية هنا مصطلح التمثيل .

٤- عن علي ،رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(بادروا بالصدقةِ فإن البلاءَ لا يتخطَّاها)(٣).

---

(١) من حديث رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو ، ينظر: المشكاة ، ج ١ ، ص (١٨٤) ، الحديث رقم :(٥٨١) .

(٢) رواه ابن ماجه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٢٠١) ، الحديث رقم :(٦٤٠) .

(٣) رواه رزين ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٩١) ، الحديث رقم :(١٨٨٧) .

قال الطيبي :

" قوله :(فإن البلاء لا يتخطاها) تعليل للأمر بالمبادرة ، وهو تمثيل ، جعلت الصدقة والبلاء كفرسي رهان ، فأيهما سبق لم يلحقه الآخر ولم يتخطه "

أقول :

قوله :(لا يتخطاها) هو استعارة مكنية ، فهو بعد أن شبه الصدقة والبلاء بفرسي رهان ، يسابق أحدهما الآخر ، حذف المشبه به ، وأبقى من لوازمه التخطي ، وقد أطلق عليها مصطلح التمثيل .

٥- عن حذيفة ، قال : كان النبيّ - صلى الله عليه وسلم - إذا أخذ مَضْجَعَهُ من الليل وضع يدَهُ تحت خدّه ، ثم يقول :(اللهم باسمكَ أموتُ وأحيا) وإذا استيقظَ قال : (الحمدُ للهِ الذى أحيانا بعد ما أماتَنا وإليه النشور) (١).

قال الطيبي :

" قال في النهاية : سمّي النوم موتاً لأنه يزول معه العقل والحركة تمثيلاً وتشبيهاً ... "(٢).

والحق أن إطلاق الموت على النوم هو استعارة تصريحية ، فقد شبه النوم بالموت ثم حذف المشبه ، واستعار المشبه به وهو الموت للمشبه وهو النوم .

واشتق من الموت بمعنى النوم أموت بمعنى أنام ، وكذلك (أحيا) استعارة تصريحية تبعية ، وكذلك الأمر في قوله :(أحيانا) و (أماتنا) والقرينة في هذه الاستعارات حالية . وقد أطلق الطيبي على استعارة الموت للنوم مصطلح التشبيه والتمثيل ، وهذا يدل على عموم كلمة التمثيل عنده ، وهو يقرنها بكلمة

---

(١) رواه البخارى ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٧٣٦) الحديث رقم (٢٣٨٢) .

(٢) النهاية ، ج ٤ ، ص (٣٦٩) .

التشبيه أيضاً ، وكأن هاتين الكلمتين مترادفتان عنده . صحيح أنه ناقل للنص ، ولكن سكوته يعد إقراراً .

٦- عن ابي سعيد الخدري ، وأنس بن مالك ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (سيكونُ في أمتي اختلافٌ وفرقةٌ ، قومٌ يحسنون القيلَ ويسيئونَ الفعلَ ، يقرؤونَ القرآنَ لا يجاوزُ تراقِيَهم ، يَمْرُقُونَ من الدينِ مُروقَ السَّهمِ من الرَّميةِ ، لا يرجِعونَ حتى يرتدَّ السَّهمُ على فُوقِهِ ، هم شرُّ الخلقِ والخَليقةِ)[١].

قال الطيبي :

« قوله :(مروق السهم) مصدر ، أي مثل مروق السهم ، ضرب مثلهم في دخولهم في الدين وخروجهم منه بالسهم الذي لا يكاد يلاقيه شيء من الدم لسرعة نفوذه ، تنبيهاً على أنهم لا يتمسكون من الدين بشيء ، ولا يلوون عليه ، وقد أشار الى هذا المعنى في غير هذه الرواية بقوله :(قد سبقَ الفرثَ والدمَ)[٢].

قوله :(حتى يرتد السهم على فُوقِه) كقوله تعالى :(إن الذينَ ارتدُّوا على أدبارِهم)[٣] والفُوق موضع الوتر من السهم[٤] ، وهذا من التعليق بالمحال ، علق رجوعهم إلى الدين بما يعد من المستحيلات مبالغة في إصرارهم على ما هم عليه ، حسماً للطمع في رجوعهم إلى الدين ، كما قال تعالى :(ولا يدخلونَ الجنةَ حتى يَلِجَ الجملُ في سَمِّ الخِياطِ)[٥] ، وفيه من اللطف أنه راعى بينَ التمثيلين المناسبة في أمر واحد ،

---

(١) من حديث رواه أبو داود ، ينظر: المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٠٥٢- ١٠٥٣) الحديث رقم (٣٥٤٣) .

(٢) وردت في البخاري من حديث رواه أبو سعيد ، ينظر : فتح الباري ، ج ١٢، ص (٢٩٠) الحديث رقم (٦٩٣٣).وقد ذكرها الشريف الرضي في (المجازات النبوية) ص (٣٧) وقال: " وفي هذا القول مجاز " .

وأشار إلى نحو هذا الحديث أيضا في ص (٢٣٥) من كتابه المذكور .

(٣) سورة محمد ، الآية (٢٥) .

(٤) في المعجم الوسيط، مادة (فاق) :

" الفوقُ من السَّهم :حيث يثبت الوتر منه... جمع فُوَق وأَفْواق " .

(٥) سورة الأعراف ، الآية (٤٠) .

مثل أولاً خروجهم من الدين بخروج السهم من الرمية ، وثانياً فرض دخولهم فيه ورجوعهم إليه برجوع السهم على فُوقِه إلى ما خرج منه من الوتر " .

وهذا تشبيه محذوف الوجه والأداة بمجيء المشبه به مصدراً مبيناً للنوع ، وقد أطلق الطيبي عليه مصطلح التمثيل .

٧- عن علي ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:(أنا دارُ الحكمةِ وعليٌّ بابها)(١).

قال الطيبي :

" لعل الشيعة تتمسك بهذا التمثيل على أن أخذ العلم والحكمة منه مختص به لا يتجاوزه إلى غيره إلا بواسطته - رضي الله عنه - لأن الدار إنما يدخل فيها من بابها ، وقد قال تعالى :

(وليسَ البِرُّ بأن تأْتوا البيوتَ من ظُهُورِها ولكن البِرَّ من اتقى وأْتوا البيوتَ من أبوابِها)(٢).

---

(١) رواه الترمذي ، وقال : هذا حديث غريب .
ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٧٢١) ، الحديث رقم (٦٠٨٧) .
وذكر نحوه الشريف الرضي في كتابه :(المجازات النبوية) ، ص (١٤٤) وقال :
" وهذا القول مجاز لأنه - عليه الصلاة والسلام - شبه علمه بالمدينة المحصنة التي لا يطمع طامع في دخولها والوصول إليها إلا من بابها ..." .
أقول : ولا يخفى أن هذا تشبيه صريح .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٨٩) .

ولا حجة لهم فيه ، إذ ليست دار الجنة بأوسع من دار الحكمة ، ولها ثمانية أبواب "(١) .

أقول :

في هذا الحديث أطلق الطيبي على التشبيه البليغ مصطلح التمثيل ، وقد جاء المشبه به خبراً للمشبه .

× ×

(١) أي للجنة ثمانية أبواب ، وقد ورد بذلك حديث عن عبادة بن الصامت .
ينظر : صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١ ، ص (٢٢٦ـ ٢٢٧) .
وقد أراد الطيبي أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو المشبه بدار الحكمة علمه واسع ، فلو قدر علمه بشيء مخلوق مثل الجنة ، فإنه يوازيه أو يزيد ، ولا تكون الجنة أوسعَ منه ، ولأن الجنة لها ثمانية أبواب ، فإن دار الحكمة لها أبواب عدة أيضاً ، منها باب علي ، وهذا التأويل اجتهاد منه ، وهو اجتهاد موفق ، لأن علم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي تركه لنا هو سنته ، ومعرفتها تتم عن طريق الرواة ، وهم الصحابة ومن بينهم علي رضي الله عنهم جميعاً . والله أعلم .

من تلك الأمثلة يظهر أن الطيبي يطلق كلمة تمثيل على كثير من الأنواع البيانية من بينها التشبيه التمثيلي ، فهي كلمة عامة عنده ، خلافاً للشيخ عبد القاهر وجمهور البلاغيين ، فقد ميز الشيخ عبد القاهر بين التشبيه والتمثيل قائلاً :
" فاعلم أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه ، فكل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيلاً "(١).

ولعل سبب عموم كلمة تمثيل عند الطيبي تأثره بالزمخشري يقول الدكتور محمد أبو موسى مبيناً دلالة التمثيل عند الزمخشري :
" وللتمثيل مدلولات كثيرة في بلاغة الكشاف ، وهي أقرب إلى الاستعمال اللغوي ، فهو يطلقه على التشبيه ، وعلى الاستعارة التمثيلية ، وعلى الاستعارة في المفرد ، وعلى فرض المعاني "(٢).

× × × ×

---

(١) أسرار البلاغة ، ص (٧٤) .
(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، ص (٤٠٢) .

ثانياً : تعريف التشبيه التمثيلي :

للتشبيه التمثيلي تعريفات كثيرة ، أشهرها ثلاثة تعريفات :

الأول :

وصاحبه الشيخ عبد القاهر ، وخلاصته أن التمثيل عنده " ما كان وجه الشبه فيه متأولاً ، أو ما لم يكن الوجه فيه بيناً ظاهراً ، وذلك إذا لم يقع الاشتراك بين الطرفين في الصفة نفسها ، وإنما في لازمها ومقتضاها ، ويتحقق ذلك في التشبيه ذى الوجه العقلي غير الغرزى "(١).

الثاني :

لأبي يعقوب السكاكي ، فقد عرفه بقوله :" واعلم أن التشبيه متى كان وجهه وصفاً غير حقيقي ، وكان منتزعاً من عدة أمور ، خص باسم التمثيل "(٢).

الثالث :

للخطيب القزويني ، وهو :" ما وجهه وصف ، منتزع من متعدد ، أمرين أو أمور "(٣).

× × ×

ويمكن الموازنة بين هذه الآراء حسبما يلي :

رأى عبد القاهر : كل تشبيه يكون وجه الشبه فيه عقلياً غير غرزى (٤) مفرداً أو مركباً فهو تمثيلي .

---

(١) علم البيان للدكتور يوسف البيومي ، ص (١٤) .
(٢) مفتاح العلوم ، ص (١٦٤) .
(٣) التلخيص ، ص (٢٧٤) والإيضاح ، ج ٢ ، ص (٣٧١) .
(٤) أى الذى ليس من الصفات المتقررة في النفس ، أو ليس من جهة الغريزة والطباع .

رأى السكاكي : كل تشبيه يكون وجه الشبه فيه عقلياً غير غرزى مركباً فهو تمثيلي.

رأى الخطيب القزويني : كل تشبيه يكون وجه الشبه فيه مركباً حسياً أو عقلياً فهو تمثيلي (١). وهذا منهب الجمهور وهو الأولى بالترجيح والقبول :

قدمت تلك التعريفات تمهيداً لمعرفة رأى الطيبي في التمثيل :

عرف الطيبي التشبيه التمثيلي بأنه :

" الذى ينتزع فيه الوجه من أمور متعددة متوهمة منضم بعضها مع بعض ".

وهذا التعريف يوافق تعريف السكاكي ، فمعنى " متوهمة " أى : " الوجه غير حقيقي " ، ومعنى " منضم بعضها مع بعض " أى : أن الوجه مركب منتزع من عدة أمور ، وقد كرر الطيبي تعريف التمثيل في أماكن عدة ، كما سيظهر من خلال الفقرة التالية.

× × ×

---

(١) ينظر : (علم البيان) للدكتور يوسف البيومى ، ص (١٣ـ ١٧).

ثالثاً: نماذج من التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي:

عرض الطيبي صوراً رائعة لهذا اللون البياني الجميل من كلام الرسول المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وقد اخترت بعضها ، فمن أمثلة التشبيه التمثيلي عنده ما يلي:

١- عن جابر ، قال: (جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم ، فقالوا إن لصاحبكم هذا مثلاً ، فاضربوا له مثلاً . قال بعضهم إنه نائم ، وقال بعضهم: إن العينَ نائمةٌ والقلب يقظان . فقالوا: مثله كمثل رجلٍ بنى داراً وجعل فيها مأْدُبة وبَعَثَ داعياً ، فمن أجاب الداعيَ دخل الدارَ وأكل معه من المأدُبة ، ومن لم يجب الداعيَ لم يدخل الدار ولم يأكلْ من المأدُبة . فقالوا أوِّلوها له يفقهها . قال بعضهم إنه نائم ، وقال بعضهم إن العينَ نائمةً والقلب يقظان . فقالوا: الدارُ الجنة ، والداعي محمدٌ ، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله ، ومن عصى محمداً فقد عصى الله ، ومحمد فَرَقٌ بين الناس)(١) .

قال الطيبي عند هذا الحديث:

" قوله: (مثله كمثل رجل) مطلع للتشبيه ، وهو مبني على أن هذا التشبيه ليس من التشبيهات المفرقة ، كقول امرئ القيس شعراً:

كأن قلوبَ الطيرِ رطباً ويابساً   لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالي(٢)

شبهت القلوب الرطبة بالعناب ، واليابسة بالحشف ، على التفريق ، بل هو من التمثيل الذي ينتزع فيه الوجه من أمور متعددة متوهمة منضم بعضها مع بعض ، إذ لو

---

(١) تقدم ص (٣٧ - ٣٨) من الرسالة .

(٢) تقدم ص (٦٧) من الرسالة .

أريد التفريق لقيل :(مثله كمثل داع بعثه رجل) ومن ثم قدمت الملائكة في التأويل الدار على الداعي وعلى المضيف " .

والطيبي لا يكتفي بتبيان وجه التمثيل ، بل يقرن التشبيه بنظائره ، فيعقب قائلاً :

" ونظيره في التمثيل قوله تعالى :(إنما مَثَلُ الحياةِ الدنيا كماءٍ أنزلناهُ منَ السماءِ فاختلطَ به نباتُ الأرضِ)(١) .

قال صاحب الكشاف : كيف ولي الماء الكاف ، وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ، ولا بمفرد آخر يتمحل تقديره ؟ ومما هو بين في هذا قول لبيد شعراً :

وما الناس إلا كالديار وأهلها   بها يوم حلوها وغدواً بلاقع

لم يشبه الناس بالديار ، وإنما شبه وجودهم في الدنيا ، وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها ووُشْكِ نهوضهم عنها ، وتركها خلاء خاوية (٢) " .

ثم يعود لتحليل صورة التمثيل في الحديث فيقول :

" وتحريره أن الملائكة مثلوا سبق رحمة الله تعالى على العالمين بإرساله الرحمة المهداة إلى الخلق ، كما قال تعالى :(وما أرسلناكَ إلا رحمةً للعالمين)(٣). ثم إعداده الجنة للخلق ، ودعوته -صلوات الله عليه- إياهم إلى الجنة ونعيمها وبهجتها ، ثم إرشاده الخلق بسلوك الطريق اليها ، واتباعهم إياه بالاعتصام بالكتاب والسنة المدليين إلى العالم السفلي ، وكان الناس واقعين في مهواة(٤) طبيعتهم ، ومشتغلين بشهواتها ، وأراد الله بلطفه أن يرفعهم ، فأدلى حبل القرآن

---

(١) سورة يونس ، الآية (٢٤) .

(٢) الكشاف ، ج ١ ، ص (٨١) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (١٠٧) .

(٤) المَهْوَاةُ : ما بين الجبلين ونحو ذلك ، وتهاوى القومُ في المَهْوَاةِ ، إذا سقط بعضُهم في إثر بعض ، ينظر : الصحاح ، مادة (هوى) .

والسنة إليهم ، ليخلصهم من تلك الورطة ، فمن تمسك بهما نجا ، وحصل في الفردوس الأعلى والجناب الأقدس عند مليك مقتدر ، ومن أخلد إلى الأرض هلك ، وأضاع نصيبه من رحمة الله تعالى ، بحال مضيف كريم بنى داراً ، وجعل فيها من ألوان الأطعمة المستلذة والأشربة المستعذبة ما لا يحصى ولا يوصف ، ثم بعث داعياً إلى الناس يدعوهم إلى الضيافة إكراماً لهم ، فمن تبع الداعيَ ، نال من تلك الكرامة ، ومن لم يتبع ، حرم منها ، ثم إنهم وضعوا مكان حلول سخط الله بهم ، ونزول العقاب السرمدي عليهم ، قولهم[1]: (لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدُبة) لأن فاتحة الكلام سيقت لبيان سبق الرحمة على الغضب ، فلم يطابق أن لو ختمت بما يصرح بالعذاب والغضب ، فجاءوا بما يدل على المراد على سبيل الكناية " .

٢- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
(إن الشيطان ذئبُ الإنسان كذئب الغنم ، يأخذ الشاذَّةُ ، والقاصيةَ ، والناحيةَ ، وإياكم والشِّعابَ ، وعليكم بالجماعة والعامَّة)[2].

قال الطيبي :

" معنى التشبيه : وهو تمثيل ، مثل حالة مفارقة الجماعة والسواد الأعظم وانقطاعه عنهم ، واعتزاله عن صحبتهم ، ثم تسلط الشيطان عليه وإغوائه ، بحالة شاة قاصية شاذة عن قطيع الغنم ، ثم افتراس الذئب إياها بسبب انقطاعها .

ووصف الشاة بصفات ثلاث :

بالشاذة وهي النافرة التي لم تؤنس .

والقاصية التي قصدت البعد لا عن التنفر .

والناحية هي التي غفلت عنها وبقيت في جانب منها ، فإن الناحية هي التي صارت في ناحية من الأرض " .

---

(١) الضمير عائد إلى الملائكة عليهم السلام .
(٢) رواه أحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٥) الحديث رقم (١٨٤) .

٣- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(الكلمةُ الحكمةُ ضالةُ الحكيم ، فحيث وجدها فهو أَحقُّ بها)(١).

قال الطيبي :

" شبه حالة كلمة الحكمة في أن من سمعها ووعاها ، لزم عليه حفظها وأداؤها إلى من يستحقها ، ثم انتهاز فرصة الحكيم بها ، بحالة بهيمة ضائعة ، وجدها غير صاحبها ، ولزم عليه أن يحتفظ بها ، ويوصلها إلى صاحبها ، ثم فرح صاحبها بنيل ما ضاع منه. وفي الحديث دليل على وجوب أداء اللفظ بعينه ، أما والله إن هي إلا كلمة حكيمة ضالة كل حكيم " .

أقول :

هذا من التشبيه التمثيلي ، ولم يذكر الطيبي مصطلح التشبيه التمثيلي صراحة ، بيد أن فحوى كلامه يدل على ذلك .

٤- عن جابرٍ ، قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا خطبَ احمرتْ عيناه ، وعلا صوتُه ، واشتدّ غضبُه ، حتى كأَنهُ مُنذِرُ جيشٍ ، يقول : (صبّحكم ومسّاكم)(٢).

قال الطيبي :

" مثل حال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في خطبته وإنذاره القوم ، بمجيء القيامة وقرب وقوعها ، وتهالك الناس فيما يرديهم ، بحال من ينذر قومه عند غفلتهم بجيش قريب منهم ، يقصد الإحاطة بهم بغتة من كل جانب ، بحيث لا يفوت منهم أحداً ،

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٧٥) الحديث رقم (٢١٦) .

(٢) من حديث رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٤٢) الحديث رقم (١٤٠٧) .

فكما أن المنذر يرفع من صوته ، وتحمر عيناه ، ويشتد غضبه على تغافلهم ، كذلك حال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند الإنذار " .

أقول :

لم يذكر الطيبي مصطلح التشبيه التمثيلي ، وهذا يدل على تسامحه بذكر المصطلحات البلاغية .

٥- ونحوه حديث ابن عباس ، قال : لما نزلت : (وأنذِرْ عشيرتَكَ الأقربين)[١] صعدَ النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - الصفا فجعل ينادي : (يا بني فهر ! يا بني عدي !) لبطون قريش حتى اجتمعوا ، فقال : (أرأيتُكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريدُ أن تغيرَ عليكم أكنتم مصدقِيَّ؟) قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقاً . قال : (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)[٢] .

قال الطيبي :

" فيه تمثيل : مثل إنذاره القوم بعذاب الله تعالى النار على القوم بنذير قوم يتيقن جيش العدو فينذرهم " .

أقول :

لقد أطلق الطيبي على التشبيه التمثيلي هنا مصطلح التمثيل .

٦- قال عليه السلام :

(ما مِنْ مُسلم يصيبه أذىً من مرضٍ فما سواهُ ، إلا حطَّ اللهُ تعالى به سيئاته كما تَحُطُّ الشجرةُ ورقَها)[٣] .

---

(١) سورة الشعراء ، الآية (٢١٤) .

(٢) من حديث متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٧٦- ١٤٧٧) الحديث رقم (٥٣٧٢) .

(٣) من حديث متفق عليه ، عن عبد الله بن مسعود ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٨٦- ٤٨٧) الحديث رقم (١٥٣٨) .

قال الطيبي :

" قوله :(كما تحط الشجرة ورقها) شبه حالة المريض وإصابة المرض جسده ،ثم محو السيئات عنه سريعاً ، بحالة الشجرة وهبوب الرياح الخريفية ، وتناثر الأوراق منها سريعاً ، وتجردها عنها ، فهو تشبيه تمثيلي ، لانتزاع الأمور المتوهمة في المشبه من المشبه به ، فوجه الشبه الإزالة الكلية على سبيل السرعة،لا الكمال والنقصان ، لأن إزالة الذنوب عن الإنسان سبب كماله ، وإزالة الأوراق عن الشجرة سبب نقصانها " .

٧- عن عبد الله بن مسعود قال :

(إنَّ المؤمن يرى ذُنوبَهُ كأنه قاعدٌ تحتَ جبلٍ يخافُ أنْ يقعَ عليه ، وإنَّ الفاجرُ يرى ذنوبَهُ كذبابٍ مَرَّ على أنفهِ فقال به هكذا - أي بيده - فَذَبَّهُ عنه)(١).

قال الطيبي :

" التشبيه تمثيل : شبه حالة ذنوبه ، وأنها مهلكة ، بحالته إذا كان تحت جبل ، على منوال قوله :

وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حَلُّوها وغدواً بلاقع(٢)

لم يشبه الناس بالديار ، وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعةَ زوالهم ،بحلول أهل الديار ، ووشك نهوضهم عنها ، وتركها خلاء خاوية .

دل التمثيل الأول على غاية الخوف والاحتراز من الذنوب ، والثاني على نهاية قلة المبالاة والاحتفال بها " .

---

(١) من حديث رواه البخاري ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٧٢٨- ٧٢٩) الحديث رقم (٢٣٥٨) .

(٢) هو في ديوانه ، ينظر : شرح ديوان لبيد ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، ص (١٦٩) . وقد تقدم ص (١٤٦) من هذه الرسالة .

٨- عن أبي سعيد ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :
(مَثَلُ المؤمنِ ومَثَلُ الإيمانِ كمثلِ الفرسِ في آخِيَّتِهِ يجولُ ثم يرجع إلى آخِيَّتِهِ[١] وإن المؤمنَ يسهو ثم يرجعُ إلى الإيمانِ ، فأطعموا طعامَكم الأتقياءَ ، وأَوْلُوا معروفَكم المؤمنينَ)[٢].

قال الطيبي :

" أقول : (وإن المؤمن يسهو) عطف على قوله : (يجول) وخولف بين الجملتين لإرادة التجدد في الأولى ، والثبوت في الثانية[٣] ، لأن المؤمن لا ينفك عن الإيمان البتة وكلاهما بيان للسابق ، كأنه قيل : لم شبهت حال المؤمن بحال الفرس وما حال المشبه به؟ فأجيب : (يجول) أي الفرس الى آخره .
والتشبيه تمثيلي ، لأن الوجه منتزع من عدة أمور متوهمة " .

٩- عن أبي رزين العقيلي ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(رؤيا المؤمنِ جزءٌ من ستةٍ وأربعينَ جزءاً من النبوةِ ، وهي على رِجْلِ طائر ما لم يحدِّثْ بها ، فإذا حدَّثَ بها وقعتْ)[٤].

---

(١) الآخِيَّة : عروة تثبت في أرض أو حائط وتربط فيها الدابة ، ينظر : المعجم الوسيط ، مادة (أخا) .
(٢) رواه البيهقي في (شعب الإيمان) وأبو نعيم في (الحلية) ، ينظر : المشكاة ج ٢ ، ص (١٢٢٦) الحديث رقم (٤٢٥٠) .
(٣) تقدم الحديث عن فائدة الجملة الفعلية وفائدة الجملة الاسمية ص (٢٢-٢٣) وفي ص (٦٧) من الرسالة .
(٤) رواه الترمذي ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٣٠١) الحديث رقم (٤٦٢٢). وقد ورد بلفظ آخر في (المجازات النبوية) للشريف الرضي ، ص (٢٢٦-٢٢٧) وهو : (الرؤيا على الرِّجْلِ طائِرٌ ما لم تُعَبَّرْ ، فإذا عُبِّرَتْ وقعتْ ، فلا تُحدثنَّ بها إلا حبيباً أو لَبيباً) . وقال الشريف : " وفي هذا الكلام مجاز ، والمراد بالطائر ههنا الأمر الذي يُتطيَّرُ به " .

نقل الطيبي عن ابن الأثير قوله : " كلُّ حركةٍ من كلمةٍ أو جارٍ يَجْرى فهو طائر مجازاً أراد على رِجْلِ قدرٍ جارٍ وقَضاء ماضٍ من خير أو شر ، ومعناه لا يَسْتَقِرُّ تأويلُها حتى تُعْبَرَ ، يريد أنها سريعة السقوط إذا عُبِرَتْ ، كما أن الطير لا يَسْتَقِرّ في أكثر أحواله ، فكيف يكونُ ما على رِجْلِه؟"(١).

وعقب الطيبي قائلاً :

" أقول : التركيب من باب التشبيه التمثيلي ، شبه الرؤيا بالطير السريع طيرانه وقد علق على رِجْلِه شيء يسقط بأدنى حركة ، فينبغي أن يتوهم للمشبه حالات متعددة مناسبة لهذه الحالات ، وهي أن الرؤيا مستقرة على ما يسوقه التقدير إليه من التعبير ، فإذا كانت في حكم الواقع قيض وألهم من يتكلم بتأويلها على ما قدر ، فيقع سريعاً ، وإن لم تكن في حكمه لم يقدر لها من يعبرها " .

١٠- عن جابر ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(الغناءُ يُنبتُ النفاقَ في القلبِ كما يُنبتُ الماءُ الزرعَ)(٢) .

قال الطيبي :

" قوله :(الغناء ينبت النفاق) معناه : الغناء سببٌ للنفاق ، ويؤدي إليه ، وأصله وشعبته ، كما قال :(والبَذاءُ والبيانُ شُعْبَتانِ من النفاقِ)(٣).
وهذا تشبيه تمثيلي ، لأنه منتزع من عدة أمور متوهمة " .

---

(١) النهاية ، ج ٣ ، ص (١٥٠) .
(٢) رواه البيهقي في (شعب الايمان) ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٥٥) ، الحديث رقم (٤٨١٠) .
(٣) من حديث رواه الترمذي عن أبي أمامة ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٥٢) ، الحديث رقم (٤٧٩٦) ، وينظر : النهاية لابن الأثير ، ج ١ ، ص (١٧٤) .

١١- قال عليه السلام :

(مالي وللدنيا ؟ وما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها)(١)

قال الطيبي :

" قوله (مالي وللدنيا) أي ليس حالي مع الدنيا إلا كحال راكب مستظل ، وهو من التشبيه التمثيلي ، ووجه التشبيه : سرعة الرحيل ، وقلة المكث ، ومن ثم خص الراكب " .

١٢- عن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

(إن أهلَ الجنةِ يتراءَونَ أهلَ الغرفِ من فوقهم كما تتراءَونَ الكوكبَ الدريَّ الغابرَ في الأفقِ ، من المشرقِ أو المغربِ ، لتفاضُلِ ما بينهم)(٢).

علق الطيبي على هذا الحديث قائلاً :

" فإن قلت : ما فائدة تقييد الكوكب بالدري ، ثم بالغابر في الأفق ؟

قلت : للإيذان بأنه من باب التمثيل الذي وجهه منتزع من عدة أمور متوهمة في المشبه. شبه رؤية الرائي في الجنة صاحب الغرفة ، برؤية الرائي الكوكب المستضيء الباقي في جانب الشرق أو الغرب في الإستضاءة مع البعد ، فلو قيل :(الغابر) لم يصح لأن الإشراق يفوت عند الغروب ، اللهم إلا أن يقدر : المستشرف على الغروب كقوله تعالى : (فإذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ)(٣) أي : شارفن بلوغ أجلهن(٤) ، لكن لا يصح هذا

---

(١) من حديث رواه أحمد والترمذي وابن ماجه ، عن ابن مسعود ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٣٣) الحديث رقم (٥١٨٨) .

(٢) من حديث متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٦٤- ١٥٦٥) الحديث رقم (٥٦٢٤).

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٣٤) ، وسورة الطلاق ، الآية (٢) .

(٤) في الكشاف ، ج ٤ ، ص (٥٥٥) :" وهو آخر العدة ، وشارفنه" ، ونحوه في تفسير أبي السعود ، ج ٨ ، ص (٢٦١) .

المعنى في الحال الشرقي ، نعم يجوز على التقدير كقوله :

يا ليت بعلكِ قد غدا مُتَقَلِّداً سيفاً ورُمْحاً (١)

وقوله : × علفتها تبناً وماءً بارداً × (٢)

أي طالعاً في الأفق من المشرق وغابراً في المغرب " .

١٣- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(مَثَلي ومثلُ الأنبياءِ كمثلِ قصرٍ أُحسِنَ بُنيانُه ، تُرِكَ منهُ موضعُ لبِنَةٍ ، فطافَ به النظّارُ ، يتعجّبونَ من حُسنِ بنيانِه ، إلا موضعَ تلكَ اللبِنَةِ ، فكنتُ أنا سددْتُ موضعَ اللبِنَةِ ، خُتِمَ بي البُنيانُ وخُتِمَ بي الرسلُ)(٣).

قال الطيبي :

---

(١) قائله : عبد الله بن الزبعرى ، وقد أورده المبرد بلفظ " يا ليت زوجك .. " وقال : (والرمح لا يُتقلد ، ولكن أدخله مع ما يتقلد ، فتقديره : متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً) .
ينظر : الكامل ، ج ١ ، ص (٤٠٣) . وقد تكرر ذكره في الكامل ، ج ١ ، ص (١٩٦) وص (٢١٨) . وهو في الكشاف ، ج ٤ ، ص (١٦٠) .

(٢) لم ينسب هذا الشاهد لقائل معين ، والشاهد فيه " وماءً " فإنه لا يعطف على ما قبله ، وقد ذكر النحويون تأويلات لذلك ، منها تقدير فعل يعطف على علفتها ، والتقدير : " علفتها تبناً وسقيتها ماءً " .
ينظر :
شرح ابن عقيل بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج ١ ، ص (٥٩٥ - ٥٩٦) .
وأوضح المسالك لابن هشام ، ج ٢ ، ص (٢٤٥) .
وشرح شذور الذهب لابن هشام ، ص (٢٤٠) .

(٣) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٦٠١) الحديث رقم (٥٧٤٥) .

" قوله :(مثلي ومثل الأنبياء) هذا من التشبيه التمثيلي ، شبه الأنبياء ، وما بعثوا به من الهدى والعلم ، وإرشادهم الناس إلى مكارم الأخلاق ، بقصر شيد بنيانه وأحسن بناؤه ، لكن ترك منه ما يصلحه ، وما يسد خلله من اللبنة ، فبعث نبينا لسد ذلك الخلل ، مع مشاركته إياهم في تأسيس القواعد ورفع البنيان " .

× × × ×

....

- المبحث الثالث : التشبيه البليغ -

إن الطيبي يصرح بأن عبارة " زيد بحر" هي من التشبيه البليغ ، وهذا يعني أن التشبيه البليغ عنده : ما حذف منه الوجه والأداة ، فقد سار على ما هو متعارف عليه عند عموم المتأخرين من البلاغيين ، وفي المثال الآتي صورة بيانية سامية من الكلام النبوي الشريف ، يعلق عليها الطيبي ، ويبين رأيه بما عرف باسم : (التشبيه البليغ) .

- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(ما بينَ بيتي ومِنبري روضةٌ من رياضِ الجنة ، ومنبري على حَوضي)[1].

يبين الطيبي معنى الحديث قبل أن يتحدث عنه من الجانب البياني فيقول :

"قال في شرح السنة : قيل معنى الحديث : إن الصلاة في ذلك الموضع والذكر فيه يؤدي إلى روضة من رياض الجنة ، ومن لزم العبادة عند المنبر يسقى يوم القيامة من الحوض وهذا كما قال : (عائدُ المريض على مَخَارِفِ الجنة)[2] يعني عيادة المريض تؤديه إليها ، وكما جاء في الحديث :(الجنة تحتَ ظلالِ السيوف)[3]. يريد أن الجهاد يؤديه إلى الجنة [4].

- وقال التوربشتي : إنما سمى البقعة المباركة روضة لأن زوار قبره وعمار مسجده من الملائكة والجن والإنس لم يزالوا مكبين فيها على ذكر الله تعالى

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٢١٩) الحديث رقم (٦٩٤) .
وقد أورد الشريف الرضي في كتابه " المجازات النبوية" ، ص (٨٤) حديثاً قريباً منه ، وهو :(منبري هذا على ترعة من ترع الجنة) وقال :" وفي هذا الكلام مجاز" .
(٢) أورده الشريف الرضي في " المجازات النبوية" ، ص (٨٨) . والمخارِفُ جمع مُخْرَف وهو جَنَى النخل ، أو جمع مَخْرُفَة ، وهي الطريق ، وفي الكلام مجاز على التأويلين معاً ، حسبما ذكره الشريف الرضي .
(٣) سيأتي ص (٣٨٣) من هذه الرسالة .
(٤) شرح السنة للبغوي ، ج ٢ ، ص (٣٣٩) .

وعبادته ، إذا صدر عنها فريق ورد عليها آخرون ، كما جاء :(إذا مَرَرْتُم برياض الجنّة فارتعوا . قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : حِلَقُ الذكر)[١] وقال : (ومنبري على حوضي) أى على حافته ، فمن شهده مستمعاً إليه شهد الحوض . ونبه - صلوات الله عليه - على أن المنبر مورد القلوب الصادئة في بيداء الجهالة ، كما أن الحوض مورد الأكباد الظامئة في حر القيامة ، وهما متلازمان لا مطمع لأحد في الآخرة دون انتفاعه بالأول ، هذا ونحن لا نقطع بالقول في المناسبة بكل شيء ، بل نذهب فيها إلى الاستنباط والتأويل ، ونعتقد أن المراد منه ما أراده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، هو الحق وإن لم تهتد إليه عقولنا وأفهامنا "[٢] .

ثم عقب على كلام البغوى والتوربشتي قائلاً :

" أقول : لما شبه المسافة التي بين البيت والمنبر بروضة الجنة لأنها مكان الطاعات والذكر ، ومواضع السجود والفكر ، أتى بقوله :(ومنبرى على حوضي) تنبيهاً على أن استمدادها من البحر الزاخر النبوى ، ومكانه المنبر الموضوع على الكوثر ، يفيض منه العلم الإلهي ، فجعل فيضان العلم اللدني من المنبر إلى الروضة ، وري الناس به ، والعمل بموجبه ، سبباً لريهم من الحوض الكوثر ، وحصولهم في رياض الجنة ...." .

بعد ذلك يبين الطيبي التشبيه من الناحية البيانية ، فيقول :

" فإن قلت : الذى يفهم من كلام الشارحين أن الحديث وارد على التسبب فماذا

---

(١) رواه الترمذى عن أنس ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٧٠٢) ، الحديث رقم (٢٣٧١)
وقد أورد الترمذى حديثاً آخر مشابهاً له عن أبي هريرة ، وذكر فيه أن رياض الجنة المساجد ، ينظر : ص (٣٤٢) من هذه الرسالة .

(٢) ينظر : المرقاة ، ج ٢ ، ص (١٩١)
والتعليق ، ج ١ ، ص (٣٠٨) .

يقتضيه علم البيان ؟ .

قلت : كلتا الجملتين من باب التشبيه البليغ ، فإن قوله :(ما بين قبرى ومنبرى) مبتدأ حمل عليه روضة من رياض الجنة ، كما يقال :" زيد بحر " ، شبه تلك البقعة الطيبة التي تفيض عليها بركات الوحي السماوى والعلم الإلهي ، فيثمر الأعمال الصالحة والأفكار الصائبة ، بروضة من رياض الجنة ، التي فيها حلول رضوان الله وحصول ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولذلك شبه صفة المنبر العجيبة الشأن بصفة الحوض الكوثر ، وكما أنه - صلى الله عليه وسلم - يسقي غليل الجهل بماء علمه ، ويشفي عليله بمواعظه ونصائحه ، كذلك يروى صدى كرب يوم القيامة بماء الكوثر ، فلما أريد مزيد المبالغة وتناسي التشبيه ، جعل المنبر الذى هو منصة العلم على حافة الحوض ، كما تقول : (زيد كالبحر في العلم) ثم (هو على ساحل بحر العلم ، يغترف منه ويفيض على الناس)" انتهى .

والبيان النبوى غني بالصور البيانية من التشبيه البليغ ، وقد كان الطيبي يشير إليها دون أن يذكر أنها من باب التشبيه البليغ غالباً ، خلافاً للتشبيه التمثيلي الذى أكثر من ذكره .

ومن الصور البيانية الجميلة التي ينطبق عليها تعريف التشبيه البليغ ، وقد ذكرها الطيبي دون ذكر مصطلح التشبيه البليغ عندها الأمثلة الآتية ، وقد صنفتها في التشبيه البليغ لأنها منسجمة مع تعريفه لهذا التشبيه ، علماً أن بعض هذه الصور نقلها عن أسلافه من العلماء ، ولم يزد شيئاً على ما نقله .

١- عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :
(لا تجعلوا بيوتكم قُبوراً ، ولا تجعلوا قَبري عيداً ، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغُني حيثُ كنتُم)(١).

---

(١) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٢٩١ - ٢٩٢)، الحديث رقم (٩٢٦) .

قال الطيبي :

" بيان نظم الحديث أن يقال : إن قوله:(لا تجعلوا بيوتكم قبوراً) معناه : لا تجعلوا بيوتكم كالقبور الخالية عن ذكر الله تعالى وعبادته ، لأنها غير صالحة لها ، وكذلك لا تجعلوا القبور كالبيوت محلاً للاعتياد لحوائجكم ، ومكاناً للعبادة والصلاة،أو مرجعاً للسرور والزينة كالعيد " .

وقد جاء المشبه به مفعولاً ثانياً لجعل .

٢- عن حكيم بنِ حِزَامٍ ، قال : سألتُ رسولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فأعطاني ثم سألتُهُ فأعطاني ، ثم قال لي : (يا حكيمُ إنَّ هذا المالَ خَضِرٌ حلوٌ ، فمن أخذهُ بسخاوةِ نفسٍ بُورِكَ لهُ فيه،ومن أخذهُ بإشرافِ نفسٍ لم يُبارَكْ له فيه ..)(١).

قال الطيبي :

" قوله :(إن هذا المال خضر حلو) قال النووي : شبه المال في الرغبة فيه والميل إليه وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذة ، فإن الأخضر مرغوب فيه من حيث النظر ، والحلوة من حيث الذوق (٢) ، فإذا اجتمعا زادا في الرغبة وفيه إشارة إلى عدم بقائه ووخامة عاقبته "(٣).

وقد وقع المشبه به خبراً للمشبه .

(١) من حديث متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٧٧) الحديث رقم (١٨٤٢) .
وذكر بعضه الشريف الرضي في (المجازات النبوية) ، ص (٦٣- ٦٤) وقال :
" قوله عليه السلام : إن هذا المال خضرة حلوة ، مجاز لأنه شبه حلاوة المال في القلوب بحلاوة الثمرة الطيبة بالأفواه ... " .
أقول : هذا تشبيه بليغ ، وما أكثر ما يطلق الشريف على هذا التشبيه مصطلح المجاز .

(٢) في شرح النووي :" فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده ، والحلو كذلك على انفراده ، فاجتماعهما أشد ... " .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٧ ، ص (١٢٦) .

٣- قال عليه السلام في صفة القرآن :(وهو الذِّكْرُ الحكيمُ وهو الصراطُ المستقيم)(١).

قال الطيبي :

" قوله :(وهو الصراط المستقيم) أي : هو مثل الصراط المستقيم في أن يوصل سالكه إلى المقصد ، فتشبيه بحذف وجهه وأداته " انتهى .

أقول :

أراد أنه تشبيه بليغ ، بيد أنه لم يذكر المصطلح هنا كما هي الحال في معظم أمثلة هذا المبحث ، وقد وقع المشبه به خبراً للمشبه .

٤- عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قال :
(إنكم ستَحْرِصونَ على الإمارةِ ، وستكون ندامةً يومَ القيامةِ ، فنِعْمَ المُرْضِعةُ وبئستِ الفاطِمَةُ)(٢) .

قال الطيبي :

" قوله :(فنعم المرضعة وبئست الفاطمة) قال القاضي : شبه الولاية بالمرضعة، وانقطاعها بالموت أو العزل بالفاطمة ، أي نعمت المرضعة الولاية ، فإنها تدر عليك المنافع واللذات العاجلة ، وبئست الفاطمة المنية ، فإنها تقطع عنك تلك اللذائذ

(١) من حديث رواه الترمذي والدارمي ، عن الحارث بن الأعور عن علي ، ينظر : المشكاة ج ١ ، ص (٦٥٩- ٦٦٠) الحديث رقم (٢١٣٨) . وقال الترمذي إسناده مجهولٌ وفي الحارث مقال .
(٢) رواه البخاري ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٠٨٩) الحديث رقم (٣٦٨١) وقد ذكره الشريف الرضي بلفظ :(سيحرصون بعدي على الإمارة ، فنعمت المرضع وبئست الفاطم) . وقال :" وهذه استعارة ، كأنه عليه الصلاة والسلام أقام الإمارة في حلاوة أوائلها ، ومرارة أواخرها ، مقام المرضع التي تحسن الرضاع وتسيء الفطام ، وهذا من أوقع تشبيه ، وأحسن تمثيل ". ويلاحظ تداخل المصطلحات البيانية عند الشريف الرضي ، مما يؤكد ما ذكرته عنه في التمهيد ص (٥) من الرسالة .

والمنافع ، وتبقي عليك الحسرة والتبعة ، فلا ينبغي للعاقل أن يلم بلذة تتبعها حسرات "(١)

٥- عن جابر ، قال : سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوةٍ غزاها يقول :(استكثِروا من النِّعال ، فإنَّ الرَّجلَ لا يزالُ راكباً ما انتعَلَ)(٢).

قال الطيبي :

" قوله : (لا يزال راكباً ما انتعل) قال النووي : معناه أنه شبيهٌ بالراكب ، في خفة المشقة عليه ، وقلة تعبه ، وسلامة رِجْلِهِ مما يُلقى في الطريق من خشونة وشوك ، وأذى ، ونحو ذلك . وفيه استحباب الاستظهار في السفر بالنعال وغيرها مما يحتاج إليه المسافر "(٣) .

وقد وقع المشبه به خبراً لأحد أخوات كان .

٦- عن أبي مسعود الأنصاريِّ ، قال لأبي عبد الله ، أو قال أبو عبد الله لأبي مسعود : ما سمعتَ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول في (زعموا)؟. قال :سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (بئس مطيَّةُ الرجلِ) رواه أبو داود وقال : إن أبا عبد الله حذيفةُ .(٤)

قال الطيبي :

" قوله : (بئس مطية الرجل) قال في النهاية : معناه أنَ الرجُل إذا أرادَ شيئاً من المسيرِ إلى بلد والظُّعْنَ في حاجة ركِب مطيته وسار حتى يقْضيَ أَرَبَه ، فشبه ما يُقَدِّمُه المتكلمُ أمامَ كلامِ ويتوصلُ به إلى غرضه من قوله : زَعموا كذا أو كذا بالمَطِية التي يُتوصل بها إلى الحاجة ، وإنما يُقال : زَعموا في حديثٍ لا سندَ له ولا تَثَبُّتَ فيه

---

(١) ينظر : المرقاة ، ج ٧ ، ص (٢٠٩) .

(٢) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٢٥٩) ، الحديث رقم :(٤٤٠٩) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٤ ، ص (٧٣) .

(٤) المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٤٨) ، الحديث رقم :(٤٧٧٧) .

وإنما يُحكى على الألْسن على سبيل البلاغ ، فذمّ من الحديث ما كان هذا سبيلَه "(١).

٧- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(إن أحدكم مرآةُ أخيه ، فإن رأى به أذىً فليُمطْ عنه) رواه الترمذي وضعفه ، وفي رواية له ولأبي داود :(المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ ، والمؤمن أخو المؤمن ، يكفُّ عنه ضيعته (٢) ، ويحوطه من ورائه)(٣).

قال الطيبي :
" قيل : أي المؤمن في إراءة عيب أخيه إليه كالمرآة المجلوة التي تحكي كل ما ارتسم فيها من الصور ، ولو كان أدنى شيء ، فالمؤمن إذا نظر الى أخيه ،يستشف من وراء أقواله وأفعاله وأحواله تعريفات وتلويحات من الله الكريم ، فأي وقت ظهر من أحد المؤمنين المجتمعين في عقد الأخوة عيب قادح في أخوته نافروه ، ليعود إلى دائرة الجمعية " انتهى .

أقول :
ما ذهب إليه الطيبي هو قريب مما ذهب إليه الشيخ عبد القاهر ، بيد أنه لم يصرح بأن وجه الشبه عقلي ، كما فعل الشيخ عبد القاهر في تناوله للحديث في كتابه أسرار البلاغة ، حيث قال : " قول النبي - صلى الله عليه وسلم - (المؤمن مرآة المؤمن) ليس على إثباته مرآة" من حيث الجسم الصقيل ، لكن من حيث الشبه المعقول ، وهو كونها سبباً للعلم بما لولاها لم يُعلمْ ، لأن ذلك العلم طريقُهُ

(١) النهاية ، ج ٢ ، ص (٣٠٣) .
(٢) ضيعة الرجل : ما يكون من معاشه ، من صناعة أو غلة ... ينظر :مختصر سنن أبي داود للمنذري ، ج ٧ ، ص (٢٣٥) .
(٣) ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٩٠) ، الحديث رقم :(٤٩٨٥) ، وقد أورده الشريف الرضي في " المجازات النبوية " ص (٦٦) بلفظ : (المؤمن مرآة أخيه) وقال : " وهذا القول مجاز واستعارة ".وهو كما لا يخفى تشبيه بليغ .

الرؤية ، ولا سبيل إلى أن يرى الإنسان وجهه إلا بالمرآة ، وما جرى مجراها من الأجسام الصقيلة ، فقد جمع بين المؤمن والمرآة في صفة معقولة ، وهي أن المؤمن ينصح أخاه ، ويُريه الحسَن من القبيح ، كما تُري المرآةُ الناظرَ فيها ما يكون بوجهه من الحسن وخِلافه.(١) " .

وقد وقع المشبه به خبراً للمشبه في هذا التشبيه :

٨- عن أبي سعيد الخدري ، أن ابن صيَّاد سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن تُربة الجنة ، فقال : (دَرْمَكَةٌ بيضاءُ ، مسكٌ خالصٌ)(٢).

قال الطيبي :

" قوله : (در مكة) قال في النهاية : " الدرمكة : الدقيق الحُوَّارَى " (٣) . شبه تربة الجنة بها لبياضها ونعومتها ، وبالمسك لطيبها " .

٩- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(لولا الهجرةُ لكنتُ امرءاً من الأنصار ، ولو سَلَكَ الناسُ وادياً وسلكتِ الأنصارُ وادياً أو شِعْباً لسلكتُ وادي الأنصار وشِعْبَها ، الأنصارُ شعارٌ ، والناسُ دِثارٌ)(٤).

---

(١) أسرار البلاغة ، ص (٢٥٢) .

(٢) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥١٩) الحديث رقم (٥٤٩٦) .

(٣) النهاية ، ج ٢ ، ص (١١٤) . أقول : وحول معنى الحوارى ينظر ص (١١٥) الهامش (٣) من الرسالة .

(٤) من حديث رواه البخارى ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٧٥٢) ، الحديث رقم (٦٢٠٩) ، وذكر الشريف الرضي بعضه بلفظ : (أنتم الشعار ، والناس الدثار) وقال : (وهذا مجاز) . ينظر : المجازات النبوية ، ص (٤٢) . قلت : هو تشبيه بليغ لحذف وجهه وأداته .

قال الطيبي :

" الشعار الثوب الذى يلي شعر البدن ، والدثار الذى فوقه .[١]

شبه الأنصار بالشعار لرسوخ صداقتهم وخلوص مودتهم " انتهى .

أقول :

وفي قوله - عليه السلام - (والناس دثار) تشبيه أيضاً ، ولم يشر الطيبي إليه ، وهو من التشبيه البليغ .

× × × ×

---

(١) ينظر : النهاية ، ج ٢ ، ص (٤٨٠) .

ـ الفصـــــــل الثالـــــث ـ

ـ أغراض التشـــــبيـــه ـ

قبل أن نتناول هذه الأغراض بالتفصيل ، أود أن أنبه الى أن الطيبي عني كثيـراً بالتشبيه ، وذلك لما له من أغراض سامية وقيمة رفيعة ، في البيان عامة ، والبيان النبوي خاصة ، كما أن له منزلة عالية في نفس الطيبي ، وقد دفعه ذلك إلى الاتيان بالأدلة على استحسان التشبيه من خلال الحديث النبوى ، وذلك لأن التشبيه من فطرة الشعوب وفي مقدمتهم العرب ، قال المبرد :" .. والتشبيه جار كثير في كلام العرب حتى لو قال قائل : هو أكثر كلامهم لم يبعد "(١).

وفيما يلي بعض المواطن التي تحدث الطيبي فيها عن استحباب التشبيه :

١ـ قال عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع :(.. فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكـم عليكم حرامٌ كحرمةِ يومكمْ هذا ، في بلدِكم هذا ، في شهرِكم هذا)(٢).

قال الطيبي :

" قال النووي : في هذا التمثيل دليل على استحباب الأمثال ، وإلحاق النظير بالنظير قياساً " .

وعند عودتي إلى عبارة النووى وجدتها :" وفي هذا دليل لضرب الأمثال ، وإلحاق النظير بالنظير قياساً "(٣).

فما هو السبب الذي جعل الطيبي يستشهد بكلام النووى ويضع كلمة استحباب لـولا أنه يهتم بالتشبيه ، ويريد أن يحتج له من الحديث ، ومن كلام أهل العلم ، ويحث عليه ؟!

٢ـ عن قتادة ، قال : سمعت أنساً يقول : كان فزَعٌ بالمدينة ، فاستعارَ النبـيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرساً من أبي طلحةَ يقال له : المندوبُ ، فركِبَ ، فلمـا

---

(١) الكامل ، ج ٢ ، ص (٧٩) .

(٢) من حديث رواه الشيخان عن أبي بكرة ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٨١٦ ـ ٨١٧) الحديث رقم : (٢٦٥٩) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ٨ ، ص (١٨٢) .

رجع قال : (ما رأيْنا من شيْءٍ ، وإن وجدناهُ لبحراً)(١).

قال الطيبي :

" شبه الفرس بالبحر في توسعة خطوه وسرعة جريه . قال الخطابي : فيه إباحة التوسيع في الكلام وتشبيه الشيء بالشيء بمعنى من معانيه وإن لم يستوف جميع أوصافه "(٢).

٣- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً) ثم شبك بين أصابعه (٣).

قال الطيبي :

" قال النووي : فيه تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض ، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه ، وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام "(٤).

× × × ×

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٨٨٨) ، الحديث رقم :(٢٩٤٣) ، وذكره الخطيب التبريزي مرة أخرى في : ج ٣ ، ص (١٦٥٧) ، الحديث رقم : (٥٩٠٥) وأحاله للبخاري . وقد أورد نحوه الشريف الرضي في (المجازات النبوية) ص (١٣١-١٣٢) وقال :(وهذا مجاز ، ربما طعن بعض الجهال بِمَنَا ديح كلام العرب في هذا القول بأن يقول : كيف شبه عليه الصلاة والسلام سرعة جري الفرس بالبحر والبحر راكد لا يجري ؟) ثم بين أن وجه الشبه هو اتساعه في الجري باتساع ماء البحر أو أن جريه غزير لا ينفد كما أن ماء البحر غزير لا يَنْضُب .

(٢) ينظر : المرقاة ، ج ٦ ، ص (١١٧) ولم ينسبه للخطابي .

(٣) تقدم تخريجه ص (٧٢) من هذه الرسالة .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٦ ، ص (١٣٩ - ١٤٠) .

- المبحث الأول : الأغراض العامة للتشبيه -

من الأغراض العامة للتشبيه المبالغة ، وهذا الغرض لقي اهتماماً عند الطيبي فقد ذكر الطيبي أمثلة كثيرة للمبالغة في التشبيه ، منها ما تكون المبالغة في المشبه به ، ومنها ما تكون ببعض القيود التي تلابسه ، كما حدد الطيبي القصد الأول من التشبيه وهو إلحاق الناقص بالكامل مبالغة ، والحقيقة أن المبالغة هي من أهم أغراض التشبيه إن لم تكنْ أهمَّها ، ويعلل ذلك الأستاذ علي الجندى قائلاً :
" وسر ذلك أنك لم ترد تشبيه الشيء بغيره إلا وأنت تقصد به تقرير المشبه في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه ، فيستفاد من ذلك المبالغة فيما قصد من التشبيه على جميع وجوهه ، من مدح أو ذم ، أو ترغيب أو ترهيب ، أو كبر أو صغر . وهذا القول ينسحب على جميع وجوه التشبيه ، فإنه لا يخلو من إفادة المبالغة في حال من الأحوال ، وإلا لم يستحق أن يكون تشبيهاً ، لأن إفادة المبالغة هي مقصده الأعظم ، وبابه الأوسع "(١)

ويقول الدكتور علي العمارى خلال حديثه عن أغراض التشبيه :
" غير أن مبنى التشبيه على المبالغة ، فينبغي أن يكون المشبه به في كل هذه الأغراض (٢) زائداً على المشبه في وجه الشبه "(٣).

وخلال دراسة الطيبي للحديث النبوى نجده يعرض كثيراً من صور التشبيه التي ألحق فيها الناقص بالكامل مبالغة ، أو التي لابستها بعض القيود فأضفت على صورة التشبيه معنى المبالغة ، ومن الأحاديث التي ذكر الطيبي عندها المبالغة في التشبيه ما يلي :

---

(١) فن التشبيه، ج ١ ، ص (٧٧-٧٨) .
(٢) يقصد : بيان حال المشبه ، ومقدار حاله ، وتقرير حاله ، وبيان إمكان المشبه .
(٣) البيان ، ص (٤١).

١- قال عليه السلام :(فضلُ العالمِ على العابدِ كفضلي على أدناكم)(١).

قال الطيبي :

" هذا التفضيل موافق للحديث السابق (٢) من حيث المبالغة وما به التفضيل ، فإن المخاطبين بقوله (أدناكم) هم الصحابة - رضي الله عنهم - ، وقد شبهوا بالنجوم في قوله - صلوات الله وسلامه عليه - :(أصحابي كالنجوم) الحديث حسنه الإمام الصغاني (٣) ، وشبه صلوات الله عليه بالقمر ليلة البدر فيما رويناه عن الترمذي عن جابر بن سمُرةَ ، قال : (رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في ليلة إضْحِيانٍ ، فجعلتُ أنظرُ إلى رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وإلى القمرِ ، وعليه حُلَّةٌ حمراءُ ، فإذا هو أحسن عندي منَ القمر) (٤).

والمبالغة التي يعطيها (أدناكم) يقرب منها في قوله - صلوات الله وسلامه عليه - (على سائر الكواكب) لأن فضل القمر على بقية الكواكب أجمع يستلزم ذلك التفاوت العظيم بين البدر وبين كوكب هو أدنى الكواكب في الضوء كالسها " .

---

(١) من حديث رواه الترمذي عن أبي أمامة الباهلي ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٧٤) الحديث رقم :(٢١٣) .

(٢) يقصد قوله عليه السلام :(وإن فضلَ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائر الكواكب) . ينظر تخريجه ص (١٩٦) من هذه الرسالة .

(٣) الصغاني أو الصاغاني :
هو الحسن بن محمد الصَّغاني ، حامل لواء اللغة في زمانه ، وهو فقيه ومحدث أيضاً ت(٦٥٠) هـ ، ينظر :بغية الوعاة ، ج ١ ، ص (٥١٩ - ٥٢٠) والأعلام ، ج ٢ ، ص (٢٣٢).
وقد ورد الحديث المذكور في كشف الخفاء للعجلوني ، وقال :(رواه البيهقي وأسنده الديلمي عن ابن عباس بلفظ :أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم ، اهتديتم) ينظر : ج ١ ، ص (١٤٧) ، وذكر الروايتين الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وقال : عن كل منهما (موضوع) ، ينظر: ج ١ ، ص (٧٨-٧٩) .

(٤) رواه الترمذي والدارمي ، ينظر :المشكاة ، ج ٣، ص (١٦١٣- ١٦١٤) ويظهر من كلامه أنه اعتبر أفعل التفضيل من أدوات التشبيه ، ويؤيد هذا قول السبكي :(وأشار الطيبي إلى أن من أدوات التشبيه أفعل التفضيل ، مثل : زيد أفضل من عمرو ، وفيه بعد)ينظر: شروح التلخيص (عروس الأفراح) ، ج ٣ ، ص (٣٩٢) و ص (٤١١) .

٢- عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(مَنْ صلى الفجرَ في جماعةٍ ، ثم قعد يذكرُ اللهَ تعالى حتى تطلُعَ الشمسُ ، ثم صلى ركعتين ، كانتْ له كأجر حجةٍ وعمرة) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(تامّةٍ ، تامّةٍ ، تامّةٍ)(١).

قال الطيبي :

" قوله :(كأجر حجة) أمثال هذا التشبيه من باب إلحاق الناقص بالكامل مبالغة ترغيباً للعامل .

أو شبه استيفاء أجر المصلي تاماً بالنسبة إليه باستيفاء أجر الحاج تاماً بالنسبة إليه ، وأما وصف الحجة والعمرة بالتامة فإشارة إلى المبالغة " .

٣- عن أبي هريرة ، قال : إني سمعتُ حِبّي أبا القاسمِ - صلى الله عليه وسلم - يقول: (لا تُقبلُ صلاةُ امرأةٍ تطيّبتْ للمسجدِ حتى تغتسِلَ غُسلَهَا من الجَنابةِ)(٢).

قال الطيبي :

" شبه خروجها من بيتها متطيبة مهيجة لشهوات الرجال وفتح عيونهم التي هي بمنزلة رائد الزنا بالزنا ، وحكم عليها بما يحكم على الزاني من الاغتسال من الجنابة مبالغة وتشديداً ، وتقييد تطيبها بالمسجد مبالغة أيضاً، أي إذا كان حكم المسجد هذا ، فما بال تطيبها لغيره؟!" .

٤- عن عبد المطلب بن ربيعة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) رواه الترمذي ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٣٠٦) الحديث رقم (٩٧١) .

(٢) رواه أبو داود ، وروى أحمد والنسائي نحوه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٣٣٤) الحديث رقم (١٠٦٤) .

(إن هذه الصدقات إنما هي أوساخُ الناس ، وإنها لا تحلُّ لمحمدٍ ولا لآلِ محمد)[١].

قال الطيبي :

« حمل أوساخ على ضمير الصدقات ، وأراد على التشبيه كقولك زيد أسد ، وفيه من المبالغة ما لا يخفى ، وقد اجتمع في هذا التركيب مبالغات شتى ، لا سيما جعل المشبه به أوساخ الناس للتهجين والتقبيح تنفيراً واستقذاراً ، وجل حضرة صاحب الرسالة ومنبع الطهارة أن ينسب إلى ذلك » .

٥- عن أبي أيوب الأنصاري أنه حدَّثه[٢] أنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال :
(مَنْ صامَ رمضانَ ، ثم أتبعَهُ ستاً من شوَّالٍ ، كان كصيامِ الدهرِ)[٣].

---

(١) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٧٢) الحديث رقم (١٨٢٣) .
وذكره الشريف الرضي بلفظ :(إنما هذا المال من الصدقة أوساخ أيدي الناس)
وقال :(وهذا القول مجاز ، والمراد تشبيه ما يخرجه الناس من صدقاتهم بالأوساخ التي يميطونها عن أيديهم ، والتشبيه بذلك من وجهين : أحدهما : أن تكون أموال الصدقات لما كان إخراجها مطهراً لما وراءها من سائر الأموال جرت مجرى المياه التي تغسل بها الأدران ... وحصول تلك الأدناس والأنجاس فيها . والوجه الآخر : أن يكون المرادُ أن أموالَ الصدقاتِ في الأكثر لا تكون إلا أسافل الأموال دون أخايرها ... وإنما نسب عليه الصلاة والسلام تلك الأوساخ إلى الأيدي لأن الأموال المعطاة في الأكثر إنما تكون بها وتمر عليها) .
من كتابه (المجازات النبوية) ص (٢٨٤- ٢٨٥). ولا ريب أن الشريف الرضي أظهر سر التشبيه الذي أجمله الطيبي ، وقد أطلق الشريف على هذا التشبيه اسم المجاز .

(٢) أي إن أبا أيوب حدث الراوي عنه ، وهو ابن عمرو بن ثابت ، ينظر : المرقاة ، ج ٤ ص (٢٩٢) .

(٣) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٣٥) الحديث رقم (٢٠٤٧) .

قال الطيبي :

«قوله : (كان كصيام الدهر) لأن الحسنة بعشر أمثالها ، فأخرجه مخرج التشبيه للمبالغة والحث على صيام الست» .

٦- عن معاذ الجُهَنيّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(مَنْ قرأَ القرآنَ وعمل بما فيه ، أُلبِسَ والداهُ تاجاً يومَ القيامةِ ، ضوْؤُهُ أحسنُ من ضوءِ الشمسِ في بيوتِ الدنيا لو كانتْ فيكم ، فما ظنُّكم بالذي عَمِلَ بهذا؟)(١) .

قال الطيبي :

" تخصيصُ ذكر التاج كنايةٌ عن الملكِ والسيادةِ ، كما يقال :(فلان على السرير) كناية عنه ، وإنما قيل أحسن ولم يقلْ أنور وأشرق لأن تشبيهَ التاج مع ما فيه من الجواهر النفيسة الثمينة بالشمس ليس لمجرد الإشراق والضوء بل مع الزينة والحسن ، وأيضاً فيه تتميم صيانة من الإحراق وكلالِ النظر بسبب أشعتها ، كما أن قوله (لو كانت فيكم) تتميم للمبالغة ، فإن الشمس مع ضوئها وحسنها لو كانت داخل البيت كان آنس وأتم وأكمل مما لو كانت خارجة عنه وحسنها وإشراقها فيه ، وهذا التشبيه مما يزيد حسناً ومبالغة بالشرط ، قال بديع الزمان :

يكادُ يحكِيكَ صَوْبُ الغيثِ مُنْسَكِباً ... لو كان طَلْقَ المُحَيَّا يُمطِرُ الذَّهبا
والبدرُ لوْ لمْ يَغِبْ والشمسُ لو نطقتْ ... والليثُ لَوْ لَمْ يُصَدْ والبحرُ لوعَذُبَا (٢)».

٧- عن عُقبةَ بن عامرٍ ، قال : سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقولُ :
(لَوْ جُعِلَ القرآنُ في إهابٍ ثم أُلقِيَ في النَّارِ ما احترقَ)(٣) . قال الطيبي :

" ضرب المثل بالإهاب بالتحقير أحرى ، ورواية " مسته " كما في أكثر النسخ أولى من (احترق)(٤) وتحريره أن التمثيل وارد على المبالغة والفرض والتقدير ، فلو كما في

---

(١) رواه أحمد وأبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٦٠) الحديث رقم (٢١٣٩) .
(٢) البيتان من شواهد البلاغيين على التشبيه المشروط ، وهما في :
في الإيضاح ، للخطيب القزويني ، ج ٢ ، ص (٣٨٦) .
والإشارات والتنبيهات ، لمحمد بن علي الجرجاني ، ص (١٩٩) .
و (شرح عقود الجمان) للسيوطي ، ص (٨٩) .
(٣) رواه الدارمي ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٦٠) الحديث رقم (٢١٤٠) .
(٤) ورد هذا الحديث في شرح السنة للبغوي ، ج ٤ ، ص (٤٣٦) بلفظ :(لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار) .

قوله تعالى :(قُلْ لَوْ كانَ البحرُ مِدَاداً)(١) الآية ، أي ينبغي ويحق أن القرآن لو كان في مثل هذا الشيء الحقير الذي لا يؤبه له ويلقى في النار ما مسته ، فكيف بالمؤمن الذى هو أكرم خلق الله وأفضلهم وقد وعاه في صدره، وتفكر في معانيه، وواظب على قراءته ، وعمل بما فيه بجوارحه ، كيف تمسه فضلاً عن أن تحرقه ؟! وفي معنى الحقارة وصيرورته موقى محترماً بالمجاورة ، قال الشاعر :

من عاشر الشرفاءَ يُشرف قَدْره ومُعاشرُ السفهاءِ غيرُ مُشرَّفِ

فانظرْ إلى الجلدِ الحقيرِ مقبلاً بالثغرِ لمَّا صارَ جارَ المصحفِ

وبهذا التأويل وقع التناسب بين هذا الحديث والحديث السابق (٢) ، وحسن التشبيهان في المبالغة من نيل الكرامة والفوز بها ، وفي التوقي من الخزى والنكال ، قال تعالى :(ربنا إنكَ مَنْ تُدخلِ النارَ فقدْ أَخْزَيْتَهُ)(٣) فإذاً المعنى : من قرأ وعمل ألبس والداه تاجاً فكيف بالقارئ العامل؟ ولو جعل القرآن في إهاب(٤) وألقي في النار ما مسته النار فكيف بالتالي العامل؟ ".

٨- عن ابن عمرَ ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(لا يَحْلُبَنَّ أحدٌ ماشيةَ امرئٍ بغيرِ إذنِهِ ، أيُحِبُّ أن يُؤْتَى مَشْرُبَته فتُكسرُ خِزَانَتُه فَيُنتقلَ طعامُه ؟ وإنما يَخْزُنُ لهم ضُروعُ مواشيهم أطعماتِهم)(٥). قال الطيبي :

"قال في النهاية : المَشْرُبَة بضم الراء وفتحها كالغرفة يوضعُ فيها المتاع(٦).

أقول : بولغ في الممثل به مبالغات حيث جعل الحرز غرفة ليصعب الصعود إليها ، وجعل في خزانة مستوثقة بالأقفال فلا يظفر بما فيها إلا بالكسر ، تصويراً لحال المشبه في الاستيثاق " انتهى .

٩- عن عمرو بن العاص ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(إنَّ آلَ فلانٍ ليسوا لي بأولياءَ ، إنما وليِّيَ اللهُ وصالحُ المؤمنين ، ولكن لهم رَحِمٌ أَبُلُّها بِبِلالها)(٧) . قال الطيبي :

---

(١) سورة الكهف ، الآية (١٠٩) .

(٢) هو الحديث رقم (٢١٣٩) من المشكاة ، وقد سبق ذكره .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٩٢) .

(٤) قال الزمخشري في الفائق ، ج ١ ، ص (٦٧) ، ما يلي :(سُمِّيَ إهاباً ، لأنه أهبة للحي وبناء للحماية على جسده) .

(٥) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٨٨٧) الحديث رقم (٢٩٣٩) .

(٦) النهاية ، ج ٢ ، ص (٤٥٥) .

(٧) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٧٦ - ١٣٧٧) الحديث رقم (٤٩١٤) .

"قوله :(أبلها ببلالها) فيه مبالغة كقوله تعالى :(إذا زُلزلتِ الأرضُ زِلْزالَها)(١) أي زلزالها الذي تستوجبه في مشيئة الله تعالى، وهو الزلزالُ الشديدُ الذي ليس بعده(٢) ، فالمعنى أبلها بما عرف واشتهر عند الله وعند الناس ما هو ، فلا أترك من ذلك شيئاً ، شبه الرحم بأرض إذا بلت بالماء حق بلالها أثمرت ويرى في ثمارها أثر النضارة وإذا تركت يبست وأجدبت فلم تثمر إلا العداوة والقطيعة هذا هو الوجه "،

إن الطيبي قد عد هذا القول تشبيهاً من باب التسامح ، ولأن التشبيه أصل الاستعارة لذلك نجده ينقل في حديث آخر (٣) ينتهي بمثل العبارة السابقة كلاماً لابن الأثير يفيد أن العبارة السابقة من فن الاستعارة ، فيقول :(قال في النهاية : البِلالُ جمع بَلَل ، والعرب يُطْلِقون النَدَاوة على الصِّلَة كما يطلقون اليُبْسَ على القَطِيعة ،لأنهم لما رَأَوْا بعضَ الأشياء يَتصلُ بالنداوة ويحصل بينهما التَّجافي والتَّفرّق باليُبْس استعاروا البَلَلَ بمعنى الوصل ، واليبس بمعنى القطيعة ، والمعنى أصِلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيئاً)(٤).

١٠- عن أبي هريرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(مَنْ طلبَ الدنيا حلالاً استعفافاً عن المسألة ، وسَعْياً على أهله ، وتعطُّفاً على جاره ، لقي اللهَ تعالى يومَ القيامة ووجهُهُ مثلُ القمرِ ليلة البدر ، ومن طلب الدنيا حلالاً مكاثراً ، مفاخراً مرائياً ، لقي الله تعالى وهوَ عليهِ غَضْبان)(٥).

قال الطيبي :

" في الحديث معنى قوله تعالى :(يومَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وجوهٌ)(٦) وهما عبارتان عن رضا الله تعالى وسخطه ، فقوله :(ووجهه مثل القمر) مبالغة في حصول الرضا بدلالة قوله في مقابلته :(وهو عليه غضبان) . " .

(١) سورة الزلزلة ، الآية (١) .

(٢) مقتبس من الكشاف ، ج ٤ ، ص (٧٨٣) .

(٣) هو الحديث رقم (٥٣٣) في ج ٣ من المشكاة ، ص (١٤٧٧) ، والحديث رواه مسلم عن أبي هريرة ، وفي آخره :(.. غير أنَّ لكم رحماً سأبُلُّها ببلالها) . وقد ذكر الشريف الرضي حديثاً قريباً من معنى الحديثين وهو :(بُلّوا أرحامكم ولو بالسلام) . وقال: (وهذه استعارة : لأن المراد صلوا أرحامكم ولو بالسلام) ينظر : المجازات النبوية ، ص (٨٠) .

(٤) النهاية ، ج ١ ، ص (١٥٣) .

(٥) رواه البيهقي في (شعب الإيمان) وأبو نعيم في (الحلية) . ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٣٧) الحديث رقم (٥٢٠٧) .

(٦) سورة آل عمران ، الآية (١٠٦) .

- المبحث الثاني : الأغراض الخاصة للتشبيه -

نتناول في هذا المبحث بعض الأغراض التي ذكرها البلاغيون ضمن أغراض التشبيه . إذ وجدت الطيبي قد ذكر أمثلة كثيرة من كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - توافق بعض الأغراض الخاصة التي ذكروها ، وهذه الأغراض نوعان هما :

أولاً : أغراض تعود إلى المشبه : ومنها :

أ - بيان حال المشبه (١):

بعض التشبيهات النبوية يراد منها بيان حال المشبه ، فيفيدنا التشبيه بيان هذه الحال كما في هذين المثالين :

١- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يَخْذله ، ولا يَحْقِرُه ، ...)(٢).

قال الطيبي :

« شبه المسلم بالأخ لينبه على المساواة وأن لا يرى أحد لنفسه على أحد من المسلمين فضلاً ومزية ، ويحب له ما يحب لنفسه ، وتحقيره إياه مما ينافي هذه الحالة ، وينشأ منه قطع وصلة الأخوة التي أمرَ اللهُ تعالى بها أن توصل ، ومراعاة هذه الشريطة أمر صعب ، لأنه ينبغي أن يُسوَّى بين السلطان وأدنى العوام ، وبين الغني والفقير ، وبين القوي والضعيف ، والكبير والصغير ، ولا يتمكن من هذه الخصلة إلا من امتحن الله قلبه للتقوى ، وأخلصه من الكبر والفحش والحقد ونحوها إخلاص

---

(١) قال السعد التفتازاني :(أي بيان حال المشبه بأنه على أي وصف من الأوصاف) ينظر: شروح التلخيص (مختصر السعد) ج ٣ ، ص (٣٩٧) .

(٢) من حديث رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٨٥ - ١٣٨٦) الحديث رقم (٤٩٥٩) .

الذهب الإبريز من خبثه ، ونقاه منها ، فيُؤْثِرُ لذلك أمر الله تعالى على متابعة الهوى " .

٢- عن أبي رَزِين العقيلي ، قال : قلتُ : يا رسول الله ! كيف يُعيدُ اللهُ الخلقَ ؟ وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : (أما مررتَ بوادى قومكَ جُدْباً ثم مررتَ به يهتز خضراً ؟) قلت : نعم ، قال :(فتلك آيةُ اللهِ في خلقه ، (كذلك يحيي اللهُ الموتى))[١]

قال الطيبي :

" قوله :(فتلك آية الله في خلقه) أى في المخلوقات ، أى ليس فرق بين إنشاء الخلق وإعادتهم ، والتشبيه في قوله :(كذلكَ يُحيي اللهُ المَوْتَى)[٢] بيان للتسوية نحوه قوله تعالى :(قُلْ يُحييها الذي أَنشأَها أَوّلَ مَرَّةٍ وهوَ بكُلِّ خَلْقٍ عليمٌ)[٣] أى بكل خلق من الإنشاء والإعادة عليم .

ونظير هذا الحديث في الدلالة قوله تعالى :(فانظرْ إلى آثارِ رحمةِ اللهِ كيفَ يُحيي الأرضَ بعد مَوْتِها ، إن ذلكَ لَمُحْيي الموتى وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ)[٤] يعني : إنَّ ذلك القادر الذى يحيي الأرض بعد موتها هو الذى يحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قدير ، وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء "[٥] .

ب - تقرير حال المشبه في نفس السامع :[٦]

يتم ذلك إذا كان ما أسند للمشبه يحتاج إلى التأكيد والإيضاح بالأمثال كما في الحديث الآتي :

---

(١) رواه رزين وأحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٣٢) ، الحديث رقم (٥٥٣١) .
(٢) سورة البقرة ، الآية (٧٣) .
(٣) سورة يس ، الآية (٧٩) .
(٤) سورة الروم ، الآية (٥٠) .
(٥) مقتبس من الكشاف ، ج ٣ ، ص (٤٨٥) .
(٦) يتم هذا بسبب إظهار الحال فيما هي فيه أظهر وأقوى ، ينظر : شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ، ج ٣ ، ص (٣٩٨) .

- قال عليه السلام في حجة الوداع : (إنَّ دماءَكم وأموالَكم حرامٌ عليكم ، كحرمةِ يومِكم هذا ، في شهرِكم هذا ، في بلدِكم هذا ، ألا كلُّ شيءٍ منْ أمرِ الجاهليةِ تحتَ قدَمَيَّ موضوعٌ)[١] .

قال الطيبي :

" قال التوربشتي : أراد أموال بعضكم على بعض ، وإنما ذكره مختصراً اكتفاءً بعلم المخاطبين ، حيث جعل : (أموالكم) قرينة : (دماءكم) ، وإنما شبه ذلك في التحريم بيوم عرفة وبذي الحجة وبالبلد لأنهم كانوا يعتقدون أنها محرمةٌ أشد التحريم ، لا يستباحُ منها شيء ، وفي تشبيههم هذا مع بيان حرمة الدماء والأموال تأكيد لحرمة تلك الأشياء التي شبه بتحريمها الدماء والأموال "[٢].

وبعد أن نقل كلام التوربشتي في بيان سر التشبيه ، يصنف الطيبي هذا التشبيه من زاوية علم البيان ، فيقول :

" هذا من تشبيه ما لم تَجْرِبِهِ العادة بما جرتْ به العادة ، كما في قوله تعالى : (وإذْ نَتَقْنَا الجبلَ فوقَهُمْ كأنهُ ظُلَّةٌ)[٣] كانوا يستبيحون دماءهم وأموالهم في الجاهلية في غير الأشهر الحرم ، ويحرمونها فيها ، كأنه قيل : إن دماءكم وأموالكم محرمة عليكم أبداً ، كحرمة يومكم وشهركم وبلدكم ، ثم أتبعه بما يؤكده تعميماً من قوله : (ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قَدَمَيَّ موضوع) ، قال التوربشتي : أي أبطلتُ ذلك وتجافيت عنه حتى صارَ كالشيء تحت قدمي " .

---

(١) من حديث رواه مسلم عن جابر بن عبد الله ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٧٨٣ - ٧٨٧) ، الحديث رقم : (٢٥٥٥) .

(٢) في المرقاة ، ج ٥ ، ص (٢٩٩) ذكر بعض هذا الكلام وعزاه للطيبي .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٧١) وقد نهج الطيبي في هذه الآية نهج أبي هلال العسكري في كتابه (الصناعتين) ص (٢٦٣) . كما نهج الخطيب القزويني نهج أبي هلال أيضاً في هذه الآية ، ينظر : الإيضاح ، ج ٢ ، ص (٣٥٨) .

ج - تعظيم المشبه :(١)

وردت عدة أحاديث نبوية كريمة ، فيها تشبيهات قيمة تهدف إلى تعظيم المشبه ورفعه ومدحه والتنويه به ، والمشبه هنا إما عمل صالح كالجهاد ، أو نبي كريم مثل عيسى عليه السلام ، ونحو ذلك ، وهدف هذا التعظيم للمشبه هو غرس القيم الفاضلة وتأصيل المثل العليا في النفس الإنسانية ، كي تتجه إلى بارئها بلهفة وشوق ، وتحلق في عالم الطهر والإيمان ، وتعظيم المشبه هنا يقوم على الصدق النفسي الموافق للعقيدة الربانية الخالدة ، والمتعالي عن أي منفعة مادية زائلة تتهافت إليها أنظار معظم الناس ، ومن الأحاديث التي ورد فيها تعظيمٌ للمشبه ، وكان للطيبي عندها لفتات جميلة ما يلي :

١- قال عليه الصلاة والسلام :

(رأس الأمرِ الإسلام ، وعمودُه الصلاة ، و ذروةُ سُنامِه الجهادُ)(٢) .

قال الطيبي :

« قال الأشرف : وفي قوله :(وذروة سنامه الجهاد) إشارة إلى صعوبة الجهاد ، وعلو أمره ، وتفوقه على سائر الأعمال »(٣).

---

(١) ذكر أحمد الهاشمي في كتابه (جواهر البلاغة) ، ص (٢٧٣) أن من أغراض التشبيه مدح المشبه وتحسين حاله ، ترغيباً فيه أو تعظيماً له ، بتصويره بصورة تهيج في النفس قوى الاستحسان . انتهى .
ويبدو لي أن تعظيم المشبه غرض مستقل من أغراض التشبيه لا يقل أهمية عن بقية الأغراض التي ذكرها البلاغيون .

(٢) من حديث رواه معاذ ورقمه (٢٩) .
وسيأتي تخريجه ص (٢٧٠) من الرسالة .
قلت : هذه جملة تشبيهات ، وقد ذكر هذا الجزء من الحديث الشريف الرضي وقال : (وهذه الألفاظ كلها مستعارة) ، ينظر :(المجازات النبوية) ، ص (٢٧٤- ٢٧٥) .

(٣) ينظر : المرقاة ، ج ١ ، ص (١٠٦) ولم ينسبه.
والتعليق ، ج ١ ، ص (٤٢- ٤٣) و قد نسبه للأشرف .

٢- كتب خالد بن الوليد إلى أهل فارس يعرض عليهم الإسلام ، أو الجزية ، ثم قال :
(فإن أبيتم فإنَّ معي قوماً يُحبونَ القتلَ في سبيل الله كما يُحِبُّ فارسُ الخمرَ)(١).
قال الطيبي :
" قوله :(فإن معي قوماً) وضع موضع (فتهيأوا للقتال) ، وشبه محبتهم بالموت ولقاء العدو بمحبتهم الخمر ، إيذاناً بشجاعتهم وأنهم من رجال الحرب ، قال شعراً :

فوارس لا يملون المنايا ... إذا دارتْ رحى الحرب الزبون (٢).

وأنهم ليسوا منها في شيء ، بل هم قوم مشتغلون باللهو والطرب كالمخدرات .

فخرتُ بأن مأكولاً ولبساً ... وذلك فخرُ ربَّات الحجُول (٣) " .

٣- قال عليه السلام في صفة المتحابين في الله عز وجل :
(فوالله إن وجوهَهم لنورٌ ، وإنهم لعلى نورٍ)(٤)
قال الطيبي :
" قوله :(وإنهم لعلى نور) أي على منابر من نور ، يشهد له الحديث السابق :
(المتحابُّونَ في جلالي لهم منابرُ من نورٍ يغبطهم النبيونَ والشهداء)(٥).
قال القاضي البيضاوي : هو تمثيل لمنزلتهم ومحلهم ، مَثَّلَها بما هو أعلى ما يجلس عليه في المجالس والمحافل ، على أحسن الأوضاع وأشرفها ، من جنس ما هو أبهى وأحسن ما يشاهد ، ليدل على أن رتبتهم في الغاية القصوى من العلاء والشرف والبهاء(٦) " .

---

(١) من حديث رواه البغوي في (مصابيح السنة) عن أبي وائل ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ص (١١٥٢) ، الحديث رقم (٣٩٣٦) .
(٢) لم نهتد لقائله. وحرب زَبُونٌ تَزْبِنُ الناسَ : تصدمهم وتدفعهم ، ينظر الصحاح ، مادة : زبن.
(٣) البيت لبديع الزمان الهمذاني ، والشطر الأول منه :(فخرت بنحو ملبوسٍ وأكلٍ)
ينظر :(معاهد التنصيص على شواهد التلخيص) لعبد الرحيم العباسي ، ج ٤ ، ص (١١٩) .
(٤) من حديث رواه أبو داود عن عمر ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٩٦) الحديث رقم (٥٠١٢).
(٥) رواه الترمذي عن معاذ بن جبل ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٩٥) الحديث رقم (٥٠١١).
(٦) ينظر : المرقاة ، ج ٩ ، ص (٢٥٤) .

٤- عن جابر ، أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

(عُرِضَ عليَّ الأنبياءُ ، فإذا موسى ضَرْبٌ مِنَ الرجال ، كأنه منْ رجالِ شَنوءَةَ ، ورأيتُ عيسى بنَ مريم ، فإذا أقربُ من رأيتُ به شبهاً عروةُ بنُ مسعود ، ورأيتُ إبراهيمَ فإذا أقربُ مَنْ رأيتُ به شَبَهًا صاحِبُكم - يعني نفسَه ...)(١).

قال الطيبي :

" فإن قلت ما الفرق بين تشبيه موسى وبين التشبيهين الآخرين ؟. قلت : التشبيهات الثلاثة للبيان ، والأول من باب قولك :(لون عمامتي كلون هذه العمامة لعمامة بين يدي المخاطب) والثاني والثالث كقولك : لون هذه العمامة كلون عمامتي . فالتشبيه الأول لمجرد البيان (٢) ، والأخيران للبيان مع تعظيم المشبه في مقام المدح ".

٥- عن البراء ، قال : أُهديتْ لرسولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - حُلّةُ حريرٍ ، فجعل أصحابه يمسّونها ، ويتعجّبون من لينها ، فقال :(أتعجبون من لين هذه ؟ لمناديلُ سعدِ بن معاذ في الجنةِ خيرٌ منها وأليَن)(٣).

يرى الطيبي أن التمثيل بمناديل سعد بن معاذ هو لتعظيم تلك المناديل فيقول :

" قال الخطابي : إنما ضرب المثل بالمناديل ، لأنها ليست من علية الثياب ، بل هي تبتذل في أنواع من المرافق ، فتمسح بها الأيدي ، وتنفض بها الغبار عن البدن ، ويغطى بها ما يهدى في الأطباق ، وتتخذ لفافاً للثياب ، فصار سبيلها سبيل الخادم وسبيل سائر الثياب سبيل المخدوم ، فإذا كان أدناها هكذا فما ظنك بأعلاها "(٤).

× × ×

---

(١) رواه مسلم ، ينظر: المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٩٢) ، الحديث رقم (٥٧١٤) .

(٢) هذا التشبيه تقدم ص (٦٧) من هذه الرسالة .

(٣) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٧٤٩) الحديث رقم (٦١٩٨) .

(٤) ينظر : المرقاة ، ج ١١ ، ص (٤١٥) .

د - تقبيح المشبه :

إذا كان من واجب الأنبياء - عليهم السلام - وأصول دعوتهم الحثّ على الخير والدعوة إليه ، فإن من واجبهم ومنهجهم في دعوتهم التحذير من الشر والنهي عنه ، سواء كان هذا الشر فكرةً زائغةً ، أو خُلُقاً مريضاً ، أو عملاً رديئاً ، ونحو ذلك ..... لذلك نجد رسولنا الأكرم - صلى الله عليه وسلم - وهو قدوة الأنام يهتم بهذا الجانب التربوي العظيم ، ويبادر إليه بوسائل متعددة في مقدمتها تقبيح الشر بتصويره بأشنع الصور كي تنفرَ النفسُ منه فتهجره وتبادر إلى الخير . وقد كشف الإمام الطيبي عن بعض الصور البيانية في الحديث النبوي التي رسم فيها المصطفى - صلى الله عليه وسلم - صوراً من التشبيه يُرادُ من ورائها تقبيح المشبه والازدراء به ، والتنفير عنه ، من هذه التشبيهات :

١- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(مَثَلِي كمثلِ رجلٍ استوقدَ ناراً ، فلما أضاءتْ ما حولَها ، جعلَ الفراشُ وهذه الدوابُّ التي تقعُ في النارِ يَقَعْنَ فيها ، وجعل يحجُزُهنَّ ، ويغْلِبْنه فيَتَقَحَّمْنَ فيها ، فأنا آخذٌ بحُجَزِكم عن النارِ وأنتم تَقَحَّمُونَ فيها)(١) .

يبين الطيبي أن الغرض من تشبيه الناس بالفراش والدواب هو لبيان جهل المشبه وتحقير شأنه ، فيقول :
" وقد ضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المثل بوقوع الفراش في النار لجهله بما يعقبه التقحم فيها من الاحتراق والهلاك ، ولتحقير شأنها قال :(وهذه الدواب) كقوله تعالى (ماذا أرادَ اللهُ بهذا مثلاً)(٢) " .

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٣) الحديث رقم (١٤٩) .
(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٦) .
أقول : ويؤيد ما ذهب إليه الطيبي قول الزمخشري في الكشاف ، ج ١ ، ص (١١٧) ما يلي :(وفي قولهم : ماذا أراد الله بهذا مثلاً ، استرذال واستحقار) .

٢- عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(مَثَلُ الذي يَتصدَّقُ عندَ موتهِ أو يُعتِقُ ، كالذي يُهدي إذا شَبِع)(١).

قال الطيبي :

« قوله (كالذي يهدي إذا شبع) شبه تأخير الصدقة عن أوانها ثم تداركها في غير أوانها ، بمن تفرد بالأكل واستأثر لنفسه ثم إذا شبع يؤثره على غيره ، وإنما يحمد إذا كان عن إيثار كما قال تعالى :(ويؤثرونَ على أَنفسِهِمْ ولو كانَ بِهِم خَصَاصَةٌ)(٢) وما أحسن موقع (يهدي) في هذا المقام ودلالتها على الاستهزاء والسخرية بالمهدي »

٣- عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، قال : حَمَلتُ على فرسٍ في سبيلِ اللهِ فأضاعَه(٣) الذي كانَ عندَه ، فأردتُ أن أشتريَهُ ، وظننتُ أنه يَبيعُه بِرُخْصٍ ، فسألتُ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - فقال :(لا تشترِهِ ولا تعُدْ في صدقتِكَ ، وإنْ أعطاكَهُ بدرهمٍ ، فإن العائدَ في صدقتهِ كالكلبِ يعودُ في قَيْئِه)(٤) .

قال الطيبي :

« قوله (وإن أعطاكه بدرهم) متعلق بقوله :(لا تشتره) ومعناه : لا ترغب فيه البتة ولا تنظر إلى رخصه وصحة بيعه ولكن إلى أنه صدقتك وهبتك ، وقوله : (ولا تعد في صدقتك) معترضة كالتعليل للنهي ، ثم ضرب له مثلاً وشبه بأخس الحيوان في أخس أحواله تصويراً للتهجين وتنفيراً منه ، وفيه : كم من عقدٍ يصح فتوى ولا يصح من جهة الخسة والدناءة والخروج عن المروءة » .

---

(١) رواه أحمد والنسائي والدارمي والترمذي وصححه ، ينظر : المشكاة ، ج ١، ص (٥٨٥) الحديث رقم (١٨٧١) .
(٢) سورة الحشر ، الآية (٩) .
(٣) يعني أساء سياسته والقيام بتربيته وعلفه حتى صار كالشيء الضائع الهالك . كذا في (المرقاة) ، ج ٤ ، ص (٢٢٨) .
(٤) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٠٩) الحديث رقم (١٩٥٤) .

٤- عن سعد بن أبي وقاص ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(لا تقومُ الساعةُ حتى يخرجَ قومٌ يأكلونَ بألسنتِهم كما تأكلُ البقرة بألسنتِها)(١).

أفاض الطيبي في تبيان هذا التشبيه وبيان قبح المشبه فقال :

" قال التوربشتي : ضرب للمعنى مثلاً يشاهده الناظرون من حال البقر ليكون أثبت في الضمائر ، وذلك أن سائر الدواب تأخذ من نبات الأرض بأسنانها ، والبقر بلسانها فضرب بها المثل لمعنيين ، أحدهما : أنهم لا يهتدون من المآكل إلا إلى ذلك سبيلاً كما أن البقرة لا تتمكن من الاحتشاش إلا بلسانها ، والآخر أنهم في مغزاهم ذلك كالبقرة التي لا تستطيع أن تميز في رعيها بين الرطب والشوكة ، وبين الحلو والمر بل تلف الكل بلسانها لفاً ، فكذلك هؤلاء الذين يتخذون ألسنتهم ذريعةً إلى مآكلهم لا يميزون بين الحق والباطل ، ولا بين الحلال والحرام ، (سمّاعونَ للكذبِ أكّالُونَ للسُّحْتِ)(٢) " (٣) .

ونحو هذا الحديث الآتي :

٥- عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :
(إنَّ اللهَ يَبغُضُ البليغ من الرجالِ ، الذي يتخلَّلُ بلسانِهِ كما يتخللُ الباقرةُ بلسانها)(٤).

هذا الحديث يرسم صورة رائعة دقيقة لأولئك الذين اتخذوا من البيان وسيلة للتشدق والتفاصح ، وقد شرحها الطيبي شرحاً موجزاً بين فيها قبح المشبه ، فقال :

---

(١) رواه أحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٥٣) ، الحديث رقم :(٤٧٩٩) .
(٢) سورة المائدة ، الآية (٤٢) .
(٣) ينظر : (المرقاة) ج ٩ ، ص (١٣٠) .
(٤) رواه الترمذي وأبو داود ، وقال الترمذي هذا حديث غريب ، ينظر : المشكاة ، الموضع السابق ، الحديث رقم :(٤٨٠٠) .

" قوله :(يَتَخَلَّل بلسانه) في النهاية : هو الذي يَتَشَدَّقُ في الكلام ويُفَخِّمُ به لسانه ويلُفُّه كما تَلُفُّ البقرة الكلأ بلسانها لَفّاً [١] ، وقال القاضي : شبه إدارة لسانه حولَ الأسنانِ والفمِ حالَ التكلم تفاصحاً ، بما تفعلُ البقرةُ بلسانها ، والباقرة جماعةُ البقر "[٢].

٦- عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :
(لَينتهينَّ أقوامٌ يفتخرونَ بآبائهم الذينَ ماتوا ، إنما هُم فحمٌ من جهنمَ ، أو ليكونُنَّ أهونَ على اللهِ من الجُعَلِ الذي يُدَهْدِه الخراءَ بأنفِه ، إنَّ اللهَ قد أذهبَ عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليةِ وفخرَها بالآباء ، إنما هوَ مؤمنٌ تقيٌ ، أو فاجرٌ شقيٌ ، الناسُ كلُّهم بنو آدمَ ، وآدمُ منْ ترابٍ)[٣] .

قال الطيبي :
"المعنى : لينته من شرفه الله تعالى ، وخلع عليه حُلَلَ الإسلام ، ورفعه من حضيض الكفر إلى بقاع الإيمان ، عن هذه الشناعة ، وإلا فيحطه من تلك المنزلة ، ويرده إلى أسفل سافِلَيْنِ الكفر والذل ، فإن تشبيهه بأخس الحيوانات في أخس أحواله يدل عليه . فالمعنى ما ذلك العزيز الكريم عند الله تعالى إلا رجل تقي ، وما ذلك الذليل عنده إلا فاجر شقي ".

٧- عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(لو كانت الدنيا تعدلُ عندَ اللهِ جناح بعوضة ، ما سقى كافراً منها شربة)[٤].

---

(١) النهاية ، ج ٢ ، ص (٧٣) .
(٢) المرقاة ، ج ٩ ، ص (١٣٠) .
(٣) رواه الترمذي وأبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٧٣) الحديث رقم (٤٨٩٩) .
(٤) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٣١) الحديث رقم (٥١٧٧) .

قال الطيبي :

« قوله :(جناح بعوضة) مثل للقلة والحقارة ، أي لو كان لها أدنى قَدْرٍ ما متع الكافر منها أدنى تمتع .»

٨- عن ثوبان ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(يوشك الأمم أن تَدَاعى عليكم كما تَداعى الأكَلةُ إلى قصعتها) فقال قائل ومن قلةٍ نحن يومئذ ؟ قال :(بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غُثاء كغثاء السَّيْلِ ....)(١) .

قال الطيبي :

« الغثاء : ما يحمله السيل من زبد ووسخ ، شبههم بذلك لقلة غنائهم ، ودناءة قدرهم ، وخفة أحلامهم » .

× × ×

ثانياً : أغراض تعود إلى المشبه به :

من الأغراض التي تعود إلى المشبه به : (التشبيه المقلوب) .

وقد وردت في الحديث النبوي بعض الصور لهذا النوع من التشبيه ، وذكر بعضها الطيبي ، وأشار إلى أن القصد من التشبيه المقلوب هو المبالغة ، وهذه بعض الأمثلة التي ذكرها الطيبي :

١- عن مرثَد بن عبد الله ، قال : حدثني بعض أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ سمعَ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :

---

(١) من حديث رواه أبو داود والبيهقي في (دلائل النبوة) ، ينظر : المشكاة ج ٣ ، ص (١٤٧٤ - ١٤٧٥) ، الحديث رقم :(٥٣٦٩) .

(إن ظِلَّ المؤمنِ يومَ القيامةِ صدقَتُهُ)(١) .

قال الطيبي :

« قوله : (إن ظل المؤمن) هو من التشبيه المقلوب المحذوف الأداة ، لأن الأصل أن الصدقة كالظل في أنه يحميه من أذى الحر يوم القيامة ، نحوه قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :(اقرؤوا الزهراوين البقرةَ وسورةَ آلِ عمرانَ فإنهما تأتيانِ يومَ القيامةِ كأنَّهما غَمَامَتان ..) الحديث(٢)، ثم قلب التشبيه ، فجعل المشبه مشبهاً به مبالغة ، كقوله :

وبَدَا الصباحُ كأن غُرَّتَهُ   وجهُ الخليفةِ حينَ يُمتدحُ .(٣) » .

٢ـ عن عامر بن مسعود ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(الغنيمةُ الباردةُ الصومُ في الشتاء)(٤)

قال الطيبي :

« قوله : (الغنيمة الباردة) قال في الفائق : الغنيمة الباردة هي التي تجيءُ عَفْواً من غير أن يُصْطَلَى دونها بنار الحرب ويُباشَرُ حر القتال .

وقيل : هي الهَيِّنَةُ الطيبة مأخوذة من العيش البارد ، والأصلُ في وقوع البرد عبارة عن الطِّيب والهناءة أنَّ الهواء والماء لما كان طِيبهما ببردهما خصوصاً في بلاد تهامة والحجاز ، قيل : هواء بارد ، وماء بارد ، على سبيل الاستطابة ، ثم كثر

---

(١) رواه أحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٠١) الحديث رقم (١٩٢٥) .
(٢) تقدم ص (٩٦) من الرسالة .
(٣) البيت لمحمد بن وهب الحميرى ، من قصيدة يمدح بها المأمون ، وهو من شواهد البلاغيين على التشبيه المقلوب ، ينظر : أسرار البلاغة ، ص (٢٠٥)و(٢٠٩) .
و(نهاية الإيجاز) للفخر الرازى ، ص (١٠٩) .
ومفتاح العلوم للسكاكي ، ص (١٦٣) .
و(التلخيص) للخطيب القزويني ، ص (٢٦٦) ، و(الإيضاح) له أيضاً ، ج ٢، ص (٣٦١)
و(معاهد التنصيص) للعباسي ، ج ٢ ، ص (٥٧) .
(٤) رواه أحمد والترمذى وقال : وهذا حديث مرسل ، ينظر : المشكاة ، ج ١، ص (٦٣٨) الحديث رقم (٢٠٦٥) ، وذكره الشريف الرضي فى (المجازات النبوية) ، ص (١٦٢)، بلفظ :(الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة) وقال :(وهذه استعارة) .

حتى قيل : عَيْش بارد وغنيمة باردة ، وبَرُدَ أمرنا "(١).

ويبين الطيبي هذا التشبيه من الناحية البيانية فيقول :

" والتركيب من قلب التشبيه لأن الأصل الصوم في الشتاء كالغنيمة الباردة ، كقول الشاعر :

× لُعَابُ الأفَاعِي القَاتِلاتِ لُعَابُهُ ×(٢)

أي لعاب القلم ، وفيه من المبالغة أن الأصل في التشبيه أن يلحق الناقص بالكامل ، كما يقال : زيد كالأسد ، فإذا عكس وقيل : الأسد كزيد ، بجعل الأصل كالفرع والفرع كالأصل يبلغ التشبيه إلى الدرجة القصوى في المبالغة ، والمعنى أن الصائم يحوز الأجر من غير أن يمسه حر العطش ، أو تصيبه لدغة الجوع من طول اليوم " .

٣- عن أبي هريرة ، قال : ما رأيتُ شيئاً أحسنَ مِنْ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - كأنَّ الشمسَ تجري في وجهِه ....)(٣)

قال الطيبي :

" قوله (كأن الشمس تجرى في وجهه) شبه جريان الشمس في فَلَكِهَا بجريان الحسن في وجهه ، وفيه معنى قول الشاعر :

---

(١) ج ١ ، ص (٩١) .

(٢) لأبي تمام ، وتمام البيت :

× وأَرْيُ الجنَى اشْتَارتْهُ أيدٍ عَوَاسِلُ ×

وهو في ديوانه ، ينظر : ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزى ، ج ٣ ، ص (١٢٣).

وهو أيضاً في (أدب الكتاب) للصولي ، ص (٧٦) .

و(دلائل الاعجاز) ، ص (٢٨٣) .

(٣) من حديث رواه الترمذى وقال : حديث غريب ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٦١٤) الحديث رقم (٥٧٩٥) .

يزيدُكَ وَجْهُهُ حُسْناً   إذا ما زِدْتَهُ نَظَراً (١)

وفيه أيضا عكس التشبيه للمبالغة".

ثم يضيف الطيبي بأنه يجوز تناسي التشبيه هنا ، فيقول :

"ويجوز أن يقدر متعلق الخبر الاستقرار ، فيكون من باب تناسي التشبيه ، فجعل وجهه صلوات الله عليه مقراً ومكاناً لها ، ومن باب التناسي قول الشاعر :

هي الشمسُ مسكنها في السماء   فعز الفؤاد عزاءً جميلاً (٢) " .

× × ×

---

(١) البيت لأبي نواس ، وهو في ديوانه ، ص (٥٥٩) وهو من شواهد البلاغيين على ظهور حقيقة المجاز في الإسناد بعد نظر وتأمل وقد ورد في عدد من المصادر البلاغية منها :

(دلائل الاعجاز) لعبد القاهر ، ص (٢٢٩) .

و(نهاية الايجاز) للفخر الرازى ، ص (٨٦) .

و(مفتاح العلوم) للسكاكي ، ص (١٨٧) .

و(التلخيص) للخطيب القزويني ، ص (٥١) .

و(الإيضاح) للخطيب أيضاً ، ج ١ ، ص (١٠٧) .

و(معاهد التنصيص) للعباسي ، ج ١ ، ص (٧٨) .

(٢) ينظر ص (٧٦) من هذه الرسالة .

- المبحث الثالث : أغراض أخرى للتشبيه -

الأغراض المذكورة سابقاً هي الأغراض المشهورة للتشبيه ، وللتشبيه أغراض أخرى ، إذ لا يمكن حصر أغراض التشبيه كلها لأنه أكثر الفنون البيانية استعمالاً في كلام الناس ، وتتنوع أغراضه لتلائم ما يرمي إليه قائله من أهداف ، ولا حصر لأهداف الكلام عند البشر ، وليس البيان إلا وسيلة للتعبير عن هذه الأهداف .

من أهداف التشبيه الأخرى ذكر الطيبي ما يلي :

أولاً : التقريب :

تأتي بعض التشبيهات النبوية لتقريب المعاني الغيبية الكبرى إلى النفوس ولا ريب أن التقريب يراد منه الإيضاح والبيان ، فهو يمكن أن يكون من الأغراض العامة للتشبيه ، بيد أن الطيبي سماه تقريباً ، فكأنه اعتبره غرضاً قائماً بذاته لذلك ذكرته هنا .

ومن الأمثلة التي ذكرها الطيبي ما يلي :

١- قال عليه السلام لعلي يوم فتح خيبر :

(.. فواللهِ لأَنْ يهديَ اللهُ بك رجلاً واحداً خيرٌ لكَ من أَنْ يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم)(١) .

قال الطيبي :

" قال النووي : (حمر النعم) : يراد به حمر الإبل وهي أعزها وأنفسها ، ويضربون بها المثل في نفاسة الشيء ، وأنه ليس هناك أعظم منه .

وتشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام ، وإلا فقدر يسير

---

(١) من حديث متفق عليه ، عن سهل بن سعد ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٧١٩-١٧٢٠) الحديث رقم :(٦٠٨٠) .

من الآخرة خير من الدنيا بأسرها وأمثالها معها ."(١)

ولا يوجد في هذا الحديث تشبيه اصطلاحي ، وانما فيه معنى التشبيه .

٢- عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(إن قلوبَ بني آدم كلَّها بين أصبعين من أصابعِ الرحمن كقلب واحدٍ ، يُصَرِّفُه كيفَ يشاءُ ...)(٢)

قال الطيبي :

" قوله :(كقلب واحد) قالوا : يعني كما أن أحدكم يقدر على شيء واحد ، الله تعالى يقدر على جميع الأشياء دفعة واحدة . ولا يشغله شأن عن شأن .

أقول :

ليس المراد أن التصرف في القلب الواحد أسهل عليه تعالى من التصرف في القلوب كلها فإن ذلك عند الله - سبحانه وتعالى - سواء ، قال الله تعالى :

(إنما أَمْرُهُ إِذَا أرادَ شيئاً أَنْ يقولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)(٣) ، ولكن ذلك راجع إلى العباد وإلى ما شاهدوه وعرفوا ذلك فيما بينهم ، كقوله سبحانه وتعالى :(وَهُوَ الذِي يبدأُ الخلقَ ثمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عليهِ)(٤) أي : أهون فيما يجب عندكم ، وينقاس على أصولكم ، ويقتضيه معقولكم (٥) وإلاَّ فالإبداء والإعادة سواء عند الله تعالى" انتهى .

أقول : إن فحوى كلام الطيبي يظهر أن المراد بالتشبيه هنا تقريب الصورة إلى الأذهان.

---

(١) في صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٥ ، ص (١٧٨) : (هي الإبل الحمر ، وهي أنفس أموال العرب يضربون بها .... وقد سبق بيان أن تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الافهام ، وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها) .

(٢) من حديث رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٣٣) الحديث رقم (٨٩) .

(٣) سورة يس ، الآية (٨٢) .

(٤) سورة الروم ، الآية (٢٧) .

(٥) من عبارات الكشاف ، ج ٣ ، ص (٤٧٦) .

٣- عن عبد الله بن مسعود قال : خَطَّ لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطاً ثم قال : (هذا سبيلُ الله) ، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ، وقال : (هذه سُبُلٌ ، على كل سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه) وقرأ :(وأنَّ هذا صِراطي مستقيماً فاتبعوه)(١) الآية)(٢) .

قال الطيبي :

" قوله (خط لنا خطاً) أي خط لأجلنا تقريباً وتفهيماً لنا ، لأن التصوير والتمثيل إنما يُسلك ويُصار إليه لإبراز المعاني المحتجبة ، ورفع الأستار عن الرموز المكنونة ، لتظهر في صورة المشاهد المحسوس فيساعد فيه الوهم العقلَ ويصالحه عليه ".

أقول : لعل كلام الطيبي حول الغرض من التمثيل مستوحى من كلام صاحب الكشاف حيث قال الزمخشري : " التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب ، وإدناء المتوهم من المشاهد "(٣).

وقال أيضاً : " .. والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للأفهام "(٤).

وفي الكلامين تشابه بالأسلوب وتطابق بالفكرة .
وليس التشبيه في هذا الحديث اصطلاحياً ، وانما فيه رائحة التشبيه .

٤- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(المؤذِّنُ يُغفرُ له مَدى صَوتِه)(٥) .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٥٣) .
(٢) تقدم ص (٥٥) من الرسالة .
(٣) الكشاف ، ج ١ ، ص (١١١) .
(٤) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص (٤٥٥) .
(٥) من حديث رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والنسائي ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٢١١) الحديث رقم (٦٦٧) .

قال الطيبي :

"قوله (مدى صوته) قال في النهاية : إنّ المكان الذى ينتهي إليه الصوت لو قدر أن يكون ما بين أقصاه وبين مقام المؤذن ذنوب له تملأ تلك المسافة لغفرها الله له ، فيكون هذا الكلام تمثيلاً "(١).

أقول : فحوى الكلام الذي نقله الطيبي عن ابن الأثير أن المراد بالتشبيه هنا التقريب ، وهذا الحديث ليس فيه تشبيه اصطلاحي ، وانما فيه معنى التشبيه.

٥- عن المستورِد بن شدَّادٍ ، قال : سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :(واللهِ ما الدنيا في الآخرةِ إلا مثلُ ما يجعلُ أحدُكم أصبعَه في اليمِّ فلينظرْ بمَ يرجع ؟)(٢).

قال الطيبي :

"قوله :(ما الدنيا في الآخرة) أي مثل الدنيا في جنب الآخرة .

قوله :(فلينظر بم يرجع) وضع موضع قوله (فلا يرجع بشيء) كأنه - صلى الله عليه وسلم - يستحضر تلك الحالة في مشاهدة السامع ، ثم يأمره بالتأمل والتفكر هل يرجع بشيء أم لا؟.

هذا تمثيل على سبيل التقريب ، وإلا فأين المناسبة بين المتناهي وغير المتناهي".

ثانياً : تأنيس المخاطبين :

ويراد به بث الأنس والأمان في نفوس المخاطبين حتى يسألوا عما بدا لهم ، كما في الحديث :

---

(١) النهاية ، ج ٤ ، ص (٣١٠) .

(٢) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٢٧) الحديث رقم (٥١٥٦).

- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
(إنما أنا لكم مِثْلُ الوالدِ لولده ، أُعَلِّمُكم : إذا أتيتمُ الغائطَ فلا تستقبِلوا القِبلةَ ولا تستدبروها ...)(١).

قال الطيبي :
" قوله :(إنما أنا لكم مثل الوالد) قال الخطابي : هذا الكلام بسط للمخاطبين وتأنيس لهم لئلا يحتشموه ، ولا يستحيوا عن مسألته فيما يعرض لهم من أمر دينهم كما لا يستحيي الولد عن مسألة الوالد فيما عنَّ وعرض له .
وفي هذا بيان وجوب طاعة الآباء ، وأن الواجب عليهم تأديب أولادهم ، وتعليمُهم ما يحتاجون إليه من أمر الدين "(٢) انتهى .

أقول : لقد ذكر الخطيب القزويني أن من أسباب بلاغة التشبيه " ما يحصل للنفس من الأنس بإخراجها من خفي إلى جلي "(٣) .
فلا ريب أن أنس النفس هو من أهم مطالب البيان الذى علمه الله للإنسان ، ولذلك يمكن اعتباره أحد الأغراض المطلوبة في التشبيه .

ثالثاً : الزجر :

قد يلابس بعض التشبيهات النبوية بعض الكلمات مثل كلمة (خرج) في الحديث الآتي ، مما يضفي على التشبيه حالة من الزجر تؤثر في نفوس المخاطبين ، كما سيأتي :
- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

---

(١) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي ، ينظر المشكاة ، ج ١ ، ص (١١٢) الحديث رقم (٣٤٧) .
(٢) معالم السنن للخطابي ، ج ١ ، ص (١٨) .
(٣) الإيضاح ، ج ٢ ، ص (٣٣١) ، وقد ذكر عبد القاهر نحو هذا الكلام خلال حديثه عن أسباب تأثير التمثيل ، ينظر : أسرار البلاغة ، ص (١٠٨- ١٠٩) .

(إذا زنى العبدُ خرجَ منه الإيمان ، فكان فوقَ رأسِهِ كالظُّلَّة ، فإذا خرج من ذلك العمل رجع إليه الإيمان)(١).

قال الطيبي :

" إن الخروج والتظليل تمثيل كما في تشبيك الأصابع(٢) ، وإنه من باب التغليظ والتشديد في الوعيد .

قال التوربشتي : وهو كقول القائل لمن اشتهر بالرجولية والمروءة ، ثم فعل ما ينافي شيمته: عدم عنه المروءة والرجولية ، تعييراً أو نكيراً ، لينتهي عما صنع ، واعتباراً وزجراً للسامعين ، وتنبيهاً على أن الزنا من شيم أهل الكفر وأعمالهم ، والجمع بينه وبين الإيمان كالجمع بين المتناقضين .

وفي قوله -صلى الله عليه وسلم- :(كان فوق رأسه كالظلة) وهي أول سحابة تظلل إشارة إلى أنه وإن خالف حكم الإيمان ، فإنه تحت ظله لا يزول عنه حكمه ، ولا يرتفع عنه اسمه(٣) . " .

× × ×

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٢٥) ، الحديث رقم (٦٠) .

(٢) ينظر : ص (٧٧) من هذه الرسالة .

(٣) المرقاة ، ج ١ ، ص (١٣١) .
والتعليق ، ج ١ ، ص (٥٧- ٥٨) .

وقبل اختتام باب التشبيه نعرض لبعض الأمور التي تتصل بهذا الفن ، وهي: التشابه ، مغزى التشبيه ، صلة التشبيهات النبوية بالقرآن الكريم .

أولا : التشابه :

لمعرفة ما يراد بالتشابه عند البلاغيين أذكر بعض أقوال العلماء :

١- قال الخطيب القزويني :

" فإن أُريدَ مجردُ الجمعِ بين شيئين في أمر ، فالأحسن ترك التشبيه إلى الحكم بالتشابه ، ليكون كل واحدٍ من الطرفين مشبهاً ومشبهاً به ، احترازاً من ترجيح أحد المُتَسَاوِيَيْنِ على الآخر "(١).

٢- وقال الأستاذ علي الجندي :

" التشابه ، وما وازن هذه الصيغة من التماثل والتساوي والتضارع ، إلى غير ذلك من الأفعال اللازمة ، لأن المتعدية مثل شابه تفيد إلحاق الناقص بالكامل ، دون صيغة (التفاعل) الذي يقتضي حصول مدلوله من الجانبين ، فيكون كل من الأمرين مشبهاً ومشبهاً به ، من غير تفضيل لأحدهما على الآخر احترازاً من ترجيح أحد المتساويين في وجه الشبه ، لأنه غير مختص بأحد الطرفين بزيادة اختصاص "(٢). ويضيف قائلاً :

" ويجوز مع ذلك التشابه ، قصد التشبيه أيضاً ، لأنهما وإن تساويا في وجه الشبه بحسب قصد المتكلم ، فإنه لا يمتنع أن يجعل أحدهما مشبهاً والآخر مشبهاً به ، لإمكان ترجيح أحد المتساويين باعتبار "(٣)

---

(١) الإيضاح ، ج ٢ ، ص (٣٦٣) .

(٢) فن التشبيه ، ج ٢ ، ص (٦) .

(٣) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص (٧) .

والطيبي لا يخرج في موضوع التشابه عما سبق ذكره ، فهو يرى أن الغرض من التشابه المبالغة ، وأن كلاً من الأمرين المتماثلين يصح أن يكون مشبهاً ومشبهاً به ، ويمكن ترجيح أحد المتساويين باعتبار ، وقد ذكر من أمثلة التشابه ما يلي:

١- عن جعفر بن أبي طالب في قصة رجوعه من أرض الحبشة ، قال: فخرجنا حتى أتينا المدينةَ ، فتلقاني رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- فاعتنقني ثم قال: (ما أدري: أنا بفتح خيبرَ أفرحُ ، أم بقدومِ جعفرٍ؟)(١) .

قال الطيبي :

" قوله :(أفرح ،أم بقدوم جعفر) هذا الأسلوب من باب الذهاب إلى التشابه من التشبيه ، مبالغة في إلحاق الناقص بالكامل ." .

والحق أنه لاتشابه هنا ، والمعنى أن فرحته عليه السلام بكلا الأمرين على درجة واحدة .

٢- عن كعب يحكي عن التوراة ، واصفاً النبي -صلى الله عليه وسلم- وأمته :

(.. مُناديهم ينادي في جوِّ السماء ، صفُّهم في القتال وصفُّهم في الصلاة سواءٌ)(٢) .

قال الطيبي :

" شبه صفوفهم بالجماعات بسبب مجاهدتهم النفس الأمارة والشيطان بصف القتال والمجاهدة مع أعداء الدين ، وأخرجه مخرج التشابه في التشبيه ، إيذاناً بأن كل واحد منهما يصح أن يكون مشبهًا ومشبهاً به ، بل أخر ذكر الصلاة ليكون مشبهاً به ، لكونه أبلغ " .

× × ×

---

(١) رواه البغوى في شرح السنة ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٢٨) الحديث رقم :(٤٦٨٧) .

(٢) عزاه الخطيب التبريزى إلى البغوى في المصابيح ، والدارمي . ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٦٠٦- ١٦٠٧) الحديث رقم (٥٧٧١) .

ثانياً : مغزى التشبيه :

يوجد في بعض التشبيهات النبوية أشياء تستفاد وتؤخذ من التشبيه ، هذه الأشياء يمكن أن تسمى مغزى التشبيه ، وذلك لأن التشبيه حيثما وقع " لا يخلو من فوائد يمتاز بها من الكلام المجرد منه ، ولهذه الفوائد آثر المتكلم أن يتخذه أداة للتعبير دون غيره من القول "(١) .

وقد استطاع الطيبي أن يكشف من وراء التشبيهات الموجزة معاني جليلة وأفكاراً نبيلة . كما سنلاحظ من خلال الأمثلة التالية :

١- قال عليه السلام : (.. وإن فضلَ العالمِ على العابد ، كفضل القمر ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكب)(٢) .

قال الطيبي :

" قال القاضي : العبادة كمال ونور يلازم ذات العابد ولا يتخطاه ، فشابه نور الكواكب ، والعلم كمال يوجب للعالم في نفسه شرفًا وفضلاً ويتعدى منه إلى غيره فيستضيء بنوره ويكمل بواسطته ، لكنه كمال ليس للعالم من ذاته ، ولكنه نور يتلقاه من النبي - صلى الله عليه وسلم - فلذلك شبه بالقمر لأن نوره مستفاد من الشمس(٣) انتهى كلامه " .

ويعقب الطيبي على كلام القاضي قائلاً :

" ولا تظن أن العالم المفضل عاطل عن العمل ، ولا العابد عن العلم ، بل إن علم ذلك غالب على عمله ، وعمل هذا غالب على علمه ، ولذلك جعل العلماء ورثة

---

(١) فن التشبيه للجندي ، ج ١ ، ص (٦٤) .

(٢) من حديث رواه أحمد والترمذي وأبو داود وغيرهم عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٧٤) الحديث رقم (٢١٢) .

(٣) التعليق ، ج ١ ، ص (١٤٩) .

الأنبياء ، الذين فازوا بالحسنيين العلم والعمل ، وحازوا الفضيلتين الكمال والتكميل" .

٢- قال عليه السلام :(فضلُ العالم على العابد كفضلي على أدناكم)(١).

قال الطيبي :

" هذا التشبيه ينبهك على أنه لا بد للعالم من العبادة ، وللعابد من العلم ، لأن تشبيههما برسول الله -صلى الله عليه وسلم - وبالصحابة -رضي الله عنهم- يستدعي المشاركة فيما فضلوا به من العلم والعمل ، وكيف لا والعلم مقدمة للعمل وصحة العمل متوقفة على العلم " .

٣- عن عائشة ، قالت : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - : (الأرواح جنودٌ مجندة ، فما تعارف منها ائتلفَ ، وما تناكر منها اختلف)(٢).

قال الطيبي :

" قوله :(جنود مجندة) قال في النهاية : أي مجموعة كما يقال : ألوف مؤلفة وقناطير مقنطرة(٣). " .

ثم عقب الطيبي بقوله : "دل تشبيه الأرواح بالجنود المجندة على أن ذلك الاجتماع في الأزل كان لأمر عظيم وخطب جسيم ، من فتح بلاد وقهر أعداء ، ودل ذلك على أن أحد الحزبين حزب الله ، والآخر حزب الشيطان ، فمن تآلف في الأزل بحزب الله فاز وأفلح (أولئكَ حزبُ اللهِ ألا إن حزبَ اللهِ هُمُ المفلحُونَ)(٤) ومن تآلف بحزب الشيطان خاب وخسر (أولئكَ حزبُ الشيطانِ ألا إنَّ حزبَ الشيطانِ هُمُ الخاسِرُونَ)(٥). ومن عادة

---

(١) تقدم ص (١٦٨) من الرسالة .

(٢) رواه البخاري ، ينظر: المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٩٤) الحديث رقم (٥٠٠٣) .

(٣) النهاية ، ج ١ ، ص (٣٠٥) .

(٤) سورة المجادلة ، الآية (٢٢) .

(٥) سورة المجادلة ، الآية (١٩) .

الأجناد المتحزبة أن يُسَوِّمَ كلٌّ واحد من أحد الحزبين بعلامة ترفع التناكر عن البين فمتى شاهدوها ائتلفوا ، فعلى هذا بنى قوله (فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) فهو تفريع على التشبيه بمنزلة ترشيح الاستعارة ، وهذا التعارف إلهامات يقذفها الله في قلوب العباد من غير إشعار منهم بالسابقة ، ولا يمنع من هذا التعارف وصلة الأباعد والأجانب ، ولا يضمه شِجْنَةُ(١) الأرحام والأواصر " .

أقول : قوله : " فهو تفريع على التشبيه بمنزلة ترشيح الاستعارة " يفيد أن التفريع على التشبيه عند الطيبي هو ما ذكر فيه وصف المشبه به ، وهو أحد أنواع التشبيه المجمل (٢) ، وقد أشار إليه الأستاذ علي الجندي فقال :" وقد سمى الأستاذ جبر ضومط هذا الضرب : ترشيح التشبيه ، وهو أن يبدأ الكاتب أو الشاعر بذكر طرفي التشبيه ، ثم يوهم تناسي أحدهما - وأكثر ما يكون المشبه - ويأخذ في ذكر أحوال المشبه به كأنه ليس في الكلام غيره ، إلا أن هذه الأحوال يلحظ العقل عند ذكرها أن لها ما يقابلها في المشبه "(٣) . ومن العجب أن يقول الأستاذ علي الجندي أن جبر ضومط هو الذى سمى هذا الضرب ترشيح التشبيه علماً أن هذه التسمية قد ذكرها السعد التفتازاني والدسوقي قبل ضومط بقرون!(٤).

× × ×

---

(١) في الصحاح ، مادة شجن: ((والشِجْنَةُ والشُجْنَةُ عروق الشجر المشتبكة . ويقال : بيني وبينه شِجْنَةُ رحمٍ وشُجْنَةُ رحمٍ ، أى قرابةٌ مشتبكةٌ)) .

(٢) ينظر : الإيضاح ، ج ٢ ، ص (٣٧٣- ٣٧٤) .

(٣) فن التشبيه ، ج ١ ، ص (١٨٧- ١٨٨) .

(٤) ينظر : شروح التلخيص (شرح السعد ، وحاشية الدسوقي) ج ٤ ، ص (١٥٧) .

ثالثاً : صلة التشبيهات النبوية بالقرآن الكريم :

يحاول الطيبي ربط بعض التشبيهات النبوية ببعض الآيات القرآنية وذلك إذا كان التشبيه في الحديث النبوي يتطلب إيضاحه الإلمام ببعض الآيات القرآنية ، أو كان مشابهاً لتشبيه آخر ذكره القرآن الكريم ، كما سيظهر من الأمثلة التالية :

١- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(مَثَلِي كمثلِ رجلٍ استوقدَ ناراً ، فلما أضاءتْ ما حولَها ، جعلَ الفراشُ وهذه الدوابُّ التي تقعُ في النارِ يَقَعْنَ فيها ، وجعل يحجُزُهنَّ ويغلِبْنه فَيَتَقَحَّمْنَ فيها ، فأنا آخذٌ بِحُجَزِكم عن النارِ وأنتم تَقَحَّمُونَ فيها)(١)

قال الطيبي :

« اعلم أن تحقيق هذا التشبيه موقوف على معرفة معنى قوله تعالى :(تلكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوها ، ومَنْ يَتعدَّ حدودَ اللهِ فأولئكَ هُمُ الظالمونَ)(٢) وذلك أن حدود الله هي محارمه ونواهيه كما ورد :(ألا وإنَّ حِمى اللهِ محارِمُه)(٣) ورأس المحارم حب الدنيا وزينتها ، واستيفاء لذاتها وشهواتها ، شبه صلوات الله وسلامه عليه إظهاره تلك الحدود ببياناته الشافية الكافية من الكتاب والسنة باستيفاء الرجل النار ، وشبه فشو ذلك الكشف في مشارق الأرض ومغاربها بإضاءة تلك النار ما حول المستوقد وشبه الناس وعدم مبالاتهم بذلك البيان والكشف وتعديهم حدود الله ، وحرصهم على استيفاء تلك اللذات والشهوات ومنع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إياهم عنه بأخذ حجزهم بالفراش التي يقتحمن في النار ويغلبن المستوقد على دفعه إياها عن الاقتحام ، وكما أن المستوقد كان غرضه من فعله انتفاع الخلق به من الاهتداء

---

(١) تقدم ص (١٨٠) من الرسالة .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٢٩) .

(٣) من حديث متفق عليه عن النعمان بن بشير ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٨٤٣) الحديث رقم (٢٧٦٢) .

والاستدفاء وغير ذلك ، والفراش لجهلها جعلته سبباً لهلاكها ، كذلك كان القصد بتلك البينات هو اهتداء الأمة واحتماؤها عما هو سبب هلاكهم ، وهم مع ذلك لجهلهم جعلوها موجبة لترديهم " .

٢- عن ابن مسعود ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :
(ضربَ اللهُ مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعن جَنَبتي الصِّراط سوران ، فيهما أبوابٌ مفتَّحة، وعلى الأبواب ستورٌ مُرخاةٌ ، وعند رأسِ الصراطِ داعٍ يقول : استَقيموا على الصراطِ ولا تعوَجُّوا ، وفوق ذلك داعٍ يدعو ، كلما همَّ عبدٌ أن يفتحَ شيئاً من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحْه ، فإنك إنْ تفتحْهُ تلِجْهُ ، ثم فسره فأخبر (أن الصِراط هو الإسلام ، وأن الأبوابَ المفتَّحَة محارمُ الله ، وأن الستور المرخاة حدودُ الله وأن الداعي على رأسِ الصِراط هو القرآن ، وأن الداعي من فوقه واعظُ الله في قلب كل مؤمن) [١].

قال الطيبي :
" في قوله :(وعن جنبتي الصراط سوران) إشارة الى قوله تعالى :(وأَنَّ هذا صِرَاطِي مُستقيماً فاتبعُوهُ ولا تتبعوا السُّبُلَ)[٢] والسبل هي الخطوط التي على يمين الصراط ويساره كالسورين ، والمشار إليه بهذا ما دل عليه قوله تعالى :(قلْ تعالوا أَتْلُ ماحرَّمَ ربُّكُمْ عَليكمْ أَلَّا تُشركوا بِهِ)[٣] الآية ، فإن تلك الخطوط أشار بها في الحديث السابق[٤] إلى الاعتقادات الفاسدة والأهواء الزائغة التي ينبئ عنها قوله

---

(١) رواه رزين وأحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٧) ، الحديث رقم (١٩١) .
(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٥٣) .
(٣) سورة الأنعام ، الآية (١٥١) .
(٤) يريد الحديث رقم (١٦٦) من المشكاة ، وقد تقدم ص (٥٥) وص (١٩٠) من هذه الرسالة .

تعالى :(أَلَّا تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً)[١] وفي هذا الحديث إشارة إلى المحارم التي لمح إليها قوله تعالى :(ولا تَقرَبُوا الفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنها وما بَطَنَ)[٢] " .

٣- قال عليه السلام يصف بئر ذَرْوانَ التي وضع له فيها لبيدُ بن الأعصم اليهودي السِحْرَ:
(هذه البئر التي أُريتها ، وكأن ماءَها نُقاعةُ الحنّاءِ ، وكأن نخلَها رؤوسُ الشياطين)[٣]

قال الطيبي :

" قال التوربشتي : أراد بالنخل طلع النخل ، وإنما أضافه إلى البئر لأنه كان مدفوناً فيها ، وأما تشبيه ذلك برءوس الشياطين ، فلما صادفوها عليه من الوحشة والنفرة وقبح المنظر ، وكانت العرب تعد صور الشياطين من أقبح المناظر ذهاباً في الصورة إلى ما يقتضيه المعنى .. وقيل : أريد بالشياطين الحيات الخبيثات العرمات[٤] وأياً ما كان فإن الاتيان بهذا المنظر في الحديث مسبوق على نص الكتاب في التمثيل ، قال سبحانه وتعالى : (طَلْعُها كأنهُ رُءوسُ الشياطينِ)[٥]. " .

تعقيب : أول من تنبه لمعنى هذا التشبيه -أبو عبيدة معمر بن المثنى ، والتشبيه وهمي هنا وقد جاء بعده الجاحظ فذكر تعليلاً نفسياً عندما أشار إلى سبب تشبيه الطلع برءوس الشياطين قائلاً :

" وإن كنا نحن لم نر شيطاناً قط ، ولا صور رءوسها لنا صادقٌ بيده .... ففي إجماع المسلمين والعرب وكل من لقيناه على ضرب المثل بقُبح الشيطان ، دليل على أنه في الحقيقة أقبح من كل قبيح "[٦] .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٥١) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٥١) .

(٣) من حديث متفق عليه ، عن عائشة ، ينظر : المشكاة ، ج٣ ، ص (١٦٥١- ١٦٥٢) الحديث رقم (٥٨٩٣) .

(٤) في لسان العرب ، مادة (عرم) : (هو عارمٌ وعرِمٌ : اشتد) .

(٥) سورة الصافات ، الآية (٦٥) .
ينظر : المرقاة ، ج ١١ ، ص (١٨٣) .

(٦) الحيوان ، ج ٦ ، ص (٢١٢- ٢١٣) .

وأما القول بأن المراد بالشياطين الحيات فهذا الرأي أورده العلماء قبل التوربشتى ومنهم ابن سنان [١] والزمخشرى [٢] ، والحاصل أن التوربشتي مضمن لكلام من سبقه من العلماء حول التشبيه في هذه الآية وهذا الحديث .

× × × ×

---

(١) ينظر : سر الفصاحة ، ص (٢٥٥) .

(٢) ينظر : الكشاف ، ج ٤ ، ص (٤٦) .

- الباب الثاني -

- فن المجاز -

سنتناول في هذا الباب أنواع المجاز التي ذكرها الطيبي ، وقد جعلته ثلاثة فصول تتناول المجاز العقلي والمجاز المرسل والاستعارة .

وقبل البدء بالفصل الأول أود أن أشير إلى موقف الطيبي من بعض الأمور المتعلقة بهذا الفن ، وهي ما يلي :

أولاً : قيمة المجاز :

يرى الطيبي أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، وقال عنه :
" إن البلغاء إذا وجدوا إلى المجاز سبيلاً لتضمنه النكتة ، لا يعدلون عنه إلى الحقيقة لخلوها عنها "(١) .
وهذا الرأي موافق لما ذكره البلاغيون ، فقد أجمعوا على أن المجاز أبلغ من الحقيقة .

---

(١) ذكر ذلك عند حديث روته أم سلمة ، وهو في المشكاة ، ج ١ ، ص (٣٨٥) ، الحديث رقم : (١٢٣٢) .

ثانياً : الحقيقة هي الأصل في الكلام ، والعدول إلى المجاز يكون لمانع :

قال الطيبي :

" إن القول إذا صرح به ، يجب أن يجري على حقيقته إلا إذا منع مانع فيجري على المجاز "(١) .

قلت : إن ما ذهب إليه الطيبي هو الصواب ، وعليه جمهور البلاغيين (٢) ، ومما يؤيده قول ابن الأثير : " وقد ذهب قوم إلى أن الكلام كله حقيقة لا مجاز فيه وذهب آخرون إلى أنه كله مجاز لا حقيقة فيه ، وكلا هذين المذهبين فاسد عندي ".

... واعلم أنه إذا ورد عليك كلام يجوز أن يحمل معناه على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه ، فانظر ، فإن كان لا مزية لمعناه في حمله على طريق المجاز ، فلا ينبغي أن يحمل إلا على طريق الحقيقة ، لأنها هي الأصل ، والمجاز هو الفرع ، ولا يعدل عن الأصل إلى الفرع إلا لفائدة "(٣) .

---

(١) ذكر ذلك عند حديث رواه أبو هريرة ، وهو في المشكاة ، ج ٢ ، ص (٧٧٢) الحديث رقم :(٢٥٠٥) .

(٢) ينظر : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " النكت للرماني " ص (٨٦) .
و" الصناعتين " لأبي هلال العسكري ، ص (٢٩٨) .
و" سر الفصاحة " لابن سنان الخفاجي ، ص (١١٨) .
و" الطراز " للعلوي ، ج ١ ، ص (٧٧) .

(٣) المثل السائر ، ج ١ ، ص (٨٥) وص (٨٩) .

ثالثاً : لا مجاز في المعجزات :

ذكر عند حديث الإسراء والمعراج (١) الذي ورد فيه معجزات شتى من شق البطن وغسله بماء زمزم ، وملئه إيماناً وحكمة .. بأن الصواب هو أن يحمل ما في الحديث على الحقيقة ولا يصرف إلى المجاز ، وارتضى قول الشيخ التوربشتي بهذا الصدد ، فقال ناقلاً عنه :

" ما ذكر في الحديث من شق النحر ، واستخراج القلب ، وما يجري مجراه ، فإن السبيل في ذلك التسليم دون التعرض بصرفه إلى وجه يتقوله متكلف ادعاءً للتوفيق بين المنقول والمعقول ، هرباً مما يتوهم أنه محال ، ونحن بحمد لله لا نرى العدول عن الحقيقة إلى المجاز في الخبر الصادق عن الأمر المحال به على القدرة "(٢) .

واذا كان الطيبي يرفض صرف الحقيقة إلى المجاز في الأمور الغيبية ، فهو يرفض صرف الحقيقة إلى المجاز في الكلام ما لم تكن هنالك قرائن ، وقد نبه على ذلك فقال (٣) :

" قال صاحب جامع الأصول : ما يستعمله الوعاظُ في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام وترغيباً للمستمع نحو قولهم في قوله تعالى :(اذهبْ إلى فِرعونَ إنهُ طَغى)(٤) ، ويشيرون إلى القلب أنه طاغٍ على كل أحد ، فهو ممنوعٌ وإن كان القصدُ صحيحاً "(٥) ..

---

(١) هو في المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٦٣٥ـ ١٦٣٧) ورقمه (٥٨٦٢) وهو من رواية أنس بن مالك عن مالك بن صعصعَة .

(٢) ينظر : المرقاة ، ج ١١ ، ص (١٤٠) .

(٣) كلامه مذكور عند حديث رواه ابن عباس ، وهو في المشكاة ، ج ١ ، ص (٧٩) ورقمه (٢٣٤) .

(٤) سورة طه ، الآية (٢٤) .

(٥) ج ٢ ، ص (٥) .

رابعاً : المجاز موضوع بالوضع النوعي :

يرى الطيبي أن المجاز ليس مقصوراً على السماع ، وليس مسدوداً ، وقد ذكر هذا في مواضع ، منها ما قاله عند الحديثين التاليين :

١- عن الحسن ، عن سَمُرَةَ ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(الغلامُ مُرْتَهَنٌ بعقيقَتِهِ[١]، تُذبحُ عنهُ يومَ السابعِ ، ويُسمَّى ، ويُحْلَقُ رأْسُهُ)[٢].

قال الطيبي :

" قوله :(مُرْتَهَنٌ بعقيقته) قال التوربشتي : وفيه نظر ، وهو أن المرتهن هو الذي يأخذ الرهن والشيء مرهون ورهين ، ولم نجد فيما يعتمد عليه من كلامهم بناء المفعول من الارتهان ، فلعل الراوي أتى به مكان الرهينة من طريق القياس "[٣] .

ويرد رأي التوربشتي قائلاً :

" أقول : طريق المجاز غير مسدود ، وليس بموقوف على السماع ، ولا يستراب أن الارتهانَ هنا ليس مأخوذاً بطريق الحقيقة ، ويدل عليه قولُ الزمخشري في أساس البلاغة في قسم المجاز : فلان رَهْنٌ بكذا ورهين ورهينة ، ومرتَهَن به : مأخوذ به [٤]" .

---

(١) قال البغوي في (شرح السنة) ، ج ١١ ، ص (٢٦٣) ما يلي :" العقيقة اسم للشعر الذي يحلق من رأس الصبي عند ولادته ، فسميت الشاةُ عقيقةً على المجاز إذ كانت إنما تذبح عند حلاق الشعر " .

(٢) رواه أحمد ، والترمذي ، وأبو داود والنسائي لكن في روايتهما (رَهينةٌ) بدل (مرتهن) . ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٢٠٨) الحديث رقم (٤١٥٣) .

(٣) المرقاة ، ج ٨ ، ص (١٥٦) .

(٤) أساس البلاغة ، مادة :(رهن) .

ويؤيد رأيه بكلام ينقله عن ابن الأثير وآخر عن البغوي فيقول :

" قال صاحب النهاية معنى قوله :(رهينة بعقيقته) أن العقيقة لازمة له لا بد منها ، فشبهه في لُزومها له وعَدم انْفِكاكه منها بالرَّهن في يد المُرْتَهن ، والهاء في الرهين للمبالغة لا للتأنيث كالشتْم والشَّتِيمة [١] .

وقال في شرح السنة : قد تكلم الناسُ فيه ، وأَجود ها ما قاله أحمد بن حنبل ، معناه : أنه إذا مات ولم يعق عنه لم يشفعْ بوالديه [٢] ".

ثم يعلق على ذلك الطيبي بقوله :" ولا ريب أن الإمام أحمد بن حنبل ما ذهب إلى هذا القول إلا بعد ما تلقى من الصحابة والتابعين على أنه إمام من الأئمة الكبار يجب أن يتلقى كلامه بالقبول ويحسن الظن به " .

٢- عن ابن عباس ، قال : إنَّ ضِماداً قَدِمَ مكةَ وكانَ من أَزْدِ شَنُوءَةَ ، وكانَ يَرْقِي من هذا الريح ، فسمع سفهاء أهل مكة يقولون : إن محمداً مجنون ، فقال : لو أَني رأيتُ هذا الرجلَ لعل اللهُ يَشْفِيهِ على يَدَيَّ ، قال : فلقيه ، فقال : يا محمدُ! إني أرقي من هذا الريح فَهلْ لك ؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - :(إن الحمدَ للهِ نَحْمَدُهُ ونستعينُهُ ، مَنْ يهدهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له ، وأشهدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ ، وأشهد أنَّ محمداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، أَمَّا بَعْدُ) فقال : أعدْ عليَّ كلماتِكَ هؤلاء ، فأعادَ هُنَّ عليه رسولُ اللهِ -صلى اللهُ عليه وسلم- ثلاثَ مراتٍ ، فقال : لقد سمعتُ قول الكَهَنَةِ ، وقولَ السَّحَرَةِ ، وقولَ الشُّعَراءِ ، فما سمعتُ مِثْلَ كلماتِكَ هؤلاءِ ، ولقد بَلَغْنَ قاموسَ البحرِ ، هاتِ يدكَ أُبَايِعْكَ على الإسلامِ ، قال : فبَايَعَهُ ، وفي بعض نسخ (المصابيح) :(بلغنا ناعوسَ البحر)[٣].

---

(١) ج ٢ ، ص (٢٨٥) .

(٢) ج ١١ ، ص (٢٦٨) .

(٣) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٦٣١- ١٦٣٢) الحديث رقم (٥٨٦٠) .

قال الطيبي :

" قوله (ولقد بلغن قاموس البحر) قال التوربشتي : في كتاب المصابيح (بلغنا) وهو خطأ لا سبيل إلى تقويمه من طريق المعنى ، والرواية لم ترد به ، وناعوس البحر أيضاً خطأ وكذلك رواه مسلم في كتابه وغيره من اهل الحديث ، وقد وهموا فيه والظاهر انه سمع بعض الرواة أخطأ فيه فروى ملحوناً ، وهذه من الألفاظ التي لم تسمع في لغة العرب ، والصواب فيه قاموس البحر وهو وسطه ومعظمه ، من القمس وهو الغوص والقماس الغواص "(١) .

ثم عقب على كلام التوربشتي قائلاً :

" أقول : قوله :(بلغنا..خطأ) إن أراد به من حيث الرواية فلا ننكره ، وإن أراد بحسب المعنى فمعناه صحيح ، أي قد وصلنا إلى لجة البحر ، ومحل اللآلئ والدرر فيجب أن نقف عليه ونغوص فيه استخراجاً لفوائده والتقاطاً لفرائده ، أي :إن كلماتك قد بلغت في الفصاحة والبلاغة الغاية القصوى بحيث لم ير لأحد من الفصحاء مثله .

فعلى الأول (قاموس البحر) استعارة مصرحة لأن المشبه وهو الكلمات غير مذكورة في هذه الجملة ، وعلى الثاني تشبيه واقع على سبيل التجريد(٢) لذكر المشبه والمشبه به .

وقوله :(ناعوس البحر) خطأ ليس بصواب أما رواية : فقد قال النووي : ناعوس البحر ضبطناه بوجهين أشهرهما النون والعين وهذا الموجود في أكثر نسخ بلادنا ، والثاني قاموس البحر بالقاف والميم وهذا المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم (٣).

---

(١) المرقاة ، ج ١١ ، ص(١٣١ - ١٣٢) .
وقوله(قاموس البحر وهو وسطه ... الخ) هو في الصحاح ، مادة :(قمس)

(٢) التجريد : هو أن يُنْتَزَعَ من أمرٍ ذي صفة أمرٌ آخر مثله في تلك الصفة، مبالغةً في كمالها فيه ، ينظر : الإيضاح ، ج ٢ ، ص(٥١٢) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٦ ، ص (١٥٧) .

وأما دراية : فقال القاضي : ناعوس البحر معظمه ولجته التي يغاص فيها لإخراج اللآلئ ، من نعس إذا نام ، لأن الماء من كثرته لا تظهر حركته فكأنه نائم"[١].

وتابع الطيبي قائلاً :

" أقول : هذا على طريق المجاز والتوسع في الكلام ، وقد تقرر أن المجاز لا يستدعي تقدم استعمال فيما جوز فيه ، بل العلاقة المعتبرة كافية في الاستعمال ، وقد جاء في أساس البلاغة : ومن المجاز : تَنَاعَسَ البرقُ إذا فَتَرَ ، وجَدُّهُ ناعِسٌ تاعِس[٢].
وقد عرف من حال الغواصين أنهم إنما يغوصون في لجة البحر إذا كان هادئاً ساكناً ، غير متلاطم أمواجه ، حتى يتمكنوا من إخراج الدرر ، فشبه تمكن الكلمات بسبب نظمها المعجز[٣] من استخراج المعاني منها بتمكن البحر بالهدو من استخراج الدرر واللآلىء منه .
ويجوز أن يراد بناعوس البحر رسول الله على سبيل الاستعارة ، على أنه من الجائز أن يكون الناعوس حقيقة في القاموس ، وكانت لغة غريبة يخفى مكانها فلم ينقل نقلاً فاشياً " .

وقد رد الشيخ علي القارى كلام الطيبي فقال معقباً على كلامه :

" ثبت العرش ثم أنقش الفرش ، فإن تحقيق الرواية مقدم على تدقيق الدراية ، مع أن هذا ليس معناه اللغوى ، بل تكلف وتعسف في تصحيحه بالمعنى المجازي فأنى يقاوم قول الشيخ؟، وهذا من الألفاظ التي لم تسمع في لغة العرب ، وأغرب

---

(١) . المرقاة ، ج ١١ ، ص (١٣٢) .
(٢) أساس البلاغة للزمخشرى : مادة :(نعس) .
(٣) البلاغة النبوية هي أسمى بلاغة عرفتها الإنسانية ، لكنها دون بلاغة القرآن ، ومن المعلوم أن القرآن هو المعجز دون سواه ، فوصفها بالإعجاز هنا يراد به تعظيمها وإجلالها من طريق المبالغة .

الطيبي حيث قال : ومن الجائز أن يكون الناعوس حقيقة في القاموس وكانت لغة عربية خفي مكانها فلم تنقل نقلاً فاشياً . انتهى ، ولا يخفى أنه إن فتحنا باب الإمكان انسد طريق التحقيق في كل مكان "(١) .

قلت : إن الطيبي اجتهد في تأويل الرواية :(بلغنا ناعوس البحر) اجتهاداً حسناً وإن كان في اجتهاده بعض التكلف ، بيد أن هذا لا يبرر نقد الشيخ علي القارى له بهذا الأسلوب العنيف .

كما يلاحظ فقد ذكر الطيبي عند هذين الحديثين ، أن المجاز غير موقوف على السماع وهذا رأي جمهور البلاغيين ، وهو أن المجاز لا يحتاج غير قرينة وعلاقة ، فهو موضوع بالوضع النوعي ، وفي هذا الصدد قال ابن يعقوب المغربي :" والمعتبر من العلاقة النوعية ، ولذلك صح إنشاء المجاز في كلام العرب والمولدين ، بمعنى أنا إذا عرفنا أنهم استعملوا لفظاً في سبب معناه ، أو في المسبب عن معناه ، جاز لنا أن نستعمل لفظاً آخر لمثل تلك العلاقة أو لعكسها لوجود الربط في كليهما ولا نقتصر على ما استعملوه فقط "(٢).

وقال الدسوقي في حاشيته على مختصر السعد :" والمعتبر من العلاقة نوعها ، ولذا صح إنشاء المجاز في كلام المولدين ، فإذا عرفنا أن العرب استعملوا لفظاً في سبب معناه ، أو في المسبب عن معناه ، أو في المشابه لمعناه ، جاز لنا أن نستعمل لفظاً مغايراً لما استعملوه لمثل تلك العلاقة ، لأن العرب قد اعتبروها رابطاً ،ولا نقتصر على خصوص اللفظ الذى استعملوه ، ولو كان المعتبر شخص العلاقة لتوقف استعمال اللفظ فى معناه المجازي على النقل عن العرب فى تلك الصورة مع أنه ليس كذلك "(٣) .

(١) المرقاة ، ج ١١ ، ص (١٣٢) .

(٢) شروح التلخيص :(مواهب الفتاح) ، ج ٤ ، ص (٢٥) .

(٣) المصدر السابق (حاشية الدسوقي) في الجزء نفسه والصفحة نفسها .

وأنبه إلى أن الجاحظ قد ذهب إلى خلاف ذلك، فهو يرى أن المجاز مقصور فيما سمع عن العرب، يقول الجاحظ :

" ويروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :(نِعْمَتِ العَمة لَكُمُ النَّخلة، خُلقت مِنْ فضلة طينةِ آدم)(١) . وهذا الكلام صحيحُ المعنى، لا يَعيبه إلا من لا يعرف مجاز الكلام . وليس هذا مما يطَّرِد لنا أن نقيسَه، وإنَّما نُقدِم على ما أقدَموا، ونُحجم عما أحجموا، وننتهي إلى حيث انتهوْا "(٢) .

قلت : وهذا مما يؤخذ على الجاحظ (٣) ولو أن الشعراء والبلغاء استجابوا لعبقري البيان العربي فيما ذهب إليه، لتوقف الإبداع، ولتحولت لغتنا الحية التي تلائم كل العصور إلى هيكل متحجر لا روح فيه .

خامساً : يطلق كلمة اتساع أحياناً بمعنى كلمة مجاز :

يظهر هذا في مواضع عدة منها :

١- عن عبد الله بن عمرو، قال : (خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي يَدَيْهِ كِتَابَانِ ...) إلى أن قال :(ثم قالَ رسولُ - صلى الله عليه وسلم - بِيَدَيْهِ فَنَبَذَهُما)(٤) .

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء، ج ١، ص (٩٥) بلفظ :(أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت ...) . وذكر له زيادة، وقال :" رواه أبو نعيم والرامهرمزي في الأمثال عن علي مرفوعاً " . وذكر أن في سنده ضعفاً وانقطاعاً، وأورده الألباني في (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة) ج ١، ص (٢٨٣) وحكم عليه بالوضع .

(٢) الحيوان، ج ١، ص (٢١٢) .

(٣) تنظر : مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي، العدد الخامس، مقال (الفنون البلاغية في بيان أبي عثمان) لأستاذنا الدكتور علي العماري، ص (٢٠٣) .

(٤) من حديث رواه الترمذي وأحمد، ينظر : المشكاة، ج ١، ص (٣٥-٣٦) الحديث رقم (٩٦) .

يعلق الطيبي على قوله :(قالَ بيديه) ويرى أن معناه أشار ، ثم ينقل عن ابن الأثير قوله في النهاية :

" العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال ، وتطْلِقه على غير الكلام باللسان ، فتقول : قال بيدِه ، أي : أَخَذَ ، وقال بِرِجْله أي : مَشَى ، قال الشاعر :

وقالتْ له العَيْنانِ سَمْعاً وطاعةً   وحَدَّرَتا كالدُّرِّ لما يُثَقَّبِ

أي أَوْمَأَتْ ، وقال بالماء على يَدِه أي : قَلَبَ ، وقال بثَوْبه : أي رَفَعه ، وكلُّ ذلك على المجازِ والاتساع "(١) .

وربما اكتفى بكلمة اتساع دون أن يذكر كلمة مجاز كما سيأتي :

٢- عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - :(لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى يكونَ هواهُ تبعاً لِما جئتُ به)(٢) .

قال الطيبي :

" قال التوربشتي : الحديث محمول على نفي الكمال اتساعاً "(٣) .

٣- عن أنس ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - :(يتبعُ الميتَ ثلاثةٌ : فيرجع اثنان ، ويبقى معه واحد ، يتبعه أهلُه ومالُه وعملُه ، فيرجعُ أهلُه ومالُه ، ويبقى عملُه)(٤) .

قال الطيبي :

" قال المظهر : أراد بعض ماله وهو مماليكه (٥).

---

(١) النهاية ، ج ٤ ، ص (١٢٤) .

(٢) رواه البغوي في شرح السنة ، والنووي في أربعينه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٩) الحديث رقم (١٦٧) .

(٣) التعليق ، ج ١ ، ص (١٢٨) .

(٤) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٢٩) الحديث رقم (٥١٦٧) .

(٥) ينظر : المرقاة ، ج ٩ ، ص (٣٥٦) .

أقول : متابعة الأهل على الحقيقة ، وأما متابعة المال والعمل فعلى الاتساع،فإن المال حينئذ له نوع تعلق بالميت من التجهيز والتكفين ومؤونة الغسل والحمل والدفن فإذا دفن انقطع تعلقه بالكلية " .

أقول : إن كلمة اتساع مرادفة لكلمة مجاز عند الطيبي وعند كثير من العلماء(١) والتحقيق أنها أسبق استعمالاً لدى العلماء من كلمة مجاز ، يقول الدكتور محمد بدري عبد الجليل :" ليس من اللازم أن نجد اللفظ عند الحديث عن المجاز ، فقد يكون الحديث قائماً والمصطلح لم ينشأ بعد ، أو لم تستخدمه طائفة ، أو استقر في بيئة ولم يستقر في أخرى ... وقد كان التعبير عن الأساليب المجازية لدى سيبويه بلفظ الاتساع "(٢) .

سادساً : أطلق الطيبي في بعض المواضع مصطلح المجاز دون أن يحدد نوع المجاز :

كلمة مجاز كلمة عامة عند الطيبي ، ربما أطلقها دون أن يحدد نوع المجاز ،فمن المواضع التي أطلق عندها مصطلح المجاز دون تحديد نوعه ما يلي :

---

(١) من هؤلاء ابن رشيق حيث قال في (العمدة) ج ١ ، ص (١٩٠) ما يلي :" والاستعارة إنما هي من اتساعهم في الكلام ... فإنما استعاروا مجازاً واتساعاً " .
والشيخ عبد القاهر في (دلائل الاعجاز) ص (٢٢٧) حيث قال :" اعلم أن طريق المجاز والاتساع في الذي ذكرناه قبلُ أنك ذكرت الكلمة وأنت لا تريد معناها ولكن تريد معنى ما هو رِدْفٌ له أو شبيه فتجوزت بذلك في ذات الكلمة وفي اللفظ نفسه " .

(٢) المجاز وأثره في الدرس اللغوي ، ص (٤١) .

١- عن عبد اللهِ بنِ عَمْرو ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(لَيَأْتِيَنَّ على أُمَّتي كما أتى على بني إسرائيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْلِ ، حتى إنْ كانَ مِنْهُمْ من أتى أُمَّهُ عَلانِيَةً لكان في أُمَّتي من يصنعُ ذلك ، وإنَّ بَني إسرائيلَ تَفَرَّقَتْ على ثِنْتَيْنِ وسبعينَ مِلَّةً ، وتَفْتَرِقُ أُمَّتي على ثَلاثٍ وسبعينَ مِلَّةً ، كُلُّهُمْ في النارِ إلا مِلَّةً واحِدَةً) قالوا : مَنْ هِيَ يا رسولَ اللهِ؟ قال :(ما أنا عَلَيْهِ وأَصْحابي)(١) .

قال الطيبي :

" الملة في الأصل : ما شَرَعَ اللهُ لعبادِهِ على ألسنةِ الأنبياءِ ، ليتوصَّلُوا به إلى جوارِ الله ، وتستعمل في جملة الشرائع دون آحادها (٢)، ثم اتسعت فاستعملت في الملل الباطلة ، فقيل : الكفر كله ملة واحدة . والمعنى أنهم يفترقون فرقاً تتدين كل واحدة منها بخلاف ما تتدين به الأخرى ، فسمي طريقهم ملةً مجازاً ، وإذا حملت الملة على أهل القبلة فمعنى قوله : (كلهم في النار) أنهم يتعرضون لما يدخلهم النار من الأفعال الردية ، أو المعنى : أنهم يدخلونها بذنوبهم ثم يخرج منها من لم تفض به بدعته إلى الكفر برحمته سبحانه وتعالى " انتهى .

أقول : تسمية طريق أهل الباطل ملة هو مجاز مرسل علاقته الإطلاق والتقييد وقد اكتفى الطيبي بكلمة مجاز .

٢- عن أنس ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (مَنْ خَزَنَ لسانَهُ سَتَرَ اللهُ عورتَه ..)(٣) .

---

(١) رواه الترمذي وقال : غريب ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦١) الحديث رقم (١٧١) .

(٢) مقتبس من (المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني ، ص (٤٧١) مادة (ملل) وفي المفردات :" ولا تستعمل إلا في جُمْلَةِ ...." . وهو الصواب .

(٣) من حديث رواه البيهقي في (شعب الايمان) ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤١٦) الحديث رقم (٥١٢١) .

قال الطيبي :

" قوله :(من خزن لسانه) أي من ستر عورات الناس وكتمها ، ستر الله عورته ، قال في أساس البلاغة :(خزن المال في الخزانة أحرزه ، ومن المجاز : اخزن لسانك وسرك ، قال امرؤ القيس :

إذا المرء لم يَخْزُنْ عليه لسانَهُ فليس على شيءٍ سواه بخزّانِ)(١)"

أقول : لم يبين الطيبي نوع المجاز في قوله (خزن لسانه) وهو استعارة تصريحية تبعية (٢) .

٣- عن حذيفة ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - : (لا تكونوا إِمَّعَةً" تقولون إِنْ أحسن الناسُ أحسنَّا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكنْ وَطِّنوا أنفسَكم إِنْ أحسنَ الناسُ أن تُحسنوا ، وإن أساؤوا فلا تظلموا)(٣) .

قال الطيبي :

" قوله : (ولكن وطنوا أنفسكم) قال في أساس البلاغة :(أوطن الأرضَ ووطَّنها واستوطنها ، ومن المجاز : وطَّنت نفسي على كذا فتوطَّنتْ ، قال :

ولا خير فيمن لا يُوطِّن نفسه على نائبات الدهر حين تنوبُ)(٤)

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري ، مادة (خزن) ،

(٢) أورد الشريف الرضي بعضاً من حديث فيه عبارة (واخْزُنْ لِسانَك) وعقب عليها بقوله : " وهذه استعارة ، والمراد بخَزْن اللسان حفظ فلتاته ، وكفُّ جِمَاحه ، حتى لا يسرع إلى ما تسوء مغبته ، ولا تؤمن عاقبته ، فأقام عليه الصلاة والسلام ضبط اللسان عن ذلك مقام الخَزْن له ، فأجراه مُجرى المال الذي يحفظ فلا ينفق إلا في الوجوه المفيدة .. ولا يكون إنفاقه إلا فيما جر منفعة أو دفع مضرة " ينظر : المجازات النبوية ، ص (١٣٦) ، ولا ريب أن بيان الشريف الرضي للاستعارة هنا أكثر جمالاً من بيان الطيبي الموجز الذي استقاه من الزمخشري .

(٣) رواه الترمذي ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤١٨) الحديث رقم (٥١٢٩) .

(٤) أساس البلاغة للزمخشري ، مادة (وطن) .

ومعنى الحديث : أوجبوا على أنفسكم الإحسان ، بأن تجعلوها وطناً للإحسان ".

أقول : لم يبين الطيبي نوع المجاز هنا ، وهو مجاز مرسل علاقته اللزومية .

نخلص من هذه الأمثلة إلى أن الطيبي كان يكتفي باطلاق مصطلح المجاز في بعض المواضع ، دون أن يحدد نوع المجاز .

سابعاً : ربما ردد بعض الكلمات بين الحقيقة والمجاز :

يظهر هذا في الحديث الآتي :

- عن سمرة ، قال : قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - :(إن لكل نبي حوضاً ، وإنهم ليتباهَوْنَ أيُّهم أكثرُ واردةً ، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردةً)(١) .

يردد الطيبي كلمة الحوض بين الحقيقة والمجاز فيقول :

" قوله :(إن لكل نبي حوضاً) يجوز أن يحمل على ظاهره فيدل على أن لكل نبي حوضاً ، وأن يحمل على المجاز ويراد به العلم والهدى ، ونحوه قوله :(ومنبري على حوضي)(٢) وإليه يلمح قوله - صلى الله عليه وسلم - :(ما من الأنبياءِ من نبيٍّ إلا قدْ أُعطي من الآياتِ ما مثلُه آمنَ عليه البشرُ ، وإنما كان الذي أُوتيتُ وحياً أَوْحى اللهُ إليَّ ، وأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعاً يومَ القيامة)(٣)" انتهى .

ومثل هذا الترديد لا يروق لبعض العلماء كالشيخ علي القاري الذي اعتبر رأي الطيبي في جواز حمل الحوض على المجاز بأنه إغراب ، وقال بعد إيراده كلام الطيبي:

---

(١) رواه الترمذي ، وقال هذا حديث غريب ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٥٧) ، الحديث رقم (٥٥٩٤) .

(٢) من الحديث رقم (٦٩٤) وقد تقدم تخريجه ص (١٥٦) من الرسالة .

(٣) رواه الشيخان عن أبي هريرة ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٦١٠) الحديث رقم (٥٧٤٦) .

" هذا المعنى لا ينافي الحوض الحسي الذي هو مبني على مراتب الواردة بقدر أخذ الفيض من العلم والهدى الذي حصل لهم من جهة أنبيائهم ، بل أقول : لا بد من التفاوت بين ماء كل حوض في الصفاء والرواء واللذة والكثرة بحسب اختيار مذهبهم "(١) .

قلت : إن الطيبي لم ينف جواز حمل الحوض على الحقيقة ، بل قدم هذا الرأي على الرأي الثاني بالذكر ، وقد استشهد بحديث فيه تلميح إلى ما ذهب إليه في الرأى الثاني ، ومع هذا فيبقى الرأى الثاني بعيداً .

× × ×

(١) المرقاة ، ج ١٠ ، ص (٣٠٦) .

- الفصل الأول -

- المجاز العقلي -

عرض الطيبي للمجاز العقلي ، وذكر بعض علاقاته ، وقد سماه :" الإسناد المجازي "(١) ، وهذا يعني أن المجاز العقلي عنده يكون في الإسناد ، وكان كلامه مقتضباً ، فغالباً ما يكتفي بالإشارة إلى الإسناد المجازي ، وربما بين أحياناً قيمة هذا المجاز وبلاغته في الأسلوب .

ولم يعرف الطيبي " الإسناد المجازي " ولكن من خلال تبيانه لعلاقات المجاز العقلي يظهر أن مفهوم المجاز العقلي عنده موافق لما هو مشهور عند البلاغيين ، وهو أنه :" إسناد الفعل أو معناه ، إلى ملابس له ، غير ما هو له ، بتأوّل "(٢) .

وقد ذكر الطيبي من علاقات المجاز العقلي ما يلي :

أولاً : السببية :

المراد بعلاقة السببية الإسناد إلى السبب ، وهذه العلاقة لها أمثلة كثيرة في الحديث النبوي ، وقد ذكر الطيبي عدداً من الأمثلة لهذه العلاقة ومنها :

---

(١) وردت هذه التسمية عند عدد من علماء البلاغة ومنهم :
الزمخشري في " الكشاف " ج ١ ، ص (٧٠) ، و ج ٢ ، ص (٥٣٨) .
وعند محمد بن علي الجرجاني في " الإشارات والتنبيهات " ص (٢٦ و ٢٨) .
وعند السبكي وقد سماه " الإسناد المجازي " و " المجاز الإسنادي " ينظر : شروح التلخيص " عروس الأفراح " ج ١ ، ص (٢٣٨) و(٢٤١) .
أما عند ابن يعقوب المغربي فقد سماه " المجاز الإسنادي "... ينظر : المصدر السابق " مواهب الفتاح " ج ١ ، ص (٢٤١) .. وهذا يدل على أن تسمية المجاز العقلي بالإسناد المجازي أو المجاز الإسنادي تسمية شائعة لدى البلاغيين .
(٢) الإيضاح للخطيب القزويني ، ج ١ ، ص (٩٨) .

١- عن أُبيٍّ بن كعب ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (إن للوضوءِ شيطاناً يقال له : الوَلَهَان ، فاتقوا وَسْوَاسَ الماءِ)(١) .

قال الطيبي :

" قوله (الولهان) قال التوربشتي : " هو مصدر وَلِهَ يَوْلَهُ وَلَهاً ووَلَهَاناً ، وهو ذهاب العقل ، والتحير من شدة الوجد ، فسمي به شيطان الوضوء ، إما لشدة حرصه على طلب الوسوسة في الوضوء ، وإما لإلقائه الناس بالوسوسة في مَهْوَاةِ الحيرة حتى يُرَى صاحبها حيرانَ ذاهبَ العقلِ ، لا يدرى كيف يلعب به الشيطان "(٢) انتهى كلامه .

وعقب على كلام التوربشتي قائلاً :

" يريد أن الولهان مصدر وضع موضع اسم الفاعل للمبالغة في تحيره لشدة حرصه على إيقاع الناس في التحير ، أو تحير الناس في إيقاع وسوسته ، فأسند إليه إسناداً مجازياً لأنه حاملهم عليها ، كما يقال : (ناقة ضَبوثٌ أى ضابثة ، والضَّبْثُ الحبس(٣) ، والقبض على الشيء ، وإنما جعلت ضابثة لما بها من السمن الداعي إلى الضَّبْثِ والحبس ، مثل الحلوب والركوب) كذا في أساس البلاغة "(٤) .

٢- قال عليه السلام : (... ورغِمَ أنفُ رجلٍ أدركَ عندَه أبواهُ الكِبَرَ أو أحدُهما فلم يُدخِلاهُ الجنةَ)(٥) .

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى : (هذا حديث غريب وليس إسناده بالقوى عند أهل الحديث ...) ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (١٣١) الحديث رقم (٤١٩) .

(٢) ينظر : المرقاة ، ج ٢ ، ص (٢٥) ولم يذكر اسم التوربشتي ، وكذلك الحال في التعليق ، ج ١ ، ص (٢١٤) .

(٣) في أساس البلاغة : (ضَبَثَ الشيءَ وضَبَثَ عليه إذا قبض عليه وجسّه) .

(٤) المصدر السابق ، مادة : (ضبث) وقد نقل الطيبي بإيجاز وتصرف .

(٥) من حديث رواه الترمذى عن أبي هريرة ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٢٩٢) ، الحديث رقم : (٩٢٧) .

يبين الطيبي أن فائدة الإسناد إلى السبب في قوله عليه السلام :(فلم يد خلاه الجنة) هي المبالغة فيقول :

" قوله : (فلم يد خلاه الجنة) لما كان دخول الجنة من الله تعالى بواسطة برهما والإحسان إليهما ، أُسْنِدَ إليهما إسناداً مجازياً كما في قولك : (أنبت الربيع البقل)[١] مبالغة " .

٣- عن جابرٍ ، قال : رأيتُ رسولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يواكِئُ[٢] فقال : (اللهمَّ اسقنا غَيْثاً مُغِيثاً ، مَرِيئاً ، مُرِيعاً ، نافِعاً ، غَيْرَ ضارٍ ، عاجِلاً غَيْرَ آجلٍ) قال : فَأَطْبَقَتْ عليهمُ السماءُ[٣] .

يرى الطيبي أن وصف الغيث بأنه مغيث ومريع هو إسناد مجازي ، وأن قول جابر - رضي الله عنه - :(فأطبقت عليهم السماء) إسناد مجازي فائدته المبالغة فيقول :

" قوله :(فأطبقت) قال البغوي : أي ملأت ، والغيث الطَّبَقُ هو العام الواسع[٤]، أقول: عقب الغيث وهو المطر الذي يغيث الخلق من القحط بالمغيث على الإسناد المجازي ، والمغيث في الحقيقة هو الله تعالى وكذا أتبع (مريئاً) بمرتعاً بالتاء[٥] بمعنى

---

(١) من شواهد البلاغيين على المجاز العقلي (العلاقة الزمانية) وقد ورد في بعض كتب البلاغة ، ومنها : - (مفتاح العلوم) للسكاكي ، ص (١٨٥- ١٨٨) .
- و(التلخيص) للخطيب القزويني ، ص (٤٩ و ٥٣). والإيضاح له أيضاً ، ج ١، ص (١٠٠- ١٠٦).
- و(الإشارات والتنبيهات) لمحمد بن علي الجرجاني ، ص (٢٧ و ٢٩) .

(٢) قال الخطابي في معالم السنن ، ج ٢ ، ص (٣٧) ما يلي :" معناه التحامل على يديه إذا رفعهما ومدهما في الدعاء " .

(٣) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٧٦) الحديث رقم (١٥٠٧) .

(٤) شرح السنة للبغوي ، ج ٤ ، ص (٤١٦) .

(٥) فيه ثلاث روايات :(مريعاً) بفتح الميم ويضم أي كثيراً ، ويروى (مربعاً) بالباء وضم الميم أي منبتاً ، ومُرتعاً بفتح الميم والتاء أي ينبتُ به ما يرتع الإبل وكل خصب مرتع ، انتهى ملخصاً من كتاب المرقاة ، ج ٣ ، ص (٣٣٦) . وقد ذهب الطيبي - رحمه الله - إلى الرواية الثالثة .

ينبت الله تعالى به ما يرتع به الإبل ، وأكد النافع بغير ضار وكذا عاجلاً بغير آجل اعتناءً بشأن الخلق واعتماداً على سعة رحمة الله تعالى عليهم ، فكما دعا الرسول -صلى الله عليه وسلم- بهذا الدعاء كانت الإجابة طبقا له ، حيث (أُطْبِقَتْ عليهمُ السماءُ) فإن في إسناد الإطباق إلى السماء[1] والسحاب هو المطبق أيضاً مبالغة ، وعرّفها لينتفي أن ينزل المطر من سماء ، أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق ، لأن كل أفق من آفاقها سماء ، والمعنى أنه غمام مطبق آخذ آفاق السماء إجابةً لدعوة نبيه -صلى الله عليه وسلم- " .

٤- عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، أَنَّهُ كان إذا سمعَ الرعدَ تركَ الحديثَ ، وقال : (سُبحان الذي يُسَبِّحُ الرعدُ بحمدِهِ والملائكةُ منْ خِيفَتِه)[2] .

قال الطيبي :

" قوله (يسبح الرعد بحمده) هو من الإسناد المجازي ، لأن الرعد سبب لأن يسبح اللهَ السامعُ حامداً له ، خص سامعي الرعد بالحمد لأن الناس عند سماع صوت الرعد خائفون وراجون ، كما قال تعالى :(هُوَ الذي يُرِيكُمُ البرقَ خَوْفاً وطَمَعاً)[3] رجح جانب الحمد على الخوف ، لأن جانب الرحمة أوسع "

(١) في المعجم الوسيط ، مادة (أطبق):(أطبق السحابُ السماءَ : غطاها)
والعلاقة في هذا الإسناد هي المكانية ، ورأيت ذكر كلام الطيبي كاملاً لئلا يقتطع الكلام .

(٢) رواه مالك ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٨٢) الحديث رقم (١٥٢٢) .

(٣) سورة الرعد ، الآية (١٢) .

٥- عن عائشة ، قالت : خرجْنا مَعَ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - عامَ حَجَّةِ الوداعِ ، فمنَّا مَنْ أَهَلَّ بعُمرةٍ ، ومنا مَنْ أَهلَّ بحجٍّ وعُمْرةٍ ، ومنا من أهل بالحجِّ وأهلَّ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بالحجِّ)(١) .

قال الطيبي :(٢)

" في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان مفرداً وفي حديث أنس رضي الله عنه أنه كان قارناً ، وذلك قوله :(وإنهم ليَصرُخُونَ بهما جميعاً :الحجِّ والعمرة)(٣) وأراد بذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن أهل معه بما أهل هو به ، وقد بين ذلك في حديث آخر وهو حديث صحيح ، قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :(لبيك حجاً وعمرة معاً)(٤) " .

ثم بين أنه لا بد من التوفيق بين الأحاديث السابقة ، وقام بالتوفيق بينها معتمداً على الإسناد المجازي حيث قال :

" والتوفيق بين هذه الروايات مشكل ، ولا بد منه ، فإن ترك هذه الروايات على حالها من الاختلاف من غير بيان جامع بينها مجلبة للشك في أخبار الصادق ، وقد طعن فيها طائفة من الفئة الزائغة عن منهج الحق ، فقالوا : اتفقتم أيها الرواة على أن نبيكم لم يحج من المدينة غير حجة واحدة ، ثم رويتم أنه كان مفرداً ، وأنه كان قارناً ، وأنه كان متمتعاً ، وصفة هذه الأنساك متباينة ، وأحكامها مختلفة وتزعمون أن كل هذه الروايات مقبولة لصحة أسانيدها ، وعدالة رواتها ... فأجاب عن ذلك جمع من العلماء شكر الله سعيهم ، وقد اخترنا من ذلك جواباً نقل عن

---

(١) من حديث متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٧٨٠) الحديث رقم :(٢٥٤٥) .
(٢) كلام الطيبي في هذا الحديث نقلته باختصار .
(٣) رواه البخاري ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٧٨٠) ، الحديث رقم :(٢٥٤٤) .
(٤) رواه ابن عساكر ، ينظر: كنز العمال ، ج ٥ ، ص (١٦٢) .

الشافعي ، وزبدته أن من المعلوم في لغة العرب جواز إضافة الفعل إلى الآمر به كجواز إضافته إلى الفاعل له[1] ، كقولك : بنى فلان داراً إذا أمر ببنائها ، وضرب الأمير فلاناً إذا أمر بضربه ، ومن هذا الباب : رجم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ماعزاً[2] ، وقطع يد سارق رداء صفوان بن أمية[3] ، وكان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم المفرد ، ومنهم القارن ، ومنهم المتمتع ، وكل منهم يصدر عن أمره وتعليمه ، فجاز أن يضاف كل ذلك إليه "[4] .

٦- عن أبي هريرة ، قال : بينما نحنُ في المسجد ، خرج النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - فقال :(انطلِقوا إلى يَهُودَ) فخرجنا معه حتى جِئْنا بيت المِدْراسِ فقام النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال :(يا مَعْشَرَ يهودَ! أَسْلِموا تَسْلَمُوا ، اعلموا أن الأرضَ للهِ ولرَسُولِهِ ، وأني أريدُ أنْ أُجْلِيَكُمْ من هذهِ الأرضِ ، فمن وَجَدَ مِنْكُمْ بمالِهِ شيئاً فَلْيَبِعْهُ)[5] .

يبين الطيبي فائدة إسناد الإجلاء إلى النبي في قوله - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) ذكر العز بن عبد السلام في كتابه (الإشارة إلى الايجاز في بعض أنواع المجاز) ص (٤٦) فصلاً في نسبة الفعل إلى الآمر به ، وقال :(وأما قوله : رجم رسول الله ماعزاً ، والغامدية ، وقطع المخزومية .... فكل ذلك من مجاز نسبة الفعل إلى الآمر به) وكأن الطيبي في كلامه الآتي قد تأثر به .

(٢) قصة ماعز في صحيح مسلم ، ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١١ ، ص (١٩٥) .

(٣) الخبر مذكور في المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٠٦٧- ١٠٦٨) الحديث رقم (٣٥٩٨) وعزاه الخطيب التبريزي إلى (شرح السنة) للبغوي .

(٤) جمع الشافعي - رحمه الله - الأحاديث والروايات حول ما يتعلق بهذا الموضوع ، ووفق بينها ، ثم قال :(وهذا من سعة كلام العرب الذي تكاد تعرف ما الجواب فيه) ينظر: كتاب الأم (كتاب المسند) ج ٨ ، ص (٥٦٧ - ٥٦٨) وأنبه إلى أنه لم يذكر شيئاً في المسند مما عزاه إليه الطيبي ، فلعل الطيبي استوحى كلام الشافعي فيما قاله أو نقل هذا الرأي من كتب أخرى .

(٥) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١٨٦) الحديث رقم :(٤٠٥٠) .

(وأني أريد أن أُجليَكم ..) حين قال :

" معنى قوله : (أن الأرض لله ولرسوله) كما في قوله تعالى : (إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ)(١) أي أرضكم هذه قد تعلقت مشيئة الله تعالى بأن يورثها المسلمين ، ففارقوها .

وإنما أسند الاجلاء إلى نفسه - صلوات الله عليه - لأنه خليفة الله تعالى في أرضه ، تعظيماً لشأنه ، وأن إجلاءه إجلاؤه تعالى ، نحوه قوله تعالى :(قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ)(٢) " .

٧- عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن شَرِيطَةِ الشيطانِ (٣) .

يبين الطيبي فائدة الإضافة إلى الشيطان في عبارة :(**شَرِيطَةِ الشيطان**) **فيقول :**

" قال في النهاية : هي الذَّبيحة التي لا تُقْطَع أَوْداجُها ، ولا يُسْتَقْصى ذبحُها ، وهو من شَرْط الحجّام ، وكان أهل الجاهلية يقطعون بعضَ حلْقِها ويتركونها حتى تموتَ وإنما أضافها إلى الشيطان لأنه هو الذى حَمَلَهم على ذلك ، وحسَّنَ هذا الفعلَ لَدَيْهم وسوَّلَهُ لهم "(٤) انتهى .

أقول : يلاحظ أنه اكتفى بنقل كلام ابن الأثير ، ولم يضف إليه شيئاً .

٨- عن أبي قتادةَ ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(الرُّؤْيَا الصالحةُ من اللهِ ، والحُلْمُ مِنَ الشيطانِ)(٥)

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : (١٢٨) .

(٢) سورة الأنفال ، الآية :(١) .

(٣) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١٩٥) الحديث رقم :(٤٠٩٠) .

(٤) النهاية ، ج ٢ ، ص (٤٦٠) .

(٥) من حديث متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٢٩٧) الحديث رقم :(٤٦١٢) .

قال الطيبي مبيناً سبب إسناد الحلم إلى الشيطان :

« قال النووي : الله تعالى هو الخالق للرؤيا والحلم ، لكن جعل الرؤيا والاعتقادات التي هي أعلام على ما يسر بغير حضرة الشيطان ، وجعل ما هو علامة على ما يضر بحضرة الشيطان مكروهة ، فنسب إلى الشيطان مجازاً لحضوره عندها ، لا على أن الشيطان يفعل ما يشاء »(١) .

أقول : يلاحظ أنه اكتفى بنقل كلام النووي دون أن يضيف شيئاً ، وهذا الأمر يلاحظ في مواضع عدة من كتابه .

٩- عن أبي سعيد ، رفعه ، قال : (إذا أصبحَ ابنُ آدمَ ، فإنَّ الأعضاءَ كلَّها تكفِّرُ (٢) اللسانَ ، فتقولُ : اتقِ اللهَ فينا ، فإنا نحنُ بكَ ، فإنِ استقمتَ استقمْنا وإنِ اعوججْتَ اعوَجَجْنا)(٣) .

قال الطيبي مبيناً سبب إسناد الفساد والصلاح إلى اللسان :

« فإن قلت كيف التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله -صلى الله عليه وسلم- (ألا وإنَّ في الجسدِ مُضغَةً ، إذا صَلُحتْ صلُحَ الجسدُ كلُّه ، وإذا فسَدَتْ فسدَ الجسدُ كله ، ألا وهيَ القلبُ)(٤) ؟ .

قلت : اللسان ترجمان القلب وخليفته في ظاهر البدن ، فإذا أسند إليه الأمر يكون على سبيل المجاز في الحكم ، كما في قولك : (شفى الطبيب المريض).(٥) قال

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٥ ، ص (١٧) .

(٢) في المعجم الوسيط ، مادة (كفر) ما يلي : (كَفَّرَ لسيِّده : انحنى ووضع يده على صدره ، وطأطأ رأسه كالركوع تعظيماً له) .

(٣) رواه الترمذي ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٦٠- ١٣٦١) الحديث رقم (٤٨٣٨) .

(٤) من حديث رواه الشيخان عن النعمان بن بشير ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٨٤٣) الحديث رقم (٢٧٦٢) .

(٥) من شواهد البلاغيين على المجاز العقلي (العلاقة السببية) وقد ورد في عدد من كتب البلاغة ومنها : - (مفتاح العلوم) للسكاكي ، ص (١٨٥ و ١٨٧ و ١٨٨) .
- و(الإيضاح) للخطيب القزويني ، ج ١ ، ص (٩٧ و ٩٨ و ١٠٠ و ١٠٦) .
- و(الإشارات والتنبيهات) لمحمد بن علي الجرجاني ، ص (٢٧) .

الميداني في قوله : (المرء بأصغريه): (يعني بهما القلب واللسان أى تقوم معانيه بهما ويكمل بهما)[١] ، وأنشد لزهير :

وكائِنْ تَرَى من صامتٍ لكَ مُعْجِبٍ ... زيادَتُهُ أو نَقْصُهُ في التَّكَلُّمِ
لسانُ الفتى نِصْفٌ ونصفٌ فؤادُهُ ... فلم يبقَ إلا صورةَ اللحمِ والدمِ[٢]".

١٠- عن شداد ، قال : سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :
(يا أيُّها الناس إن الدنيا عرضٌ حاضرٌ ، يأكل منها البَرُّ والفاجرُ ، وإن الآخرة وعدٌ صادقٌ ، يحكم فيها ملكٌ عادلٌ قادرٌ)[٣].

قال الطيبي :
" قوله : (وعد صادق) هو من الإسناد المجازى ، وصف الوعد بما هو من سببه ، أى إن الله صادق في وعده ، ثم المراد بالوعد: الموعود ، وهو الأجل المسمى " .
والصواب أن العلاقة هنا المفعولية ، لان الوعد لايكون صادقاً وانما هو مصدوق .

١١- عن جبير بن مُطعِم ، قال : سمعتُ النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول :
(إنَّ لي أسماءً : أنا محمدٌ ، وأنا أحمدُ ، وأنا الماحي الذى يمحو اللهُ بي الكفرَ وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدميَّ ، وأنا العاقبُ) والعاقب الذي ليس بعده شيء[٤] .

قال الطيبي :
" قوله :(أنا الحاشر) هو من الإسناد المجازى ، لأنه سبب في حشر الناس ، لأن الناس لم يحشروا مالم يحشر " .

---

(١) مجمع الأمثال ، ج ٢ ، ص (٢٩٤) .
(٢) ديوان زهير ، ص (٨٨ - ٨٩) .
(٣) من حديث رواه أبو نعيم في الحلية ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٣٩) ، الحديث رقم : (٥٢١٧) .
(٤) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٦٠٩) الحديث رقم : (٥٧٧٦) .

ثانياً : الزمانية :

المراد بالعلاقة الزمانية الإسناد إلى الزمان ، وله بعض الأمثلة في الحديث النبوي ، ذكر الطيبي عدداً منها ، ومما ذكره ما يلي :

١- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - :
(أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربه وهو ساجدٌ ، فأكثروا الدُعاءَ)(١) .

يرى الطيبي في هذا الحديث أن الاسناد إلى الوقت المراد به المبالغة ، حيث قال: " قوله : (أقرب ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجد) التركيب من الإسناد المجازي أسند القرب إلى الوقت وهو للعبد مبالغة " .
والظاهر أنه لايوجد إسناد مجازي في الحديث ، والكلام واقع على الحقيقة .

٢- عن حارثةَ بن وهبٍ الخُزاعيّ ، قال :(صلى بنا رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم - ونحنُ أكثرُ ما كنّا قطُّ وآمَنُه بمنًا ركعتَين)(٢) .

قال الطيبي :
" قوله : (أكثر ما كنا قط) قال المظهر : ما مصدرية ، ومعناه الجمع ، لأن ما أضيف إليه أفعل التفضيل يكون جمعاً ، وآمنه عطف على أكثر ، والضمير فيه راجع إلى ما كنا ، والواو في قوله :(ونحن) للحال ، والمعنى : صلى بنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم - والحال أنا أكثر أكواننا في سائر الأوقات عدداً ، وأكثر أكواننا في سائر الأوقات أمناً وإسناد الأمن إلى الأوقات مجاز "(٣) .

---

(١) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٢٨١) الحديث رقم (٨٩٤) .
(٢) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٢١) . الحديث رقم (١٣٣٤) .
(٣) ينظر : المرقاة ، ج ٣ ، ص (٢٢٠) .
والتعليق ، ج ٢ ، ص (١٢٢) ولم ينسبا الكلام للمظهر .

٣- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - :
(اليومُ المَوْعُودُ يومُ القيامةِ ، واليومُ المشهودُ يومُ عَرَفَةَ ، والشَّاهدُ يومُ الجمعةِ
وما طلعتِ الشمسُ ولا غربتْ على يومٍ أفضلَ منه)(١) .

قال الطيبي :

" قوله : (والشاهد يوم الجمعة) يعني: إن الله تعالى عظم شأنه في سورة البروج
حيث أقسم به ، وأوقعه واسطة العقد لقلادة اليومين العظيمين: القيامة وعرفة،
لقوله : (واليومِ الموعودِ × وشاهدٍ ومَشْهودٍ)(٢) ونكره لضرب من التفخيم ، وأسند
إليه الشهادة على سبيل المجاز ، لأنه مشهود فيه ، نحو (نهاره صائم وليله
قائم) (٣) يعني وشاهد في ذلك اليوم الشريف الخلائق لتحصيل السعادة الكبرى " .

٤- عن ابن عباس ، قال : كان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أَجْوَدَ الناسِ
بالخير ، وكان أَجْوَدَ ما يكونُ في رمضانَ)(٤).

قال الطيبي :

" قال المظهر : ما في (ما يكون) مصدرية ، وهو جمع لأن أفعل التفضيل إنما يضاف

---

(١) من حديث رواه أحمد ، والترمذي وقال :(هذا حديث غريب ...) ينظر : المشكاة ، ج١
ص (٤٣٠) ، الحديث رقم (١٣٦٢) .

(٢) سورة البروج ، الآيتان (٢- ٣) وما ذهب إليه الطيبي هو أحد الوجوه في تفسير قوله
تعالى :(وشاهد ومشهود) قال الزمخشري : " وقد اضطربت أقاويل المفسرين فيهما "
ينظر : الكشاف، ج ٤ ، ص (٧٢٩) .

(٣) من شواهد البلاغيين على المجاز العقلي (العلاقة الزمانية) وقد ورد في الكشاف
ج ١ ، ص (٥١) ، وفي الإيضاح للخطيب القزويني ، ج ١ ، ص (٩٨ و ١٠٨) .
وفي الإشارات والتنبيهات لمحمد بن علي الجرجاني ، ص (٢٤) .

(٤) من الحديث (٢٠٩٨) وقد تقدم ص (٤٤) من الرسالة .

إلى جمع ، والتقدير : كان أجود أوقاته وقت كونه في رمضان (١) وأقول : لا نزاع في أن ما مصدرية ، والوقت مقدر كما في (مقدم الحاج)(٢) والتقدير كان أجود أوقاته وقت كونه في رمضان ، فإسناد الجود إلى أوقاته - صلى الله عليه وسلم - كإسناد الصوم إلى النهار والقيام إلى الليل في قولك : (نهاره صائم وليله قائم) وفيه من المبالغة ما لا يخفى " .

ثالثاً : المكانية :

المراد بالعلاقة المكانية الإسناد إلى المكان ، ومن أمثلتها التي ذكرها الطيبي ما يلي :

١- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(إن الله كتبَ على ابنِ آدمَ حظَّهُ مِنَ الزِّنا ، أدركَ ذلك لا مَحالَةَ ، فزنا العينِ النظرُ وزنا اللسانِ النطقُ ، والنفسُ تَمَنَّى وتَشْتَهِي ، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلكَ ويُكَذِّبُهُ)(٣) .

قال الطيبي :
" الإسناد في قوله : (والفرج يصدق ذلك ويكذبه) مجازي ، لأن الحقيقي هو أن يسند إلى الانسان ، فأسنده إلى الفرج لأنه مصدر العمل والسبب القوى " .
يلاحظ أن عبارة (مصدر العمل) توحي إلى المكانية، إلا أن العلاقة هي السببية ، والأرجح أنه لاتجوز هنا .

٢- قال عليه السلام واصفاً قبر المؤمن عقب إجابته على سؤال الملكين :
(ثم يُفسحُ له في قبرهِ سبعونَ ذراعاً في سبعين ..)(٤) .

---

(١) المرقاة ، ج ٤ ، ص (٣٢٦) .
(٢) جاء في شرح ابن عقيل ، ج ١ ، ص (٥٨٨) ما يلي : " يكثر إقامة المصدر مقام ظرف الزمان نحو (آتيك طلوع الشمس ، وقدوم الحاج، وخروج زيد) والأصل : وقت طلوع الشمس ، ووقت قدوم الحاج ، ووقت خروج زيد ، فحذف المضاف وأعرب المضاف إليه بإعرابه ، وهو مقيس في كل مصدر " .
(٣) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٣٢) الحديث رقم (٨٦) .
(٤) من الحديث (١٣٠) وقد سبق تخريجه ص (٤٠) من الرسالة .

يقرر الطيبي أن الاسناد إلى المكان في هذا الحديث المراد منه المبالغة ، فيقول :
" قوله : (يفسح له في قبره سبعون ذراعاً) والأصل فيه : يفسح له في قبره مقدار سبعين ذراعاً ، فجعل القبر ظرفاً للسبعين ، وأسند الفعل إلى سبعين مبالغة " .
والحق أنه على تقدير الطيبي يكون هذا الإسناد من المجاز بالحذف .

٣- عن العِرْبَاضِ بن سَارِيَةَ ، قال : صلّى بنا رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- ذاتَ يومٍ ، ثم أقبلَ علينا بوَجْهِهِ ، فوعظَنا مَوْعِظَةً بَلِيغةً ، ذَرَفَتْ منها العيونُ ووجِلَتْ منها القلوبُ ..(١) .

قال الطيبي :
" إسناد الذرف إلى العيون ، كإسناد الفيض إليها في قوله سبحانه وتعالى : (ترى أعْيُنَهُمْ تفيضُ من الدمعِ)(٢) كأن أعينهم ذرفت مكان الدمع مع مبالغة فيها (٣)" .

٤- عن أبي بكرِ بن سُليمانَ بنِ أبي حَثْمَةَ ، قال : إن عُمَرَ بنَ الخطاب فَقَدَ سُليمانَ بن أبي حَثْمَةَ في صلاةِ الصُّبْحِ ، وإن عمرَ غدا إلى السُّوقِ ، ومَسْكَنُ سُلَيْمانَ بين المسجدِ والسوقِ ، فَمَرَّ على الشِّفَاءِ أمِّ سليمانَ ، فقالَ لها : لَمْ أَرَ سليمانَ في الصبحِ ، فقالت : إنه باتَ يُصَلِّي فَغَلَبَتْهُ عيْناهُ ، فقالَ عمرُ : لأنْ أشهدَ صلاةَ الصبحِ في جَماعةٍ أَحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ أقومَ ليلةً (٤) .

قال الطيبي :

---

(١) من حديث رواه أحمد وأبو داود ، والترمذي وابن ماجه إلا أنهما لم يذكرا الصلاة ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٨) الحديث رقم (١٦٥) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٨٣) .

(٣) ذكر هذا الوجه الزمخشري وذكر قبله وجهاً آخر مفاده أن الفيض الذي هو من الامتلاء وضع موضع الامتلاء ، وهو من إقامة المسبب مقام السبب ، ينظر : الكشاف ، ج ١ ، ص (٦٦٩ - ٦٧٠) .

(٤) رواه مالك ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٣٣٨ - ٣٣٩) الحديث رقم (١٠٨٠) .

" قوله : (فغلبته عيناه) الأصل غلب عليه النوم ، فأسند إلى مكان النوم على الإسناد المجازي " .

٥- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(لا يُكلَمُ أحدٌ في سبيلِ الله ، والله أعلمُ بمنْ يُكلَمُ في سبيلهِ ، إلا جاء يومَ القيامةِ وجُرْحُهُ يَثْعَبُ دماً ، اللونُ لونُ الدمِ والريحُ ريحُ المسكِ)(١)

قال الطيبي :
" قوله : (وجرحه يثعبُ دماً) قال التوربشتي : ثعبْتُ الماءَ : فجرته فانثعب أضاف الفعل إلى الجرح لأنه السبب في فجر الدم "(٢) .

ثم علق على كلام التوربشتي قائلاً :
" فحينئذ يكون من قوله تعالى :(وأَعْيُنُهُمْ تفيضُ منَ الدمعِ)(٣) فإن الظاهر أن يقال : إنَّ الدمع يفيض من العين ، فجعل العين فائضة مبالغة (٤) ، وكذلك الدم سال من الجرح لا الجرح سائل " .
وكأن الطيبي في تعليقه على كلام التوربشتي أراد أن يقول إن العلاقة هي المكانية وهذا هو الأرجح .

٦- عن عمرَ بن أبي سلمة ، قال : كنتُ غلاماً في حِجْرِ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وكانت يدي تطيشُ في الصَّحْفَةِ ، فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(سَمِّ اللهَ ، وكُلْ بيمِينِكَ ، وكلْ مما يَلِيكَ)(٥) .
يعلق الطيبي على قوله : (وكانت يدي تطيش) فيقول :

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١١٩ - ١١٢٠) الحديث رقم (٣٨٠٢) .
(٢) ينظر : المرقاة ، ج ٧ ، ص (٢٧٥) .
(٣) سورة التوبة ، الآية (٩٢) .
(٤) كلامه مستوحى من الزمخشري ، ينظر : الكشاف ، ج ٢ ، ص (٣٠١) .
(٥) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٢١٠) الحديث رقم (٤١٥٩) .

" كان الظاهر أن يقال : (كنت أطيش بيدى) فأسند الطيش إلى اليد مبالغة وأنه لم يكن يراعي آداب الأكل فأرشده لذلك " .

٧- عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :
(أَسعدُ الناسِ بشفاعتي يومَ القيامةِ ، من قال : لا إلهَ إلا اللهُ خالصاً من قلبهِ أو نفسه)(١) .
يشرح الطيبي الحديث ، وخلال ذلك يستطرد فينقل من الكشاف فائدة إسناد اسم الفاعل: خالصاً إلى الجارحة مقرراً أن ذلك أبلغ لما فيه من التوكيد ، فيقول :
" أقول : قد سبق أن حلولَ شفاعته إنما هو في حقّ من أثمرَ إيمانُه إما مزيد طمأنينة أو عمل ، وتختلف مراتب اليقين والعمل فيكون التفضيل بحسب المراتب ولذلك أكد خالصاً بقوله : (من قلبه) أى خالصاً كائناً من قلبه ، وقد عُلِمَ أن الإخلاصَ معدنه ومكانه القلب ، فذكر القلبَ ههنا تأكيداً وتقريراً ، كما في قوله تعالى :(فإنهُ آثمٌ قَلْبُهُ) (٢) قال صاحب الكشاف : فإن قلت : هلا اقتصر على قوله :(فإنه آثم) ؟ وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده ؟ قلت : كتمان الشهادة : هو أن يضمرَها ولا يتكلمَ بها ، فلما كان إثماً مقترفاً بالقلب أسند إليه ، لأن إسنادَ الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ ، ألا تراك تقول إذا أردتَ التوكيد : هذا مما أبصرته عيني ، ومما سمعته أذني ، ومما عرفه قلبي (٣) " .

× × ×

---

(١) رواه البخارى ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٤٨) الحديث رقم (٥٥٧٤) .
(٢) سورة البقرة ، بعض الآية (٢٨٣) والسياق هو : (ولا تكتُمُوا الشهادةَ ومنْ يكتُمْها فإنّهُ آثمٌ قَلْبُهُ واللهُ بما تعملونَ عليمٌ) .
(٣) ج ١ ، ص (٣٢٩) .

رابعاً : المصدرية :

المراد بالعلاقة المصدرية الإسناد إلى المصدر ، ومن أمثلتها عند الطيبي ما يلي:

١- عن ابن عمر ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :(مِنْ أفرى الفِرَى أن يُرِيَ الرجلُ عينيه ما لَمْ تريا)[١] .

قال الطيبي :

" قوله :(من أفرى الفرى) قال في النهاية :(الفِرَى جمع فِرْيَة وهي الكَذْبَة وأفْرَى : أفْعَلُ منه للتفضيل أي أكْذَب الكِذبَاتِ أن يقول رأيت في النوم كذا ، ولم يكن رأى شيئاً لأنه كَذِبٌ على الله ، فهو الذي يرسل مَلَكَ الرؤيا لِيُرِيَهُ المنام)[٢]. ونسبة الكذبات إلى الكذب للمبالغة نحو قولهم :(لَيْلٌ أَلْيَلُ وجَدَّ جِدُّهُ)[٣] " .

٢- عن سُفيانَ بن عبد الله الثقفيّ ، قال : قلتُ : يا رسول الله ! ما أخوفُ ما تخافُ عَلَيّ ؟ قال : فأخذ بلسانِ نفسِه وقال : (هذا)[٤] .

قال الطيبي :

" قوله :(ما أخوف) : ما في تخاف يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة وأن تكون مصدرية على طريقة :(جَدَّ جِدُّهُ وجُنَّ جُنُونُهُ[٥] وخشِيتُ خَشْيَتَهُ) وإنما أسند - صلى الله عليه وسلم - شدة خوفه على أمته في سائر الأخبار إلى اللسان لأنه أعظم

---

(١) رواه البخاري ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٣٠٤) الحديث رقم (٤٦٢٦) .
(٢) النهاية ، ج ٣ ، ص (٤٤٣) .
(٣) قال الجوهري :"لَيْلٌ أَلْيَلُ : شديدُ الظُلْمَةِ ... وليلةٌ لَيْلاءُ ، وليْلٌ لائلٌ ، مثل قولك شِعْرٌ شاعرٌ في التأكيد ..." . الصحاح ، مادة (ليل) .

(٤) رواه الترمذي ، وصححه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٦١) الحديث رقم (٤٨٤٣).
(٥) ورد نحو هذا الشاهد في الكشاف ، ج ١ ، ص (١٥٠) بلفظ :" جد جده وجنونك مجنون " .

الأعضاء عملاً ، إذ ما من طاعة أو معصية إلا وله فيها مجال ، فالإيمان والكفر يتبينان بشهادة اللسان وهما غاية للطاعة والطغيان " .

تعقيب :

إن العلاقات التي أشار اليها الطيبي هي :

" السببية - الزمانية - المكانية - المصدرية "[١] .

وهذه العلاقات من أشهر علاقات المجاز العقلي .

وإذا كانت كتب البلاغة قد ذكرت هذه العلاقات على أنها نماذج للمجاز العقلي ، فهذا لا يعني تحديد تلك العلاقات ، يقول السبكي : " لك أن تقول : الملابسة لا تختص بالسببية بل جميع العلاقات المذكورات في المجاز اللفظي ينبغي أن تأتي في المجاز الإسنادي "[٢].

وأنبه إلى أن بعض المجازات العقلية يذكرها الطيبي دون أن يحدد نوع العلاقة كما يظهر من خلال الأمثلة التالية :

١- عن ابن عُمَرَ ، قال : قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : (صلاةُ الليلِ مَثْنى مَثْنى ، فإذا خَشِيَ أحدُكُمْ الصُّبْحَ صلى رَكْعةً واحِدَةً ، تُوتِرُ لَهُ ما قَدْ صَلَّى)[٣].

---

(١) هذه العلاقات معروفة عند أهل البلاغة ، ومن الكتب التي ذكرت فيها هذه العلاقات ما يلي :

- الكشاف ، ج ١ ، ص (٥١) .

- و(التلخيص) للخطيب القزويني ، ص (٤٦- ٤٧) .

- و(الإيضاح) له أيضاً ، ج ١ ، ص (٩٨) .

- و(الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة العربية) لمحمد بن علي الجرجاني ص (٢٤) .

- و(شرح عقود الجمان) للسيوطي ، ص (١٢- ١٣) .

(٢) شروح التلخيص (عروس الأفراح) ، ج ١ ، ص (٢٤١) .

(٣) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٣٩٤) الحديث رقم (١٢٥٤) .

قال الطيبي :

" قوله : (توتر له) قال في النهاية :(الوِتْرُ بكسر واوه ويفتح ، وفي الحديث : (أَوْتِرُوا) أمرٌ بصلاةِ الوِترِ ، وهو أن يُصلِّي مَثْنَى مَثْنَى ، ثم يُصَلِّي في آخرها ركْعَة مُفرَدة يضيفها إلى ما قبلَها من الرَّكَعات)(١) .

في تركيب هذا الحديث إسناد مجازى ، حيث أسند الفعل إلى الركعة وجعل الضمير في قوله :(له) للمصلي وكان الظاهر أن يقال : يوتر المصلي بها ما قد صلى ، وفي قوله :(توتر له) إشارة الى أن جميع ما صلى وتر " .

وواضح أن العلاقة في هنا الحديث هي السببية ،ولم يذكر هنا الطيبي .

٢- عن أبي ذر ، قال : (أمرَني خليلي بسبعٍ ، أمرني بحبِّ المساكينِ والدنوِّ منهمْ ، وأمرني أن أنظرُ إلى مَنْ هو دوني ولا أنظرُ إلى من هُوَ فوقي ، وأمرني أن أَصِلَ الرَّحمَ وإنْ أدبرتْ)(٢) .

قال الطيبي :

" قوله :(وإن أدبرت) أى قطعت ..... أسند الإدبار الى الرحم مجازاً لأنه لصاحبها " .

والعلاقة هنا أيضاً السببية ،ولم يذكرها الطيبي .

٣- عن ذى مِخْبَرٍ ، قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :(ستصالحون الرومَ صُلْحاً آمناً ، فتغزونَ أنتمْ وهمْ عدواً من ورائكم)(٣) .

قال الطيبي :

" قوله :(آمناً) صفة (صلحاً) أي : ذا أمن ، جعل الصلح آمناً على الإسناد المجازى " .

وظاهر أن العلاقة هنا هي المفعولية ولم يهتم بذكر المصطلح هنا الطيبي

× × ×

---

(١) النهاية ، ج ٥ ، ص (١٤٧) .

(٢) من حديث رواه أحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٤٧) الحديث رقم (٥٢٥٩) .

(٣) من حديث رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٩٥) الحديث رقم (٥٤٢٨) .

- الفصل الثاني -

- المجاز المرسل -

ذكر الطيبي بعض علاقات المجاز المرسل ، وقد بين بلاغة هذا النوع من المجاز في بعض المواضع ، ولكنه لم يعرف المجاز المرسل ، ولم يطلق عليه اسم (المجاز المرسل) بل اكتفى بذكر كلمة مجاز .

وقد عرف السكاكي (المجاز المرسل) بقوله :" المجاز اللغوى الراجع إلى المعنى المفيد الخالي عن المبالغة في التشبيه ، هو أن تعدى الكلمة عن مفهومها الأصلي بمعونة القرينة إلى غيره لملاحظة بينهما ، ونوع تعلق ، نحو : أن تراد النعمة باليد "(١) .

وعرفه الخطيب القزويني بقوله :" هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وُضع له ملابَسَةً غير التشبيه ، كاليَدِ إذا استُعملتْ في النعمةِ ، لأن من شأنها أن تصدرَ عن الجارحة ، ومنها تصل إلى المقصود بها ، ويُشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى المولي لها "(٢) .

وفحوى التعريفين واحد ، وفهم الطيبي للمجاز المرسل موافق له .

وقد ذكر من علاقات المجاز المرسل ما يلي :

أولاً - السببية :

المراد بالعلاقة السببية إطلاق السبب وإرادة المسبب ، ومن أمثلتها عند الطيبي ما يلي :

---

(١) مفتاح العلوم ، ص (١٧٢) .

(٢) الإيضاح ، ج ٢ ، ص (٣٩٧) .

١- عن أبي ذرٍّ ، قال : أتيتُ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - وعليه ثوْبٌ أبيضُ ، وهوَ نائِمٌ ، ثم أتيتُهُ وقدِ استيقظَ ، فقال :(ما مِنْ عبدٍ قال : لا إلهَ إلا اللهُ ، ثُمَّ ماتَ على ذلكَ إلا دخلَ الجنةَ) . قلت : وإن زنى وإن سرقَ؟ !. قال : (وإن زنى وإن سرق) . قلت : وإن زَنى وإن سرق ؟ !. قال :(وإن زنى وإن سرق) . قلت : وإن زنى وإن سرق؟ !. قال :(وإن زنى وإن سرقَ على رَغْمِ أنفِ أبي ذر) وكان أبو ذر إذا حدَّثَ بهذا قال : وإنْ رَغِمَ أنفُ أبي ذر[١] .

قال الطيبي :

" قال القاضي : رغم لصق بالرَّغام وهو التُّرابُ ، ويستعمل مجازاً بمعنى كره أو ذل[٢] إطلاقاً لاسم السبب على المسبب "[٣] .

٢- عن جابر ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (إن الشيطانَ قد أيِسَ من أن يَعْبُدَهُ المصلُّونَ في جَزيرةِ العَرَب ، ولكِن في التحريشِ بينَهُمْ)[٤].

قال الطيبي :

" قوله :(إن الشيطان) تكلم في الحديث الشارحون واختصره القاضي وقال: عبادة الشيطان عبادة الصنم بدليل قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام :(يا أبَتِ لا تعْبُدِ الشيطانَ)[٥] وإنما جعل عبادة الصنم عبادة الشيطان لأنه الآمر به ، والداعي إليه "[٦] .

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (١٥) الحديث رقم (٢٦) .

(٢) في الفائق ، ج ٢ ، ص (٦٨) نحو هذا الكلام .

(٣) ينظر : المرقاة ، ج ١ ، ص (١٠٠- ١٠١) ولكن لم ينسب الكلام للقاضي .

(٤) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٢٧) الحديث رقم (٧٢) .

(٥) سورة مريم ، الآية (٤٤) .

(٦) ينظر : المرقاة ، ج ١ ، ص (١٤١) .

٣- عن عمرانَ بنِ حصين ، أن رَجُلَيْنِ من مُزَيْنَةَ قالا : يا رسول الله ! أرأيتَ ما يَعْمَلُ الناسُ اليومَ ويكْدَحونَ فيه ؟ أشيءٌ قُضِيَ عليهمْ ومضَى فيهم من قَدَرٍ سَبَقَ ، أو فيمَا يُسْتَقْبَلُونَ به مما أتاهُمْ به نبيُّهمْ وثَبَتَتِ الحُجَّةُ عَلَيهمْ ؟(١).

قال الطيبي :

" قوله :(أرأيت) معناه : أخبرني (٢) ، وهو من إطلاق السبب على المسبب ، لأن مشاهدة الأشياء طريق إلى الإخبار عنها ، والهمزة فيه مقررة ، أي قد رأيت ذلك فأخبرني به " .

٤- عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(كُلُّ أُمتي يدخُلُونَ الجنةَ إلا مَنْ أبى) ، قيل : ومن أبى ؟. قال :(مَنْ أَطاعَني دخلَ الجنةَ ، ومن عَصَاني فقدْ أبى)(٣) .

قال الطيبي :

" قوله :(ومن أبى) عطف على محذوف ، أي عرفنا الذين يدخلون الجنة ، ومن الذي أبى ؟. أي والذي أبى لا نعرفه ، وكان من حق الجواب أن يقول : من عصاني ، فعدل إلى ما هو عليه تنبيهاً على أنهم ما عرفوا ذاك ولا هذا ، إذ التقدير من أطاعني وتمسك بالكتاب والسنة دخل الجنة ، ومن اتبع هواه ، وزل عن الصواب ، وضل عن الطريق المستقيم ، فقد دخل النار ، فوضع (أبى) موضعه وضعاً للسبب موضع المسبب ، ويعضد هذا التأويل إيراد محيي السنة(٤) هذا الحديث في باب

---

(١) من حديث رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٣٢) الحديث رقم (٨٧) .

(٢) وهذا ما ذهب إليه الزمخشري عند قوله تعالى في سورة العلق ، الآية (٩) : (أرأيتَ الذي ينهى) قال الزمخشري :"ومعناه أخبرني عمن ينهى ..." ، ينظر : الكشاف ، ج ٤ ، ص (٧٧٧) .

(٣) رواه البخاري ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥١) الحديث رقم (١٤٣) .

(٤) أي البغوي صاحب :(مصابيح السنة) .

الاعتصام بالكتاب والسنة ، والتصريح بذكر الطاعة ، فإن المطيع هو الذى يعتصم بالكتاب والسنة ، ويجتنب الأهواء والبدع " .

٥- عن أنس بن مالك ، قال : إنَّ اليهودَ كانوا إذا حاضتِ المرأةُ فيهم لم يُؤاكِلوها ، ولم يُجامعوهُنَّ في البيوتِ ، فسألَ أصحابُ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- فأنزلَ اللهُ تعالى :(ويسألونكَ عن المحيضِ) الآية . فقال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- :(اصْنعوا كلَّ شيءٍ إلا النكاحَ) . فبلغَ ذلكَ اليهودَ فقالوا : ما يريدُ هذا الرجلُ أن يَدَعَ من أمرِنا شيئاً إلا خالَفَنا فيه .(١)

قال الطيبي :

" قوله :(اصنعوا كل شيء إلا النكاح) تفسير للآية ، وبيان لقوله تعالى : (فاعتزلوا النساءَ في المَحِيض) فإن الاعتزال شامل للمجانبة عن المؤاكلة والمصاحبة والمجامعة ، لكنه قيد بقوله :(فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ)(٢) فعلم أن المراد منه المجامعة ، فقال -صلى الله عليه وسلم- اصنعوا كل شيء إلا النكاح ، أي الجماع ، إطلاقاً لاسم السبب على المسبب لأن عقد النكاح سبب للجماع " .

٦- عن عائشةَ ، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- بَعَثَ رجلاً على سَرِيَّةٍ ، وكانَ يقرأُ لأَصْحابِه في صلاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بـ (قلْ هوَ اللهُ أحدٌ)(٣) فلما رَجَعوا ذكروا ذلكَ للنبيِّ -صلى الله عليه وسلم- فقال : (سَلُوهُ لأيِّ شيءٍ يَصْنَعُ ذلك ؟) فسألُوهُ فقال:

---

(١) من حديث رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (١٧١) الحديث رقم (٥٤٥) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٢٢) ونصها :(ويسألونكَ عن المحيضِ قُلْ هوَ أذىً فاعتزِلوا النساءَ في المَحِيضِ ولا تقرَبُوهنَّ حتى يطْهُرْنَ فإذا تطَهَّرْنَ فأْتوهُنَّ مِنْ حيثُ أمرَكُمُ اللهُ إنَّ اللهَ يُحِبُّ التوابينَ ويحب المتطهرينَ) .

(٣) أى سورة الإخلاص .

لأنَّها صِفَةُ الرحمن وأنا أُحِبُّ أنْ أقْرأها ، فقال النبيُّ -صلى الله عليه وسلم : (أخبِرُوهُ أنَّ الله يُحِبُّهُ)(١) .

ويشبه معنى هذا الحديث الحديثُ الآتي :

- عن أنس ، قال : إن رجلاً قال : يا رسولُ الله ! إني أُحِبُّ هذهِ السورةَ :(قُلْ هُوَ اللهُ أحدٌ) ، قال : (إن حُبَّكَ إياها أدخلَكَ الجنةَ)(٢) .

قال الطيبي موازناً بينهما ومقرراً أن المجاز المرسل يفيد الإيجاز :

" قوله :(إن حبك إياها أدخلك الجنة) فإن قلت : ما التوفيق بين هذا الجواب وبين الجواب في الحديث السابق :(أخبروه أن الله يحبه)؟. قلت : هذا الجواب ثمرة ذلك الجواب ، لأن الله تعالى إذا أحبه أدخله الجنة ، وهذا من وجيز الكلام وبليغه ، فإنه اقتصر في الأول على السبب عن المسبب ، وفي الثاني عكسه " . انتهى .

قلت : ما قرره الطيبي من أن المجاز المرسل يفيد الإيجاز يوافق ما ذهب إليه الزمخشري حين أشار إلى ذلك عند قوله تعالى :(يومَ نطوي السماءَ كطيِّ السِّجِلِّ للكتب كما بدأْنا أوَّلَ خلقٍ نُعيدُهُ وعداً علينا إنا كُنا فاعلينَ)(٣) حيث قال:"يعني إنا كنا قادرين على الإعادة ، كذلك عبر عن إرادة الفعل بالفعل وذلك لأن الفعل مسبب عن القدرة والإرادة ، فأقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ،ولإيجاز الكلام "(٤). فالإيجاز من فوائد المجاز المرسل .

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٥٦- ٦٥٧) الحديث رقم (٢١٢٩) .

(٢) رواه الترمذي ، وروى البخاري معناه ، ينظر : المشكاة في الموضع السابق ، الحديث رقم (٢١٣٠) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (١٠٤) .

(٤) الكشاف ، ج ١ ، ص (٦٠٩) .

ثانياً - المسببية :

المراد بالعلاقة المسببية : إطلاق المسبب وإرادة السبب ، وهذه العلاقة ذكرها الطيبي في مواطن كثيرة من الحديث (١) ، منها الأمثلة التالية :

١- عن أنسٍ ، قال : جاء ثلاثةُ رَهْطٍ إلى أزواجِ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - يسألونَ عن عبادةِ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - فلما أُخْبِرُوا بها كأَنَّهُمْ تَقالُّوها ، فقالوا : أينَ نحنُ مِنَ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - وقدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وما تأَخَّرَ؟ فقالَ أحدُهم : أما أنا فأُصَلِّي الليلَ أبداً ، وقالَ الآخرُ : أنا أصومُ النهارَ ولا أُفطِرُ ، وقالَ الآخرُ : أنا أعتزلُ النساءَ فلا أتزوّجُ أبداً ... (٢).

قال الطيبي :

" قوله (أنا أعتزل النساء) من باب إطلاق المسبب على السبب ، أي أنا أقصد اعتزال النساء ومجانبتهن فلا أتزوج أبداً ، وكذا التقدير :(في أنا أصوم) أي: أقصد الصوم وأداوم عليه ولا أفطر في النهار " .

٢- عن رُبيعَةَ الجُرَشِيِّ ، قال : أُتِيَ نبيُّ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فقيلَ لَهُ : لِتَنَمْ عَيْنُكَ وَلْتَسْمَعْ أُذُنُكَ وليَعْقِلْ قلبُكَ ، قال :(فنامَتْ عيْني ، وسمِعَتْ أُذنايَ ، وعَقَلَ قَلْبي) قال : (فقيلَ لي : سَيِّدٌ بنى داراً ، فصَنَعَ فيها مأْدُبَةً ، وأرْسلَ داعياً ، فمنْ أجابَ الدّاعيَ ، دخلَ الدارَ ، وأكلَ من المأدُبةِ ، ورضيَ عنه السيِّدُ ، ومَنْ

(١) تكثر هذه العلاقة عند الزمخشري أيضاً في كتابه (الكشاف) ، ينظر : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، لأستاذنا الدكتور محمد أبي موسى ، ص (٤٤٢).

(٢) من حديث متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٢) الحديث رقم (١٤٥) .

لم يُجبْ الدَّاعِيُ ، لم يدْخلِ الدارَ ، ولم يأكُلْ من المأدُبة ، وسخِطَ عليه السيد).

قال : (فاللهُ السيدُ ، ومحمدٌ الدَّاعِي ، والدَّارُ الإسلامُ والمأدُبَةُ الجنةُ)[1].

قال الطيبي :

" فإن قلت : كيف شبه في ذلك الحديث الجنة بالدار[2] ، وفي هذا الإسلام بالدار ، وجعل الجنة مأدبة ؟ قلت : لما كان الإسلام سبباً لدخول الجنة اكتفى في ذلك الحديث بالمسبب عن السبب ، ولما كانت الدعوة إلى الجنة لا تتم إلا بالدعوة إلى الإسلام ، كما قال تعالى :(واللهُ يَدْعُو إلى دارِ السَّلامِ ويَهْدِي مَنْ يَشاءُ إلى صِراطٍ مُستقيمٍ)[3] استقام وضع كل منهما مقام الآخر ، وحين كان نعيم الجنة وبهجتها هو المطلوب الأول جعل الجنة نفس المأدبة مبالغة فيها " .

٣ـ عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :(إذا توضَّأَ العبدُ المسلم ـ أو المؤمنُ ـ فغسلَ وجهَه ، خرجَ من وجهِهِ كلُّ خطيئةٍ نظرَ إليها بعينَيْهِ مع الماءِ ـ أو مع آخرِ قَطْرِ الماء ـ فإذا غسَلَ يَدَيْهِ خرجَ من يديه كلُّ خطيئةٍ كان بطَشَتها يداهُ معَ الماءِ ـ أو معَ آخرِ قَطْرِ الماء ـ فإذا غسل رِجْلَيه خرج كل خطيئةٍ مشتْها رِجْلاه معَ الماءِ ـ أو معَ آخرِ قطرِ الماءِ ـ حتى يخرُجَ نقياً من الذنوب)[4] .

---

(١) رواه الدارمي ، وسنده ضعيف ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٦ـ ٥٧) الحديث رقم (١٦١) .

(٢) يريد حديث جابر ، وفيه :(الدار الجنة) وهو مشابه لهذا الحديث ، وقد سبق ذكره ص (٣٧ ـ ٣٨) و ص (١٤٥) من الرسالة .

(٣) سورة يونس ، الآية (٢٥) .

(٤) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٩٤) الحديث رقم (٢٨٥) .

يقرر الطيبي أن اطلاق المسبب على السبب يفيد المبالغة فيقول :

" قوله (كل خطيئة نظر إليها) أي نظر إلى سببها ، إطلاقاً لاسم المسبب على السبب مبالغة ، وكذا في البواقي " .

٤- عن أبي قتادة ، قال : قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : (إذا أُقيمتِ الصلاةُ ، فلا تَقُومُوا حتى تَرَوْنِي قد خرجْتُ)(١).

قال الطيبي :

" قوله :(إذا أقيمت الصلاة) أي : إذا نادى المؤذن بالإقامة ، فأقيم المسبب مقام السبب " .

٥- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : (إذا مرَرْتُمْ برياضِ الجنةِ فارْتَعُوا) قيل : يارسول الله! وما رِياضُ الجنة ؟ قال :(المساجدُ) قيل : وما الرَّتْعُ؟ يارسولَ الله! . قال :(سُبْحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ)(٢) .

قال الطيبي شارحاً لهذا الحديث :

" قوله :(إذا مررتم برياض الجنة) تلخيص الحديث إذا مررتم بالمساجد قولوا هذا القول ، فلما وضع (رياض الجنة) موضع (المساجد) بناء على أن العبادة فيها سبب للحصول في رياض الجنة ، روعيت المناسبة لفظاً ومعنى بوضع (الرتع) موضع (القول) ، لأن هذا القول سبب لنيل الثواب الجزيل ووسيلة إلى الفوز النبيل ، والرتع ههنا كما في قول إخوة يوسف (يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ)(٣) وهو أن يتسع

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٢١٦) الحديث رقم (٦٨٥) .

(٢) رواه الترمذي ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٢٢٧) الحديث رقم (٧٢٩) .

(٣) سورة يوسف ، الآية (١٢) وتمامها :(أَرْسِلْهُ معنا غداً يَرْتَعْ ويلْعبْ وإنّا لَهُ لحافِظون) .

في أكل الفواكه والمستلذات والخروج إلى التنزه في الأرياف والمياه ، كما هو عادة الناس إذا خرجوا إلى الرياض والبساتين ، ثم اتسع واستعمل في الفوز بالثواب الجزيل والأجر الجميل ، ولو لمح في الرتع تناول ثمرة الشجرة التي غرسها الذاكر في رياض المسجد على ما ورد :(لقيتُ إبراهيمَ ليلةَ أُسريَ بي فقال : يا محمد! أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مني السلامُ ، وأخبرْهُمْ أَنَّ الجنةَ طيِّبةُ التُّربةِ، عَذْبَةُ الماءِ ، وأنها قيعانٌ وأن غِراسَها سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إله إلا اللهُ واللهُ أكبر)(١) فجاء أسلوباً بديعاً وتلميحاً عجيباً " .

٦- عن سهلِ بنِ مُعاذِ بنِ أنسٍ الجُهَنيِّ ، عن أبيهِ ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(من تَخَطَّى رِقابَ الناسِ يومَ الجمعةِ ، اتَّخَذَ جِسراً إلى جهنَّمَ)(٢).

يردد الطيبي قول النبي - صلى الله عليه وسلم - :(اتخذ جسراً إلى جهنم) بين المجاز المرسل والتشبيه ، وكأنه يرجح أنه من المجاز وعلاقته المسببية فيقول :

" قوله :(من تخطى رقاب الناس) قال القاضي : أي تجاوز رقابهم بالخطو عليها ، (يوم الجمعة) خص للتعظيم ، (اتخذ جسراً إلى جهنم) وروي اتخذ بالبناء للفاعل وقيل للمفعول ، فعلى الأول معناه : أن صنيعه هذا يؤديه إلى جهنم ، وكأنه جسر اتخذه إلى جهنم ، والبناء للمفعول معناه : أنه يجعل يوم القيامة جسراً يساق عليه من يمر إلى جهنم مجازاة له بمثل عمله "(٣) .

---

(١) رواه الترمذي عن ابن مسعود ، قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب إسناداً ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٧١٦) الحديث رقم (٢٣١٥) .

(٢) رواه الترمذي وقال : هذا حديث غريب ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٣٨) الحديث رقم (١٣٩٢) .

(٣) ينظر : المرقاة ، ج ٣ ، ص (٢٥٧) .
والتعليق ، ج ٢ ، ص (١٤٤) .

وعقب على كلام القاضي قائلاً :

" أقول : إن اتخذ إذا عدي إلى مفعول واحد كان التركيب من باب إطلاق المسبب على السبب ، كقوله تعالى :(إنما يأْكُلُونَ في بُطُونِهِمْ ناراً)[١] وهو الوجه الأول فإذا جعل متعدياً إلى مفعولين كقوله تعالى :(أرأيْتَ من اتخذَّ إلهَهُ هَوَاهُ)[٢] كان من باب التشبيه ، شبه الداخل لأجل تخطيه رقاب الناس ، وجعلها معبراً له ، بالجسر موضوعاً على شفير جهنم ، هذا هو الوجه الثاني ، وقوله :(إلى جهنم) على الوجهين صفة جسر ، أى جسراً ممتداً إلى جهنم ، والشيخ التوربشتي ضعف الوجه الثاني رواية ودراية " .

٧- عن عامرٍ الرَّامِ ، قال : ذكرَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم - الأسقامَ ، فقال : (إنّ المؤمنَ إذا أصابَه السَّقَمُ ، ثم عافاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ منه ، كان كفّارةً لما مضى من ذنوبه ، وموعظةً له فيما يستقبِلُ ، وإنّ المنافقَ إذا مرضَ ثم أُعْفِيَ ، كان كالبعيرِ إذا عَقَلَهُ أَهْلُهُ ثم أَرْسَلوهُ ، فلمْ يَدْرِ لِمَ عَقَلُوهُ ولِمَ أرسَلوهُ)[٣].

قال الطيبي :

" قوله :(وإن المنافق ...) إلى آخره ، مقابل لقوله :(إن المؤمن) وقد شبه بالبعير المرسل بعد القيد في أنه لا يدري فيم قيد وفيم أرسل؟.يعني كان من حقه أنه إذا مرض عقل أن مرضه لبسه بسبب ما ارتكبه من الذنوب ، فإذا أعفي لم يقدم على ما قدمه ، فلما لم يتنبه عليه جعل كالبعير كما قال تعالى :

---

(١) سورة النساء ، الآية (١٠) .

(٢) سورة الفرقان ، الآية (٤٣) .

(٣) من حديث رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٩٤) الحديث رقم (١٥٧١) .

(أولئكَ كالأنعامِ بلْ هُمْ أضَلُّ)(١) فينبغي تأويل ما يقابله بهذا المعنى ، كأنه قيل : إن المؤمن إذا مرض ثم أعفي تنبه وعلم أن مرضه كان مسبباً عن الذنوب الماضية ، فيندم ولا يقدم على ما مضى ، فيكون كفارة له ، فوضع المسبب الذى هو الكفارة موضع السبب الذى هو التنبه والندم ، تنبيهاً على تيقظه وبعد غَوْرِ إدراكه ، لتقابل نسبة البلادة إلى المنافق ، وتشبيهه بالنعم " .

٨- عن جَرير بنِ عبدِ اللهِ ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إذا أتاكُمْ المُصَدِّقُ فَلْيَصْدُرْ عنكمْ وهوُ عنكمْ راضٍ)(٢) . **قال الطيبي :**

" قوله :(فليصدر عنكم) ذكر المسبب وأراد السبب ، لأنه أمر للعامل ، وفي الحقيقة أمر للمزكي ، أي تلقوا العامل بالترحيب وأدوا زكاة أموالكم تامة ، فهذا سبب لصدوره عنهم راضياً ، وإنما عدل إلى هذه الصيغة مبالغة في استرضاء المصدق وإن ظَلَم ، كما سيجيء في الفصل الثاني ، في حديث جرير أيضاً :(أَرْضُوا مُصَدِّقِيكُمْ وإنْ ظُلِمْتُمْ)(٣) ".

٩- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(مَنْ سَأَلَ الناسَ أموالَهُمْ تكثُّراً فإنما يسألُ جَمْراً ، فليستقِلَّ أو ليستكثِرْ)(٤).

قال الطيبي :

" سمى التكثر جمراً لأنه مسبب عنه ، كقوله تعالى :(إن الذينَ يأكلونَ أمْوالَ اليتَامى ظُلْماً إنما يأكلونَ في بطونِهِمْ ناراً)(٥) .

١٠- عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(من استطاعَ أنْ يموتَ بالمدينةِ فلْيَمُتْ بها ، فإني أَشْفَعُ لمن يموتُ بها)(٦) .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٧٩) .

(٢) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١، ص (٥٥٧) الحديث رقم (١٧٧٦) .

(٣) من حديث رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٦٠) الحديث رقم (١٧٨٣).

(٤) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٧٦) الحديث رقم (١٨٣٨) .

(٥) سورة النساء ، الآية (١٠) .

(٦) رواه أحمد ، والترمذى وقال :" هذا حديث حسن صحيح ، غريب إسناداً " ، ينظر: المشكاة ، ج ٢ ، ص (٨٣٩) الحديث رقم (٢٧٥٠) .

قال الطيبي :

" قوله : (فليمت) أمر له بالموت بها وليس ذلك من استطاعته ، بل إلى الله تعالى ، ولكنه أمر بلزومها والإقامة بها بحيث لا يفارقها ، فيكون ذلك سبباً الى أن يموت فيها ، فأطلق المسبب وأراد السبب ، كقوله تعالى: (فلا تَمُوتُنَّ إلا وأنتم مُسلمونَ)(١) " .

١١- عن عائشةَ ، عن رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - قال :(ليأتِيَنَّ على القاضي العَدْلِ يومُ القيامة ، يتمَنّى أنَّه لم يقضِ بين اثنينِ في تمرةٍ قطُّ)(٢).

قال الطيبي :

" عبر عن السبب بالمسبب ، لأن البلاء سبب التمني ، والتقييد بالعدل والتمرة تتميم لمعنى المبالغة مما نزل به من البلاء " .

١٢- عن أم سلمةَ ، أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال :(إنّما أنا بشرٌ وإنّكم تختصِمونَ إليَّ ، ولعلَّ بعضَكم أنْ يكون ألحَنَ بحُجّتِهِ منْ بعضٍ ، فأقضِيَ له على نحوِ ما أسمعُ منه ، فمنْ قضيتُ له بشيءٍ مِنْ حقِّ أخيهِ ، فلا يأخذَنّه ، فإنّما أقطعُ له قطعةً منَ النارِ)(٣). **قال الطيبي :**

" قوله :(فمن قضيت له بشيء) إلى آخره ، يعني إن قضيت له بظاهر يخالف الباطن فهو حرام ، فلا يأخذن ما قضيت له لأنه أخذ ما يؤول به إلى قطعة من النار ، فوضع المسبب وهو قطعة من النار موضع السبب وهو ما حكم به له " .

١٣- عن البراء بن عازبٍ رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(من صلّى أربعاً قبل الهاجرةِ ، فكأنما صلّاهنَّ في ليلةِ القدرِ ، والمسلمانِ إذا تصافحا لم يبقَ بينهما ذَنْبٌ إلا سقطَ) (٤) .

(١) سورة البقرة ، الآية (١٣٢) .
وكأن كلام الطيبي هنا مستوحى من كلام الزمخشري في هذه الآية ، ينظر :الكشاف ، ج ١ ، ص (١٩١- ١٩٢) .

(٢) رواه أحمد ، ينظر: المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١٠٤) الحديث رقم (٣٧٤٠) .

(٣) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١١١) الحديث رقم (٣٧٦١) وقد تقدم بعض هذا الحديث ص (٨٩) من الرسالة .

(٤) رواه البيهقي في (شعب الإيمان) ، ينظر :المشكاة ، ج ٣ ص (١٣٣٠) الحديث رقم (٤٦٩٤) .

قال الطيبي :

" قوله :(لم يبق بينهما ذنب) أي غل وشحناء ، يدل عليه الحديث السابق [١] ، فوضع الذنب موضعهما لأنه مسبب عنهما " .

١٤- جاء في حديث رواه النواس بن سمعان في قصة الدجال ما يلي : قلنا : يا رسول الله ! وما إسراعُه في الأرضِ ؟. قال :(كالغَيْثِ استدْبرتْه الريحُ)[٢].

قال الطيبي :

" المراد بالغيث هنا : الغيم ، إطلاقاً للمسبب على السبب ، أي أسرع في الأرض إسراع الغيم إذا اشتد به الريح " .

١٥- عن علي ، أن أبا جهل قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : " إنا لا نُكذّبُكَ ولكنْ نُكذّبُ بما جئتَ به "، فأنزل اللهُ تعالى فيهم :(فإنَّهُمْ لا يُكذّبُونَكَ ولكنَّ الظالمينَ بآياتِ اللهِ يَجْحدونَ)[٣].

قال الطيبي :

" قوله :(ولكن نكذب بما جئت به) أي لا نكذبك لأنك عندنا الصادق الموسوم بالصدق ولكن نجحد آيات الله ، روي أن الأخنس بن شريق ، قال لأبي جهل : يا أبا الحكم ! أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب ؟. فقال : والله إن محمداً لصادق ، وما كذب قط ، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة ، فماذا يكون

---

(١) وهو رقم (٤٦٩٣) في المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٣٠) ، ونصه :(تصافحوا يذهبِ الغِلُّ وتهادَوا ، تحابُّوا وتذهبِ الشحناءُ) رواه مالك مرسلاً عن عطاء الخراساني .

(٢) من الحديث (٥٤٧٥) ، وقد تقدم تخريجه ص (١١٤) من الرسالة .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (٣٣) ، والحديث رواه الترمذي ، وهو في المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٦٢٢) الحديث رقم (٥٨٣٤) .

لسائر قريش؟[1] . فقوله :(نكذب بما جئت به) وضع موضع (ولكن نحسدك) وضعاً للمسبب موضع السبب والله أعلم " .

١٦- عن أبي نوفل ، معاوية بن مسلم ، قال : رأيتُ عبدَ اللهِ بن الزبير على عَقَبَةِ المدينة ، قال : فجعلتْ قريشٌ تمر عليه والناسُ ، حتى مرَّ عليه عبدُ الله بنُ عمر ، فوقفَ عليهِ ، فقال : السَّلامُ عليكَ أبا خُبَيْبٍ ، السلام عليك أبا خبيب ، السلام عليك أبا خبيب ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ..... (١)

قال الطيبي :

" قوله :(أنهاك عن هذا) المشار إليه بهذا إلى صَلْبِهِ ، يعني كنت أنهاك عما يؤدي إلى ما أراك فيه ، فعلى هذا هو من وادي قوله تعالى : (إنما يأكلونَ في بُطُونِهِمْ ناراً)[3] ".

× × ×

---

(١) ورد هذا الخبر في : الكشاف ، ج ٢ ، ص (١٨- ١٩) .
ومختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص (٥٧٦) .
وتفسير أبي السعود ، ج ٣، ص (١٢٧) .
وغير ذلك من الكتب .

(٢) من حديث رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٦٩١- ١٦٩٢) الحديث رقم (٥٩٩٤) .

(٣) سورة النساء ، الآية (١٠) .

ثالثاً : الجزئيــة :

المراد بالعلاقة الجزئية : إطلاق الجزء وإرادة الكل .
ويشترط أن يكون لهذا الجزء أهمية بالنسبة للكل ، ومن أمثلتها عند الطيبي مايلي :

١- عن عُقبةَ بن عامرٍ ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :
(ما مِنْ مسلم يتوضّأُ ، فيُحسِنُ وُضوءَه ، ثم يقومُ فيُصَلي ركعتَين ، مُقْبِلاً عليهما بقلبِه ووجهِه إلا وجَبتْ له الجنة)[١] .

قال الطيبي :
" قوله : (مقبلاً عليهما بقلبه ووجهه) المراد بوجهه الذات ، أي مقبلاً عليهما بظاهره وباطنه ، مستغرقاً خاشعاً هائباً " .

٢- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :
(مَنْ صلّى صلاةً لم يقرأْ فيها بأُمِّ القرآنِ فهيَ خِداجٌ - ثلاثاً - غيرُ تَمامٍ)[٢] .

قال الطيبي :
" قوله : (فهي خداج) يحتمل معنيين : نفي الكمال ونفي الحقيقة من نفي الجزء الذي ينتفي بانتفائه الكل ، فرجحنا الثاني بهذا الاعتبار ، وذلك أن الصلاة عبارة عن حركات مخصوصة ، وأذكار مخصوصة ، فكما تنتفي بإخلال معظم حركاتها نحو ركوع واحد أو سجدة واحدة ، كذلك ينبغي أن تنتفي بإخلال معظم أذكارها وقد تقرر في علم البيان أن إطلاق الجزء على الكل مشروط بكون ذلك الجزء معظمه

---

(١) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٩٥) الحديث رقم (٢٨٨) .
(٢) من حديث رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٢٦٢) الحديث رقم (٨٢٣) ، ونحوه في (المجازات النبوية) للشريف الرضي ، ص (٨٧ - ٨٨) وقال الشريف : (وهذه استعارة عجيبة ، لأنه عليه الصلاة والسلام جعل الصلاة التي لا يقرأ فيها ناقصة بمنزلة الناقة إذا ولدت ولداً ناقصَ الخلقة أو ناقص المدة ... إلا أنها مع نقصانها مجزئة ... فنفى كمالها ولم ينف أصلها) .

كما مثل شارح الصحيح [١] بقوله :(الحج عرفة)[٢] وعليه قوله تعالى :(وقرآنَ الفَجْرِ إنَّ قرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً)[٣] يعني صلاته [٤] ، والذي يشد من عضد هذا التقرير : توكيد الخداج بالتكرير ، وتتميمه بالتفسير ، لأن هذا المنهج أحوط ، وإلى التحقيق أقرب " .

أقول : ظهر من كلام الطيبي أنه يشترط أن يكون الجزء هو معظم الكل ، وهذا الشرط غير دقيق ، وفيه بعد ، وقد عبر التفتازاني بصيغة أدق عن هذه العلاقة حين قال : " يجب أن يكون الجزء الذي يطلق على الكل مما يكون له من بين الأجزاء مزيد اختصاص بالمعنى الذي قصد بالكل "[٥] .

وقال ابن يعقوب المغربي :" ... وإنما يطلق اسم الجزء الذى له مزيد اختصاص بتحقق ما صار به ذلك الكل حاصلاً بوصفه الخاص "[٦] .

وقال الدسوقي :" واعلم أنه لا يصح إطلاق اسم كل جزء على الكل ، وإنما يطلق اسم الجزء الذي له مزيد اختصاص بالكل ، بحيث يتوقف تحقق الكل بوصفه الخاص عليه "[٧] .

ولا ريب أن عبارة له " مزيد اختصاص " التي ذكرها بعض شراح التلخيص أدق وأصوب من عبارة الطيبي . فقد يكون له مزيد اختصاص وهو أصغر الأجزاء مثل العين في الربيئة ، والأذن في الرقيب . فلا يشترط في إطلاق الجزء على الكل أن يكون الجزء معظمَ الكل ، وإنما يشترط في الجزء أن يكون له زيادة اختصاص أو لا يتحقق

---

(١) أى النووي .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ٤ ، ص (١٠٣) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية (٧٨) .

(٤) نحوه في الكشاف ، ج ٢ ، ص (٦٨٦) .

(٥) شروح التلخيص (مختصر السعد) ، ج ٤ ، ص (٣٥- ٣٦) .

(٦) المصدر السابق (مواهب المفتاح) ، ج ٤ ، ص (٣٥) .

(٧) المصدر السابق (حاشية الدسوقي) الجزء نفسه والصفحة نفسها .

الكمال إلا به كإطلاق الرقبة على العبد ، أو أن يكون الجزء هو أشرف الأجزاء[1] كإطلاق القيام على الصلاة في قوله تعالى :(يا أيها المُزَّمِّلُ،قُمِ الليلَ إلا قَليلاً)[2] ولا ريب أن كون الجزء هو معظم الكل هو أحد مسوغات إطلاق الجزء على الكل ولكن لا يشترط ذلك دوماً كما قرره الطيبي ، فهذا بعيد عن الصواب .

٣- عن أنسٍ ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(مَنْ تَوَضَّأَ فأحسنَ الوُضُوءَ ، وعادَ أخاهُ المسلم محتسباً ، بُوعِدَ من جهنم مسيرةَ ستين خريفاً)[3] .

قال الطيبي :

" قوله :(ستين خريفًا) أي: عامًا ، قالوا سمي به لاشتماله عليه إطلاقاً للبعض وإرادة الكل مجازاً ، وكان العرب يؤرخون أعوامهم بالخريف لأنه كان أوان جَدَادهم[4] وقطافهم وإدراك غلاتهم ، إلى أن أرخ عمر رضي الله عنه بسنة الهجرة "[5] .

٤- عن أُمِّ سَلَمةَ ، عن النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقولُ في مرضِه :
(الصَّلاةَ وما ملَكتْ أيمانُكم)[6] .

قال الطيبي ناقلاً عن التوربشتي :

" إضافة الملك إلى اليمين كإضافته إلى اليد ، والأكساب والأملاك تضاف إلى

---

(١) ينظر : (البيان) لأستاذنا الدكتور علي العماري ، ص (١٢٢ - ١٢٣) .
(٢) سورة المزمل ، الآيتان (١- ٢) .
(٣) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٨٩) الحديث رقم (١٥٥٢) .
(٤) في المعجم الوسيط ، مادة (جد) :(الجَداد : أوان قطع ثمر النخل)
(٥) أول من أرخ بالهجرة عمر ، ذكر ذلك المبرد في (الكامل) ج ١ ، ص (٣٢٥) وقد جمع الروايات بهذا الأمر الشيخ علي الطنطاوي وأخوه ناجي في كتابهما :(أخبار عمر وعبد الله بن عمر) ، ينظر : ص (٢١٦- ٢١٨) .
(٦) رواه البيهقي في (شعب الإيمان) ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٠٠٢) الحديث رقم (٣٣٥٦) .

الأيدى لتصرف المالك فيها وتمكنه من تحصيلها باليد ، وإضافتها إلى اليمين أبلغ وأنفذ من إضافتها إلى اليد ، لكون اليمين أبلغ في القوة والتصرف وأولى بتناول ما كرم وطاب "[1] . ثم يعقب على ما سبق بقوله :

" وأرى فيه وجهاً آخر ، وهو أن المماليك خصوا بالإضافة إلى الأيمان تنبيهاً على شرف الإنسان وكرامته ، وتبييناً لفضله على سائر ما يقع عليه اسم الملك وتمييزاً له بلفظ اليمين من جميع ما احتوته الأيدى واشتملت عليه الأملاك " انتهى.

أقول : يؤيد كلام التوربشتي قول الشيخ عبد القاهر :" تراهم يُطلقون اليمين بمعنى القدرة ويصلون إليه قول الشمّاخِ :

إذا ما رايةٌ رفعتْ لمجدٍ   تلقاها عَرابةُ باليمين[2]." .

كما يؤيد كلام الطيبي قول ابن الدمينة :

أبيني أفي يُمْنَى يَدَيْكِ جَعَلْتِني   فأَفْرحَ أم صَيَّرْتني في شمالِكِ[3] .

فهذا البيت شاهد صريح على فضل اليمين وكرامتها فما ذهب إليه التوربشتي والطيبي في تعليل فضل اليمين صحيح ، بيد أن ما ذهب إليه الطيبي ألطف وأقوم بإنسانية الإنسان ، ويناسب المعنى العام في هذا الحديث الذي يحض فيه أستاذ الإنسانية الأعظم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أتباعه على التمسك بالصلاة التي تهذب الروح ، وعلى الرأفة بالعبيد والإماء ، هذه الرأفة التي تكاد تكون ثمرة من ثمار الصلاة .

قال تعالى :(وأَقِمِ الصلاةَ إنَّ الصلاةَ تَنْهَى عن الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ)[4] والله أعلم .

---

(١) ينظر : المرقاة ، ج ٦ ، ص (٣٥٠) .

(٢) أسرار البلاغة ، ص (٣٣١- ٣٣٢) .

(٣) ديوان ابن الدمينة ، ص (١٧) .

وهو في دلائل الاعجاز ، ص (٧١) .

(٤) سورة العنكبوت ، الآية (٤٥) .

٥- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(إن اللهَ يقولُ: يا ابنَ آدم ! تفرَّغْ لعبادتي أملأْ صدْرَكَ غِنًى ، وأَسُدَّ فقرَك ، وإن لا تفعلْ ملأتُ يدكَ شُغْلاً ، ولم أَسُدَّ فقرك)(١) .

قال الطيبي :

" قوله :(ملأت يدك شغلاً) : اليد عبارة عن سائر جوارحه ، وإنما خصها لأن معظم الكسب يتأتى من اليد " .

أقول : يؤيد كلام الطيبي أن معظم الكسب يتأتى من اليد ، آيات كثيرة ، منها قوله تعالى :(ونقولُ ذوقوا عذابَ الحَريقِ × ذلكَ بما قدَّمتْ أيديكُمْ)(٢) .
وقوله :(ونُذِيقُهُ عذابَ الحريقِ × ذلكَ بما قدَّمتْ يَداكَ)(٣) .
وقوله :(يومَ ينظرُ المرءُ ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ)(٤) .

فهذه الآيات تدل على أن معظم الكسب يتأتى من اليد ، ولذلك خصت بالذكر .

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه ، ينظر: المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٣٠) الحديث رقم (٥١٧٢) .
(٢) سورة آل عمران ، الآيتان (١٨١- ١٨٢) .
(٣) سورة الحج ، الآيتان (٩- ١٠) .
(٤) سورة النبأ ، الآية (٤٠) .

رابعاً: اعتبار ما كان:

المراد بهذه العلاقة تسمية الشيء باعتبار ما كان عليه، ومن أمثلتها عند الطيبي ما يلي:

١- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:
(لا تُقبَلُ صلاةُ مَنْ أَحدثَ حتى يتوضّأَ)(١).

قال الطيبي:

" الضمير في يتوضأ للمحدث، سماه محدثاً وإن كان طاهراً باعتبار ما كان، كقوله تعالى: (وآتوا اليتامى أموالَهُمْ)(٢) ".

٢- عن عبد اللهِ بن مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-:
(لا يحلُّ دَمُ امرئٍ مُسلمٍ يشهدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأني رسولُ اللهِ إلا بإحْدَى ثلاثٍ: النفسُ بالنفسِ، والثَّيِّبُ الزَّاني، والمارقُ لدينهِ التاركُ للجماعةِ)(٣)

قال الطيبي:

" سمي المارق لدينه مسلماً لأنه مستثنى من قوله: (لا يحل دم امرئ مسلم) مجازاً باعتبار ما كان عليه ".

٣- قال عليه الصلاة والسلام في حديث يذكر فيه الإمارة ويرهب منها:
(أَوَّلُها مَلامةٌ، وأوسطُها ندامةٌ، وآخرُها خِزْيٌ يومَ القيامةِ)(٤).

---

(١) متفق عليه، ينظر: المشكاة، ج ١، ص (١٠٠) الحديث رقم (٣٠٠).

(٢) سورة النساء، الآية (٢).

(٣) متفق عليه، ينظر: المشكاة، ج ٢، ص (١٠٢٧) الحديث رقم (٣٤٤٦).

(٤) من حديث رواه أحمد عن أبي أُمامةَ، ينظر: المشكاة، ج ٢، ص (١٠٩٦) الحديث رقم (٣٧١٤).

قال الطيبي :

" فإن قلت : آخر الشيء منقضاه ، فلا يصح أن يتخلل بينه وبين ما هو آخره غيرهما ولا شك أن الإمارة تنقضي في الدنيا ، فكيف يكون الخزي يوم القيامة آخرها ؟
قلت : نحن نعتبر صفة الإمارة مستمرة إلى يوم الدين على سبيل المجاز " .

٤- عن أنس ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(أبو بكر وعمر سيّدا كهولِ أهلِ الجنةِ من الأوّلين والآخرين ، إلا النبيين والمرسلين)(١) .

قال الطيبي :

" قوله : (سيدا كهول أهل الجنة) اعتبر ما كانا عليه في الدنيا ، وإلا لم يكن في الجنة كهل ، كقوله تعالى :(وآتوا اليتامى أموالَهُمْ)(٢)".

خامساً : اعتبار ما يكون :

المراد بهذه العلاقة تسمية الشيء باعتبار ما يؤول إليه ، ومن أمثلتها عند الطيبي ما يلي :

١- عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(إذا بُويِعَ لِخليفتَين ، فاقتُلوا الآخرَ منهُما)(٣) .

---

(١) رواه الترمذي ، وابن ماجه عن علي ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٧٠٩) الحديث رقم (٦٠٥٠) .
(٢) سورة النساء ، الآية (٢) .
(٣) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٠٨٨) الحديث رقم (٣٦٧٦) .

قال الطيبي :

" قوله :(فاقتلوا الآخر منهما) قال القاضي : قيل أراد بالقتل المقاتلة لأنها تؤدي إليه من حيث غايتها ، وقيل : أراد إبطال بيعته وتوهين أمره من قولهم : قَتَلْتُ الشرابَ إذا مَزَجْتَهُ بالماء ، ومنه قول حسان رضي الله عنه شعراً :

إنّ التي ناوَلْتَنِي فرددتُها ... قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتها لم تُقْتَلِ . " (١)

ويعقب على ما قاله القاضي بقوله :

" أقول : الأول من الوجهين يستدعي الثاني كأن الآخر منهما خارج على الأول باغٍ عليه ، فيجب المقاتلة معه حتى يفيء إلى أمر الله وإلا قتل ، فهو مجاز باعتبار ما يؤول إليه ، للحث على دفعه وإبطال بيعته وتوهين أمره " .

٢- عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، يبلغ (به) قال : (إذا ماتَ الميّتُ قالت الملائكةُ ما قدَّم ؟ ، وقال بنو آدم ما خَلَّف ؟)(٢) .

قال الطيبي :

" قوله : (مات الميت) من باب المجاز باعتبار ما يؤول إليه ، فإن الميت لا يموت بل الحي هو الذي يموت ، قال في الكشاف : (عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : إذا أرادَ أحدُكم الحجَّ فليعجلْ فإنه يمرض المريض وتضل الضالة .(٣) فسمى المشارف للمرض والضلال مريضاً وضالة)(٤) ، وعلى هذا يسمى المشارف للموت ميتاً ، وفائدته (٥) اهتمام شأن الملائكة بالأعمال ، أي ما قدم من عمل حتى يثاب عليه أو يعاقب عليه ، واهتمام الوارث بما ترك ليرثوه . "

---

(١) المرقاة ج ٧ ، ص (٢٠٧) ، وقوله قتلت الشراب .... الخ هو في الصحاح مادة (قتل) .

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان ، ومعنى :(يبلغ به) أي يرفعه للنبي - صلى الله عليه وسلم - ينظر: المشكاة ، ج ٣، ص (١٤٣٩) الحديث رقم (٥٢١٩) .

(٣) زاد في الكشاف : (وتكتف الحاجة) .

(٤) عبارة الكشاف كما وردت في : ج ١ ، ص (٣٥- ٣٦) هي :(فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال : قتيلاً ومريضاً وضالاً) . وهو مرفوع إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في مسند الإمام أحمد ، ج ١ ، ص (٢١٤) ، وقد ورد بلفظ : (تعرض الحاجة) ومرة :(تكون الحاجة) .

(٥) أي فائدة الحديث .

سادساً : الحالية :

المراد بهذه العلاقة ذكر الحال وإرادة المحل ، ومن أمثلتها عند الطيبي ما يلي:

١- عن عليِّ بن زيدٍ ، عن أُمَيَّةَ ، أنها سألتْ عائشةَ عن قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ :(وإِنْ تُبْدُوا ما في أَنْفُسِكُمْ أوتُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ)(١) وعن قوله :(مَنْ يَعْمَلْ سوءاً يُجْزَ بِهِ)(٢) ، فقالت : ماسألني عنها أحدٌ منذُ سألتُ رسولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم - فقال :(هذهِ مُعاتَبَةُ اللهِ العَبْدَ بما يُصِيبُهُ من الحُمّى والنَّكْبَةِ ، حتى البِضاعةِ يَضَعُها في يدِ قَميصِهِ ، فَيَفْقِدُها ، فَيُفْزَعُ لها ، حتى إنَّ العَبْدَ ليخرُجُ مِنْ ذُنوبِهِ كما يَخْرُجُ التِّبْرُ الأَحْمَرُ مِنَ الكِيرِ)(٣) .

قال الطيبي :

" قوله : (فيفقدها) يقال : فَقَدْتُ الشيءَ أَفْقِدُهُ فَقْداً ، أى طلبته بعد ما غاب(٤) ، قال الله تعالى :(ماذا تَفْقِدُونَ)(٥) ، والمراد بيد القميص كُمُّه تسمية للمحل باسم الحال ، يريد أن الرجل إذا وضع بضاعته في كُمٍّ ووهم أنها غابتْ فطلبها ، وفزع لذلك ، كفر به عنه ذنوبه ، وفيه من المبالغة ما لا يخفى " .

٢- جاء في قصة الحديبية أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - : (نزلَ بأَقْصَى الحُديبيةِ على ثَمَدٍ قَليلِ الماءِ)(٦) .

قال الطيبي :

" الثَمَدُ الماءُ القليلُ الذي لا مادَّةَ له واثَّمَدَ الرجلُ إذا ورد الثَمَدَ (٧) ، وسمي قوم صالح ثمودَ لنزولهم على ثمد (٨) ، والظاهر أنه أراد به محله على سبيل المجاز ليحسن وصفه بقليل الماء " .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٨٤) .

(٢) سورة النساء ، الآية (١٢٣) .

(٣) رواه الترمذى ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٩١) الحديث رقم (١٥٥٧) .

(٤) نحوه في (الصحاح) للجوهرى ، مادة (فقد) .

(٥) سورة يوسف ، الآية : (٧١) . والآية بتمامها :(قَالوا وأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذا تَفْقِدُونَ) .

(٦) من حديث طويل رواه البخارى عن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ ومروانُ بن الحَكَمِ ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١٨١- ١١٨٣) الحديث رقم (٤٠٤٢) .

(٧) كذا في الصحاح للجوهرى ، مادة (ثمد) .

(٨) في (الكشاف) ج ٢ ، ص (١٢٠) :(.. وقيل سميت ثمود لقلة مائها) .

سابعاً - المحلية :

المراد بهذه العلاقة ذكر المحل وإرادة الحال ، ومن أمثلتها عند الطيبي ما يلي:

١- عن ابن عباس ، قال : قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - :(إن الذي ليسَ في جَوْفِهِ شيءٌ منَ القرآنِ كالبيتِ الخَرِبِ)(١).

قال الطيبي :

" قوله :(ليس في جوفه شيء من القرآن) المراد بالجوف هنا القلب ، إطلاقاً لاسم المحل على الحال ، واستعمل حقيقة في قوله تعالى : (ما جعلَ اللهُ لِرَجُلٍ من قَلْبَيْنِ في جَوْفِهِ)(٢) ، واحتيج لذكره ليتم التشبيه له بالبيت ، مثل جوف الإنسان الخالي عما لا بد منه من التصديق والاعتقاد بالحق والتفكر في آلاء الله ومحبته ، بالبيت الخرب الخالي عما يعمره من الأثاث والتجمل ، وما قوامه به " .

٢- عن عُتْبَةَ بنِ عبدٍ السُّلَمِيِّ ، أنهُ سَمِعَ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (لا تَقُصُّوا نواصِيَ الخيلِ ولا معَارِفَها ...)(٣) .

قال الطيبي :

" قوله :(ولا معارفها) قال القاضي : أي شعور عنقها ، جمع عُرْف على غير القياس وقيل هي جمع مَعْرَفَة ، وهي المحل الذي ينبتُ عليها العُرْفُ فأطلقت على الأعراف مجازاً "(٤) .

---

(١) رواه الترمذي والدارمي ، وقال الترمذي :" هذا حديث صحيح " . ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٥٨) الحديث رقم (٢١٣٥) .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٤) .
(٣) من حديث رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١٣٩) الحديث رقم (٣٨٨٠).
(٤) ينظر : المرقاة ، ج ٧ ، ص (٣٢٢) .

٣- عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(ستكونُ فتنةٌ تستنظفُ العربَ ، قتلاها في النار ، اللسانُ فيها أشدُّ من وقعِ السيفِ)(١) .

قال الطيبي :
" قوله :(اللسان فيها أشد) أى القول والتكلم فيها ، إطلاقاً للمحل وإرادة الحال " .

٤- عن أبي هريرة ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : (ستكونُ فِتنةٌ صمَّاءُ بكماءُ عمياءُ ، من أشرفَ لها استشرفتْه ، وإشرافُ اللسانِ فيها كوقوعِ السيفِ)(٢) .

قال الطيبي :
" قوله :(إشراف اللسان) أى إطالته(٣) ، ومعنى هذا مثل معنى قوله :(اللسان فيها أشد من وقع السيف) على ما سبق " .
ولعل الأنسب أن تكون العلاقة في هذا الحديث والذى سبقه الآلية بدلاً من المحلية .

× × ×

(١) رواه الترمذى وابن ماجه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٨٧) الحديث رقم (٥٤٠١) .
(٢) رواه أبو داود ، ينظر : المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها حديث رقم (٥٤٠٢) .
(٣) في الصحاح ، مادة :(شرف) :
" أَشْرَفْتُ عليه ، أي : اطّلعتُ عليه من فوق ... ومَشَارِفُ الأرض : أعاليها "

ثامناً - إطلاق الخاص وإرادة العام :

هذه العلاقة أمثلتها قليلة ، ذكر الطيبي لها هذين المثالين :

١- قال عليه السلام في خطبة حجة الوداع :(فإنَّ دِماءَكم وأموالَكُمْ وأعراضَكم عليكم حرامٌ كَحُرْمَةِ يومِكُمْ هذا ، في بلدِكم هذا ، في شهرِكم هذا ، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فيسْأَلُكُمْ عن أعمالِكم ، فلا ترْجِعُوا بعدي ضُلالاً ، يضربُ بعضُكم رِقابَ بعضٍ)(١).

في الحديث يخاطب الرسول - صلى الله عليه وسلم - الصحابة الذين أمامه ، وليس الخطاب لهم وحدهم بل لجنس الأمة كلها بدليل قوله في آخر الحديث (فَلْيبلِّغْ الشاهدُ الغائبَ) ولذلك قال الطيبي :

" فينبغي أن يحمل على العموم ، وأن يقال : لا يظلم بعضكم بعضاً ، فلا تسفكوا دماءكم ، ولا تهتكوا أعراضكم ، ولا تستبيحوا أموالكم ، ونحوه أي في إطلاق الخاص وإرادة العام قوله تعالى :(إن الذينَ يأكلونَ أموالَ اليتامى ظُلْماً)(٢)" انتهى .

وقد لا يذكر الطيبي المصطلح البياني وإنما يذكر كلاماً يدل فحواه على هذا المصطلح كما فعل عند الحديث التالي :

٢- عن عبد الله بن مسعودٍ ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لا تذهبُ الدنيا حتى يملِكَ العربَ رجلٌ من أهلِ بيتي ...)(٣) .

قال الطيبي :

" قوله :(يملك العرب) لم يذكر العجم وهم مرادون أيضاً ، لأنه إذا ملك العرب واتفقت كلمتهم ، وكانوا يداً واحدة ، قهروا سائر الأمم " .

---

(١) من الحديث (٢٦٥٩) وقد سبق تخريجه ص (**١٦٥**) من الرسالة .

(٢) سورة النساء ، الآية (١٠) .

(٣) من حديث رواه الترمذي وأبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٠١) الحديث رقم (٥٤٥٢) .

تاسعاً - إطلاق العام وإرادة الخاص :

ذكر هذه العلاقة في مواضع عدة منها :

١- عن حارثةَ بن وهبٍ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(تَصدَّقُوا فإنه يأتي عليكمْ زمانٌ يمشي الرَّجلُ بصدقَتِهِ فلا يجدُ مَنْ يقبلُها ..)(١).

قال الطيبي :

" قوله :(يأتي عليكم زمان) الخطاب لجنس الأمة والمراد بعضهم ، كما في قوله تعالى :(ويقولُ الإنسانُ أَإِذا ما مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً)(٢) قال صاحب الكشاف :
(لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم ، صح إسناده إليهم جميعاً ، كما يقولون : بنو فلان قتلوا فلاناً ، وإنما القاتل رجل منهم)(٣) " .

٢- قال عليه الصلاة والسلام :(يا مَعْشَرَ يهودَ! أَسْلِموا تَسْلَمُوا ، اعلموا أن الأرضَ للهِ ولرسولِهِ ، وأني أُريدُ أن أُجْلِيَكُمْ من هذهِ الأرضِ ، فمن وجدَ منكمْ بمالِهِ شيئاً فليَبِعْهُ)(٤).

قال الطيبي :

" قوله :(تسلموا) من العام الذي خص منه البعض بقرينة الحال ، أي تسلموا من الإجلاء ، وفائدته أن أول ما يسلمون من الآفات هو الإجلاء ومفارقة الأوطان المألوفة التي هي أشد البلاء ، ومن ثم فسر قوله تعالى :(والفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ)(٥) بالإخراج من الوطن لأنه عقب بقوله :(وأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ)(٦)

---

(١) من حديث متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٨٤) الحديث رقم (١٨٦٦) .
(٢) سورة مريم ، الآية (٦٦) .
(٣) الكشاف ، ج ٣ ، ص (٣١) .
(٤) من الحديث (٤٠٥٠) وقد تقدم ص (٢٤٣) من الرسالة .
(٥) و (٦) سورة البقرة ، الآية (١٩١) .

وأنشد :

لقتل بحد السيف أهون موقعاً　　على النفس من قتلٍ بحد فراق"[١]

٣- عن أبي هريرة ، أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :(في الحَبَّةِ السَّوداء شفاءٌ من كلِّ داء ، إلا السَّامُ) قال ابن شهاب السَّام : الموت[٢].

قال الطيبي :

" قال الخطابي في أعلام السنن : وهذا من عموم اللفظ الذي يراد به الخصوص وليس يجمع في طبع شيء من النبات والشجر جميع القوى التي تقابل الطبائع كلها ، في معالجة الأدواء على اختلافها وتباين طبائعها ، وإنما أراد أنه شفاء من كل داء يحدث من كل من الرطوبة والبرودة والبلغم ، وذلك أنه حار يابس ، فهو شفاء بإذن الله تعالى للداء المقابل له في الرطوبة والبرودة ، وذلك أن الدواء أبداً بالمضاد ، والغذاء بالمشاكل "[٣] .

وعلق على كلام الخطابي قائلاً :

" أقول : ونظيره قوله تعالى في حق بلقيس :(وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شيءٍ ولها عَرْشٌ عظيم)[٤] وقوله تعالى :(تُدَمِّرُ كُلَّ شيءٍ)[٥] في الإطلاق وإرادة الخصوص " انتهى .

كما فسر الطيبي قوله تعالى عن العسل :(فيهِ شِفَاءٌ للنَّاسِ)[٦] على أنه من العام الذي أريد به الخاص فقال : " والآية على الخصوص ، أي : شفاء من بعض الداء

---

(١) هذا البيت هو في الكشاف ، ج ١ ، ص (٢٣٦) ، ولعله اقتبسه منه .

(٢) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٢٧٨- ١٢٧٩) الحديث رقم (٤٥٢٠) .

(٣) أعلام الحديث للخطابي ، ج ٣ ، ص (٢١١٢) .

(٤) سورة النمل ، الآية (٢٣) .

(٥) سورة الأحقاف ، الآية (٢٥) .

(٦) سورة النحل ، الآية (٦٩) .

ولبعض الناس وفي التنكير دلالة عليه "[١].

٤- قال عليه السلام في حديثه عن الدجال : (إنه خارج خَلَّةً[٢] بين الشام والعراق، فعاثَ يميناً وعاثَ شمالاً ، ياعبادَ اللهِ فاثبتوا)[٣].

قال الطيبي :

" قوله : (ياعباد الله) هذا من الخطاب العام ، أراد به من يدرك الدجال من أمته ، قيل : هذا القول منه استمالة لقلوب أمته ، وتنبيههم على ما يعاينونه من شر الدجال ، وتوطينهم على ما هم فيه من الإيمان بالله ، والاعتقاد به ، والتصديق بما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - " .

× × ×

---

(١) ذكر ذلك عند الحديث (٤٥٢١) من المشكاة .

(٢) قال القاري في المرقاة ، ج ١٠ ، ص (١٩٤) : " أي طريقاً واقعاً " .

(٣) من الحديث (٥٤٧٥) وقد تقدم تخريجه ص (١١٤) من الرسالة .

عاشراً - المجاورة :

المراد بهذه العلاقة تسمية الشيء باسم ما يجاوره ، ذكر الطيبي لها هذا المثال :

- عن أبي هريرةَ ، قال : أتيتُ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - بتمراتٍ ، فقلت يا رسولَ الله ! ادع اللهَ فيهنَّ بالبركةِ ، فضمَّهنَّ ، ثم دعا لي فيهن بالبركة ، قال[1]: (خُذْهُنَّ فاجعلْهنَّ في مِزْوَدِك[2] ...) . قال أبو هريرة :" فكنا نأكلُ منه ونُطعم ، وكانَ لا يفارقُ حَقْوي ..."[3] .

قال الطيبي :

" الحَقْوُ معقد الإزار ، وسمي الإزار به للمجاورة " انتهى .

قلت : ما ذكره الطيبي معروف قبله[4] فهو لم يأت بأمثلة جديدة لهذه العلاقة .

× × ×

---

(١) قال القاري في المرقاة ، ج ١١ ، ص (٢١٧) :" أي بطريق الاستئناف " .

(٢) المِزْوَد : وعاء الزاد . ينظر : المعجم الوسيط ، مادة :(زاد)

(٣) بإيجاز من حديث رواه الترمذي ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٦٦٨ - ١٦٦٩) الحديث رقم (٥٩٣٣) .

(٤) في أساس البلاغة، مادة (حقو): " حقو : شدَّ إزارَه على حَقْوِه ، أي على خصره . ورمى بحَقْوِهِ أي : بإزاره ، سمي باسم مَشَدّه " .

أحد عشر- الإطلاق والتقييد :

ذكر الطيبي لهذه العلاقة هذا المثال :

- عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنسُ بنُ مالكٍ ، عن أبي طلحةَ ، أنَّ نبيَّ اللهِ - صلى الله عليه وسلم- أمرَ يومَ بدْرٍ بأربعةٍ وعشرينَ رجلاً من صَناديدِ قريشٍ ، فقُذفوا في طَوِيٍ من أطواءِ بَدْرٍ خبيثٍ مُخبِثٍ (١) .

قال الطيبي :

" قال التوربشتي : فإن قيل : كيف التوفيق بين الطوى والقليب (٢) ، والقليب البئر التي لم تطو ؟. قلنا : يحتمل أن الراوي رواه بالمعنى ولم يدر أن بينهما فرقاً ، ويحتمل أن الصحابي حسب أن البئر كانت مطوية وكانت قليباً ، ويحتمل أن بعضهم ألقي في طوى وبعضهم في قليب "(٣).

بيد أن الطيبي لم يوافق على ما قاله التوربشتي ، فعرض رأياً آخر قائلاً :

" أقول : إنهم قد يطلقون على حقيقة مقيدة بقيد اسم الحقيقة التي هي غير مقيدة بها توسعاً في الكلام ، فإن المَرْسِن اسم لأنف فيه رَسَن ، وقد يطلق على أنف الإنسان ، وكذا المِشْفَر والجَحْفَلَة اسمان لشفتي البعير والفرس ، وقد يراد بهما شفة الانسان " انتهى .

قلت رأى الطيبي أقوم وأقرب ، لأنه قائم على علم البيان ، لا على الاحتمالات والظنون .

---

(١) من حديث متفق عليه ، ينظر: المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١٦٠- ١١٦١) الحديث رقم (٣٩٦٧).

(٢) يريد ما رواه عمرو بن ميمون عن عبد الله ، وفيه (... ثم سُحبوا إلى القليب، قليب بدر . ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأُتبعَ أصحابُ القليبِ لعنةً) . ينظر : فتح الباري ، ج ١ ، ص (٥٩٤) .

(٣) ينظر : المرقاة ، ج ٨ ، ص (١٠) .
والتعليق ، ج ٤ ، ص (٢٨٠) .

تعقيب :

إن العلاقات التي ذكرها الطيبي منها علاقات أساسية مذكورة في معظم كتب البلاغة ، وهذه العلاقات هي :

(السببية - المسببية - الجزئية - اعتبار مايكون - اعتبار ماكان - الحالية - المحلية)[١] وبعضها أقل شهرة ، مثل :(إطلاق الخاص وإرادة العام وعكسها) [٢] ، وقد اعتبرهما العلوى من علاقة تسمية " الكل باسم الجزء" وعكسها [٣] ، وتابعه السبكي حيث قال عند ذكره لعلاقات المجاز المرسل :

" ومنها مجاز إطلاق العام وإرادة الخاص ، ومثلوه بقوله :(وَحَسُنَ أولئكَ رَفِيقاً)[٤] ولا يتعين لأن لفظ رفيق يستعمل للواحد والجمع ، ثم هذا القسم هو من التعبير بالجزء عن الكل ، ومنها عكسه ، وهو أيضاً من مجاز إطلاق الكل على الجزء "[٥].

أما "المجاورة" فقد ذكرها ابن الأثير [٦] والعلوى [٧] والسيوطي [٨] وأما الخطيب فلم يشر إليها صراحة ، لكنه ذكر من أمثلة المجاز المرسل الرَّاوِيَة للمَزادة وهو

---

(١) ينظر : التلخيص ،للخطيب القزويني ، ص (٢٩٧- ٢٩٨) .
والإيضاح ، له أيضاً ، ج ٢ ، ص (٣٩٩- ٤٠٣) .
وشروح التلخيص ، ج ٤ ، ص (٣٢- ٤٢) .

(٢) ممن ذكرهما من المتقدمين : محمد بن علي الجرجاني ، في كتابه "الإشارات والتنبيهات" ، ص (٢٣٤) .

(٣) ينظر : الطراز ، ج ١ ، ص (٧١- ٧٢) .

(٤) سورة النساء ، الآية (٦٩) .

(٥) بإيجاز عن : شروح التلخيص " عروس الأفراح" ، ج ٤ ، ص (٤٣) .

(٦) ينظر : المثل السائر ، ج ٢ ، ص (٩٠) .

(٧) ينظر : الطراز ، ج ١ ، ص (٧٢).

(٨) ينظر : شرح عقود الجمان ، ص (٩٣) .

من مجاز المجاورة ، فكأنه استغنى بمثاله عن ذكرها [١].

ونأتي لعلاقة "الإطلاق والتقييد" فممن ذكرها : محمد بن علي الجرجاني عند ذكره للمجاز المرسل وقال :

" يطلق اسم المطلق على المقيد ، وبالعكس "[٢].

واعتبرها السبكي من التعبير بالجزء عن الكل ، وعكسه [٣].

تلك هي علاقات المجاز المرسل التي أوردها الطيبي ، وهنالك علاقات كثيرة غيرها لم ترد عنده ، فقد قال السبكي عن علاقات المجاز المرسل :

" وما ذكرناه أكثر من ثلاثين "[٤].

وقد أشار إلى بعض هذه العلاقات عدد من المؤلفين المعاصرين [٥] .

وبهذا يظهر أن الطيبي اكتفى بذكر أهم العلاقات المتصلة بهذا الموضوع وأشهرها مما يدل على أنه يسير مع ما هو مألوف عند جمهور البلاغيين ، ويبتعد عن الإغراب المتمثل بكثرة التقسيمات وتداخلها .

× × × ×

---

(١) ينظر : التلخيص ، ص (٢٩٦- ٢٩٧) .

وشروح التلخيص " عروس الأفراح " ، ج ٤ ، ص (٤٢- ٤٣) .

(٢) الإشارات والتنبيهات ، ص (٢٣٣) .

(٣) و (٤) شروح التلخيص " عروس الأفراح " ، ج ٤ ، ص (٤٣) .

(٥) ينظر : جواهر البلاغة للهاشمي ، ص (٢٩٢ - ٢٩٦) .

وعلوم البلاغة للمراغي ، ص (٢٣٠- ٢٣٤) .

- الفصل الثالث - .

- الاستعارة -

الاستعارة إحدى أنواع المجاز عند الإمام الطيبي ، ومفهوم الاستعارة عنده قائم على التشبيه ، فالتشبيه يكون عند ذكر طرفيه ، فإذا حذف أحدهما تكون الاستعارة ، مالم يكن المحذوف مقدراً .(١)

فالاستعارة عند الطيبي :" ذكر أحد طرفي التشبيه والمراد به الطرف الآخر "(٢) وهذا التعريف هو شطر من تعريف السكاكي للاستعارة ، فقد عرفها - رحمه الله - بقوله :" هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه ، وتريد به الطرف الآخر ، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به " (٣) .

وقد ذكر الطيبي أنواعاً من الاستعارات ، كما ذكر استعارات عامة لم يحدد أنواعها ، وبين قيمة الاستعارة ومزيتها الأدبية في بعض المواضع ، وسنتناول هذه الأمور بالتفصيل ضمن مباحث ثلاثة ، ثم نتناول في خاتمة باب المجاز مايسميه الطيبي بالادعاء .

---

(١) ينظر : ص (٥٦ - ٥٧) و ص (٣٢٦- ٣٢٧) و ص (٣٤٥) من الرسالة .

(٢) ينظر : ص (٥٩) من الرسالة .

(٣) مفتاح العلوم ، ص (١٧٤) .

- المبحث الأول : أنواع الاستعارات التي ذكرها الطيبي -

ذكر الطيبي بعض أنواع الاستعارات ، وهي :

(التصريحية - المكنية والتخييلية - التبعية - المرشحة - المجردة - اللفظية - التهكمية - التمثيلية) .

وسنتناول هذه الاستعارات بالتفصيل .

أولاً : الاستعارة التصريحية :

الاستعارة التصريحية عند الطيبي يطلق عليها اسم " الاستعارة المصرحة "(١) وهي ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه . وهذا ما ذهب إليه السكاكي بعبارة مقاربة عند تعريفه للاستعارة المصرح بها ، حيث قال :" والمراد بالأول - الاستعارة المصرح بها - هو أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به "(٢) .

ومن المواضع التي ذكر فيها الاستعارة التصريحية ما يلي :

١- قال عليه السلام لمعاذ :(ثكلتك أُمُّك يا معاذ ! وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوهِهم ، أو على مناخرهم ، إلا حصائدُ ألسنتهم ؟)(٣) .

قال الطيبي مبيناً الاستعارة في كلمة (الحصائد) وقرينة هذه الاستعارة : " (الحصائد) جمع حَصِيدَة ، فعيلة بمعنى مفعولة ، من حصد ، إذا قطع الزرع

---

(١) سماها السكاكي في (مفتاح العلوم) ص (١٧٦) :(الاستعارة المصرح بها) .

(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) من حديث رواه أحمد وغيره ، المشكاة ج١ ، ص١٦ ، الحديث (٢٩) ، وقد ورد هذا الجزء من الحديث في (المجازات النبوية) للشريف الرضي ، ص (١١٣- ١١٤) وقال :(.. وهذه من الاستعارات العجيبة) ، وأورده صاحب المثل السائر ، ينظر : ص (٨٠) من الرسالة .

وهذا من إضافة اسم المفعول إلى فاعله ، أي محصودات الألسنة ، فشبه ما تكلم به اللسان بالزرع المحصود بالمنجل ، فكما أن المنجل يقطع ، ولا يميز بين الرطب واليابس ، والجيد والرديء ، فكذلك لسان بعض الناس ، يتكلم بكل نوع من الكلام القبيح والحسن ، ثم حذف المشبه وأقيم المشبه به مقامه على سبيل الاستعارة المصرحة ، وجعل الإضافة قرينةً لها " .

أقول : يلاحظ أن الطيبي قام بتحليل الصورة البيانية تحليلاً جيداً ، وأبرز سر الاستعارة وجمالها في كلمة (حصائد) ، وهو مالم يفعله الزمخشرى هنا وهو من أئمة البيان ، فقد اكتفى بالقول : " الحصائد جمع حصيدة ، وهي ما يحصد من الزرع ، شبه اللسان وما يقتطع به من القول بحد المنجل وما يقطع به من النبات "[1] مما يدل على أن الطيبي كان ذا قدرة على فهم النصوص وسبر أغوارها صحيح أنه أفاد ممن سبقوه ، ولكن لمسات الإبداع قد نجدها مبثوثة حتى ببعض ماينقله ، فهو ينقل بإيجاز ، وقد يضيف ويمحص ، ثم يقرر ، ويبرز الصور الجميلة التي تعكس قدرة الرجل العلمية .

٢- قال عليه السلام :(..ألا سألوا إذا لم يعلَموا ، فإنما شفاءُ العيِّ السؤالُ)[2] .

قال الطيبي :

" العِيُّ عدم الضبط والبيان ، يقال : عَيِيَ بالأمرِ ، يعني إذا لم يضبطه ، وأعْيَا صاحبه مُعَايَاة ، إذا ألقى عليه كلاماً أو علماً لا يُهتدَى لوجهه ."[3]

استعار الشفاء لمعنى الإزالة استعارة مصرحة ، واستعار العي للمرض على المكنية[4] ، وفيه مطابقة معنوية ، لأنه قوبل العي بعدم العلم ، والمقابل

---

(١) الفائق ، ج ١ ، ص (٢٨٧) . ويلاحظ أن الزمخشري جعل الاستعارة مكنية .

(٢) من حديث رواه أبو داود عن جابر ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (١٦٥- ١٦٦) ، الحديث رقم (٥٣١) ، وقد ورد في المجازات النبوية ، ص (٣٤٢) .

(٣) ينظر : (الصحاح) مادة (عيي) .

(٤) العي من لوازم المرض وتوابعه ، ولذلك كانت الاستعارة مكنية هنا .

الحقيقي للعي الإطلاق ، وللجهل العلم " .

٣- في حديث رواه عبد الله بن عمر عن النبي -صلوات الله وسلامه عليه - ذكر فيه الفتن ومنها فتنة الدُّهيماء ، فقال :(... ثُمَّ فتنةُ الدُّهَيماء لا تدعُ أحداً من هذه الأمةِ إلا لطَمَتْهُ لطمةً ، فإذا قيل : انقضتْ تمادت ، يصبحُ الرجلُ فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، حتى يصيرَ الناسُ إلى فُسْطاطين : فُسْطاطُ إيمانٍ لا نفاق فيه وفُسْطاطُ نفاقٍ لا إيمان فيه ، فإذا كان ذلك فانتظروا الدجالَ من يومهِ أو من غده)[١] .

يردد الطيبي قوله -عليه الصلاة والسلام - (فسطاط الإيمان) بين المبالغة والاستعارة التصريحية ، فيقول :

" قال في النهاية :" والفسطاط بالضم والكسر المدينة التي فيها مجتمع الناس وكل مدينة فسطاط "[٢] وإضافة الفسطاط إلى الإيمان إما بجعل المؤمنين نفس الإيمان مبالغة ، وإما بجعل الفسطاط مستعاراً للكنف والوقاية على المصرحة. أي : هم في كنف الإيمان ووقايته " .

ونلاحظ أنه جعل التشبيه المحذوف الوجه والأداة هنا بين التشبيه والاستعارة .

٤- عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - :(يُحشَرُ الناسُ على ثلاث طرائق : راغبين ، راهبين ، واثنانِ على بعيرٍ ، وثلاثةٌ على بعيرٍ ، وأربعةٌ على بعيرٍ ، وعشرةٌ على بعيرٍ ، وتحشرُ بقيتَهم النارُ ، تقيلُ معهم حيثُ قالوا وتبيت معهم حيثُ باتوا ، وتصبح معهم حيث أَصْبَحوا ، وتمسي معهم حيث أمسوا)[٣] .

---

(١) من حديث رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٨٧) الحديث رقم (٥٤٠٣) .

(٢) النهاية ، ج ٣ ، ص (٤٤٥) .

(٣) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٣٣- ١٥٣٤) ، الحديث رقم (٥٥٣٤) .

قال الطيبي :

« لا نسلم أن الحشر المذكور يراد به في القيامة ، لقوله :(تحشر بقيتهم النارُ) فإن النار هي الحاشرة ، فلو أريد ذلك المعنى لقيل : إلى النار ، ولقوله :(تقيل معهم حيث قالوا) فإنه جملة مستأنفة بيان للكلام السابق ، فإن الضمير في (تقيل) راجع إلى النار الحاشرة ، وهو من الاستعارة المصرحة التبعية ، فيدل على أن النار لم يرد بها النار الحقيقية ، بل هي نار الفتنة ، كما قال تعالى :(كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلحَرْبِ أَطفأَها اللهُ)(١) ولأن هذه القيلولة هي المرادة في قوله :(إنها ستكونُ هجرةٌ بعد هجرةٍ ، فخيارُ الناسِ إلى مُهاجَرِ إبراهيم) إلى قوله :(تحشرهم النارُ مع القِرَدَةِ والخنازير ، تبيتُ معهم إذا باتوا ، وتقيل معهم إذا قالوا)(٢) وقال - صلى الله عليه وسلم - : (ستخرجُ نارٌ من نحو حضر موتَ أو من حضر موت تحشرُ الناسَ) قلنا : يارسول الله! فما تأمرنا؟ . قال :(عليكم بالشام)(٣)» .

× × ×

---

(١) سورة المائدة ، الآية (٦٤) .

(٢) من حديث رواه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، ينظر : المشكاة ج ٣ ، ص (١٧٦٧) الحديث رقم :(٦٢٦٦) .

(٣) رواه الترمذي عن عبد الله بن عمر ، ينظر : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص : (١٧٦٦ـ ١٧٦٧) الحديث رقم :(٦٢٦٥) .

ثانياً : الاستعارة المكنية :

لم أجد تعريفاً محدداً لهذه الاستعارة عند الطيبي ، وبالتأمل فيما ذكره وجدت أن مفهوم الاستعارة المكنية عند الطيبي هو : " ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه " . وهذا المفهوم قريب من كلام الفخر الرازي الذي عرف الاستعارة بالكناية بقوله : " هذا إنما يكون إذا لم يصرح بذكر المستعار، بل ذكر بعض لوازمه تنبيهاً به عليه "[١] والفخر الرازي أول من ذكر اصطلاح الاستعارة بالكناية [٢] .

ومذهب الجمهور أنها : " لفظ المشبه به المستعار في النفس للمشبه ، المحذوف المرموز إليه بإثبات لازمه للمشبه "[٣] ويلاحظ أن الجمهور اشترطوا إثبات لازم المشبه به للمشبه ، وهذا ما لم يذكره الفخر في تعريفه لهذه الاستعارة[٤].

ويجوز عند الطيبي أن تكون بعض صور الاستعارات المكنية من باب المجاز العقلي أيضاً ، وهو بهذا يخالف السكاكي الذي يقول عند خاتمة فصل المجاز العقلي: " هذا كله تقرير للكلام في هذا الفصل بحسب رأي الأصحاب من تقسيم المجاز إلى لغوي وعقلي ، وإلا فالذي عندي هو نظم هذا النوع في سلك الاستعارة بالكناية "[٥] فالسكاكي ينكر المجاز العقلي ويصنفه في مبحث الاستعارة بالكناية ، بينما يثبت

---

(١) نهاية الإيجاز ، ص (١٢٤- ١٢٥) .
(٢) ينظر : " البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري " للدكتور محمد أبي موسى ص (٤١٦) .
(٣) علم البيان للدكتور يوسف البيومي ، ص (١٨٠- ١٨١) .
(٤) أطلق العلماء على إثبات لازم المشبه به للمشبه اسم الاستعارة التخييلية وهي قرينة للمكنية ، وقد ذكر الفخر الرازي الاستعارة التخييلية في كتابه: نهاية الإيجاز ص (١١٥- ١١٦) بيد أنه لم ينص عليها في تعريف المكنية .
(٥) مفتاح العلوم ، ص (١٨٩) .

الطيبي المجاز العقلي تبعاً للشيخ عبد القاهر والزمخشري ، ويردد بعض الصور البيانية بين المجاز العقلي والاستعارة المكنية ، ولعل سبب ذلك أن الاستعارة المكنية تلتبس بالمجاز العقلي ، ولذلك " رأينا السكاكي يدخل صوره في الاستعارة المكنية "(١) وكذلك نجد الخطيب - وقد فرق بين المجاز العقلي والاستعارة بالكناية - يعتبر أن الاستعارة المكنية تشتمل على المجاز العقلي كما يظهر من حديثه في علم البيان ، وإلى ذلك أشار السبكي قائلاً :
" لم يتعرض المصنف للتفاوت بين أنواع الاستعارة ، والذي يظهر أن الاستعارة بالكناية أبلغ من التصريحية ، وبه صرح الطيبي ولا إشكال فيه على رأي السكاكي فإنها كالجامعة بين الاستعارة والكناية ، وأما على رأى المصنف فإن وافق على ذلك كان هذا وارداً عليه في قوله :إن المجاز أبلغ من الحقيقة وإن الاستعارة أبلغ من التشبيه لأن الاستعارة بالكناية عند المصنف تشبيه وحقيقة لا مجاز ، إلا أن يقول إن الاستعارة بالكناية إنما كانت أبلغ لاشتمالها على المجاز العقلي ، كما اقتضاه كلام المصنف في هذا الباب ، لا كما اقتضاه كلامه في علم المعاني حين تكلم على المجاز العقلي ."(٢).

وقد جعلنا الحديث عن الاستعارة المكنية في ثلاث فقرات تتناول أمثلة من هذه الاستعارة ، وأمثلة لالتباسها بالمجاز العقلي ، وأمثلة لقرينتها "الاستعارة التخييلية" .

وهذه أول هذه الفقرات :

---

(١) ينظر : التصوير البياني للدكتور محمد أبي موسى ، ص (٣٠٢) .
(٢) شروح التلخيص " عروس الأفراح" ، ج ٤ ، ص (٢٨١- ٢٨٢) .

أ ـ من الأمثلة التي ذكر فيها الاستعارة المكنية ما يلي :

١ـ جاء في حديث عنه عليه الصلاة والسلام وهو يتحدث عن الخيل :
(ونواصِيهَا معقودٌ فيها الخيرُ)(١).

قال الطيبي :

" قوله :(معقود فيها الخير) قد سبق(٢) أنه من الاستعارة المكنية لأن الخير ليس بمحسوس حتى تعقد عليه الناصية ، فكيف جعله محسوساً ههنا ونهى عن قطعها؟. يقال : إنهم قد يدخلون المعقول في جنس المحسوس ويحكمون عليه بما يحكم على المحسوس مبالغة في اللزوم ، قال :

ويصعد حتى يظنَّ الجهولُ　　بأَنَّ لَهُ حاجةً في السماءِ(٣)

وقال الآخر :

هي الشمسُ مَسْكنها في السماءِ　　فعزِّ الفؤادَ عَزاءً جميلاً
فلن تستطيعَ إليها الصُّعودَ　　ولن تستطيعَ إليكَ النزولا"(٤)

---

(١) من الحديث (٣٨٨٠) ، وقد تقدم تخريجه ص (٥٩) من الرسالة .
(٢) يريد ما أورده عند الحديث رقم (٣٨٦٧) وسيأتي ص (٩٩) من الرسالة .
(٣) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ، ج ٤ ، ص (٣٤) .
وذكر بلفظ : ويصعد حتى لظن الجهول　　أن له منزلاً في السماء
وورد في "أسرار البلاغة" ، ص (٢٧٩) .
والكشاف ، ج ١ ، ص (٧٧) .
ومفتاح العلوم ، ص (١٨٢) .
والتلخيص ، ص (٣٢٠) .
(٤) ديوان العباس بن الأحنف ، ص (٢٤٨) .
وأسرار البلاغة ، ص (٢٨٤) .
ومفتاح العلوم ، ص (١٨٣) .
والتلخيص ، ص (٣٢١) .

٢- سبق أن ذكرنا قوله عليه الصلاة والسلام :(... ثم فتنةُ الدُّهَيماء لا تدعُ أحداً من هذه الأمة إلا لَطَمَتْهُ لطمةً ...)(١).

قال الطيبي :

" قوله (ثم فتنة الدهيماء) قال في النهاية : هي تصغير الدَّهماء ، يريد الفتنة المُظْلِمَة ، والتصغيرُ فيها للتعظيم ، وقيل : أراد بالدهيماء الداهية ، ومن أسماء الداهية الدُّهَيْم ، زعموا أن الدُّهَيْم اسم ناقة غزا عليها سبعةُ إخوة ، فقتلوا عن آخرهم ، وحملوا عليها حتى رجعت بهم ، فصارت مثلاً في كل داهية ، واللطم هو الضرب بالكف . (٢).

أقول : وهو استعارة مكنية ، شبه الفتنة بإنسان ، ثم خيل لإصابتها الناس اللطم الذي هو من لوازم المشبه به ، وجعله قرينة لها " .

ب - من صور التباس الاستعارة المكنية بالمجاز العقلي ما يلي :

١- عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (هل تَدْرونَ من أجودُ جُوداً ؟) قالوا : اللهُ ورسولهُ أعلمُ ، قال :(اللهُ تعالى أَجْوَدُ جُوداً ، ثم أنا أَجْوَدُ بني آدمَ ، وأَجْوَدُهُمْ من بَعْدِي رجلٌ عَلِمَ عِلْماً فَنَشَرَهُ ، يأتي يومَ القيامة أميراً وَحْدَهُ ، أو قال : أُمَّةً واحِدَةً)(٣) .

قال الطيبي :

" جوداً تمييز مزال عن الأصل وفيه وجهان :

أحدهما : أن أجود أفعل من الجَوْدَة ، أي : أحسن جوداً وأبلغه .

---

(١) من الحديث (٥٤٠٣) وقد تقدم تخريجه ص (٧٧) من الرسالة .
(٢) ينظر : النهاية ، ج ٢ ، ص (١٤٦) ، وج ٤ ، ص (٢٥١)
(٣) رواه البيهقي في " شعب الإيمان " وأبو يعلى ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٨٦) الحديث رقم (٢٥٩) .

وثانيهما : أنه من الجود : الكرم ، أي من الذى جوده أجود؟، فيكون إسناداً مجازيا كما في قولك : (جَدَّ جده) ، أو استعارة مكنية ، شبه جوده بإنسان يصدر منه الجود ، ثم خيل أنه إنسان جواد بعينه ، ثم نسب إليه ما يلازمه من الجود مبالغة لكماله في صاحبه ، وعليه قوله تعالى :(يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَو أَشَدَّ خَشيةً)(١) الضمير في أشد للخشية لا للناس لأن أفعل إذا نصب ما بعده كان غير الذى قبله كقولك : (زيد أفره عبداً) فالفراهة للعبد لا لزيد " .

٢ ـ عن شداد بن أوس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في صلاته : (اللهم إني أسألكَ الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ، وأسألك قلباً سليماً ، ولساناً صادقاً ، وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم) .(٢)

قال الطيبي :

" قوله :(لساناً صادقاً) إسناد (صادقاً) إلى الضمير مجازي ، لأن الصدق من صفة صاحبه ، فأسند إلى الآلة مبالغة ، كما أسند وضع الأوزار إلى الحرب في قوله تعالى :(حتى تَضَعَ الحربُ أَوْزارَها)(٣) وهو للمحارب(٤). ويجوز أن يكون استعارة مكنية ، بأن شبه اللسان بمن ينطق بالصدق لكثرة صدوره عنه ، ثم أدخل اللسان على سبيل الادعاء مبالغة في جنس المشبه به، وخيل أنه هو ، ثم أثبت للمستعار ما يلازم المشبه به من الصدق ، ونسب

---

(١) سورة النساء ، الآية (٧٧) .

(٢) رواه النسائي ، وروى أحمد نحوَه ، ينظر : المشكاة ، ج ١، ص (٣٠١) الحديث رقم (٩٥٥) .

(٣) سورة محمد ، الآية (٤) .

(٤) قال الزمخشرى في الكشاف :" وقيل : أوزارها آثامها : يعني حتى يترك أهل الحرب.هم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا " ينظر : ج ٤ ، ص (٣١٧) قلت وهذا دليل يؤكد ما ذهب إليه الطيبي .

إليه ليكون قرينة مانعة من إرادة الحقيقة " .

٣- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (شرُّ ما في الرجلِ شُحٌّ هَالِعٌ ، وجُبْنٌ خالعٌ)(١) .

يشرح الطيبي مفردات الحديث قائلاً :

" قال التوربشتي : الشح بخل مع الحرص ، فهو أبلغ في المنع من البخل ، فالبخل يستعمل في الضِّنَّةِ بالمال ، والشح في سائر ما تمتنع النفس عن الاسترسال فيه من بذل أو مال أو معروف أو طاعة ، والهُلَعُ أفحش الجزع ، وهَلِعَ بالكسر فهو هَلِعٌ وهَلُوع ، ومعناه أنه يجزع في شحه أشد الجزع على استخراج الحق منه ، وقوله (شح هالع) أي ذو هلع ، كما يقال : يوم عاصف وليل نائم ، ويحتمل أيضاً أن يقول (هالع) لمكان (خالع) للإزدواج " .

ويعقب على كلام التوربشتي بقوله :

" أقول : يحتمل أن يحمل على الإسناد المجازى ، فيسند الشح إلى ما هو مسند الى صاحبه مبالغة ، وعلى الاستعارة المكنية ، بأن يشبه الشح بإنسان ، ثم يوصف بما يلازم الإنسان من الهلع ، والهلع ما فسره الله تعالى ، سئل أحمد بن يحيى عن الهلوع فما زاد على ما فسره الله تعالى من قوله :(إذا مَسَّهُ الشرُّ جَزُوعاً × وإذا مَسَّهُ الخيرُ مَنُوعاً)(٢)." .

---

(١) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٨٦) ، الحديث رقم (١٨٧٤) ، وأورد نحوه بلفظ مختلف الشريف الرضي في كتابه (المجازات النبوية) ص (١٩٦) وقال : (قوله عليه الصلاة والسلام (أو جبن خالع) مجاز : أي يخلع قلب الجبان ..) .

(٢) سورة المعارج ، الآيتان (٢٠- ٢١) وكلام أحمد بن يحيى في الكشاف ، ج ٤ ، ص (٦١٢) .

ثم يشرح الطيبي قوله عليه الصلاة والسلام :(وجبن خالع) فيقول :

" قال في النهاية : أي شديد كأنه يَخْلَعُ فؤاده من شدة خَوْفه ، وهو مجاز عن الخَلْع ، والمراد به ما يَعْرِضُ من نوازِع الأفكار وضَعْفِ القلب عندَ الخوف "(١)

ويعقب على كلام صاحب النهاية مشيراً خلال ذلك إلى أحد أقسام المجاز العقلي باعتبار طرفيه فيقول :

" أقول : الفرق بين وصف الشح بالهلع ، والجبن بالخلع ، هو أن الهلع في الحقيقة لصاحب الشح ، فأسند إليه مجازاً ، فهما حقيقتان (٢) ، لكن الإسناد مجازي . وليس كذلك الخلع ، إذ ليس مختصاً بصاحب الجبن حتى يسند إليه مجازاً ، بل هو وصف للجبن لكن على المجاز ، حيث أطلق وأريد به الشدة وإلى هذا المعنى ينظر قول التوربشتي :(ويحتمل أن يقول هالع لمكان خالع للازدواج) أي المشاكلة . " .

٤- في حديث رواه حذيفة وقد سأل فيه النبي صلى الله عليه وسلم عن تعاقب الخير والشر ويقول في آخره : قلت : هل بعد هذا الخير من شر؟. قال:(فتنةٌ عمياءُ صمَّاءُ عليها دعاةٌ على أبواب النار ، فإن مُتَّ يا حذيفة! وأنت عاضٌّ على جَذْلٍ خيرٌ لك مِنْ أن تتبعَ أحداً منهم)(٣) .

قال الطيبي ناقلاً عن القاضي :

" قوله :(فتنة عمياء صماء) قال القاضي : المراد بكونها عمياء صماء ، أن

---

(١) ج ٢ ، ص (٦٥) .

(٢) للمجاز العقلي باعتبار طرفيه أقسام ، فهما إما حقيقتان ، نحو :" أنبت الربيع البقل " أو مجازان ، نحو :" أحيا الأرضَ شبابُ الزمان " . أو مختلفان نحو :" أنبت البقلَ شبابُ الزمان" . ينظر : الإيضاح ، ج ١ ، ص (١٠٣) .

(٣) من حديث رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٨٤- ١٤٨٥) الحديث رقم (٥٣٩٦) .

تكون بحيث لا يرى منها مخرج ، ولا يوجد دونها مستغاث ، أو أن يقع منها الناس على غِرّة من غير بصيرة ، فيعمون فيها ، ويصمون عن تأمل الحق واستماع النصح "(١)

ثم عقب على كلام القاضي بقوله :

" أقول : الوجه الأول : من الاستعارة المكنية ، شبه الفتنة في كونها لا مخرج عنها ، ولا مستغاث منها ، بامرأة عمياء صماء ، ثم نسب إليها ما هو من لوازم المشبه به .

والوجه الثاني : من الإسناد المجازى ، لأن الفتنة ليست عمياء صماء ، بل صاحبها هو الأعمى والأصم ، فأسند إليها لكونها سبباً فيهما ، ووصف الصاحب بالعمى والصمم ليس على الحقيقة ، لأن المراد منه صممه عن استماع الحق ، وعماه عن النظر إلى الدلائل " .

٥- عن علي - رضي الله عنه - قال :(ما كنا نُبْعِد أن السكينةَ تنطقُ على لسانِ عمر)(٢) .

قال الطيبي :

" يحتمل وجهين : أحدهما : أن يكون إسناداً مجازياً ، وذلك أن نزول السكينة لما كان سبباً لنطقه بالحق أسنده اليها .

وثانيهما : أن يكون استعارة مكنية ، شبه السكينة بمتكلم يفصح عن الحق تشبيهاً بليغاً كما تقرر(٣) ثم خيل لها ما به قوام المتكلم في الإفصاح من النطق ، ونسب إليها ليكون قرينة مانعة لإرادة الحقيقة ، ونظيره في الوجهين قوله تعالى :(ذلكَ نَتْلُوهُ عليكَ من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ)(٤) . قال في الكشاف :

---

(١) ينظر : المرقاة ، ج ١٠ ، ص (١٢٦) .

(٢) رواه البيهقي في " دلائل النبوة" ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٧٠٤) الحديث (٦٠٣٥)

(٣) من المبالغة ، وليس من التشبيه البلاغي المصطلح عليه باسم التشبيه البليغ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية (٥٨) .

(الذكر الحكيم : القرآن ، وصف بصفة من هو سببه ، أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه)[١] انتهى كلامه ، يعني الضمير في الحكيم راجع إلى القرآن، فإسناد الحكيم إليه مجازي ، وذلك أن قائله لما كان حكيماً وصف بصفته ، أو شبه القرآن بالشخص الذى ينطق بالحكمة ، فأثبت له النطق على الاستعارة المكنية .

فإن قلت : ما محل قوله على (لسان عمر) وما موقعه؟ قلت : محله الحال ، وموقعه موقع الترشيح من الاستعارة، كما في قول من قال شعراً :

جلالك يا خير الملوك مساعياً ... على منبر المجد المؤثل يخطب[٢]

وقول الآخر :

على منبر العلياء جدُّك يخطب ... وللبلدة العذراء سيفك يخطب[٣] ".

ج - الاستعارة التخييلية :

الاستعارة التخييلية عند الطيبي هي قرينة للاستعارة المكنية ، وهذا ما عليه جمهور البلاغيين ، فهما متلازمتان ، لا توجد إحداهما بدون الأخرى ، إذ لا بد للاستعارة من قرينة .

قال الخطيب القزويني :" قد يضمر التشبيه في النفس ، فلا يصرح بشيء من أركانه سوى المشبه ، ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به ، فيسمى التشبيه استعارة بالكناية ، أو مكنياً عنها ، وإثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخييلية "[٤] .

وقد علق السبكي على كلام الخطيب بقوله :" وعلم منه أن الاستعارة بالكناية لا توجد دون الاستعارة التخييلية ، وأما عكسه فظاهر كلام المصنف أنه كذلك ،

---

(١) ج ١ ، ص (٣٦٧) .
(٢) لم تهتد لقائله .
(٣) عزاه ابن قيم الجوزية في كتابه " الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان" ص (١٣٩) إلى أبزون العماني .
(٤) التلخيص ، ص (٣٢٦) . والإيضاح ، ج ٢ ، ص (٤٤٤) .

فلا توجد التخييلية دون المكنية "(١).

وقال السعد التفتازاني :" الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية فعلان من أفعال المتكلم متلازمتان ، إذ التخييلية يجب أن تكون قرينة للمكنية البتة ، والمكنية يجب أن تكون قرينتها تخييلية البتة "(٢).

وقد ذكر الطيبي الاستعارة التخييلية في مواضع منها :

١- عن أنس ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وجدَ بهنَّ حلاوةَ الإيمان: من كان اللهُ ورسولُه أحبَّ إليهِ مما سواهما ومن أحبَّ عبداً لا يُحِبُّهُ إلا للهِ ، ومن يَكْرَهُ أن يعودَ في الكُفْرِ بعد أن أنقذَهُ اللهُ مِنْهُ كما يكره أن يُلقى في النارِ)(٣).

قال الطيبي :

" (حلاوة الإيمان) استعارة ، شبهت شدة رغبة المؤمن في إيمانه بشيء ذي حلاوة ، وأثبت له لازم ذلك الشيء وأضيف له على التخييلية " .

والأدق أن تكون (حلاوة الايمان) من إضافة المشبه به إلى المشبه، من سلك التشبيه البليغ .

٢- عن العباس بن عبد المطلب ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

(ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَنْ رضيَ باللهِ ربّاً ، وبالإسلامِ ديناً ، وبمحمدٍ رسولاً)(٤).

قال الطيبي :

" أقول : مجاز قوله :(ذاق طعم الإيمان) كمجاز قوله :(وجد بهنَّ حلاوة الإيمان) وكذلك موقعه كموقعه ، لأن من أحب أحداً يتحرى مراضيه ، ويؤثر رضاه على رضا نفسه ، ومقام الرضا عند أهل العرفان مقام جليل " .

---

(١) شروح التلخيص " عروس الأفراح" ، ج ٤ ، ص (١٥٣- ١٥٤) .

(٢) المصدر السابق " مختصر السعد" ، ج ٤ ، ص (١٥٦- ١٥٧) .

(٣) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (١٠- ١١) الحديث رقم (٨) .

(٤) رواه مسلم ، ينظر : المصدر السابق ، ج ١ ، ص (١١) الحديث رقم (٩) .

٣ـ قال عليه السلام لمعاذ :(ألا أَدُلُّكَ على أبواب الخير؟. الصومُ جُنَّةٌ، والصدقة تُطفِئُ الخطيئةَ كما يُطفئُ الماءُ النارَ ...)(١) .

قال الطيبي :

" قوله (الصدقة تطفئ الخطيئة) أصله تذهب الخطيئة ، لقوله تعالى :(إن الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيئاتِ)(٢) . ثم في الدرجة الثانية تمحو الخطيئة لقوله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر :(اتق اللهِ حيثما كُنْتَ، وأَتْبِعِ السيئة الحسنة تمحها)(٣) أي السيئة المثبتة في صحيفة الكرام الكاتبين ، وإنما قدرت الصحيفة بقرينة تمحو ، ثم في الدرجة الثالثة تطفئ الخطيئة لمقام الحكاية عن المباعدة عن النار ، فلما وضع الخطيئة موضع النار على الاستعارة المكنية أثبت لها على سبيل الاستعارة التخييلية ما يلازم النار من الإطفاء ليكون قرينة مانعة لها من إرادة الحقيقة من الخطيئة . وأما قوله تعالى :(إنما يأكلونَ في بطونِهِمْ ناراً)(٤) فمن إطلاق اسم المسبب على السبب ، وأما معنى إذهاب السيئة بالحسنة إذا كانت بين العبد وبين الله تعالى فظاهر ، وأما إذا كانت بينه وبين العبد ، فإنه إذا عمل حسنة تدفع تلك الحسنة يوم القيامة إلى خصمه عوضاً عن مظلمة .

---

(١) من الحديث رقم (٢٩) وقد سبق تخريجه ص(٢٧٠) من الرسالة .
وقد أورد بعضه الشريف الرضي في كتابه " المجازات النبوية" ، ص(١٣٣ـ ١٣٥)
وذهب الشريف إلى أن قوله عليه السلام :(الصوم جنة) استعارة ، وقوله :
(الصدقة تطفئ الخطيئة) استعارة أخرى .
قلت : لا ريب أن قوله :(الصوم جنة) هو تشبيه وليس استعارة .

(٢) سورة هود ، الآية (١١٤) .

(٣) من حديث رواه أحمد ، والترمذي ، والدارمي ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص(١٤٠٩)
الحديث رقم (٥٠٨٣) .

(٤) سورة النساء ، الآية (١٠) .

فإن قلت : هل يلزم على هذا التقرير أن لا يكون الصوم أقوى حالاً في المباعدة من النار ، لأن الجُنَّةَ أي الستر من دون إطفاء النار؟.
قلت : العكس أولى ، لأن الجنة مانعة من صدور الخطيئة التي هي سبب النار ، والصدقة لا تمنع وإنما تطفئ الخطيئة الحاصلة " .

٤- عن ابن عباس ، قال :(تدارسُ العلم ساعةً من الليل خيرٌ من إحْيائها)(١).

قال الطيبي :
" شبه الليل بالميت الذي لا يحيا ، وأثبت له الإحياء على الاستعارة التخييلية ثم كنى عنه بصلاة التهجد ، لأن في قيام الليل كل نفع للقائم فيه ، ومن نام فقد فقد نفعاً عظيماً ، قال تعالى :(تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ) إلى قوله :(فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قُرَّةِ أَعْيُنٍ جزاءً بما كانوا يَعملونَ)(٢) نكر (نفس) وأوقعها في سياق النفي ، ونفى عنها دراية ما ادخر للمتعبدين من السرور (يعني نوعًا عظيماً من الثواب ادخر الله لأولئك ، وأخفاه من جميع خلائقه ، فلا تعلم النفوس كلهن ، ولا نفس واحدة منهن ، ولا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل)(٣) ، فإذا كان ثواب التهجد هذا ، فما ظنك بثواب التدارس الذي الساعة منه أفضل من إحيائها؟. " .

٥- عن عبد الله بن مغفَّل ، قال : جاء رجلٌ إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-فقال : إني أُحبُّك . قال :(انظرْ ما تقول) . فقال : والله إني لأُحبُّك ، ثلاث مرَّات. قال :(إن كنتَ صادقاً فأعدَّ للفقرِ تجْفافاً ، للفقرُ أسرعُ إلى من يحبُّني من السيلِ إلى منتهاه)(٤).

(١) رواه الدارمي ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٨٥) الحديث رقم (٢٥٦) .
(٢) سورة السجدة ، الآيتان (١٦- ١٧) .
(٣) مقتبس من الكشاف ، ج ٣ ، ص (٥١٢) .
(٤) رواه الترمذي ، وقال :" هذا حديث حسن غريب" ينظر: المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٤٥) الحديث رقم (٥٢٥٢) .

قال الطيبي :

" قال في المغرب : التَّجْفافُ شيء يلبس على الخيل عند الحرب ، كأنه درع تفعال من جف لما فيه من الصلابة واليبوسة ".(١)

أقول :(انظر ما تقول) أي رمت أمراً عظيماً ، وخطباً خطيراً ، فتفكر فيه ، فإنك توقع نفسك في خطر ، وأي خطر يستهدفها غرضاً لسهام البلايا والمصائب؟. فهذا تمهيد لقوله :(فأعدَّ للفقرِ تجْفافاً) فاستعير للصبر وتحمل المشاق التجفاف على الاستعارة التخييلية ، وشبه الفقر بالقِرْنِ(٢) الذي له سهام وأسنة ، وأخرجه مخرج الاستعارة المكنية ، والقرينة الاستعارة التخييلية. يريد رشقه بالبلايا ، وطعنه بالمصائب ، فيعد له من الصبر والقناعة والرضا تجفافاً ، ثم ترقى منه إلى الاستعارة بالسيل ، دلالة على أن تلك البلايا والمصائب لاحقة به بسرعة كالسيل إلى منتهاه ، فلا خلاص له ولا مناص ، هذا على مقتضى قوله -صلى الله عليه وسلم - :(المرءُ معَ مَنْ أحبَّ)(٣) وقوله في جواب من سأل : أي الناس أشد بلاء؟. فقال :(الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل)(٤) وهو سيد الأنبياء ، فيكون بلاؤه أشد من بلائهم ، وفيه أن الفقر أشد البلايا " انتهى .

---

(١) كتاب المغرب في ترتيب المعرب ، لأبي الفتح المطرزي ، ص (٨٥) مادة (جف) .

(٢) هكذا في جميع المخطوطات ، وفي المعجم الوسيط ، في مادة (قرن) :
(القَرْنُ من القوم سيِّدُهم ، ومن السَّيف والنَّصل حدُّهُما) .

(٣) متفق عليه عن ابن مسعود ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٩٥) الحديث رقم (٥٠٠٨) .

(٤) من حديث رواه الترمذي عن مصعب بن سعد عن أبيه ، وقال :" هذا حديث حسن صحيح " ، ينظر : الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ، ج ٤ ، ص (٥٢٠) .

٦- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :(تقيءُ الأرضُ أفلاذ كَبِدِها أمثالَ الأُسطُوانةِ من الذهبِ والفضَّةِ)(١).

ينقل الطيبي عن القاضي شرح بعض ألفاظ الحديث وعباراته فيقول :

" قوله (تقيء الأرض) قال القاضي معناه : أن الأرض تلقي من بطنها ما فيه من الكنوز ، وقيل ما رسخ فيه من العروق المعدنية ، ويدل عليه (أمثال الأسطوانة) وشبهها بالأكباد حباً ، لأنها أحب ما هو مخبأ فيها ، كما أن الكبد أطيب ما في بطن الجزور وأحبه إلى العرب ، وبأفلاذها هيئة وشكلاً فإنها قطع الكبد المقطوعة طولاً ، وقد حكي عن ابن الأعرابي أنه قال : الفِلْذَةُ لا تكون إلا للبعير "(٢) .

كذلك ينقل عن ابن الأثير قوله :

" سمى ما في بطن الأرض قِطعاً تشبيهاً وتمثيلاً ، واستعار القيء للإخراج "(٣).

ثم يبين الطيبي الاستعارة في قوله -عليه الصلاة والسلام- :(أفلاذ كبدها) فيقول :

" قوله :(أفلاذ كبدها) استعارة مكنية مستلزمة للتخييلية ، شبه الأرض بالحيوان ، ثم خيل لها ما يلازم الحيوان من الكبد ، فأضاف إليها الكبد على التخييلية ، ليكون قرينة مانعة من إرادة الحقيقة ، ثم فرع على الاستعارة القيء ، ترشيحاً لها "

× × ×

---

(١) من الحديث رقم (٥٤٤٤) وقد تقدم تخريجه ص (٧٦) من الرسالة ، وذكر نحوه الشريف الرضي ، ينظر ص (٥) من الرسالة .

(٢) ينظر : المرقاة ، ج ١٠ ، ص (١٦٦- ١٦٧) .

(٣) النهاية ، ج ٣ ، ص (٤٧٠) .

ثالثاً : الاستعارة التصريحية التبعية :

يظهر أن الاستعارة التبعية عند الطيبي هي التي يكون فيها اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسماً مشتقاً أو فعلاً ، وهذا المفهوم نستخلصه من خلال الأمثلة التي ذكرها الطيبي . وهو مقتبس مما قاله البلاغيون ، فقد عرفها السكاكي بقوله : " هي ما تقع في غير أسماء الأجناس كالأفعال ، والصفات المشتقة منها ، وكالحروف بناء على دعوى أن الاستعارة تعتمد التشبيه ، والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفاً ، والأفعال والصفات المشتقة منها والحروف عن أن توصف بمعزل ، فهذه كلها عن احتمال الاستعارة في أنفسها بمعزل ، وإنما المحتمل لها في الأفعال ، والصفات المشتقة منها مصادرها ، وفي الحروف متعلقات معانيها ، فتقع الاستعارة هناك ثم تسري فيها "(١).

ومن تعريف السكاكي اقتبس البلاغيون تعريفهم لهذه الاستعارة(٢).

ومن أمثلة هذه الاستعارة عند الطيبي ما يلي :

١ـ عن عُبادةَ بنِ الصامتِ ، قال : قالَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (خمس صلواتٍ افترضهنَّ اللهُ تعالى ، من أَحْسنَ وضوءَهنَّ ، وصلَّاهنَّ لوقتهنَّ ، وأتمَّ ركُوعَهنَّ وخُشُوعَهنَّ ، كانَ لهُ على اللهِ عهدٌ أن يغفرَ له ، ومنْ لم يفعلْ فليسَ له على اللهِ عهدٌ ، إنْ شاءَ غفرَ له ، وإن شاء عذبه)(٣) .

---

(١) مفتاح العلوم ، ص (١٨٠) .
(٢) ينظر : التلخيص ، ص (٣١٤) .
والإيضاح ، ج ٢ ، ص (٤٢٩) .
والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، ص (٢٢١) وقد سماها (استعارة فرعية) .
وشرح عقود الجمان للسيوطي ، ص (٩٥) .
(٣) رواه أحمد وأبو داود ، وروى مالك والنسائي نحوه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (١٨٠) الحديث رقم (٥٧٠) .

يقول الطيبي ناقلاً عن القاضي :

" قوله (كان له على الله عهد) قال القاضي : شبه وعد الله بإثابة المؤمنين على أعمالهم بالعهد الموثوق به الذي لا يخالف ، ووكل أمر التارك إلى مشيئته تجويزاً لعفوه ، وأنه لا يجب على الله تعالى شيء ، ومن ديدن الكريم محافظة الوعد والمسامحة في الوعيد (١) " .

ويبين الطيبي كلام القاضي من الناحية البيانية فيقول :

" أقول : أراد أن العهد ههنا مستعار للوعد على سبيل التبعية ، ولذلك علق به قوله :(أن يغفر) بحذف الباء ، كما يقال وعد بكذا .
وفائدة الاستعارة المبالغة في إنجاز الوعد وإيفائه ، فإن خلف الوعد كنقض العهد ، فلا يجوز ذلك ولا سيما من الكرام ، هذه المبالغة في جانب الوعد ، وأما في جانب الوعيد فجيء بأن مقارنة بها المشيئة ، ليؤذن بالمسامحة والتساهل في الوعيد " انتهى .

أقول : العهد مصدر ، وليس فعلاً ولا مشتقاً ، فقوله أنه مستعار للوعد على سبيل التبعية خطأ ، والصواب أنه استعارة تصريحية أصلية .

٢ ـ عن سليمان بن صُرَدٍ ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
(مَنْ قَتَلَهُ بطنُهُ لم يعذَّبْ في قبرِه)(٢).

قال الطيبي :

" قوله :(من قتله بطنه) هو من الاستعارة التبعية ، كما في قول الشاعر :

---

(١) ينظر : التعليق ، ج ١ ، ص (٢٦٦) .
(٢) رواه أحمد والترمذي ، وقال هذا حديث غريب ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٩٥) الحديث رقم (١٥٧٣) .

× قتلَ البخلَ وأحْيا السَّماحا ×[١]

شبه ما يلحق المبطون من إزهاق نفسه به كما تزهق النفس بالمُحَدَّداتِ ونحوها ، والقرينة نسبة القتل إلى البطن " انتهى .

أقول : في قوله :" والقرينة نسبة القتل إلى البطن " إشارة إلى النسبة إلى الفاعل ، وهي إحدى قرائن الاستعارة التبعية .

٣- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

(دبَّ إليكم داءُ الأممِ قبلَكم)[٢] .

قال الطيبي :

" قوله (دبَّ إليكم) قال في النهاية : نَقَلَ الداء من الأجْسام إلى المعاني ومن أمر الدنيا إلى أمر الآخرة "[٣] .

وعقب على ما سبق بقوله :

" أقول : وكذا الدب يستعمل في الأجسام ، فاستعير للسراية على سبيل التبعية " .

---

(١) من بيت لابن المعتز ، وصدره : × جُمِعَ الحقُّ لنا في إمام ×
وهو في ديوانه ص (١٣٣) .
وفي أسرار البلاغة ، ص (٥٠) .
ومفتاح العلوم ، ص (١٨١) .
والتلخيص ، ص (٣١٦) .
والإيضاح ، ج ٢ ، ص (٤٣١) .
قال في معاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص (١٤٧) : " الشاهد فيه : مدار قرينة الاستعارة التبعية على المفعول ، فإن القتل والإحياء الحقيقيين لا يتعلقان بالبخل والجود " .

(٢) من الحديث رقم (٥٠٣٩) وقد تقدم ص (٥٦) من الرسالة .

(٣) النهاية ، ج ٢ ، ص (١٤٢- ١٤٣) .

٤- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(لا تغبطنَّ فاجراً بنعمة ، فإنك لا تدرى ما هو لاقٍ بعدَ موتِه ، إنَّ له عندَ اللهِ قاتلاً لا يموت) يعني النار[1] .

قال الطيبي :

" قوله :(يعني النار) تفسير عبيد الله بن أبي مريم راوي أبي هريرة ، كذا في شرح السنة[2] ، وسماها قاتلاً على الاستعارة التبعية ، شبه عذابها بقتل القاتل ، ثم سرى من المصدر إلى اسم الفاعل ، نحو قول الشاعر :

× قتلَ البخلَ وأحيا السَّماحا ×[3]

وقوله :(لا يموت) عبارة عن لا يخمد ، فيكون ترشيحاً للاستعارة " .

× × ×

---

(١) رواه البغوى في شرح السنة ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٤٥) الحديث رقم (٥٢٤٨) .

(٢) شرح السنة ، ج ١٤ ، ص (٢٩٥) .

(٣) تقدم ص (٢٩٠) من الرسالة .

رابعاً : الاستعارة المرشحة :

يرى الطيبي أن الاستعارة المرشحة هي التي ذكر معها ما يلائم المستعار منه، وهو بهذا يسير مع ركب البلاغيين (١).

فإذا كان المذكور استعارة أخرى ، عندئذٍ تكون كالترشيح للأولى .

ومن أمثلة هذه الاستعارة ذكر الطيبي ما يلي :

١- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :
(بدأَ الإسلامُ غريباً ، وسيَعودُ غريباً كما بدأ ، فطوبى للغُرباءِ)(٢) .

قال الطيبي :

" أقول : لا يخلو إما أن يستعار الإسلام للمسلمين ، فالغربة هي القرينة ، فيرجع معنى الغربة والوحشة إلى نفس المسلمين ، وإما أن يجري الإسلام على الحقيقة ، فالكلام فيه التشبيه ، والوجه الوحدة والوحشة باعتبار ضعف الإسلام وقلته ، فعلى هذا (غريباً) إما حال ، أي بدأ الاسلام مشابهاً للغرباء ، أو مفعول مطلق ، أي الإسلام ظهر ظهور الغرباء حين بدأ فريداً وحيداً لا مأوى له ، حتى تبوأ دار الإيمان يعني طيبة ، فطوبى له فطاب عيشاً ، ثم أتم الله نوره فانبث في الآفاق ، فبلغ مشارق الأرض ومغاربها ، فيعود في آخر الأمر فريداً وحيداً

---

(١) ينظر :
نهاية الإيجاز ، ص (١٢٤) .
ومفتاح العلوم ، ص (١٨٢) .
والتلخيص ، ص (٣١٨) .
والإيضاح ، ج ٢ ، ص (٤٣٣) .
والإشارات والتنبيهات ، ص (٢٢٣) .
والطراز ، ج ١ ، ص (٢٣٦) وقد سماها الموشحة .

(٢) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٦) الحديث رقم (١٥٩) .
وقد أورده الشريف الرضي ، وأشرنا إلى ذلك ص (٤-٥) من الرسالة .

شريداً إلى طيبة كما بدأ ، فطوبى له ولهفي عليه ، كما ورد :(إن الإيمان ليأرِزُ إلى المدينة كما تأرِزُ الحيةُ إلى جُحْرها)[١] فعلى هذا (طوبى) ترشيح للاستعارة ، والله أعلم ".

٢- عن بلال بن الحارث المُزَنِيّ ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -:
(من أَحْيا سُنّةً من سنّتي قد أُمِيتَتْ بعدي ، فإنَّ له من الأجرِ مثلَ أُجُورِ من عَمِلَ بها من غيرِ أن يَنْقُصَ من أجورِهِمْ شيئاً)[٢].

قال الطيبي :
" قوله :(أحيا) استعير للعمل بها ، وحث الناس عليها ، و (أميتت) استعارة أخرى لما يقابلها من الترك ومنع الناس بإقامتها ، وهي كالترشيح للاستعارة الأولى " .

٣- عن جابر ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - :
(من عادَ مريضاً ، لم يزلْ يَخُوضُ الرحمةَ حتى يجلِسَ ، فإذا جلسَ اغْتمسَ فيها)[٣].

قال الطيبي :
" قوله (يخوض الرحمة) شبه الرحمة بالماء ، إما في الطهارة ، أو في الشيوع والشمول ، ثم نسب إليها ما هو منسوب إلى المشبه به من الخوض ، ثم عقب الاستعارة بالانغماس ترشيحاً " .

٤- عن عائشة ، رضي الله عنها ، أن بعضَ أزواجِ النبي صلى الله عليه وسلم قُلْنَ

---

(١) رقم الحديث (١٦٠) وقد تقدم ص(٤١) من الرسالة .
(٢) من حديث رواه الترمذي ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص(٥٩) الحديث رقم (١٦٨).
(٣) رواه مالك وأحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص(٤٩٧) الحديث رقم (١٥٨١) .

للنبي - صلى الله عليه وسلم - : أَيُّنا أَسرعُ بكَ لُحوقاً ؟. قال :(أَطْوَلُكُنَّ يداً) فأخذوا (١) قصبةً يَذْرَعُونَها ، وكانت سَوْدَةُ أَطْوَلَهُنَّ يداً ، فَعَلِمْنَا بَعْدُ أنما كانَ طولُ يَدِها الصَّدَقَةَ ، وكانتْ أَسرَعَنا لحوقاً به زينبُ ، وكانت تحبُّ الصدقةَ)(٢)

قال الطيبي :

" قولها (فعلمنا بعد) تعني فهمنا من قوله :(أطولكن يداً) ابتداء ظاهره ، فأخذنا لذلك قصبة نذرع بها يداً بيد ، لننظر:أينا أطول يداً ؟ . فلما فطننا بمحبتها الصدقة ، وعلمنا أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يرد باليد العضو وبالطول طولها ، بل أراد العطاء وكثرته ، أجريناه على الصدقة ، فاليد هنا مستعارة للصدقة(٣) ، والطول ترشيح لها ، لأنه ملائم للمستعار منه ، ولو قيل :(أكثركن) لكان تجريداً لها " .

أقول : التحقيق أن اليد ههنا مجاز مرسل علاقته السببية ، ويكون قوله : (أطولكن) ترشيحاً للمجاز ، حسب ما ذكر الخطيب (٤).

---

(١) قال الطيبي :" الظاهر فأخذن ، وعدل إلى أخذوا تعظيماً ،كما في قوله تعالى : (وكانتْ من القانِتينَ) " سورة التحريم ، الآية (١٢) " .
وقول الشاعر : × فإن شئت حرمت النساء سواكم × " انتهى .
ونقل هذا الكلام القارى في المرقاة ، ج ٤ ، ص (١٩١) .
والشاهد في الكشاف ، ج ١ ، ص (٢٩٤) وفي ج ٢ ، ص (٣٨٣) وفي ج ٣ ، ص (٢٠٢) ومنسوب إلى العرجي (عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان) .

(٢) رواه البخارى ، ورواه مسلم بلفظ آخر ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٨٦) الحديث رقم (١٨٧٥) .

(٣) قال عبد القاهر في أسرار البلاغة ، ص (٣٣٠) :" أطولكن يداً ، يريد السخاء والجود وبسط اليد بالبذل " . وهو أجمل من قول الطيبي :" فاليد مستعارة للصدقة " لأن مَنْ طبعه الكرم ينفق في كل مجالات الخير ، وتدخل الصدقة في هذا الإنفاق دخولاً أولياً .

(٤) ينظر : الإيضاح ، ج ٢ ، ص (٣٩٨) .

٥- عن عائذ بن عمرو ، قال : سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (إنَّ شرَّ الرِّعاءِ الحُطَمَةُ)(١) .

قال الطيبي :

" قال في النهاية : الرِّعاء بالكسر والمد جمعُ راع ، كتجار جمع تاجر ، الحطمة هو الذى يُعَنِّفُ الإبل في السَّوْق والإيراد والإصدار فيحطمها ، ضربه مثلاً للوالي السَوْء(٢).

أقول : لما استعار للوالي والسلطان لفظ الراعي ، أتبعه بما يلائم المستعار منه من صفة الحطم ، فالحطمة ترشيح لاستعارة الراعي لهم .

قال القاضي : المراد بالحطمة الفظ القاسي ، الذى يظلم الرعية ولا يرحمهم ، من الحَطْمِ وهو الكسر ، وقيل الأكول الحريص الذي يأكل ما يرى ويقضمه ، فإن مَنْ هذا دأبه يكون دنيئاً في النفس ، ظالماً بالطبع ، شديد الطمع بما في أيدي الناس(٣)" .

٦- قال عليه السلام :(... وإنَّهُ مَنْ خرجَ من الجماعةِ قِيدَ شِبْرٍ فقدْ خلَعَ رِبْقَةَ الإسلامِ من عُنُقِهِ إلا أن يُراجِعَ)(٤).

قال الطيبي :

" قال القاضي : الرِّبْقُ بالكسر حبل فيه عدة عرى تشد به البُهْمُ ، الواحدة من

---

(١) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص(١٠٩٠) الحديث رقم (٣٦٨٨) .
(٢) النهاية ، ج ١ ، ص(٤٠٢) و ج ٢ ، ص(٣٣٥) .
(٣) ينظر : المرقاة ، ج ٧ ، ص(٢١٢) .
(٤) من حديث رواه أحمد والترمذى عن الحارث الأشعرى ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص(١٠٩١- ١٠٩٢) الحديث رقم (٣٦٩٤) ، وأورد بعضه الشريف الرضي في المجازات النبوية ، ص(٢٠١) بلفظ : (من خالف الجماعة فقد خلع ..) وقال : " وهذه استعارة " .

تلك العرى رِبْقَة[١] ، شبه ذمة الإسلام وعهده بالربقة التي تجعل في أعناق البهائم ، من حيث أنه يقيده فيمنعه أن يتخطى حدود الله ويرتع مراتع حرماته . والمعنى أن من فارق الجماعة بترك السنة ، وارتكاب البدعة ، ولو بشيء يسير نقض عهد الاسلام ، ونزع اليد عن الطاعة .[٢]

أقول : لما شبه -صلوات الله عليه- الإمام بالراعي ، وسوء مراعاته الرعية بالحطمة في قوله -صلى الله عليه وسلم- : (إن شر الرعاء الحطمة) ضرب في هذا الحديث مثلاً للرعية بالبهم التي جمعها الربق في سلك واحد ، فرشح الاستعارة بالقيد والشبر ، وإنما قيل (أن يراجع) على صيغة المفاعلة دون يرجع إما مبالغة ، وإما أن يكون رجوعه من الجماعة ومن الخارج عنهم " .

٧- عن أنس ، قال : كان للنبي حادٍ يقال له : أنجشةُ ، وكانَ حَسَنَ الصَّوْتِ ، فقال له النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- : (رُويدَكَ يا أنجشةُ لا تكسرِ القواريرَ) قال قتادةُ : يعني ضعفةَ النساءِ .[٣]

قال الطيبي ناقلاً عن ابن الأثير :

" قوله (القوارير) قال في النهاية : أراد به النساء ، شُبِّهْنَ بالقوارير من الزجاج ، لأنه يُسْرِعُ إليها الكسر ، وكان أَنْجَشَةُ يحدو وينشد القريض والرجز ، فلم يأمن أن يصيبهن[٤] أو يقع في قلوبهن حُدَاؤُه ، فأمر بالكف عن

---

(١) كذا في الصحاح ، مادة (ربق) .

(٢) بعض الكلام في النهاية ، ج ٢ ، ص (١٩٠) . مما يدل على أن من مراجع القاضي كتاب " النهاية " لابن الأثير .
وبعضه في المرقاة ، ج ٧ ، ص (٢١٦) دون أن ينسبه للقاضي .

(٣) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٥٥) الحديث رقم (٤٨٠٧) . ونحوه في المجازات النبوية ، ص (٣٥) بلفظ : " يا أنجشة رفقاً بالقوارير " وقال الشريف : " وهذه استعارة عجيبة " .

(٤) لعل الصواب أن يُصْبِيَهُنَّ ويقع في قلوبهن وذلك للنص على المعنى الثاني مقابلاً للمعنى الأول .

ذلك ، وفي المثل : (الغناء رُقْيَة الزنا) .

وقيل : أراد أن الإبل إذا سَمِعت الحُداء أَسْرعتْ في المشي واشتدت به ، فأزعجت الراكب ، وأَتْعَبَتْهُ ، فنهاه عن ذلك لأن النساء يَضْعُفْنَ عن شدة الحركة ، وواحدة القَوارير قارُورَة ، سُمِّيَتْ بها لاسْتقْرار الشراب فيها "(١).

وعقب على كلام ابن الأثير مشيراً إلى الاستعارة وقرينتها الحالية والترشيح قائلاً :

" أقول : القوارير استعارة ، لأن المشبه غير مذكور ، والقرينة حالية لا مقالية ، والكسر ترشيح لها ، ولما كانت الاستعارة مسبوقة بالتشبيه قال : شبههن ... إلى آخره .. " .

٨- عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(ما تجرَّعَ عبدٌ أفضل عند الله عز وجل من جُرْعَةِ غيظٍ يكظمها ابتغاءَ وجهِ الله تعالى)(٢).

قال الطيبي :

" قوله :(يكظمها) في أساس البلاغة :(كظَم القربةَ ملأها وسدَّ رأسها ، وكظم الباب سده ، ومن المجاز كظَم الغيظَ وعلى الغيظ) . انتهى كلامه(٣) ، يريد أنه استعارة من كظم القربة ، وقوله (جرعة غيظ) استعارة أخرى كالترشيح لها " انتهى .

أقول : يلاحظ أن الطيبي دقيق في قوله :" استعارة أخرى كالترشيح لها "إذ لم

---

(١) النهاية ، ج ٤ ، ص (٣٩) .

(٢) رواه أحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤١٥) الحديث رقم (٥١١٦) .

(٣) أساس البلاغة للزمخشري ، مادة (كظم) . وينظر : الكشاف ، ج ١ ، ص (٤١٥) .

يجعل الاستعارة الثانية ترشيحاً للأولى لأن هذا ممتنع عند الزمخشري ، يقول الدكتور محمد أبو موسى :" والترشيح عنده - أي الزمخشري - لا يكون استعارة فإذا أجريت فيه الاستعارة ، أخرجته من أن يكون ترشيحاً ، وهذا كلام مصيب "(١)

قلت لما كان الطيبي متأثراً بالزمخشري تأثراً كبيراً لم يقل إن الاستعارة الثانية هي ترشيح للأولى ، وإنما جعلها كالترشيح لها .

٩- عن عائشة ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :(ياعثمان! إنَّهُ لعلَّ اللهَ يُقَمِّصُك قميصاً ، فإن أرادوكَ على خَلْعِهِ فلا تَخْلَعْهُ لهم)(٢) .

قال الطيبي :

" قوله (يقمصك قميصاً) استعارة القميص للخلافة ، ورشحها بقوله (فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم) .

قال في أساس البلاغة : ومن المجاز قَمَّصَهُ الله وَشْيَ الخلافة ، وتَقَمَّصَ لباس العز (٣) ...." .

× × ×

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، ص (٤٢٢) .

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٧١٥) الحديث رقم (٦٠٦٨) .

(٣) أساس البلاغة للزمخشري ، مادة (قمص) .

خامساً : الاستعارة المجردة :

التجريد عند الطيبي هو ذكر ما يلائم المستعار له[١]، وهذا رأي البلاغيين أيضاً [٢]، وقد ذكر الطيبي التجريد في مواضع قليلة منها ما قاله عند الحديث الآتي :

- عن جرير بن عبد الله ، قال : رأيتُ رسولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَلْوي ناصيَةَ فرسٍ بأصبعِهِ ، ويقول :(الخيلُ معقودٌ بنَواصِيها [٣] الخيرُ إلى يومِ القيامةِ: الأَجْرُ والغَنيمةُ)[٤] .

قال الطيبي :

" قوله :(معقود) : قال في النهاية : أي مُلازمٌ لها كأنهُ معقودٌ فيها [٥]

أقول : ويجوز أن يكون الخير المفسر بالأجر والغنيمة استعارة مكنية، شبهه لظهوره وملازمته بشيء محسوس معقود بخيل على مكان رفيع ، ليكون منظوراً للناس، ملازماً لنظره ، فنسب الخير إلى لازم المشبه به ، وذكر الناصية تجريداً للاستعارة " .

---

(١) ينظر : ص (٩٤) وص (٣٠٨) من هذه الرسالة .

(٢) ينظر : نهاية الإيجاز ، ص (١٢٤)
ومفتاح العلوم ، ص (١٨٢)
والتلخيص ، ص (٣١٧) والإيضاح ، ج ٢ ، ص (٤٣٢)
والإشارات والتنبيهات ، ص (٢٢٢- ٢٢٣) ، والطراز ، ج ١ ، ص (٢٣٦) .

(٣) الناصِيَةُ : مُقدَّمُ الرأسِ ، وشعر مقدَّم الرأسِ إذا طال .
ينظر : المعجم الوسيط ، مادة (نصاه) .

(٤) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١٣٦) الحديث رقم (٣٨٦٧). وبعضه في المجازات النبوية ، ص (٤٩) وقال الشريف الرضي :(وهذا القول مجاز ، لأن الخير في الحقيقة ليس يصح أن تعقد به نواصي الخيل) .

(٥) النهاية ، ج ٣ ، ص (٢٧١) .

سادساً : الاستعارة اللفظية :

ذكر الطيبي الاستعارة اللفظية وأشار إليها بإيجاز ، وقد أشار إليها قبله الشيخ عبد القاهر عند ذكره الاستعارة غير المفيدة (١) فذكر أمثلة لها وسماها استعارة من طريق اللفظ ، وأشار إلى أنها تجري بين الأسماء التي تتحد أجناس مسمياتها كالشفة للإنسان ، والجَحْفَلَة للفرس ، والمِشْفَر للبعير ، ونبه إلى أن هذه الدقائق في الفروق قد تكون معتبرة في هذا التصرف فتكون استعارة مفيدة كإطلاق المشفر على الشفة الغليظة في مقام الذم ، ثم رجع في آخر كتاب الأسرار فذكر أنه يضن بإطلاق اسم الاستعارة على هذا النوع قائلاً : " واعلم أن الواجب كان أن لا أعد وضع الشفة موضع الجَحْفَلَة ، والجَحْفَلَة في مكان المِشْفَر ، ونظائره التي قدمت ذكرها في الاستعارة ، وأضن باسمها أن يقع عليه ، ولكني رأيتهم قد خلطوه بالاستعارات ، وعدوه معدها ، فكرهت التشدد في الخلاف ، واعتددت به في الجملة ، ونبهت على ضعف أمره بأن سميته استعارة غير مفيدة "(٢)

ثم جاء الزمخشري فذكر هذه الاستعارة " ونبه إلى أنها تدور بين أسماء هذه الأجناس ، ولم يضف إليها شيئاً ، لأن صورها أثر تصرف لفظي ، ليس وراءه اعتبارات بلاغية يراعيها المتكلم ، فهي أشبه بالعمل اللغوي منه بالعمل الأدبي "(٣).

وقد وردت الاستعارات اللفظية عند الطيبي في مواضع منها :

١- عن زيد بن خالد الجُهَني ، أنه قال : (لأَرْمُقَنَّ صلاةَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الليلةَ ...)(٤) .

---

(١) ينظر : أسرار البلاغة ، ص (٢٩- ٣٤) .

(٢) المصدر السابق ، ص (٣٧٣) .

(٣) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، ص (٤٢٥) .

(٤) من حديث رواه مسلم ، ينظر: المشكاة ، ج ١ ، ص (٣٧٥) الحديث رقم (١١٩٧) .

قال الطيبي :

" قوله (لأرمقن) قال في النهاية : الرَمْقُ : النظر إلى الشيء شزْراً نظر العداوة (١) .

أقول : فاستعير ههنا لمطلق النظر ، كما استعير المرسن وهو أنف فيه رسن لمطلق الأنف " .

٢- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - :

(مثلُ المؤمنِ كمثلِ الزرعِ لا تزالُ الريحُ تُمَيِّلُهُ ، ولا يزالُ المؤمنُ يُصيبُهُ البلاءُ ومثلُ المنافِقِ كمثلِ شَجَرَةِ الأَرْزَةِ لا تَهْتَزُّ حتى تُستحصدَ)(٢) .

قال الطيبي :

" قوله (حتى تستحصد) : الحصاد إنما يستعمل في الزروع والكلأ ، واستعماله في الشجر إما استعارة لفظية ، كالمِشْفَرِ للشفة ، أو معنوية ، شبه قلع شجر الصنوبر أو الأرزة في سهولته بحصاد الزرع ، فدل على سوء خاتمة الكافر " انتهى .

أقول : الوجه الثاني أفضل وأقوم ، لأن الاستعارة المعنوية فيها نكتة بلاغية ذكرها الطيبي ، وهذه النكتة غير موجودة في الاستعارة اللفظية ، ولا شك أن الوجه الثاني أليق ببلاغة النبي الأكرم -صلى الله عليه وسلم - .

٣- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - :

(يا نساءَ المسلماتِ ! لا تَحْقِرَنَّ جارةٌ لجارَتِها ولوْ فِرْسِنَ شاةٍ)(٣) .

---

(١) النهاية ، ج ٢ ، ص (٢٦٤) .

(٢) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٨٧) الحديث رقم (١٥٤٢) .

(٣) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٩٣) الحديث رقم (١٨٩٢) .

قال الطيبي :

" الفِرْسِنُ عظم قليل اللحم ، وهو خف البعير كالحافر للدابة ، وقد يستعار للشاة ، فيقال : فِرْسِن شاة(١) ، والذي للشاة هو الظِّلْفُ ، والنون زائدة وقيل أصلية "(٢) .

٤- عن أبي هريرة ، قال : خرجتُ مع رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - في طائفةٍ منَ النهارِ حتى أتى خِبَاء فاطِمةَ ...(٣).

قال الطيبي :

" قال النووي :(في طائفة من النهار) المراد به قطعة منه ،و(خباء فاطمة) بكسر الخاء المعجمة وبالمد أي : بيتها (٤). أقول : هو من المجاز على نحو استعمال المِشْفَر والجَحْفَلَة على الشفة والمَرْسِن على الأنف " انتهى .

قلت : يلاحظ أنه ذكر الاستعارة اللفظية تحت اسم المجاز ، والمجاز أعم من الاستعارة .

× × ×

(١) كلام الطيبي يوافق ما ذهب إليه عبد القاهر في "أسرار البلاغة" عند ذكره لهذه الاستعارة ، ينظر : ص(٥٩- ٦٠) من الأسرار .
(٢) كأنه استوحى كلامه من الصحاح ، من مادة (فرسن) ومادة (ظلف).

(٣) من حديث متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص(١٧٣٣) الحديث رقم(٦١٣٤).
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٥ ، ص(١٩٣) .

سابعاً : الاستعارة التهكمية :

مفهوم الاستعارة التهكمية عند الطيبي ما نزل فيها التضاد منزلة التناسب لأجل التهكم والاستهزاء ، وقد أطلق الزمخشري على هذا النوع اسم (العكس في الكلام)(١) وهي إحدى صور الاستعارة العنادية عند البلاغيين(٢) ، ومن أمثلة الاستعارة التهكمية عند الطيبي ما يلي :

١- جاء في حديث رواه أبو هريرة عنه عليه الصلاة والسلام وهو يتحدث عن كيفية قبض الأرواح :(فإذا كان الرجلُ السَّوْءُ ، قال : اخرجي أيتها النفسُ الخبيثةُ كانتْ في الجسدِ الخبيثِ ، اخرُجي ذميمةً ، وأبشري بحميمٍ وغسَّاقٍ)(٣).

قال الطيبي :

" قوله :(وأبشري بحميم وغساق) وضع موضع أنذري على سبيل الاستعارة التهكمية ، كقوله تعالى :(فبشرهمْ بعذابٍ أليمٍ)(٤) " .

---

(١) ينظر : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، للدكتور محمد أبي موسى ، ص (٤٢٦) .

(٢) ينظر :
التلخيص ، للخطيب القزويني ، ص (٣٠٩) .
والإيضاح ، للخطيب أيضاً ، ج ٢ ، ص (٤١٩- ٤٢٠) .
والإشارات والتنبيهات ، للجرجاني ، ص (٢١٥) .
وشرح عقود الجمان ، للسيوطي ، ص (٩٤) .

(٣) من حديث رواه ابن ماجه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥١٠- ٥١١) الحديث رقم (١٦٢٧) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية (٢١) .

٢- عن معاذ ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :
(أستعيذُ بالله من طَمَعٍ يهدي إلى طَبَع)(١).

قال الطيبي :

" قوله (من طمع يهدي) : قال القاضي :" الهداية الإرشاد إلى الشيء والدلالة عليه ، ثم اتسع فيه فاستعمل بمعنى الإدناء من الشيء والإيصال إليه ، والطَّبَعُ بالتحريك العيب ، وأصله الدنس الذي يعرض السيف ، والمعنى : أعوذ بالله من طمع يسوقني إلى شَيْن في الدين وإزراء بالمروءة "(٢).

وعقب على كلام القاضي بقوله :

" أقول : الهداية هنا بمعنى الدلالة الموصلة إلى البغية واردة على سبيل التمثيل ، لأن الطبع الذى هو بمعنى الرين مسبب عن كسب الآثام ، قال تعالى : (كلا بلْ رانَ على قُلُوبهم ما كانوا يكسبون)(٣) . فلما جعل مسبباً عن الطمع الذى هو نزوع النفس إلى الشر شهوةً له جُعِلَ كالمرشد والهادي إلى مكان سحيق فيتخذ إلهه هواه ، وهو المعني بالرَّيْنِ ، فاستعمل الهدى فيه على سبيل الاستعارة تهكماً " .

٣- قال عليه السلام مخاطباً قتلى المشركين يوم بدر ، وكانوا قد قذفوا في بئر من آبار بدر :(يا فلانُ بنَ فلانٍ ! و يا فلانُ بنَ فلانٍ ! أيَسُرُّكم أنكم أطَعْتُمُ اللهَ ورَسُولَهُ ؟ . فإنَّا قَدْ وجَدْنا ماوعَدَنا ربُّنا حقًّا ، فهلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَكُمْ ربُّكُمْ حقاً)(٤).

---

(١) رواه أحمد ، والبيهقي في (الدعوات الكبير) ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٧٦٢) الحديث رقم (٢٤٧٤) . وهو في (المجازات النبوية) ، ص (١٦٣) بلفظ : (استعيذوا) وقال الشريف :(وهذا مجاز) .

(٢) الكلام في المرقاة ، ج ٥ ، ص (٣٣٣) منسوب إلى الطيبي ، وفي (التعليق) ، ج ٣ ، ص (١٥٧) منسوب إلى التوربشتي .

(٣) سورة المطففين ، الآية (١٤) .

(٤) من الحديث (٣٩٦٧) وقد سبق تخريجه ص (٦٦) من الرسالة .

قال الطيبي :

" قوله (أيسركم أنكم) قال المظهر : أي هل تتمنون أن تكونوا مسلمين بعدما وصلتم إلى عذاب الله.(١) " .

ثم عقب على كلام المظهر قائلاً :

" أقول : ينبغي أن يفسر هذا بما يترتب عليه قوله :(فإنا قد وجدنا) لأنه كالتعليل له ، فالمسرة ههنا مستعارة لضدها من الحزن والكآبة تهكماً وسخرية ، كالبشارة في قوله تعالى :(فبشرهمْ بعذابٍ أليمٍ)(٢) مستعارة لضدها ، وكالتحية في قول الشاعر :

× تَحِيةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجيعُ ×(٣)

ومقام الشماتة والحسرة والنِّقْمَة يقتضيه ، وينصره قول قتادة :(أَحْيَاهُمُ اللهُ حتى أَسْمَعَهُمْ قولَه توْبيخاً ...)(٤) فالمعنى أتحزنون وتتحسرون على ما فاتكم من طاعة الله ورسوله أم لا؟ وتذكرون قولنا لكم إن اللهَ ربَّنا حقاً ، وسيظهر دينه على الدين كله ، وينصر أولياءه ، ويخذل أعداءه؟. فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً " .

× × ×

---

(١) المرقاة ، ج ٨ ، ص (١٠) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (٢١) .

(٣) هو عجز بيت لعمرو بن معد يكرب ، وصدره : × وخَيْلٍ قدْ دَلَفْتُ لها بخَيْلٍ ×

وهو في ديوانه ، ص (١٣٧) .

والكتاب ، لسيبويه ، ج ٢ ، ص (٣٢٣) ، و ج ٣ ، ص (٥٠) .

والكشاف ، ج ١ ، ص (٦٠) و ص (٦٥١) ، و ج ٣ ، ص (٣٨) و ص (٣٢٠) .

و مفتاح العلوم ، ص (١٧٦) .

و الإشارات والتنبيهات ، ص (٢١١) .

(٤) في آخر الحديث .

ثامناً : الاستعارة التمثيلية :

الاستعارة التمثيلية تكون في التركيب المستعمل في غير ما وضع له ، لعلاقة المشابهة ، وقرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي ، فإذا اشتهرت الاستعارة التمثيلية سميت مثلاً .(١)

وقد أشار الطيبي - رحمه الله - إلى هذه الاستعارة في مواضع عدة ، وبين أنها تكون في التركيب نحو :" كذب عليك الحج " وأن منها ما هو مثل سائر .... مما يدل على أن مفهوم هذه الاستعارة عنده هو في إطار التعريف المذكور .

وربما أطلق عليها لفظ التمثيل ، وقد ذكر الخطيب القزويني أن هذا المجاز يسمى " التمثيل على سبيل الاستعارة ، وقد يسمى التمثيل مطلقاً "(٢) وقال الدكتور يوسف البيومي : " الجمهور على أن المجاز المركب ، والتمثيل ، والاستعارة التمثيلية ، والتمثيل على حد الاستعارة . ألفاظ مترادفة على معنى واحد "(٣) وهذا يدل على أن الاستعارة التمثيلية لها عدة أسماء مترادفة ولكن المختار عندهم هو اسم التمثيل ، قال ابن يعقوب المغربي :" فقد يقال تلتبس بالتشبيه المسمى بالتمثيل ، وأجيب بأن الاصطلاح على أنه إذا أطلق انصرف للاستعارة ، وإذا أريد التشبيه قيل تشبيه التمثيل "(٤) .

---

(١) ينظر : علوم البلاغة للمراغي ، ص (٢٦٦) .
جواهر البلاغة للهاشمي ، ص (٣٣٣- ٣٣٧) .
البيان ، للدكتور علي العماري ، ص (١٥٤- ١٥٥) .
البيان في ضوء أساليب القرآن ، للدكتور عبد الفتاح لاشين ، ص (١٩٠- ١٩١) .
علم البيان للدكتور عبد العزيز عتيق ، ص (١٩٢) .

(٢) التلخيص ، ص (٣٢٣- ٣٢٤) ، والإيضاح ، ج ٢ ، ص (٤٤١) .

(٣) علم البيان ، ص (١٩٤) .

(٤) شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ج ٤ ، ص (١٤٥) .

ومن مواضع الاستعارات التمثيلية التي ذكرها الطيبي ما يلي :

١- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إن اللهَ كتبَ على ابن آدمَ حظَّهُ من الزِّنا ، أدركَ ذلك لا مَحَالَةَ ، فزنا العينِ النظرُ [١] ، وزنا اللسانِ النطقُ والنفسُ تَمَنَّى وتَشْتَهي ، والفرجُ يُصَدِّقُ ذلكَ ويُكَذِّبُهُ)[٢] .

قال الطيبي في شرح هذا الحديث مبيناً الاستعارة التمثيلية فيه ، ومستشهداً لها بصورة مقاربة لها :

" قوله : (كذب عليك الحج) قال في الفائق : كلمة جرت مجرى المثل في كلامهم وهي في معنى الأمر [٣] . كأنه يريد أن كذب ههنا تمثيل لإرادة ترك ما سولت لك نفسك من التواني في الحج ، ثم استأنف بقوله اقصد الحج ، فشبه إيجاب الحج عليه بسبب تهيؤ أسبابه ، ووجوب استطاعته ، ثم تقاعده عنه ، كأنه يقول : لم يجب عليك الحج ، فقيل كذب عليك الحج على سبيل التأكيد .

وكذا ما نحن بصدده من الاستعارة التمثيلية ، شبهت صورة حال الإنسان من إرساله الطرف الذي هو رائد القلب إلى النظر إلى المحارم ، وإصغائه الأذن إلى السماع ، ثم انبعاث القلب إلى الاشتهاء والتمني ، ثم استدعائه منه قضاء ما يشتهي ويتمنى باستعمال الرجلين في المشي ، واليدين في البطش ، والفرج في تحقيق مشتهاه ، فإذا مضى الإنسان على ما استدعاه القلب حقق متمناه وإذا امتنع عن ذلك خيبه فيه ، بحالة رجل يخبره صاحبه بما يزينه له ويغريه عليه ، فهو إما يصدقه بذلك ، ويمضي على ما أراده منه ، أو يكذبه ويأبى عما دعاه إليه ، ثم استعمل في حال المشبه ما كان مستعملاً في جانب المشبه به

---

(١) مثل هذه العبارة حديث (كل عين زانية) أورده الشريف الرضي وقال : وهذه استعارة ، ينظر : المجازات النبوية ، ص (٧٣) .

(٢) رقم الحديث (٨٦) وسبق تخريجه ، ص (٢٢٩) من الرسالة .

(٣) الفائق ، ج ٣ ، ص (٢٥٠-٢٥٢) .

من التصديق ، ليكون قرينة للتمثيل " .

٢- عن أبي أُمامةَ ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(منْ صامَ يوماً في سبيلِ اللهِ جعلَ اللهُ بيْنَهُ وبَيْنَ النارِ خَنْدَقاً كما بين السماءِ والأرضِ)(١) .

قال الطيبي :

" قوله : (خَنْدَقاً) هو استعارة تمثيلية عن الحاجز المانع ، شبه الصوم بالحصن وجعل له خندقا حاجزاً بينه وبين النار التي شبهت بالعدو ، ثم شبه الخندق في بعد غوره بما بين السماء والأرض " .

٣- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(لا تسألِ المرأةُ طلاقَ أختِها لتستفرغَ صَحْفَتَها ، وَلِتَنْكِحَ ، فإنَّ لها ما قدِّرَ لها)(٢) .

قال الطيبي :

" قوله :(ولتنكح) عطف على (لتستفرغ) وكلاهما علة للمنهي ، أي لا تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها ، وتنكح زوجها استعارة مستملحة تمثيلية ، شبه النصيب والبَخْتَ بالصحْفةِ ، وحظوظها وتمتيعاتها بما يوضع في الصحفة من الأطعمة اللذيذة ، وشبه الافتراق المسبب عن الطلاق باستفراغ الصحفة عن تلك الأطعمة ثم أدخل المشبه في جنس المشبه به ، واستعمل في المشبه ما كان مستعملاً في المشبه به من الألفاظ ، وقوله (لتنكح) تجريد للاستعارة ، لأنه مناسب للمشبه ، ولو قيل : لتنال ، أو لتوضع في صحفتها ، لكان من جملة الاستعارة

---

(١) رواه الترمذي ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٣٨) الحديث رقم (٢٠٦٤) .

(٢) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٩٤١) الحديث رقم (٣١٤٥) وذكره الشريف الرضي في المجازات النبوية ، ص (٥٠) بلفظ :(لا تَسْألِ المرأةُ طلاقَ أُخْتِها لِتَكْتَفِئَ ما في إنائِها) وقال :(وفي هذا الكلام استعارة ...) وذكر أن معنى اكتفأت ما في إنائها : أي أمالت الإناء إلى نفسها فقلبته لتستفرغ ما فيه وتستأثر عليها به .

أو ترشيحاً لها ، إن حملت الاستعارة على المصرحة والمكنية فحينئذ يناسب النصيب والبخت قوله -صلى الله عليه وسلم- :(فإن لها ما قدر لها) " .

٤- عن أبي هريرة ، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال :(الإيمانُ قَيْدُ الفَتْكِ ، لا يَفْتِكُ مؤمنٌ)(١) .

تكلم الطيبي في هذا الحديث طويلاً ثم قال :

" هذا من جهة المعاني ، أما من جهة البيان : فإن التركيب من الاستعارة التمثيلية ، وإنه -صلى الله عليه وسلم- شبه العادة المستمرة والشريعة الثابتة في الجاهلية ، من الفتك والغِيلَةِ في اطّرادها (٢) وأخلاقها بالوحوش الأوابد والإبل الشوارد . ، وشبه الإسلام بالخيل السوابق والجياد العواتق . وشبه نسخه لتلك الشريعة الباطلة ، وهدمه لتلك القاعدة الزائغة بالقيد على تلك الأوابد والأسر . قال امرؤ القيس :

وقدْ أغتدي والطيرُ في وُكُناتِها ... بمنجردٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيْكَلِ . (٣)

ثم أدخل صورة المشبه في جنس صورة المشبه به ، ثم حذف المشبه به ، وجعل القرينة الدالة عليه ما يختص المشبه به من القيد ، وإذا كان الشأن هذا فكيف يذهب إلى جعل الفتك من خصائص من بعث لإتمام مكارم الاخلاق وقلع رذائلها من سنخها صلوات الله وسلامه عليه؟!

والحديث من جوامع الكلم التي خُصَّ بها هذا النبيُّ الكريمُ -صلى الله عليه وسلم-. عرفه من ذاق معرفة خواص التراكيب ، واعتلى ذروة المعاني ، وامتطى غارب البيان والله أعلم " .

والواضح أن هذا من التشبيه البليغ ، لذكر الطرفين على وجه ينبئ عن التشبيه .

---

(١) رواه أبو داود ، ينظر :المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٠٥٣) الحديث رقم (٣٥٤٨) .

(٢) في الصحاح مادة (طرد) :

(اطَّرَدَ الشيءُ: تبعَ بعضُه بعضاً وجرى،والأنهارُ تَطَّرِدُ ، أي تجري)

(٣) ديوان امرئ القيس ، ص (١٩) .

وشرح القصائد العشر للتبريزي ، ص (٧٢) .

ومثل هذا التحليل البياني الرفيع لهذا الحديث لا نجده عند أحد قبل الطيبي ، فمثلاً ذكر هذا الحديث الشريفُ الرضي ولم يزد على قوله :" وهذه استعارة ، والمراد بذلك أن الإنسان المؤمن يمتنع لأجل إيمانه أن يسفك الدم الحرام طاعة لأمر الحمية ، وركوباً لسنن الجاهلية ، فكأن إيمانه قيد فتكه فتماسكه وضبط تهالكه "(١) ، قلت : لا ريب أن كلام الطيبي أقوم من الناحية البيانية لما فيه من تفصيل وتحليل .

٥- عن عَرْفَجَةَ ، قال : سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم - يقول : (منْ أَتاكُمْ وأَمْرُكُمْ جميعٌ على رَجُلٍ واحدٍ ، يُريد أَنْ يَشُقَّ عصاكم ، أو يفرِّقَ جماعتَكم فاقتُلوهُ)(٢) .

قال الطيبي :

" هذا تمثيل ، شبه اجتماع الناس واتفاقهم على أمر واحد بالعصا إذا لم تشق ، وافتراقهم من ذلك الأمر بشق العصا ، ثم كنى به عنه ، فضرب مثلاً للتفريق ، يدل على هذا التأويل قوله :(أمركم جميع على رجل واحد) حيث أسند الجميع إلى الأمر إسناداً مجازياً لأنه سبب اجتماع الناس " .

٦- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - :(إنَّ العبدَ ليقولُ الكلمةَ لا يقولُها إلا ليُضحكَ به(٣) الناسَ ، يَهْوِي بها أبعد ما بينَ السماءِ والأرضِ ، وإنَّه ليزِلُّ عن لسانه أشدَّ مما يزِلُّ عن قدمِه)(٤) .

---

(١) المجازات النبوية ، ص (٢٣٦) .
(٢) رواه مسلم ، ينظر: المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٠٨٨) الحديث رقم (٣٦٧٨) .وقد ورد نحوه في المجازات النبوية للشريف الرضي ، ص (١١٨) وقال :" قوله عليه الصلاة والسلام :(يريد أن يشق عصاكم) استعارة ، والمراد به تفريق أمرهم وتشتيت جمعهم " .
(٣) أي بتلفظها ، كذا في المرقاة ، ج ٩ ، ص (١٤٨) .
(٤) رواه البيهقي في (شعب الإيمان) ينظر: المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٦٠) الحديث رقم (٤٨٣٥) .

قال الطيبي :

" قوله :(ليزل عن لسانه) تمثيل بعد تمثيل ، مثل أولاً مضرته منها في جاهه وسقوطه من منزلته عند الله تعالى ، بمن سقط من أعلى مكان إلى أدناه ، ثم مثل ثانياً مضرته بها في نفسه ، وما يلحقه من المشقة والتعب ، بمن يتردد في وحل عظيم ، فتدحض قدماه في تلك المزالق فلا يتخلص منها ... " .

ولا ريب أن إطلاق مصطلح الاستعارة التمثيلية هنا فيه شبهة لوجود المشبه .

٧- عن أبي سعيد الخُدْرِيّ ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

(إن مما أخافُ عليكم من بعدي ما يُفْتَحُ عَلَيكمْ من زَهْرَةِ الدنيا وزينتَها) ، فقال رجلٌ : يارسول الله ! أويأْتي الخيرُ بالشَّر؟. فسكت ، حتى ظننا أنه يُنْزَلُ عليه ، قال : فمسح عنه الرّحضاءَ [(١)] ، وقال :(أين السائل؟) وكأنه حمده فقال : (إنه لا يأتي الخيرُ بالشّرِ ، وإنَّ مما ينبتُ الربيعُ ما يقتلُ حَبَطاً أويُلِمُّ ، إلا آكِلَةَ الخَضِرِ ، أكَلتْ حتى امتدتْ خاصِرَتاها ، استقبلتْ عَيْنَ الشمسِ فثَلَطَتْ وبالتْ ، ثُمَّ عادتْ فأكلتْ ، وإن هذا المالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، فمن أخذهُ بحقه ، ووضعه في حقِّهِ فنعم المعونَةُ هوَ ، ومن أخذَهُ بغيرِ حقهِ كانَ كالذي يأكُلُ ولا يَشْبَعُ ، ويكونُ شهيداً عليه يومَ القيامةِ)[(٢)] .

يبدأ الطيبي شرح هذا الحديث ناقلاً فيقول :

" قال في النهاية : قال الأزهري : فيه مثلان ، ضرب أحدهما للمفرط في جمع الدنيا ومنعها من حقها ، وضرب الآخر للمقتصد في أخذها والانتفاع بها ، وأما قوله : (وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً) فهو مثل للمفرط الذي يأخذها بغير حقها ، وذلك أن الربيع ينبت أحرار العشب فتستكثر منها الماشية حتى تنتفخ بطونها ، عند مجاوزتها حد الاحتمال ، فتنفتق أمعاؤها فتهلك ، كذلك الذي يجمع

---

(١) أي العرق .

(٢) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٢٨) الحديث رقم (٥١٦٢) .

الدنيا من غير حلها ، ويمنع ذا الحق حقه ، يهلك في الآخرة بدخول النار ، وأما مثل المقتصد فقوله :(إلا آكِلَةَ الخَضِرِ) وذلك أن الخضر ليست من أحرار البقول التي ينبتها الربيع ، فتستكثر منها الماشية ، ولكنها من كلأ الصيف التي ترعاها المواشي بعد هشيم البقول شيئاً فشيئاً من غير استكثار ، فضرب آكِلةَ الخَضِرِ مثلاً لمن يقتصد في أخذ الدنيا ، ولا يحمله الحرص على أخذها بغير حقها ، فهو ينجو من وبالها "(١) .

ثم يعقب على كلام الأزهري الذي ذكر أن في الحديث مثلين ، ويرى أن فيه أربعة أمثلة ، فيقول :

" الحديث يستدعي فضل تقرير وتحرير ، فالاستفهام في قوله :(أويأتي الخيرُ بالشرِّ؟) استرشاد منه ، ومن ثم حمد - صلى الله عليه وسلم - السائلَ والباء في (بالشر) صلة يأتي ، يعني هل يستجلب الخيرُ الشرَّ ، وجوابه - صلى الله عليه وسلم -:(إنه لا يأتي الخيرُ بالشرِ) معناه : لا يأتي الخير بالشر ولكن قد يكون سبباً له ومؤدياً إليه ، فإن الربيع قد ينبت أحرار العشب والكلأ فهي كلها خير في نفسها ، وإنما يأتي الشرُّ من قِبَلِ الآكل ، فمن آكل مستلذ مفرط منهمك فيها بحيث تنتفخ منه أضلاعه ، وتمتلئ خاصرتاه ، ولا يقلع عنه ، فيهلكه سريعاً ، ومن آكل كداً (٢) فيشرفه إلى الهلاك ، ومن آكل مسرف حتى تنتفخ خاصرتاه ، لكنه يتوخى إزالة ذلك ، ويتحيل في دفع مضرتها حتى يهضم ما أكل ، ومن آكل غير مفرط ولا مسرف ، يأكل منها ما يسد جوعته ولا يسرف فيه حتى يحتاج إلى دفعه . الأول : مثال الكافر ، ومن ثم أكد القتل بالحبط ، أي : يقتل قتلاً حبطاً

---

(١) النهاية ، ج ٢ ، ص (٤٠) .
والمرقاة ، ج ٩ ، ص (٣٥٣) .

(٢) في المعجم الوسيط ، مادة (كد) ما يلي :" كَدَّ فلانٌ كَدًّا : اشتدَّ في العمل ، وألحَّ في محاولة الشيء ، وطلبَ الرزقَ " .

والكافر هو الذى تحبط أعماله ·

والثاني : مثال المؤمن الظالم لنفسه ، المنهمك في المعاصي ·

والثالث : مثال المقتصد ·

والرابع : مثال السابق إلى الخيرات ، الزاهد في الدنيا ، الراغب في الآخرة.

وهذا الوجه يفهم من الحديث وإن لم يصرح به ، وفي كلام الشيخ محيي الدين إشعار بهذا القسم (١) " انتهى كلام الطيبي ·

قلت : يلاحظ أن الطيبي حاول الاستكثار من الأمثال من خلال الحديث ليستخرج منه نماذج توافق ما هو موجود في واقع الناس ، بينما نجد أن الأزهري اكتفى بذكر المثلين البارزين في الحديث فقط · وقد أطلق الطيبي لفظ المثال على الاستعارة التمثيلية ، والأرجح أنه لا يريد به المثل بالمعنى البياني ، وإنما يريد أنه استعارة تمثيلية فقط ·

ونرى أن الحديث هو من باب التشبيه التمثيلي لوجود صورة المشبه في الكلام، وهو سؤال الرجل : أو يأتي الخير بالشر ؟·

ومن مواضع الاستعارات التمثيلية التي يطلق عليها الطيبي لفظ المثل ما يلي :

١- قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :(إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً ، فقال : يا قوم ! إني رأيت الجيش بعينيَّ ، وإني أنا النذير العريان · فالنجاء النجاء ··)(٢) ·

قال الطيبي :

" النذير العريان مثل سائر يضرب لشدة الأمر ، ودنو المحذور ، وبراءة المحذر

---

(١) لعله أراد كلام النووي في شرح قوله عليه السلام في رواية مسلم :(وإن هذا المالَ خَضِرٌ حُلْوٌ ، ونِعْمَ صاحِبُ المسلمِ هو لمن أعطى منه المسكينَ واليتيمَ وابنَ السبيلِ):(فيه فضيلة لمن أخذه بحقه ، وصرفه في وجوه الخير) " ينظر : صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٧ ، ص (١٤٤) ·

(٢) من الحديث رقم (١٤٨) وقد تقدم تخريجه ص (١٣٠) من الرسالة ·

عن التُّهْمَةِ . وأصله أن الرجل إذا رأى العدو قد هجم على قومه ، وأراد أن يفاجئهم، وكان يخشى لحوقهم قبل لحوقه ، تجرد من ثوبه ، وجعله على رأس خشبة ، وصاح ليأخذوا حذرهم ، ويستعدوا قبل لحوقهم "(١) .

والصواب أن هذا الحديث من التشبيه التمثيلي لوجود المشبه .

٢- قال عليه السلام موصياً أمته :(... فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدينَ المَهْدِيينَ ، تَمَسَّكُوا بها وعَضُّوا عَلَيْها بالنَّوَاجِذِ)(٢) .

قال الطيبي :

" العض بالنواجذ مثل في التمسك بهذه الوصية (٣) بجميع ما يمكن من الأسباب المعينة عليه ، كمن يتمسك بشيء ، ثم يستعين عليه بأسنانه استظهاراً للمحافظة " .

والاقرب أن يكون العض بالنواجذ كناية عن صفة التمسك والاهتمام .

٣- قال الطيبي في الآية القرآنية :(لا تُفَتَّحُ لهمْ أبوابُ السماءِ ولا يدخُلُونَ الجنةَ حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِيَاطِ)(٤) :

---

(١) في الفائق ، ج ٢ ، ص (٤١٢) :(وكان الرجل منهم إذا أنذرَ قوماً ، وجاء من بلد بعيدٍ ، انسَلَخَ من ثيابه ، ليكون أَبْيَنَ للعين) .

(٢) من الحديث رقم (١٦٥) وقد سبق تخريجه ص (٣٣٠) وقد ذكر نحو هذا الجزء من الحديث الشريفُ الرضي في (المجازات النبوية) ص (١٢٥) وقال :(وهذا مجاز والمراد أن اقطعوا عليها ، وقفوا عندها ، ولا تتجاوزوها إلى غيرها ، كما أن من شدد العض بنواجذه على الشيء الذى يتأتى فيه القطع قَطعه ، والنواجذُ أقصى الأضراس ، وهي أقواها وأمضاها) .

(٣) في النهاية ، ج ٣ ، ص (٢٥٢) : (هذا مَثَل في شدّة الاسْتِمْسَاكِ بأمر الدين..) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية (٤٠) وأولها : (إنَّ الذينَ كذّبُوا بآياتِنا واسْتكبروا عنها لا تُفَتَّحُ لهم ...) وقد ورد الجزء المذكور منها في الحديث : (١٦٣٠) وقد تقدم تخريجه ص (١٠٢) من الرسالة .

" قوله :(حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياط) سم الإبرة مثل في ضيق المسلك ، والجمل مثل في عظم الجرم ، فقيل لا يد خلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبداً من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج إلا في باب واسع في ثقب الإبرة "(١).

٤- عن عبدِ اللهِ بن مسعود، أنه قال :(إن لكلِّ شيءٍ سَنَاماً ، وإن سَنَامَ القرآنِ سورةُ البقرةِ ...)(٢).

قال الطيبي :

" قوله (إن لكل شيء سناماً) أي رفعة وعلواً ، استعير من سنام الجمل ، ثم كثر استعماله فيها حتى صار مثلاً ، ومنه سميت البقرة سنام القرآن " .
والأوضح أنه تشبيه بليغ وليس استعارة تمثيلية .

٥- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(منْ خافَ أدلَجَ ومنْ أدلَجَ بلغَ المنزلَ ، ألا إنَّ سِلعةَ اللهِ غاليةٌ ، ألا إن سلعةَ اللهِ الجنةُ)(٣) .

قال الطيبي :

" قوله (من خاف أدلج) قيل من خاف البيات من هجوم العدو عليه وقت السحر يسير في الليل ويبلغ المأمن ، وهذا مثل ضربه النبي - صلى الله عليه وسلم - لسالك الآخرة ، فإن الشيطان على طريقه ، والنفس وأمانيه الكاذبة أعوانه ، فإن تيقظ في مسيره ، وأخلص النية في عمله ، أمن من الشيطان وكيده ومن قطع الطريق بأعوانه ، ثم أرشد إلى أن سلوك طريق الآخرة صعب وتحصيل الآخرة

---

(١) كلام الطيبي في الآية مختصر من الكشاف ، ج ٢ ، ص (١٠٣- ١٠٤) .
(٢) من حديث رواه الدارمي ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٦٨) الحديث رقم (٢١٧٩) .
(٣) رواه الترمذي ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٦٩) الحديث رقم (٥٣٤٨) .

متعسر ، لا يحصل بأدنى سعي فقال (ألا إن سلعة الله غالية) أي رفيعة القدر وسلعة الله الجنة الغالية الباقية ثمنها الأعمال الخالصة التي أشار إليها بقوله سبحانه :(والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عندَ ربِّكَ ثواباً وخيرٌ أملاً)(١) " .

وهنا الحديث ليس من الاستعارة التمثيلية ،وقد تسامح الطيبي في اطلاق المصطلح .

٦- قال عليه السلام في حديث يذكر فيه أشراط الساعة :(ويَعْمَلُ في الناسِ بسنَّةِ نبيِّهمْ ، ويُلْقِي الإسلامُ بِجِرانِهِ في الأرضِ)(٢).

قال الطيبي :

" قوله (بجرانه) قال في النهاية : الجِرانُ باطن العُنُق ، ومنه الحديث : إن ناقته - صلى الله عليه وسلم - وضعتْ جِرانَهَا ، وحديث عائشة رضي الله عنها : (حتى ضَرَبَ الحقُ بجِرانِهِ) أي قَرَّ قَرَارُه واستقام كما أن البعير إذا برك واستراح مد عُنُقَهُ على الأرض(٣) . وقال الخطابي : ضرب الجران مثلاً للإسلام إذا استقر قراره ، فلم تكن فتنة ولا هَيْج ، وجرت أحكامه على السنة والاستقامة والعدل(٤). " .

والأقرب أن الحديث استعارة مكنية ،وقد تسامح الطيبي كما رأينا في اطلاق الاستعارة التمثيلية على ما ليس منها .

× × ×

---

(١) سورة الكهف ، الآية (٤٦) .

(٢) من حديث رواه أبو داود عن أم سلمة ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٠٢) الحديث رقم (٥٤٥٦) .

(٣) النهاية ، ج ١ ، ص (٢٦٣) .

(٤) معالم السنن ، ج ٦ ، ص (١٦١) .

ننبه قبل نهاية هذا المبحث إلى أن الطيبي ذكر أكثر من وجه لبعض الاستعارات في بعض الأحاديث النبوية ، ومثال ذلك موقفه عند هذين الحديثين :

١- عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(بُنِيَ الإِسلامُ على خَمْسٍ : شهادَةِ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمداً عبْدُهُ ورسُولُه ، وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ ، والحَجِّ ، وصَوْمِ رَمضانَ)(١).

قال الطيبي :

« لا تخلو هذه الخمس من أن تكون قواعد البيت أو أعمدة الخِباء ، وليس الأول لكون القواعد على أربع ، فيتعين الثاني ، وينصره ما جاء في حديث معاذ : (وعمودُهُ الصلاةُ)(٢) ، مثلت حالة الإسلام مع أركانه الخمسة بحالة خِباء أقيمت على خمس أعمدة ، وقطبها الذي تدور عليه الأركان هو : شهادة أن لا اله إلا الله ، وبقية شعب الايمان كالأوتاد للخباء .

روى أن الفرزدق حضر جنازة ، فسأله بعض أئمة أهل البيت : يا فرزدق ما أعددت لمثل هذه الحالة؟ . قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، فقال : هذا العمود فأين الأطناب؟ .(٣)

هذا على أن تكون الاستعارة تمثيلية ، لأنها وقعت في حالتي الممثل والممثل

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (١٠) الحديث رقم (٤) .

(٢) من الحديث رقم (٢٩) وقد تقدم تخريجه ص (٧٠>) من الرسالة .

(٣) قريب من هذا الخبر ما ورد في كتاب الأغاني ، ج ٢١ ، ص (٣٩٢) وهو ما يلي: " حدثنا خالد بن الحر ، قال : رأيت الحسن في جنازة أبي رجاء العُطارِدِي ، فقال للفرزدق : ما أعددت لهذا اليوم؟ . فقال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ بضع وتسعين سنة ، قال : إذاً تنجو إن صدقت . قال : وقال الفرزدق : في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس ، فقال الحسن : لستُ بخير الناس ولستُ بشرهم " .

به ، ويجوز أن تكون الاستعارة تبعية ، بأن تقدر الأستعارة في بني والقرينة الإسلام ، شبه ثبات الإسلام واستقامته على هذه الأركان الخمسة ببناء الخباء على الأعمدة الخمسة ، ثم تسري الاستعارة من المصدر إلى الفعل ، وأن تكون مكنية بأن تكون الاستعارة في الإسلام ، والقرينة (بني) على التخييل ،بأن يكون شبه الإسلام بالبيت ، ثم خيل كأنه بيت على المبالغة ، ثم أطلق الإسلام على ذلك المخيل ، ثم خيل له ما يلازم الخباء المشبه به من البناء ،ثم أثبت له ما هو لازم البيت من البناء على الاستعارة التخييلية ، ثم نسب إليه ليكون قرينة مانعة من إرادة الحقيقة ، وظهر من هذا التحقيق أن الإسلام غير والأركان غير ، كما أن البيت غير والأعمدة غير ، ولا يستقيم ذلك إلا على مذهب أهل السنة ، فإن الاسلام عبارة عن التصديق بالجَنَانِ والقول باللسان والعمل بالأركان[1] ، وعلى هذا حديث الإيمان ، ولهذا السر عقب محيي السنة بهذا الحديث حديث:(الإيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ شُعْبَةً)[2] وفيه أن أعلى شعبها قول لا إله إلا الله ، وكما شبه الإسلام في الحديث الأول بخباء ذات أعمدة وأطنابه شبه الإيمان في الثاني بشجرة ذات أغصان وشعب " .

يلاحظ أن الطيبي يوافق الرأي القائل بأن كل استعارة مكنية يمكن أن تكون تصريحية تبعية ، ولكن يعتمد منهما ما يناسب المقام .

(١) للعلماء كلام في تعريف الإسلام والإيمان والتفريق بينهما ، وقد تعرض لهذا الموضوع شراح الحديث النبوي ، ومن الكتب التي تناولت هذا الأمر :
كتاب الإيمان للحافظ ابن منده ، ج ١ ، ص (١٢٠- ١٢٤) و ج ٢ ، ص (٣٤١- ٣٤٧) .
وصحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١ ، ص (١٤٤- ١٤٩) .

(٢) من حديث متفق عليه ، عن أبي هريرة ، ينظ : المشكاة ، ج ١ ، ص (١٠) الحديث رقم (٥) .

٢ـ عن ابن عبّاسٍ ، قال : قال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبي ذرّ :
(يا أبا ذرٍ أيُّ عُرى الإيمانِ أوثقُ؟) قال : اللهُ ورسولُهُ أعلمُ ، قال :
(الموالاةُ في اللهِ ، والحبُّ في اللهِ ، والبُغضُ في اللهِ)(١)

قال الطيبي :

" قوله :(أيِ عرى الايمان أوثق) هي جمع عروة ، وهي ما تجعل في الأحمال والرواحل ويجعل بين كل عروتين شظاظ(٢) فيحمل على البعير ، وهو يجوز أن يكون استعارة مصرحة تحقيقية(٣) . شبه الموالاة والمحبة في الله والبغض في الله بعروة الراحلة في استيثاقها وإحكامها ، فحذف المشبه ، وأتى بالمشبه به مضافاً إلى الإيمان ليكون قرينة مانعة من إرادة الحقيقة ، وأن تكون مكنية بأن يكون المشبه الإيمان ، والمشبه به الأحمال ، ويتوهم للإيمان على سبيل التخييلية من لوازم المشبه به وقرينتها الإضافة إليه ، ويجوز أن تكون تمثيلية مثل المعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه ، فينحكم اعتقاده والتيقن به " انتهى .

× × ×

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ، ينظر: المشكاة ، ج٣ ، ص (١٣٩٦) الحديث رقم (٥٠١٤) .
(٢) في الصحاح ، مادة (شظظ) : (الشِظاظ : العود الذى يُدْخَلُ في عُروة الجِوالِق) .
وفي الصحاح ، فصل الجيم من باب القاف :
(الجِوالِق بكسر الجيم واللام ، وبضم الجيم وفتح اللام وكسرها : وعاءٌ) .
(٣) الاستعارة التحقيقية هي التي تتناول أمراً معلوماً يمكن أن يُنَصَّ عليه ويُشار إليه إشارةً حسيةً أو عقلية . ينظر: الإيضاح ، ج ٢ ، ص (٤٠٧) .

- المبحث الثاني : استعارات عامة لم يحدد أنواعها الطيبي : -

إذا كان الطيبي قد ذكر أنواعاً من الاستعارات فيما سبق ، فإنه ذكر أيضاً استعارات كثيرة لم يبين أنواعها ، وإنما اكتفى بإطلاق مصطلح الاستعارة فقط وهذه الاستعارات قسمان :

القسم الأول : استعارات لم يذكر لها مصدراً .

القسم الثاني: استعارات أشار إلى مصادرها .

وسنتناول هذه الاستعارات في هذا المبحث .

أولاً: استعارات لم يذكر لها مصدراً :

هناك استعارات ذكرها الطيبي ولم يذكر لها مصدراً ، وأعتقد أن هذه الاستعارات معظمها من استنباطه واجتهاده ، وأن بعضها منقول عن العلماء كما تبين لي من خلال البحث ... ولعلنا نعذر الطيبي لأنه وضح في منهجه أن الكلام الذي لا يشير إلى مصدره فأكثره من نتائج خاطره ، ولم يقل كله ، كما بين أنه سلك منهج الاختصار ، إضافة الى أنه ذكر أهم مصادره في أول كتابه ، فلعل هذه الأسباب أو بعضها جعلته يغفل نسبة بعض هذه الاستعارات إلى أصحابها .

وهذه أمثلة لهذا القسم من الاستعارات :

١- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لقدْ جِئْتُكُمْ بها بَيْضاءَ نَقِيَّةً ، ولو كانَ موسى حيّاً ما وَسِعَهُ إلا اتِّباعِي)(١) .

قال الطيبي :

" في بيضاء استعارة لسطوع براهين هذه الملة المستقيمة ، ووضوح(٢) دلائلها القويمة ، مما له بياض ونقاوة " .

٢- عن أبي ذَرٍّ ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(من فارق الجماعةَ شِبْراً فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلامِ من عُنُقِهِ)(٣)

---

(١) من حديث رواه أحمد، والبيهقي في " شعب الإيمان " عن جابر ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٣) الحديث رقم (١٧٧) .

(٢) قال الشريف الرضي في " المجازات النبوية " ، ص (٢٨٧) ما يلي :" كل أبيض في كلامهم واضح ، يقولون وجه واضح إذا كان أبيض المحيا ، وجبين واضح ، وجيد واضح ، على هذا المعنى " .

(٣) رواه أحمد وأبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٥) الحديث رقم (١٨٥) .

قال الطيبي :

" قوله :(ربقة الاسلام) الرِبْقَةُ عُرْوَةٌ في حَبْل تُجْعَل في عُنُق البهيمة أو يَدِها تُمْسِكُها (١) ، فاستعارها لانقياد الرجل واستسلامه لأحكام الشرع ، وخلعها لارتداده وخروجه عن طاعة الله وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - " .

والأنسب أن يكون ما في (ربقة الاسلام) من التشبيه البليغ لاضافة المشبه به للمشبه .

٣- عن أبي ذرٍّ ، قال : قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(كيفَ أنتَ إذا كانتْ عليكَ أمراءُ يُميتونَ الصلاةَ - أو قال : يُؤَخِّرونَ الصلاةَ عن وَقْتِها - ؟)(٢) .

قال الطيبي :

" شبه إضاعة الصلاة وتأخيرها عن وقتها بجيفة ميت تنفر عنها الطباع ، كما شبه المحافظة عليها وأداءها في وقت اختيارها بذي حياة له نضارة وطراوة في عنفوان شبابه ، ثم أخرجها مخرج الاستعارة ، وجعل القرينة قوله (يميتون) لأنه لازم المشبه به " .

وهذا التفسير يدل على أن الاستعارة هنا مكنية .

٤- عن أبي بَصْرَةَ الغِفَارِيِّ ، قال : صَلَّى بنا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بالمُخَمَّصِ (٣) صلاةَ العَصْرِ ، فقالَ :(إنَّ هذهِ صلاةٌ عُرِضَتْ على مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ فَضَيَّعُوها ، فَمَنْ حافَظَ عليها كانَ لهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ ، ولا صلاةَ بعدَها حتى يَطْلُعَ الشاهدُ)

والشاهد : النجم (٤) .

قال الطيبي :

" قوله :(الشاهد : النجم) قال في النهاية : سمي شاهداً لأنه يَشْهَدُ بالليل ، أي يحضر ويظهر ، ومنه قيل لصلاة المَغْرب صلاةُ الشَاهِدِ (٥) .

---

(١) الكلام في النهاية ، ج ٢ ، ص (١٩٠) ، وتقدم نحوه ص (٢٩٥- ٢٩٦) من الرسالة .

(٢) من حديث رواه مسلم وأبو داود ، ينظر: المشكاة ، ج١ ، ص (١٩٠) الحديث رقم (٦٠٠) .

(٣) اسم موضع .

(٤) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٣٣١) الحديث رقم (١٠٤٩) .

(٥) النهاية ، ج ٢ ، ص (٥١٤) .

أقول : ويجوز أن يحمل على الاستعارة ، شبه النجم عند طلوعه دليلاً على وجود الليل بالشاهد الذي تثبت به الدعاوى[1] " .

٥- عن عمرو بن شُعَيْب ، عن أبيه عن جده ، قال : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا استسقى قال : (اللهمّ اسْقِ عبادَكَ وبهيمتَكَ ، وانْشُرْ رَحْمَتَكَ وأَحْيِ بلَدَكَ المَيّتَ)[2] .

قال الطيبي :

" قوله : (وأحي بلدك الميت) يريد به بعض بلاد المبتعدين من مظان الماء[3] ، الذي لا ينبت فيه عشب للجَدْب ، فسماه ميتاً على الاستعارة ، ثم فرع عليه الإحياء " .

٦ - جاء في حديث ذكر فيه عليه السلام صفة خروج روح المؤمن إلى أن قال :

(ويقولُ أهلُ السماءِ : رُوحٌ طَيبةٌ جاءتْ من قِبَلِ الأرضِ ، صلَّى اللهُ عليكِ وعلى جسدٍ كنتِ تُعَمّرِينَهُ)[4] .

---

(١) في المجازات النبوية ، ص (٢٨١) ما يلي :(.. والعرب يسمون الكوكب شاهد الليل كأنه يشهد بإدبار النهار وإقبال الظلام ، وكل شيء يدل على شيء فهو يجري مجرى الشاهد به والمخبر عنه ، إذ ليس كل دال بإنسان ، ولا كل دليل من جهة اللسان) .

(٢) رواه مالك وأبو داود ، ينظر: المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٧٦) الحديث رقم (١٥٠٦) .

(٣) قوله (يريد به ... الماء) هذه العبارة في الكشاف ، ج ٣ ، ص (٢٨٥) .

(٤) من حديث رواه مسلم عن أبي هريرة ، ينظر: المشكاة ، ج ١ ، ص (٥١١) الحديث رقم (١٦٢٨) .

قال الطيبي :

" قوله : (تعمرينه) استعارة ، شبه تدبيرها الجسد بالعمل الصالح ، بعمارة من يتولى مدينة ويعمرها بالعدل والصلاح " .

والاستعارة هنا كما يلاحظ تصريحية تبعية .

٧- عن أبي هريرةَ ، وحكيم بن حزامٍ ، قالا : قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - :

(خَيْرُ الصدقةِ ما كانَ عنْ ظَهْرِ غِنىً ، وابدأْ بِمَنْ تَعولُ)(١) .

قال الطيبي :

" قوله :(عن ظهر غنى) قال في النهاية : أى ما كانَ عَفْواً قد فَضَل عن ظهر غنى والظَّهْرُ زائدٌ في مِثْلِ هذا إشْباعاً للكلام وتَمْكيناً كأنَّ صدقَتَه مُسْتَنِدة إلى ظَهْرِ قَوِي منَ المالِ(٢)

أقول : استعير الصدقة للإنفاق حثاً عليه، ومسارعة فيما يرجى منه جزيل الثواب، ومن ثم أتبعه قوله :(وابدأ بمن تعول) قرينة للاستعارة، فيشمل النفقة على العيال ، وصدقتي الواجب والتطوع ، وأن يكون ذلك الإنفاق من الربح لا من صلب المال كما سبق " .

٨- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(كَلِمَتانِ خَفيفَتانِ على اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتانِ في المِيزانِ ، حَبِيبَتانِ إلى الرحمنِ : سُبْحانَ اللهِ وبحَمْدِهِ ، سبحانَ اللهِ العظيمِ)(٣).

قال الطيبي موضحاً سر الاستعارة في قوله عليه السلام :(كلمتان خفيفتان) :

---

(١) رواه البخارى، ورواه مسلم عن حكيم وحده ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٠٢) الحديث رقم (١٩٢٩) . وأورد الشريف الرضي نحو هذا الحديث بلفظ : (الصدقة عن ظهر غنى) وقال :(وهذا القول مجاز) ينظر : المجازات النبوية ، ص (٦٤) .

(٢) النهاية ، ج ٣ ، ص (١٦٥) .

(٣) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٧١٢) الحديث رقم (٢٢٩٨) .

" الخفة مستعارة للسهولة ، شبه سهولة جريان هذا الكلام بما يخف على الحامل من بعض الأمتعة فلا يشق عليه كالشيء الثقيل ، فذكر المشبه به وأراد المشبه .

وأما الثقل فعلى الحقيقة عند علماء أهل السنة ، إذ الأعمال تتجسم حينئذ والخفة والسهولة من الأمور النسبية ، وهما مختصران من قوله : (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) فتدبر ، وفيه حث على المواظبة عليهما وتحريض على ملازمتهما ، وتعريض بأن سائر التكاليف صعبة شاقة على النفس ثقيلة ، وهذه خفيفة سهلة مع أنها تثقل في الميزان ثقل غيرها من التكاليف فلا تتركوها إذن " .

٩- عن شدَّاد بن أَوس ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أن تقولَ : اللهم أنتَ ربي لا إلهَ إلا أنتَ ...)(١)

قال الطيبي :

" قوله : (سيد الاستغفار) السيد هنا مستعار من الرئيس المقدم الذي يصمد إليه في الحوائج ، ويرجع إليه في الأمور ، لهذا الدعاء الذي هو جامع لمعاني التوبة كلها ، وقد سبق أن التوبة غاية الاعتذار " .

والأنسب أنه من التشبيه البليغ باضافة المشبه به إلى المشبه .

١٠- عن عائشةَ قالتْ : جاءتْ امرأةُ رِفاعَةَ القُرَظِيِّ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : إني كنتُ عند رِفَاعَةَ فطلقني ، فَبَتَّ طَلَاقي ، فتزوجتُ بَعْدَهُ عبدَ الرحمنِ بنَ الزبيرِ ، وما مَعَهُ إلا مِثْلُ هُدْبَةِ الثوبِ ، فقال :(أتريدينَ أَنْ تَرْجِعي إلى رِفاعَةَ ؟) قالتْ : نعم ، قال : (لا ، حتى تَذوقي عُسَيْلَتَهُ ويَذوقَ

---

(١) من حديث رواه البخاري ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٧٢٢) الحديث رقم (٢٣٣٥) .

عُسَيْلَتَكِ)(١) .

قال الطيبي :

" قوله - صلى الله عليه وسلم - :(حتى تذوقي عُسَيْلَته) شبه صلوات الله وسلامه عليه لذّةَ الجماع بذَوْقِ العَسَل ، فاستعارَ لها ذَوْقًا وإنما أَنَّثَ لأنه أراد قطعة من العَسَل ، وقيل على إعْطائها معنى النُّطْفَة ، وقيل : العسل في الأصل يُذكَّرُ ويُؤنَّثُ ، وإنما صغَّره إشارةً إلى القَدْرِ القَليل الذى يَحْصل به الحلُّ (٢) " .

واللقب المناسب لهذه الاستعارة أنها من الاستعارة التمثيلية .

١١- عن أبي ذَرٍّ ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(إِخْوانُكُمْ جَعَلَهُمْ اللهُ تحتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ جعلَ اللهُ أخاهُ تحتَ يَدَيْهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلِيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، ولا يُكَلِّفْهُ مِنَ العملِ ما يَغْلِبُهُ ، فإنْ كَلَّفَهُ ما يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ)(٣).

يردد الطيبي قول النبي - صلى الله عليه وسلم - (إِخْوانُكُمْ جَعَلَهُمْ اللهُ تحتَ أَيْدِيكُمْ) بين التشبيه والاستعارة ، مبيناً جمال التعبير بكلمة (إخوانكم) فيقول :

" قوله : (إخوانكم) فيه وجهان :

أحدهما أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف ، أي : مماليككم إخوانكم ، واعتبار الأخوة إما من جهة آدم ، أي إنكم متفرعون من أصل واحد ، أو من جهة الدين ، قال تعالى :(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)(٤) فيكون قوله :(جعلهم الله) مالاً ، لما في

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٩٨٢) الحديث رقم (٣٢٩٥).وقد ذُكِرَ نحوه في المجازات النبوية ، ص (٢٥٤) وقال الشريف الرضي :(وهذه استعارة كأنه عليه الصلاة والسلام كنى عن حلاوة الجماع بحلاوة العسل) .

(٢) الكلام كله في النهاية ، ج ٣ ، ص (٢٣٧) .

(٣) متفق عليه ، ينظر: المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٠٠٠) الحديث رقم (٣٣٤٥) .

(٤) سورة الحجرات ، الآية (١٠) .

الكلام من معنى التشبيه .

ويجوز أن يكون مبتدأ ، و (جعلهم الله) خبره ، فعلى هذا إخوانكم مستعار لطي ذكر المشبه ، وفي تخصيص الذكر بالإخوة إشعار بعلة المساواة في الإنفاق ، وأن ذلك مستحب لأنه وارد على سبيل التعطف عليهم ، وهو غير واجب وناسب لهذا أن يقال : (فليعنه) لأن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه(١) ، وهذا معنى قوله :(فمن جعل الله أخاه تحت يديه) " .

١٢ـ عن سعدٍ ، قال : سمعتُ رسولَ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :
(مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبعِ تمراتٍ عجْوَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ ذلكَ اليومَ سَمٌّ ولا سِحْرٌ)(٢) .

قال الطيبي :

" قوله : (من تصبح) قال في النهاية : (هو تَفَعَّلَ ، من صَبَحْتُ القوم إذا سَقَيتهم الصَّبُوح ، وَصَبَّحْتُ بالتشديد لغة فيه)(٣) ، فاستعير للأكل " .

فتكون الاستعارة هنا تصريحية تبعية في لفظ (تصبح) .

١٣ـ عن أبي مَطَرٍ ، قال : إنَّ عَلِيّاً اشْتَرَى ثَوْباً بثلاثةِ دَراهِمَ ، فلما لَبِسَهُ قال :
(الحمدُ للهِ الذي رَزَقني من الرِّيَاشِ ما أتَجمَّلُ بهِ في الناسِ وأُوارِي به عَوْرَتي) .
ثم قال : هكذا سمعتُ رسولَ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول(٤) .

قال الطيبي :

" قوله : (من الرياش) : الريش لباس الزينة ، استعير من ريش الطائر ، لأنه

---

(١) هذا المعنى من حديث رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة ، ومنه :(والله في عون المرء ما كان في عون أخيه) ينظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج ٢ ، ص (٢٧٤) .

(٢) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٢١٤) الحديث رقم (٤١٩٠) .

(٣) النهاية ، ج ٣ ، ص (٦) .

(٤) رواه أحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٢٥١) الحديث رقم (٤٣٧٣) .

لباسه وزينته (١) لقوله تعالى :(يابَنِي آدمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوارِي سَوْءاتِكُمْ وَرِيشاً ولباسُ التقوى)(٢) " .
فتكون الاستعارة هنا تصريحية أصلية في لفظ الريا ش .

١٤- عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :
(إيّاكُم والحَسَدَ ، فإن الحسدَ يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطبَ)(٣) .

قال الطيبي :
" أقول : يمكن أن يقال إن الأكل هنا استعارة لعدم القبول ، وإن تلك الحسنات الصادرة عنه مردودة عليه ، وليست بثابتة في ديوان الأعمال الصالحة حتى تحبط ، كمن صلى بدار مغصوبة ، ولهذا يحسن وجه التشبيه بالنار ، فإن النار عند اشتعالها والتهابها لا تترك من الوقود شيئاً إلا أفنته . فشبهت الأعمال الصادرة عنه عند ارتكاب الحسد بالحطب الجزل الذي تشتعل فيه النار في الإفناء والإعدام مبالغة وزجراً للحاسد (٤) فالأكل في النار أيضاً استعارة أو مشاكلة لوقوعه في صحبة قوله (يأكل الحسنات) " .
يلاحظ ان الاستعارة في (يأكل الحسنات) تصريحية تبعيةفي لفظ يأكل ، ونحوها في (تاكل النار) .

١٥- جاء في حديث للنبي - صلى الله عليه وسلم - ذكر فيه كلاماً للرب - عز وجل - منه : (إنما بعثتُكَ لأبتليكَ وأبتليَ بكَ ، وأنزلتُ عليكَ كتاباً لا يغسلهُ الماءُ تقرؤهُ نائماً ويقظان)(٥).

---

(١) هذا الكلام في الكشاف ، ج ٢ ، ص (٩٧) .
(٢) سورة الأعراف ، الآية (٢٦) .
(٣) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٠١) الحديث رقم (٥٠٤٠) .
(٤) ذكر الشريف الرضي في المجازات النبوية ، ص (١٥٣) أن سر التشبيه بالنار " لأن الحسد يجري في قلب الإنسان مجرى النار لاهتياجه واتقاده ..." قلت : هذه نكتة لم يتنبه لها الطيبي .
(٥) من حديث رواه مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٧٦) الحديث رقم (٥٣٧١) .

قال الطيبي :

" قوله (وأنزلت عليك كتاباً لا يغْسِله الماء) أى : كتاباً محفوظاً في القلوب ،لا يضمحل بغسل القراطيس ، أو كتاباً مستمراً متدا ولاً بين الناس ما دامت السموات والأرض لا ينسخ ولا ينسى بالكلية ، وعبر عن إبطال حكمه ، وترك قراءته ، والإعراض عنه ، بغسل أوراقه بالماء على سبيل الاستعارة " .

ويريد الطيبي بقوله : (على سبيل الاستعارة) انها استعارة تصريحية تبعية .

١٦- عن أبي رَزين العقيلي ، قال : قلتُ يا رسول الله ! كيف يُعيدُ اللهُ الخلقَ؟ وما آيةُ ذلك في خلقِه ؟. قال :(أما مررتَ بوادي قومِك جَدْباً ، ثم مررتَ به يهتزُّ خضراً ؟)(١).

قال الطيبي :

" قوله (يهتز خضراً) جملة حالية ، وخضراً نصب على التمييز ، استعار الاهتزاز لأشجار الوادي تصويراً لحسنها وبهجتها ، ويقال اهتز فلان فرحاً ، أي : خف ، (وكلُّ من خَفَّ لأمْرٍ وارتاحَ له ، فقد اهتزَّ لهُ)(٢). " .

يلاحظ أن الاستعارة هنا تصريحية تبعية،وفي الكلام كله تشبيه وقد تقدم .

١٧- عن أبي هريرة ، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال في قوله :(كَالْمُهْلِ)(٣):

(أي كعَكَرِ الزيتِ، فإذا قُرِّبَ إلى وجهِهِ سقطتْ فَرْوَةُ وجهِهِ فيه)(٤).

قال الطيبي:"قوله :(كعكر الزيت) أى الدرن منه والدنس ،وقوله (فروة وجهه) أى جلدته ،والأصل فيه فروة الرأس وهي جلدتها بما عليها من الشعر ، فاستعارها من الرأس للوجه" .

---

(١) من الحديث رقم (٥٥٣١) وقد تقدم ص (١٧٥) من الرسالة .

(٢) هذه العبارة في النهاية ، ج ٥ ، ص (٢٦٢) .

(٣) سورة الكهف ، الآية (٢٩) . وسياق الآية :(وإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بماءٍ كالمُهْلِ يَشْوِي الوجوهَ بئسَ الشرابُ وساءتْ مرتفقاً) .

(٤) رواه الترمذى ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٨١) الحديث رقم (٥٦٧٨) .

١٨- عن عائذ بن عمرو ، أن أبا سفيان أتى على سلمانَ وصهيبٍ وبلالٍ في نفر، فقالوا : (ما أخذتْ سيوفُ اللهِ من عُنُقِ عدوِّ اللهِ مأْخذَها)(١) .

قال الطيبي :

" قوله :(ما أخذت سيوف الله) استعار الأخذَ للسيفِ تشبيهاً له بمن له حق على صاحبه ، وهو يلمزه ويطالبه ، والغريم يمتنع عن إيفاء حقه ويماطله " .

١٩- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(إن الشيطانَ ذئبُ الإنسانِ كذئبِ الغنمِ ، يأخذُ الشاذةَ ، والقاصيةَ ، والناحيةَ)(٢).

قال الطيبي :

" قوله :(إن الشيطان ذئب الانسان) مستعار للإفساد والإهلاك ، أي إن الشيطان مفسد للإنسان ومهلكه كذئب أرسل إلى قطيع من الغنم " .

والأرجح أن الصورة من التشبيه البليغ للتصريح بالمشبه والمشبه به .

٢٠- عن مسروقٍ ، قال : لقيتُ عمرَ ، فقال : مَنْ أنتَ؟ قلت : مسروقُ بنُ الأجدعِ ، قال عمرُ : سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقولُ :(الأَجْدَعُ شيطانٌ)(٣)

قال الطيبي :

" قوله (الأجدع شيطان) هو استعارة من مقطوع الأطراف لمقطوع الحُجَّة " .

وهذا من التشبيه البليغ أيضاً ، أطلق عليه لفظ الاستعارة مما يدل على تسامح الطيبي .

٢١- عن أبي الدرداء قال : كُنَّا معَ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فَشَخَصَ ببصرهِ إلى السماءِ ثم قال :(هذا أوانُ يُخْتَلَسُ فيه العِلْمُ مِنَ الناسِ ، حتى لا يَقْدِروا مِنْهُ على شيءٍ)(٤).

---

(١) من حديث رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٧٥١) الحديث رقم (٦٢٠٥) .

(٢) من الحديث رقم (١٨٤) وقد تقدم ص (١٤٧) من الرسالة .

والحديث في "المجازات النبوية" ، ص (٢٢٨) وقد علق عليه الشريف الرضي بقوله : " وهذه من أحسن الاستعارات " .

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه ، ينظر : المشكاة ، ج٣ ، ص (١٣٤٧) الحديث رقم (٤٧٦٧).

(٤) رواه الترمذي ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٨١) الحديث رقم (٢٤٥) .

قال الطيبي :

" (يختلس) أي : يسلب العلم منكم ، حتى لا تقدروا أن تستنزلوا بسؤالكم شيئاً من العلوم السماوية ، والاختلاس استعارة للإمساك من نزول العلم " .

وهذه استعارة تصريحية تبعية ،ونحوها ما سيذكره عند الحديث التالي :

٢٢- عن عائشةَ رضي الله عنها ، قالت : سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الالتفاتِ في الصلاة ، فقال :(هو اخْتِلاسٌ يختَلِسُه الشيطانُ من العبْدِ)(١).

يرى الطيبي أن اختلاس الشيطان يمكن أن يكون استعارة ، أو حقيقة ،فيقول :

" المعنى : من التفت يميناً أو شمالاً ذهب عنه الخشوع المطلوب بقوله تعالى : (الذينَ هُمْ في صلاتِهِمْ خاشِعونَ)(٢) فاستعير لذهاب الخشوع اختلاسُ الشيطان تصويراً لقبح تلك الفعلة . أو أن المصلي حينئذٍ مستغرقٌ في مناجاة ربه ، وأنه تعالى مقبل عليه ، والشيطان كالراصد ينتظر فوات تلك الحالة عنه ،فإذا التفت المصلي ، اغتنم الفرصة فيختلسها منه " .

ويلاحظ أن الطيبي خلط بين بعض صور الاستعارة والتشبيه أحياناً ،وتسامح في تحديد بعض أنواع الاستعارات .

× × ×

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٣١١) الحديث رقم (٩٨٢) .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية :(٢) .

ثانياً: استعارات أشار إلى مصادرها :

هناك بعض الاستعارات نقلها الطيبي عن بعض العلماء، ولم يعقب عليها، وسكوته دليل على إقراره لها، وربما عقب على بعضها فذكرت تعقيبه، وقد ورد بعض هذه الاستعارات خلال شرح الأحاديث الآتية :

١- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:
(اجتنبوا السبعَ الموبقاتِ) وذكر في آخر الحديث: (وقذْفُ المُحْصَناتِ المؤمناتِ الغافلاتِ)(١).

قال الطيبي :
« قال الراغب: القَذْفُ: الرَّمْيُ البعيدُ، استعيرَ للشَّتْمِ والعَيْبِ والبهتان، كما استعيرَ لرمي المحصنات(٢)».
والاستعارة هنا تصريحية أصلية، ولم يبين ذلك الطيبي.

٢- جاء في دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- عند التهجد: (ولكَ الحمدُ، أنتَ الحقُّ، ووعدُكَ الحقُّ، ولقاؤكَ حقٌّ، وقولُكَ حقٌّ، والجنةُ حقٌّ، والنارُ حقٌّ، والنبيونَ حقٌّ، ومحمدٌ حقٌّ، والساعةُ حقٌّ)(٣).

قال الطيبي :
« قوله: (الساعة حق) قال في النهاية: الساعةُ لغة تُطلق على جُزْءٍ قليل من اليومِ والليلةِ، ثم استعير للوقت الذي تقوم فيه القيامة. يُريد أنها

---

(١) من حديث متفق عليه، ينظر: المشكاة، ج ١، ص (٢٢- ٢٣) الحديث رقم (٥٢).
(٢) المفردات في غريب القرآن، مادة (قذف)
(٣) من حديث متفق عليه عن ابن عباس، ينظر: المشكاة، ج ١، ص (٣٨١)، الحديث رقم (١٢١١).

ساعة خَفيفَة يحدثُ فيها أمرٌ عظيمٌ(١)» .

والأصوب أنه لا استعارة هنا وإنما مجاز مرسل علاقته الاطلاق والتقييد .

٣- عن عائشةَ ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (خمسٌ فواسقُ يُقْتَلْنَ في الحِلِّ والحَرمِ : الحيَّةُ ، والغُرابُ الأبقَعُ ، والفأرةُ ، والكلبُ العَقورُ ، والحُدَيّا)(٢)

قال الطيبي :

« قال في النهاية : أصل الفُسوق الخُروجُ عن الاستقامةِ ، والجُوْرُ ، وبه سُمّي العاصِي فاسِقاً ، وإنما سُمِّيَتْ فواسِقَ على الاستعارةِ ، لِخُبْثِهِنَّ ، وقيل لخُروجِهنَّ من الحُرْمة في الحِلِّ والحرَم »(٣) .

يلاحظ أن الاستعارة في (فواسق) تصريحية أصلية .

٤- عن أبي قتادةَ ، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(مَنْ سَرَّهُ أنْ يُنَجِّيَهُ اللهُ من كُرَبِ يومِ القيامةِ ، فَلْيُنَفِّسْ عن مُعْسِرٍ أو يضَعْ عنه)(٤) .

قال الطيبي :

« قوله :(فلينفس) أي فليؤخر مطالبته ، قال في النهاية : (وهو مُسْتَعارٌ من نَفَسِ الهواءِ الذي يَرُدُّه التنفسُ إلى الجَوفِ فَيَبْرِدُ من حَرارته ويُعَدِّلها ، أو من

---

(١) الكلام في النهاية ، ج ٢ ، ص (٤٢٢) وأورده الطيبي بإيجاز ، وعبارة النهاية: « الساعةُ في الأصلِ تطْلَق بمعْنيين : أحدُهما أن تكون عِبارَةً عن جُزْءٍ من أربعةٍ وعشرين جُزْءاً هي مجموعُ اليوم والليلة ، والثاني أن تكون عبارةً عن جُزْءٍ قليل ...» . ودل كلام ابن الأثير على أن تقسيم اليوم والليلة إلى أربع وعشرين ساعة هو من تقسيم المسلمين وإشعاعهم الحضاري الذي أضاءت شمسه سماء العالم .

(٢) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٨٢٦) الحديث رقم (٢٦٩٩) .

(٣) النهاية ، ج ٣ ، ص (٤٤٦) .

(٤) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٨٧٧) الحديث رقم (٢٩٠٢) .

نَفَس الريحِ الذى يَتَنَسَّمه فيَسْتَرْوِحُ إليه ، أو من نفسِ الرَّوضة وهو طِيبُ رَوائحها فَيَتَفَرَّجُ به عنه)(١). " .

وأنبه على أن الاستعارة في قوله (فلينفس) تصريحية تبعية ، ونحوها (يطير) في الحديث التالي :

٥ـ عن حَجَّاج بنِ حَجَّاجٍ الأَسْلَمِيِّ ، عن أبيه ، أَنَّهُ قال : يارسولَ الله ! ما يُذْهِبُ عَنِّي مَذَمَّةَ الرَّضاعِ؟. فقال :(غُرَّةٌ : عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ)(٢).

قال الطيبي :

" قال القاضي : الغُرَّةُ المملوك ، وأصلها البياض في جبهة الفرس ، ثم استعير لأكرم كل شيء ، كقولهم : غرة القوم لسيدهم ، ولما كان المملوك خير ما يملك سمي غرة ، ولما كانت الظِّئْرُ أخدمت له نفسها ، جعل جزاء حقها من جنس فعلها ، فأمر بأن يعطيها مملوكاً يخدمها ويقوم بحقوقها ، وقيل الغرة لا تطلق إلا على الأبيض من الرقيق "(٣).

٦ـ عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (مِنْ خيرِ معاشِ الناسِ لهم ، رجلٌ مُمْسِكٌ عِنانَ فرسِهِ في سبيلِ الله ، يطيرُ على مَتْنِهِ ،كلما سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً ، طارَ عليهِ يُبْتَغي القتْلَ والموْتَ مظَانَّهُ)(٤)

قال الطيبي :

" قوله :(يطير على متنه) قال القاضي : أى يسرع راكباً على ظهره مستعار من طيران الطائر "(٥).

---

(١) النهاية ، ج ٥ ، ص (٩٣) .

(٢) رواه الترمذى ، وأبو داود ، والنسائي ، والدارمي ، ينظر : المشكاة ، ج ٢، ص (٩٤٨) الحديث رقم (٣١٧٤) .

(٣) في المرقاة ، ج ٦ ، ص (٢٢٩ـ ٢٣٠) نسب الكلام للطيبي ، بينما في التعليق ، ج ٤ ، ص (٣٤) نسبه للقاضي .

(٤) من حديث رواه مسلم ، ينظر: المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١١٨ـ ١١١٩) الحديث رقم (٣٧٩٦)

(٥) ينظر : المرقاة ، ج ٧ ، ص (٢٧٢) . والتعليق ، ج ٤ ، ص (٢٢٨) .

وعلق على كلام القاضي قائلاً :

"أقول : قوله (يطير) إما صفة بعد صفة ، أو حال من الضمير في ممسك ، وطار جواب كلما ، وهو مع جوابه حال من ضمير يطير ، وفيه تصوير حالة هذا الرجل وشدة اهتمامه بما هو فيه من المجاهدة في سبيل الله ، وأنه عادته ودأبه ولا يلتفت إلى غيره ، ونحوه قول حاتم :

وللهِ صُعْلُوكٌ يُسَاوِرُ هَمَّهُ ... ويَمْضي على الأحداثِ والدهرِ مُقْدِما

فَتى طَلِباتٍ لا يرى الخَمْصَ تَرْحَةً ... ولا شَبْعَةً إن نالها عدَّ مَغْنَما

إذا ما رأى يوماً مكارمَ أعْرَضَتْ ... تَيَمَّمَ كُبْراهُنَّ ثُمَّتَ صَمَّمَا

ترى رُمْحَهُ ونَبْلَهُ ومِجَنَّهُ ... وذا شُطَبٍ عَضْبَ الضريبةِ مِخْذَما (١)

وأحْناءَ سَرْجٍ قاتِرٍ ولِجامَهُ ... عَتادَ فتى هَيْجا وطِرْفاً مُسَوَّما (٢)

ويغشى إذا ما كانَ يومُ كريهةٍ ... صُدورُ العوالي فهو مُخْتَضِبٌ دَما

إذا الحربُ أبدتْ ناجذَيْها وشَمَّرتْ ... وَوَلَّى هِدانُ القومِ أقبلَ مُعْلِما

فذلكَ إنْ يَهْلِكْ فَحُسْنٌ ثَناؤُهُ ... وإن عاش لم يَقْعُدْ ضعيفاً مُذمَّما (٣)" .

٧- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(إن المؤمنَ يجاهدُ بسيفِهِ ولسانِهِ والذى نفسي بيدِهِ لكأنما ترمونَهم به نَضْحَ النَّبْلِ)(٤).

قال الطيبي :

" قال القاضي : الضمير في به للشعر ، ونضح النَّبْلِ : رميه ، مستعار من نَضْحِ

---

(١) المِجَنّ : الترس ، والشُّطَبُ : طرائق وخطوط في متن السيف ، والعضب : القاطع ، والضريبة من السيف : حده ، والمخذم : القاطع .

(٢) الأحناء : واحدها حِنْوٌ ، ويطلق على كل ما فيه اعوجاج ، والسرج القاتر : الجيد ، والطِّرْفُ : الجواد الأصيل ، والمسوم : المعلم لشهرته .

(٣) ديوان حاتم الطائي ، ص (٢٣٩- ٢٤١) . والإيضاح ، ج ١ ، ص (١٢٠- ١٢١) .

(٤) رقم الحديث (٤٧٩٥) وقد تقدم تخريجه ص (٧٧) من الرسالة .

الماء ، والمعنى أن هجاءهم أثر فيهم تأثير النبل ، وقام مقام الرمي في النكاية بهم "(١) .

والأصوب أن في (نضح النبل) تشبيهاً بليغاً وليس استعارة .

٨- عن أبي بكرة ، قال : أَثْنَى رجلٌ على رجلٍ عندَ النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : (ويْلكَ قطعتَ عُنُقَ أخيكَ "ثلاثاً" مَنْ كانَ منكمْ مادِحاً لا محالَةَ فليقل: أحسب فلاناً ، واللهُ حسيبُه ، إنْ كانَ يُرى أنه كذلكَ ، ولا يُزكِي على اللهِ أحداً)(٢).

قال الطيبي :

" قوله :(قطعت عنق أخيك) قال النووي : هذه استعارة من قطع العنق الذي هو القتل لاشتراكهما في الهلاك ، لكن هذا الهلاك في الدين وقد يكون من جهة الدنيا "(٣).

٩- عن أنس قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - :(يَهْرَمُ ابنُ آدمَ ، ويشِبُّ منه اثْنَانِ : الحِرْصُ على المالِ ، والحِرْصُ على العُمُرِ)(٤).

قال الطيبي :

" قوله :(يشب) قال النووى : هذا مجاز واستعارة ، ومعناه أن قلب الشيخ كامل الحب للمال يحتكم احتكاماً مثل احتكام قوة الشاب في شبابه . (٥)

---

(١) ينظر : المرقاة ، ج ٩ ، ص (١٢٨) .

(٢) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٥٨) الحديث رقم (٤٨٢٧) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ١٨ ، ص (١٢٧) .

(٤) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٥٠) الحديث رقم (٥٢٧٠) .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ٧ ، ص (١٣٨) . وذهاب النووى إلى الاستعارة سبقه إليه قبله الشريف الرضي في المجازات النبوية ، ص (٢٣٢- ٢٣٣) .

أقــول : يجوز أن يكون من باب المشاكلة والمطابقة لقوله : يهرم " .
وأنبه إلى أن الاستعارة في يشب تصريحية تبعية ، وأما المشاكلة فهي على رواية (يشيب) بدل

١٠- عن أبي موسى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له :(يا أبا موسى ! لقد أُعْطِيتَ مِزْماراً من مَزامِيرِ آلِ داود)(١).

قال الطيبي :

" قوله :(مزماراً) قال القاضي : المِزْمار ههنا مستعار للصوت الحسن والنغمة الطيبة ، أي أعطيت حسن صوت يشبه بعض الحسن الذي كان لصوت داود ، والمراد بآل داود نفسه ، إذ لم يكن أحد من آله مشهوراً بحسن الصوت "(٢).
والأصوب هنا أن المزمار مجاز مرسل علاقته الآلية وليس استعارة .

١١- عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :(أتاكم أهلُ اليمن ، هُمْ أرقُّ أفئدةً ، وألينُ قُلوباً ...)(٣).

قال الطيبي :

" قال القاضي : الرقة ضد الغلظة والصفاقة ، واللين مقابل القسوة ، فاستعيرت في أحوال القلب ، فإذا نبا عن الحق وأعرض عن قبوله ، ولم يتأثر بالآيات والنذر يوصف بالغلظة . فكأن شِغافَه صفيقٌ لا ينفذ فيه الحق ، وجرمه صلب لا يؤثر فيه الوعظ ، وإذا كان بعكس ذلك يوصف بالرقة واللين ، فكأن حجابه رقيق لا يأبى نفوذ الحق ، وجوهره لين يتأثر بالنصح "(٤).

× × ×

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٧٤٨) الحديث رقم (٦١٩٤) .
(٢) ينظر : المرقاة ، ج ١١ ، ص (٤١٢) .
(٣) من حديث متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٧٦٥) الحديث رقم (٦٢٥٨) .
(٤) ينظر : المرقاة ، ج ١١ ، ص (٤٥٢- ٤٥٣) .

ننبه أخيراً إلى أن الطيبي ربما استأنس بكلام للزمخشري عند ذكره بعض الاستعارات . كما يلاحظ من خلال موقفه عند هذين الحديثين :

١- عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال :(كُنَّا قُعُوداً حولَ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - ومعنا أبو بكرٍ وعمرُ - رضي الله عنهما - في نَفَرٍ ، فقامَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - من بينِ أَظْهُرِنا ، فأَبْطَأَ علينا ، وخَشِينا أن يُقْتَطَعَ دُونَنا ، وفَزِعْنا فَقُمْنا ، فكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ)(١) .

قال الطيبي :

" قوله :(دوننا) حال من الضمير المستتر في يقتطع ، أي خشينا أن يصاب بمكروه من عدو أو غيره ، متجاوزاً عنا ، كقوله تعالى : (وادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ)(٢) ، قال في الكشاف :(ومعنى دون أدنى مكان من الشيء ، ومنه الشيء الدون واستعير للتفاوت في الأحوال والرتب ، فقيل : زيد دون عمرٍو في الشرف والعلم ، ثم اتسع فيه واستعمل في كل متجاوز حدٍ الى حد)(٣) " .

٢- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(.. وأمَّا العينُ فمقرَّةٌ لِما يُوعى القلب)(٤) .

قال الطيبي :

---

(١) من حديث رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (١٨- ١٩) الحديث رقم (٣٩) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٣) .

(٣) ج ١ ، ص (٩٩) .

(٤) من حديث رواه أحمد والبيهقي في (شعب الإيمان) عن أبي ذر ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٣٥) الحديث رقم (٥٢٠٠) .

" قوله : (فمقرة) وارد على سبيل الاستعارة لأنها تثبت في القلب وتقر فيه ما أدركته بحاستها ، فكأن القلب لها وعاء ، وهي تقر فيه ما رأته قال في أساس البلاغة : (ومن المجاز قَرَّ الكلامَ في أذنه ، إذا وضع فاه على أذنه فأسمعه ، وهو من قَرَّ الماءَ في الإناءِ إذا صَبَّه فيه) (١). " .

× × ×

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري ، مادة (قرر) .

- المبحث الثالث : قيمة الاستعارة -

الاستعارة ضرب من المجاز ، وهي روضة من رياض البيان ، يرتفع بها الأسلوب وتأنس بها الأرواح ، ويحلق بها الخيال ، وهي من أجمل فنون البيان وأجلها قدْراً ، وذلك لأسباب كثيرة ، منها : المبالغة التي نجدها في الاستعارة ،لأن الاستعارة مبناها التشبيه ، فإذا أريد المبالغة في التشبيه أمكن البلوغ إلى أقصى درجات المبالغة بإطلاق اسم المشبه به على المشبه على سبيل الاستعارة . فالمبالغة أهم أغراض الاستعارة . وهي التي تكسبها رونقًا وجمالاً . ولذلك نجد بعض البلاغيين ينصون على أن الغرض الأول من الاستعارة المبالغة .

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني :

" فالتشبيه ليس هو الاستعارة ، ولكن الاستعارة كانتْ من أجل التشبيه ، وهو كالغرض فيها ، وكالعلة والسبب في فعلها ، فإن قلت : كيف تكون الاستعارة من أجل التشبيه ، والتشبيه يكون ولا استعارةٌ ، وذلك إذا جئت بحرفه الظاهر فقلت : زيد كالأسد؟ . فالجواب أن الأمر كما قلتُ ، ولكن التشبيه يحصل بالاستعارة على وجه خاص وهو المبالغة "(١) .

ويقول الفخر الرازى :

" الاستعارة ذكر الشيء باسم غيره ، وإثبات ما لغيره له ، لأجل المبالغة في التشبيه "(٢) .

وقد أشار الطيبي رحمه الله إلى أن المبالغة من أغراض الاستعارة في مواضع منها :

---

(١) أسرار البلاغة ، ص (٢٢٠) .

(٢) نهاية الإيجاز ، ص (١١٥) .

١- عن علي ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(لا تُغَالوا في الكَفَنِ فإِنَّهُ يُسْلَبُ سَلْباً سَرِيعاً)(١).

قال الطيبي :

" قوله (فإنه يسلب سلباً سريعاً) علة للنهي ، كأنه قيل : لا تشتروا الكفن بثمن غال ، فإنه يبلى سريعاً ، وهو تبذير ، قال تعالى :(إِنَّ المُبَذِّرِينَ كانوا إِخوانَ الشياطينِ)(٢) واستعير للبلى السلب مبالغة لمعنى السرعة " .

ونوع الاستعارة هنا تصريحية تبعية .

٢- عن قُرَّةَ المُزَنِيِّ ، أن رجلاً كان يأتي النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - ومعَهُ ابْنٌ لَهُ فقال له النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - :(أَتُحِبُّهُ ؟) فقال : يا رسول الله ! أَحَبَّكَ اللهُ كما أُحِبُّهُ ، فَفَقَدَهُ النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - فقال :(ما فعلَ ابنُ فُلانٍ ؟) قالوا : يا رسول الله ! ماتَ ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(أما تُحِبُّ أَلا تَأْتِيَ باباً من أَبْوابِ الجنةِ إلا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ ؟) فقال رجلٌ : يا رسولَ الله ! له خاصَّةً ، أم لِكُلِّنا ؟. قال :(بَلْ لِكُلِّكُمْ)(٣).

قال الطيبي :

" قوله (إلا وجدته ينتظرك) أي مفتحاً لك مهيأً لدخولك ، كما قال تعالى :(جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأبوابُ)(٤) فاستعير الانتظار للفتح مبالغة " .

والاستعارة هنا تصريحية تبعية .

٣- عن عَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ ، عن أبيهِ ، عن جدهِ ، أن النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - خطبَ الناسَ ، فقال :(أَلا مَنْ وَلِيَ يَتِيماً لَهُ مالٌ فَلْيَتَّجِرْ فِيهِ ، ولا يَتْرُكْهُ حتى

---

(١) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥١٨) الحديث رقم (١٦٣٩) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٢٧) .

(٣) رواه أحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٥٠) الحديث رقم (١٧٥٦) .

(٤) سورة ص ، الآية (٥٠) .

تَأْكُلَهُ الصدقةُ)(١) .

قال الطيبي :

" قوله (حتى تأكله الصدقةُ) أى : تنقصه وتفنيه ، لأن الأكل سبب للإفناء ، أو استعارة حيث جعل الصدقة مشابهة للطاعِم ونسب إليها من لوازم المشبه به وهو الأكل مبالغة في كمال الإفناء " .

أقول : كأن الطيبي أراد بقوله " الأكل سبب الافناء " أن الأكل هنا مجاز عقلي علاقته السببية ، لذلك ردد قوله (تأكله) بين العلاقة السببية والاستعارة المكنية .

كما تحدث الطيبي - رحمه الله - عن حسن موقع الاستعارة في الكلام ، وعن فائدتها وذكر أن المعاني الكثيرة يمكن أن نأخذها من الاستعارة ، وهذه إشارة ضمنية إلى أن الاستعارة تفيد الايجاز الذى هو من أخص صفات البلاغة .

ومن المواضع التي ذكر فيها ذلك ما يلي :

١- عن عبدِ الرحمنِ بن غَنْمٍ ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :

(مَنْ قالَ قبلَ أنْ يَنْصَرِفَ ويَثْنِيَ رِجْلَيْهِ مِنْ صلاةِ المَغْرِبِ والصبح : لا إلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ ، لَهُ الملكُ ، وله الحمدُ ، بيدِهِ الخيرُ ، يُحْيِي ويُمِيتُ ، وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، عَشْرَ مَرَّاتٍ ، كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ واحدةٍ عَشْرُ حَسَناتٍ ، ومُحِيَتْ عنهُ عَشْرُ سَيئاتٍ ، ورُفِعَ له عشرُ درجاتٍ ، وكانتْ لهُ حِرْزاً من كُلِّ مَكْروهٍ ، وحِرْزاً مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ، ولمْ يَحِلَّ لِذَنْبٍ أنْ يُدْرِكَهُ إلا الشِّرْكُ ، وكانَ مِنْ أفضلِ الناسِ عَمَلاً ، إلا رَجُلاً يَفْضُلُهُ ، يقولُ أفْضَلَ مما قالَ)(٢).

---

(١) رواه الترمذى ، وقال :"في إسناده مقال"،ينظر: المشكاة ، ج١،ص(٥٦١) الحديث رقم (١٧٨٩) .

(٢) رواه أحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص(٣٠٨) الحديث رقم (٩٧٥) .

قال الطيبي :

" قوله :(ولم يحل لذنب) فيه استعارة وما أحسن موقعها إ، فإن الداعي إذا دعا بكلمة التوحيد ، فقد أدخلَ نفسَه حرماً آمناً ، فلا يستقيم للذنب أن يحل ويهتك حرمة الله ، فإذا خرج عن حرم التوحيد أدركه الشرك لا محالة " .

٢- قال في قوله تعالى :(إنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البيتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً)(١).

قال الطيبي :

" قوله :(عنكم الرجس) استعار للذنوب الرجس ، وللتقوى الطهر ، لأن عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ، ويتدنس كما يتلوث بدنه بالأرجاس ،وأما المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر ، وفي هذه الاستعارة ما ينفر أولي الألباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ، ويرغبهم فيما رضيه لهم وأمرهم به(٢) " .

٣- عن عبد اللهِ بنِ عمرٍو ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -:
(يُقالُ لصاحبِ القرآنِ : اقرأْ وارْتَقِ ، وَرَتِّلْ كما كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدنيا ، فإن مَنْزِلَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تَقْرَؤُها)(٣).

قال الطيبي :

" الذي يذهب إليه من سياق هذا الحديث ، تحريض لصاحب القرآن على التحري في القراءة والإمعان في النظر فيه ، والملازمة له ، والعمل بمقتضاه ، وكل

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٣٣) وقد ذكرت مع متن الحديث (٦١٢٧) ، في ج ٣ ، ص (١٧٣١) من المشكاة .

(٢) هذا الكلام اقتبسه الطيبي من الكشاف ، ج ٣ ، ص (٥٣٨) .

(٣) رواه أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٥٨) الحديث رقم (٢١٣٤) .

هذه الفوائد يعطيها معنى الصاحب استعارة ، لأن أصل المصاحبة بالبدن ، وقد علم أن الصاحب من يرافقك بالبدن ، ويوافقك بما يهمك ، ويعاونك فيما ينفعك ويدفع عنك ما يضرك ، فإذن هو جامع لمعنى القراءة والتدبر والعمل، فقوله : (اقرأ وارتق) أمر له في الآخرة بالقراءة التي توصله إلى مصاعد ودرجات ، ثم قوله :(فإن منزلتك) تعليل للأمر المرتب عليه الترقي ، يعني قراءتك هذه ياصاحب القرآن ترقيك إلى منزلة فمنزلة على قدر قراءتك ، فإذا قطعتها انقطعت وإذا وصلتها اتصلت وزادت إلى ما لا نهاية له ، ولأن التشبيه في قوله :(ورتل كما كنت ترتل في الدنيا) يستدعي تشبيه الاتصال بالاتصال ، وكما أن قراءته في حالة الاختتام استدعت الافتتاح الذي لا انقطاع له على ما ورد في حديث (الحالُّ المُرْتَحِلُ)(١) كذلك لا انقطاع لهذه القراءة ولا للرقي ولا للمنازل ،فهو كما قال تعالى :(إنما يُوَفَّى الصابرونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ)(٢) وهذه القراءة لهم كالتسبيح للملائكة ، تشغلهم عن سائر مستلذاتهم ، بل هو المستلذ الأعظم ، ودونه كل مستلذ " .

× × ×

---

(١) روى الترمذي عن ابن عباس قال : قال رجل يا رسول الله! أيُّ العملِ أحبُّ إلى الله؟ قال :(الحالُّ المُرْتَحِلُ) . قال : وما الحال المرتحل؟ قال : (الذي يَضْرِبُ من أولِ القرآن إلى آخره كلما حَلَّ ارْتَحَلَ) قال الترمذي :" هذا حديث غريب " . ينظر : الجامع الصحيح " سنن الترمذي" ، ج ٥ ، ص (١٨١) .

(٢) سورة الزمر ، الآية (١٠) .

- الادعـــاء -

الادعاء ليس شيئاً قائماً بذاته في علم البلاغة ، وليس قسيماً للمجاز أو التشبيه ، فهو يوجد أساساً في كل الصور البيانية التي فيها مبالغة لأن المبالغة قائمة على الادعاء .

وهنا نجد الطيبي كأنه اعتبره مقابلاً للتشبيه والاستعارة وصنيعه في هذا من باب التسامح ، ومن الأمثلة التي ذكر عندها الادعاء ما يلي :

١ـ عن عائشةَ ، رضي الله عنها ، قالت : دُعِيَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى جَنازَة صَبيٍّ منَ الأنصارِ ، فقلتُ : يا رسولَ الله ! طوبى لهذا ، عُصْفُورٌ مِنْ عَصافِيرِ الجنة ، لم يَعْمَلِ السُّوءَ ولم يُدْرِكْهُ ...)(١) .

يسهب الطيبي في شرح هذا الحديث موضحاً ما يريده بالادعاء فيقول :

« فإن قلت : قوله (عصفور من عصافير الجنة) فيه إشكال لأنه ليس من باب التشبيه كما تقول : " هذا كعصفور من عصافير الجنة " إذ ليس المراد أن ثمة عصفوراً وهذا مشابه له ، ولا من باب الاستعارة لأن المشبه والمشبه به مذكوران ، لأن التقدير هو عصفور ، والمقدر كالملفوظ ؟ قلت : هو من باب الادعاء كقولهم : (تحيةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وجيعُ) (٢) وقولهم : (القلم أحد اللسانين) جعل بالادعاء التحية والقلم ضربين أحدهما المتعارف ، والآخر غير المتعارف من الضرب واللسان فبين في الأول بقوله : (ضرب وجيع) أن المراد غير المتعارف كما بين في الثاني بقوله (أحد اللسانين) أن المراد منها غير المتعارف(٣).

---

(١) من حديث رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٣١) الحديث رقم (٨٤) .

(٢) ينظر : ص (٣٠٥) من الرسالة .

(٣) كأنه بهذه الأمثلة جمع بين الحقيقة والمجاز والمراد المجاز ، وقد يجمع بينهما ويرادان معاً ، وللعلماء في هذا كلام، وقد ذكر الخطابي في (غريب الحديث) ج ١ ، ص (١٨٧) مجاز تغليب أحد الاسمين على الآخر ، كقولهم : الأسودان للتمر والماء ، وسيرة العمرين يريدون أبا بكر وعمر . وقال العز بن عبد السلام في كتابه (الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز) ص (١١٥) : (.. ومن الجمع بين المجاز والحقيقة التعبير بالأبوين عن الأب والأم ، وبالقمرين عن الشمس والقمر ... وكله من مجاز المشابهة كتماثل الشمس والقمر في الضياء)

جعلت رضي الله عنها العصفور صنفين : أحدهما المتعارف ، وثانيهما الأطفال من أهل الجنة ، وعنت بقولها (من عصافير الجنة) أن المراد الثاني وقولها : (لم يعمل السوء) بيان لإلحاق الطفل بالعصفور وجعله منه ، كما جعل القائل القلم لساناً بواسطة إفصاحهما عن الأمر المضمر " .

٢- عن أبي قَتَادَةَ ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - :
(أَسْوَأُ النَاسِ سَرِقَةً الَّذي يَسْرِقُ مِنْ صَلاتِهِ) قالوا : يا رسول الله! وكيفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلاتِهِ؟ قال :(لا يُتِمُّ رُكوعَها ولا سُجودَها)(١) .

قال الطيبي :
" جعل جنس السرقة نوعين ، متعارفاً ، وغير متعارف ، وهو ما ينقص من هذا الركن من الطمأنينة ، ثم جعل غير المتعارف أسوأ من المتعارف ، وإنما كان أسوأ لأن السارق إذا أخذ مال الغير ربما ينتفع به في الدنيا ، أو يستحل من صاحبه ، أو تقطع يده فيتخلص من العقاب في الآخرة ، بخلاف هذا السارق فإنه سرق حق نفسه من الثواب ، وأبدل منه العقاب في العقبى ، وليس في يده سوى الضرر والتعب " .

٣- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - :
(السَّخاءُ شَجَرَةٌ في الجنةِ ، فَمَنْ كانَ سَخِياً أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْها ، فلمْ يَتْرُكْهُ الغُصْنُ حتى يُدْخِلَهُ الجنةَ ، والشُّحُ شَجَرَةٌ في النارِ ، فَمَنْ كانَ شَحيحاً أَخذَ بِغُصْنٍ مِنْها فَلَمْ يَتْرُكْهُ الغُصْنُ حتى يُدْخِلَهُ النارَ)(٢)

---

(١) رواه أحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٢٧٩) الحديث رقم (٨٨٥) .
(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٩١) ، الحديث رقم (١٨٨٦) .

قال الطيبي :

" قوله : (شجرة في الجنة) أي كالشجرة في الجنة ، والتنكير للتعظيم ".

ثم شرح الصورة على أنها من التشبيه ، بعد ذلك ذكر وجهاً آخر وهو احتمال أن تكون الصورة من الادعاء فقال :

" ويحتمل أن يكون من باب الادعاء كقوله تعالى :(يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بَنونَ × إلّا مَنْ أتى اللهَ بقلبٍ سَليمٍ)(١) ، في وجه (٢) ، جعل بالادعاء جنس الشجرة الدنيوية نوعين ، متعارفاً ، وغير متعارف ، وهي شجرة السخاء الثابت أصلها في الجنة وفرعها في الدنيا ، فمن أخذ بغصن منها فلا محالة أن يوصله إلى ما هو منه ، وحكم شجرة الشح على عكس ذلك ، وإلى هذا المعنى يلمح قولُه عليه السلام :(السَّخِيُّ قَريبٌ منَ اللهِ ، قريبٌ منَ الجنةِ ، قريبٌ منَ الناسِ ، بَعيدٌ منَ النارِ ، والبخيلُ بَعيدٌ منَ اللهِ ، بعيدٌ منَ الجنةِ ، بَعيدٌ منَ الناسِ ، قَريبٌ منَ النارِ)"(٣) .

٤- عن عُقبةَ بنِ عامرٍ ، قال : قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- : (إيّاكم والدخولَ على النساءِ) فقال رجلٌ : يارسولَ اللهِ، أرأيتَ الحَمْوَ؟. قال : (الحَمْوُ المَوْتُ)(٤) .

قال الطيبي :

"قال في الفائق : معناه أن حَمَاها الغاية في الشر والفساد ، فَشُبِّهَ بالموت ، لأنه قصارى كل بلاء ، وذلك أنه شرٌّ من الغريب من حيث أنه آمِن مُدِل

---

(١) سورة الشعراء ، الآيتان (٨٨- ٨٩) .

(٢) في معنى هذه الآية وردت وجوه عدة ، منها ما ذكره الطيبي ، ولمعرفة هذه الوجوه ينظر : الكشاف ، ج ٣ ، ص (٣٢٠) .

(٣) من حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٨٥) ، الحديث رقم (١٨٦٩) .

(٤) متفق عليه ، ينظر: المشكاة ، ج ٢ ، ص (٩٣٢) الحديث رقم (٣١٠٢) .

والأجنبي متخوف مترقب ، ويُحتمل أن يكون ذلك دعاءً عليها : أي كأن الموت منها بمنزلة الحَمِ الداخل عليها إن رَضيتْ بذلك [١] ".

وعقب الطيبي على كلام الزمخشري قائلاً :

" فإن قلت أي فرق بين الإخبار والدعاء ؟ قلت : في الإخبار أداة التشبيه ووجهه مضمران ، أي الحمو كالموت في الشرور والضرر ، وفي الدعاء : ادعاء أن الحمو نوعان : متعارف وهو القريب ، وغير المتعارف وهو الموت ، وطلب لها غير المتعارف لما استفتى الرجل المتعارف مبالغة ، وهذا معنى قول القائل : رد المغضب المنكر عليه " .

٥- عن عبدِ اللهِ بن مسعود ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (عليكم بالشفاءَيْنِ : العسلِ والقرآنِ)[٢] .

قال الطيبي :

" قوله : (العسل والقرآن) تقسيم للجمع ، فجعل جنس الشفاء نوعين حقيقياً وغير حقيقي ثم قسمه ، ونحوه قولك :(القلم أحد اللسانين) و (الخال أحد الأبوين) قال الفرزدق :

أبي أحمدُ الغيثينِ صَعْصَعَةُ الذي ... متى تُخْلِفِ الجَوْزاءُ والدَّلْوُ يُمْطِرِ[٣]

---

(١) ج ١ ، ص (٣١٨) .

(٢) رواه ابن ماجه ، والبيهقي في (شعب الإيمان) وقال :(والصحيح أنه موقوف على ابن مسعود) .
ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٢٨٨) الحديث رقم (٤٥٧١) .

(٣) ديوان الفرزدق ، ج ١ ، ص (٣٧٩) وقد ورد بلفظ : " أبي أحد الغيثين .... "
وهو في أسرار البلاغة ، ص (٢٩٣) .
والإيضاح ، ج ٢ ، ص (٤٣٦) .

فإنه نسي التشبيه وبنى على أن أباه أحد الغيثين اللذين إنْ أمسك أحدهما أمطر الآخر " .

٦- عن أبي عُبَيْدَةَ ، أنه قال : سمعتُ رسولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يقول : (خالدٌ سَيْفٌ من سيوفِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ونعمَ فتى العشيرة)(١) .

قال الطيبي: " قوله: (خالد سيف من سيوف الله عز وجل) هو من باب قوله تعالى : (يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بَنونَ × إلّا مَنْ أتى اللهَ بقلبٍ سَليمٍ)(٢).

جعل بالادعاء جنس السيوف نوعين متعارفاً وغيره ، وخالد من أحد نوعيه ، ونحوه قوله الفرزدق :

أبي أحمدُ الغيثينِ صعصعةُ الذي ... متى تُخْلِفِ الجوزاءُ والدلوُ يُمْطِرِ ".

× × ×

---

(١) رواه أحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٧٦١) الحديث رقم (٦٢٤٨) .
(٢) سورة الشعراء ، الآيتان (٨٨- ٨٩) .

- البـــاب الثالـــث -

- فـــن الكنايـــة -

سندرس في هذا الباب أقسام الكناية وفائدتها ضمن الفصل الأول ، وألقاباً أخرى للكناية ضمن الفصل الثاني .

ونود أن نشير في البدايـــة إلى أمر هام ، وهو أن الطيبي ذكر أن علمـــاء البيان اتفقوا على أن الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة وهذا صحيح ، بيد أنه أجاز

الجمع بينهما وإرادتهما معاً ، وذلك في مثل قولهم :" طويل النِّجاد " إذ يكون المراد طول النجاد مع طول القامة .

هذا ما قاله الطيبي عند هذين الحديثين :

١- عن عائشة ، قالت : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا دخلَ العشرُ شدَّ مِئزَرَهُ ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله)[١] .

قال الطيبي ناقلاً عن النووي وابن الأثير :

" قوله : (شد مئزره) . قال النووي : قيل معنى شد المئزر الاجتهاد في العبادات زيادة على عادته - صلى الله عليه وسلم - في غيره ، ومعناه التشمير في العبادات ، يقال : شددت لهذا الأمر مئزري ، أي تشمرت له وتفرغت ، وقيل : هو كناية عن اعتزال النساء وترك النكاح ودواعيه وأسبابه [٢] . وقال ابن الأثير : هو كناية عن التشمر للعبادة والاعتزال عن النساء معاً [٣]" .

ثم عقب على كلامهما بقوله :

" أقول : قد تقرر عند علماء البيان أن الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة ، كما إذا قلت :" فلان طويل النِّجاد " وأردت طول نجاده مع طول قامته ، كذلك - صلى الله عليه وسلم - لا يستبعد أن يكون قد شد مئزره ظاهراً ، وتفرغ للعبادة واشتغل بها عن غيرها ، وإليه يرمز قول الشاعر :

دنوت للمجد والساعون قد بلغوا ... جهد النفوس وألقوا دونه الأزرا [٤]" .

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٤٥) الحديث رقم (٢٠٩٠) .

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٨ ، ص (٧١) .

(٣) النهاية ، ج ١ ، ص (٤٤) وعبارة النهاية : " كنى بشده عن اعتزال النساء وقيل : أراد تَشْميره للعبادة " .

(٤) لم نهتد لقائله .

٢- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(مَنْ مَسَحَ رأسَ يتيمٍ لم يمسحْه إلا للهِ ، كان له بكلِّ شعرةٍ تمرُّ عليها يدُه حسناتٌ)(١) .

قال الطيبي :

" قوله : (من مسح رأس يتيم) كناية عن الشفقة والتلطف إليه ، ولما لم تكن الكناية منافية لإرادة الحقيقة لإمكان الجمع بينهما ، كما تقول : (فلان طويلُ النّجادِ) وتريد طول قامته مع طول علاقة سيفه ، رتب عليه قوله : (بكل شعرة تمر عليها يده حسنات)" .

أقول : فيما قاله الطيبي نظر ، فأما قوله : " الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة " فهذا ماصرح به البلاغيون ، ومنهم السكاكي الذي يقول : " الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها ، فلا يمتنع في قولك : فلان طويل النجاد ، أن تريد طول نجاده من غير ارتكاب تأول مع إرادة طول قامته ... "(٢) .

وأما إرادتهما معاً في لفظ واحد فهذا لم يتفق البلاغيون عليه ، ويبدو أن الطيبي فهم من كلام السكاكي السابق جواز الجمع بين الحقيقة والكناية معاً في لفظ واحد ، وكأن الخطيب القزويني قد ذهب إلى ماذهب إليه الطيبي عند ما قال عن الكناية : " فظهر أنها تخالف المجاز من جهة إرادة المعنى مع إرادة لازمه "(٣) وقد تعقب أصحاب الشروح كلام الخطيب ومنهم السبكي فقد قال : " هذا يقتضي أن الكناية أريد بها اللازم والملزوم معاً وهو مخالف لقوله قبيله إن الكناية أريد فيها اللازم مع جواز إرادة الموضوع

---

(١) من الحديث (٤٩٧٤) وقد سبق تخريجه ص (٧٣) من الرسالة .

(٢) مفتاح العلوم ، ص (١٩٠) .

(٣) التلخيص ، ص (٣٣٧) ، وينظر الإيضاح ، ج ٢ ، ص (٤٥٦) .

وما ذكره فيما سبق هو الصواب ، والذى ذكره هنا ليس بشيء "(١)

وكذلك تعقبه ابن يعقوب المغربي فقال : " لو حمل الكلام على ظاهره من أن الكناية يراد بها المعنى الأصلي ولازمه معاً ، كما هو ظاهر عبارة السكاكي في بعض المواضع كغيره ، لزمت صحة الجمع بين المعنى الحقيقي والمجازى في الكناية ، وظاهر مذهب المصنف المنع "(٢) .

ونجد الدسوقي يتابع السعد في تقدير مضاف محذوف في عبارة الخطيب ، فيقول : " والأصل من جهة جواز إرادة المعنى منها مع إرادة لازمه ، قوله : (ليوافق الخ)أي وإنما قدرنا ذلك المضاف لأجل أن يوافق كلامه هنا ما ذكره في تعريف الكناية ، إذ لم يشترط في تعريفها إلا جواز الإرادة لا وقوعها "(٣) .

وقد يؤيد رأى الطيبي قول العلوى : " الكناية يتجاذبها أصلان ، حقيقة ومجاز وتكون دالة عليهما معاً عند الإطلاق ، بخلاف الاستعارة "(٤) .

والخلاصة : أن البلاغيين متفقون على أن الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة ومختلفون حول جواز وقوعهما معاً ، فالطيبي أجاز ذلك ، وظاهر كلام السكاكي في بعض المواضع يوحي بجواز ذلك ، وظاهر كلام الخطيب عدم جواز ذلك ، بيد أنه عاد وذكر ما يفيد جواز ذلك ، مما جعل شراح التلخيص يتكلفون في تأويل كلامه - كما ذكرت سابقاً - وحملوه على عدم الجواز .

ولا ريب أن هنالك كنايات يمتنع وقوعها مع الحقيقة ، وحقائق يمتنع أن تكون كنايات أصلاً ، ولكن ما الذى يمنع من وقوعهما معاً في لفظ واحد في بعض

---

(١) شروح التلخيص (عروس الأفراح) ج ٤ ، ص (٢٣٨- ٢٣٩) .

(٢) المصدر السابق (مواهب الفتاح) ج ٤ ، ص (٢٣٩- ٢٤٠) .

(٣) المصدر السابق (حاشية الدسوقي) ج ٤ ، ص (٢٣٩) .

(٤) الطراز ، ج ١ ، ص (٣٧٨) .

المواضع وأن يكونا مرادين معاً ؟! أليس توجيه الطيبي للكناية في الحديث الأول من أن المراد قد يكون هو شد المئزر حقيقة مع اعتزال النساء والتفرغ للعبادة هو توجيه سليم ؟ كما أن فيه إثراء للمعاني ، ودفعاً للخلاف الناتج من التمسك بأحد القولين ورفض الآخر ، وكم من مشاكل فكرية نشأت نتيجة ضيق الفهم للنصوص ، والتعصب لرأي جامد لا يتقبل آراء الآخرين .

× × ×

- الفصل الأول -

- أقسام الكناية وفائدتها -

قسم البلاغيون الكناية ثلاثة أقسام شهيرة وهي :

١- كناية عن صفة .

٢- كناية عن موصوف .

٣- كناية عن نسبة ، وهي المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف [١] .

وقد عرض الطيبي كنايات كثيرة يمكن أن تدخل تحت القسم الأول والثاني، ولم يعرض أمثلة للقسم الثالث ، وهو خلال ذكره للكنايات لا يصرح بأن هذه كناية عن صفة وتلك كناية عن موصوف ، ولكن من خلال القرائن أو التمعن في الكناية يمكننا معرفة ذلك ، ولذلك أدخلنا هذه الكنايات تحت هذين القسمين تسهيلاً لعرضها ودراستها ، وجعلناهما في المبحث الأول ، وموضوعه " أقسام الكناية "

وقد تناول الطيبي فائدة الكناية في مواضع عدة ، وهذا ما سنوضحه في المبحث الثاني .

---

(١) ينظر : (مفتاح العلوم) للسكاكي ، ص (١٩٠- ١٩٢) .
و(المصباح) لمحمد بن محمد بن عبد الله بن مالك ، ص (٧٠- ٧٣) .
و(التلخيص) للخطيب القزويني ، ص (٣٣٩- ٣٤٢) .
و(الإيضاح) للخطيب أيضاً ، ج ٢ ، ص (٤٥٧) .

- المبحث الأول : أقسام الكناية -

أولا : كناية عن صفة :

المراد بالصفة الصفة المعنوية لا النعت[1] ، وقد ذكر الطيبي أمثلة كثيرة لهذا النوع من الكناية ، كما بين في بعض المواضع جمال هذه الكناية وسبب تأثيرها في النفس ، وربما نقل من كتب العلماء بعض الكنايات ، وأحياناً يحمل الكلام على الكناية وقد حمله غيره على الحقيقة ، وله لمسات إبداعية في هذا الصدد .

أما أنواع الصفات التي يكنى عنها فهي متعددة ، فمنها صفات تتعلق بأمور الدين ، ومنها ما يتعلق بالأخلاق والفضائل ، ومنها ما يتعلق بالصفات الحسية والنفسية للإنسان ، وغير ذلك ...

وقد نقلت عن الطيبي أمثلة كثيرة لهذا النوع من الكناية ، بقصد إظهار بعض كنوز البلاغة النبوية التي تناثر الحديث عنها في بطون أمهات الكتب ، وفيما يلي هذه الأمثلة :

١- عن صفوانَ بن عَسَّالٍ ، قال : قالَ يَهوديٌّ لصاحبِهِ : اذهبْ بِنا إلى هذا النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - فقال له صاحبُهُ : لا تقلْ : نبيٌّ ، إنهُ لو سَمِعَكَ لكانَ له أَرْبَعُ أعيُنٍ (٢) .

---

(١) ذكر الدكتور علي العماري ضابط هذه الكناية وهو :
" أن يصرح بالموصوف وبالنسبة إليه ، ولا يصرح بالصفة المرادة ، ولكن يذكر مكانها صفة تستلزمها " .
ينظر كتابه : البيان ، ص(١٧٩) .

(٢) من حديث رواه الترمذي وأبو داود والنسائي ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص(٢٤) الحديث رقم (٥٨) .

يرى الطيبي أن قوله :(لكان له أربع أعين) هو كناية عن السرور المضاعف
ويرد على التوربشتي الذى ذهب إلى غير ذلك ، فيقول :
" قوله :(أربع أعين) قال التوربشتي : أى يسر بقولك :(إلى هذا النبي)
سروراً يزداد به نوراً إلى نوره ، كذى عينين أصبح يبصر بأربع أعين ، وذلك
أن السرور يمد القوة الباصرة ، كما أن الهم والحزن والكآبة يخل بها ، ولهذا
يقال لمن أحاطت به الهموم : أظلمت عليه الدنيا ، وبذلك شهد التنزيل :
(وابْيَضَّتْ عيناهُ منَ الحُزْنِ)(١) .
أقول :
قوله : (أربع أعين) كناية عن السرور المضاعف ، أى سروراً بعد سرور ، ولم
يرد به التثنية بل الاستمرار ، كما في قوله تعالى :(ثُمَّ ارجعِ البصرَ كَرَّتَيْنِ)(٢)
وذلك أنهم يكنون عن السرور بقرة العين ، قال تعالى :(رَبَّنا هَبْ لنا مِنْ
أَزواجِنا وَذُرِّياتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ)(٣)" .

٢- عن معاذ ، قال :(أوْصاني رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بعَشْرِ كلماتٍ)
وذكر في آخر حديثه :(وأَنْفِقْ على عِيالِكَ منْ طَوْلِكَ ، ولا ترفعْ عنهمْ عصاكَ أدباً
وأَخِفْهُمْ في اللهِ)(٤) .

---

(١) سورة يوسف ، الآية (٨٤) والكلام في المرقاة ، ج ١ ، ص (١٢٨) ولم ينسبه للتوربشتي ، وهو منسوب للتوربشتي في التعليق ، ج ١ ، ص (٥٥) .
(٢) سورة الملك ، الآية (٤) وفي الكشاف ، ج٤ ، ص (٥٧٦) :" معنى التثنية : التكرير بكثرة" .
(٣) سورة الفرقان ، الآية (٧٤) .
(٤) من حديث رواه أحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٢٥) الحديث رقم (٦١). وقد أورد بعضه الشريف الرضي في كتابه " المجازات النبوية " ص (٣٠٢) بلفظ :
(لا تَرْفَعْ عَصاكَ عن أهْلك) وقال :(وهذا القول مجاز على أكثر الأقوال ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام لم يرد الضرب بالعصا على الحقيقة ، لأن ذلك مكروه عنده ، ومذموم فاعله ... وإنما المراد لا ترفع التأديب عنهم..) .

في هذا الحديث ثلاث كنايات يبينها الطيبي فيقول :

" قوله :(وأنفقْ على عيالِكَ من طَوْلِكَ) الطول : الفضل (١)

وقوله تعالى :(ومن لمْ يَستطعْ منكم طَوْلاً)(٢) كناية عما يصرف في المهر والنفقة من المال (٣) .

وقوله : (ولا ترفع عنهم عصاك أدباً ، وأخفهم في الله) كنايتان عن تأديبهم وإنذارهم " .

٣- عن علي ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (ما مِنْكُمْ من أحدٍ إلا وقدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ من النارِ ومَقْعَدُهُ من الجنةِ)(٤) .

قال الطيبي :

" قوله :(مقعده) أي : موضع قعوده ، كنى عن كونه من أهل الجنة أو النار باستقراره فيها " .

٤- عن نافعٍ ، أن رجلاً أتى ابنَ عُمَرَ فقال : إنَّ فُلاناً يَقْرأُ عليكَ السلامَ . فقال : إنه بَلَغَني أنهُ قدْ أَحْدَثَ ، فإنْ كانَ قدْ أحدثَ فلا تُقْرِئْهُ مني السلامَ ، فإني سمعتُ رسولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يقولُ :(يكونُ في أُمَّتي - أو في هذهِ الأمةِ - خَسْفٌ ، أو مَسْخٌ ، أو قَذْفٌ في أهلِ القَدَرِ)(٥).

---

(١) كذا في الكشاف ، ج ١ ، ص (٤٩٩) .

(٢) سورة النساء ، الآية (٢٥) .

(٣) هذه كناية عن موصوف ، ذكرناها هنا لئلا يقتطع الكلام .

(٤) من حديث متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٣١- ٣٢) الحديث رقم (٨٥) .

(٥) رواه الترمذي ، وأبو داود ، وابن ماجه ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب . ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤١) الحديث رقم (١١٦) .

قال الطيبي :

" قوله :(فلا تقرئه مني السلام) كناية عن عدم قبول إسلامه " .

٥ـ عن العِرْباضِ بنِ سارِيَةَ ، قال : قام رسولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : (أيَحْسَبُ أحَدُكُمْ مُتكِئاً على أريكتهِ يظنُّ أنَّ اللهَ لمْ يُحرمْ شيئاً إلا ما في هذا القرآنِ؟. ألا وإني واللهِ قدْ أمرتُ ووعظتُ ونهيتُ عن أشياءَ إنها لَمِثْلُ القرآنِ أوأكثرُ ، وإن اللهَ لَمْ يُحِلَّ لكمْ أنْ تَدخُلوا بيوتَ أهلِ الكتابِ إلا بإذْنٍ ،ولا ضَرْبُ نِسائِهِم ، ولا أكلَ ثمارِهمْ ، إذا أَعْطَوْكُمُ الذي عَليهمْ)(١) .

قال الطيبي :

" قوله : (إن الله لم يحل ...) كناية عن عدم التعرض لهم بإيذائهم في المسكن والأهل والمال إذا أعطوا الجزية ، وإنما وضع قوله :(الذى عليهم) موضع (الجزية) ليؤذن بفخامة العلة ، وأن عدم التعرض معلل بأداء ما عليهم ولو صرح بها لم يفخم " .

وأرى أنه ليس في الكلام كناية ، بل هو محض حقيقة .

٦ـ عن أبي هريرة روايةً(٢) : (يُوشِكُ أنْ يضربَ الناسُ أكْبادَ الإبلِ يطلبونَ العِلْمَ فلا يجدون أحداً أعلمُ من عالمِ المدينةِ)(٣) .

قال الطيبي :

" قوله : (يضرب الناس أكباد الإبل) كناية عن السير ، لأن من أراد ذلك

---

(١) رواه أبو داود وسنده ضعيف ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٨) الحديث رقم (١٦٤) .

(٢) في المرقاة ، ج ١ ، ص (٣٠٠) :(هو كناية عن رفع الحديث إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإلا لكان موقوفاً) .

(٣) رواه الترمذى ، وعالم المدينة قيل إنه مالك بن أنس ، ينظر : المشكاة ج ١ ، ص (٨٢) الحديث رقم (٢٤٦) .

يركب الإبلَ ويضرب على أكبادها بالرجل، وكأنه عبارةٌ عن سرعة السير وإدمان الإدلاج، وقطع الشقة الشاسعة حتى تضر المطي بذلك، فتقطع أكبادها، وتمسها الأدواءُ من شدة العطش، فتصير كأنها ضربت أكبادها " .

٧- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:
(ألا أدُلُّكُمْ على ما يَمْحُو اللهُ بهِ الخَطايا ويرفعُ بهِ الدرجات ؟.)[1] .

يردد الطيبي قول النبي -صلى الله عليه وسلم-:(ما يمحو الله ..) بين الكناية والحقيقة فيقول:

" محو الخطايا كناية عن غفرانها، ويحتمل محوها من كتاب الحفظة دلالة على غفرانها " .
واعتقد أنه لاكناية هنا، والكلام على ظاهره، والله أعلم .

٨- عن أبي سعيدٍ الخُدْريّ، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:
(لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثةِ مساجدَ: مَسْجِدِ الحرامِ، والمسْجِدِ الأقصى ومسجدي هذا)[2] .

يقول الطيبي مبيناً الكناية في قوله:(لا تشد الرحال) وما فيها من جمال:

" قوله:(لا تشد الرحال) كناية عن النهي عن المسافرة إلى غيرها من المساجد، وهو أبلغ مما لو قيل: لا يسافر، لأنه صور حالة المسافرة، وتهيئة أسبابها وعدتها من المراكب والأدوات، والتزود وفعل الشد، ثم أخرج النهي مخرج الإخبار، أي: لا ينبغي ولا يستقيم أن يقصد بالزيارة إلا هذه البقاع

---

(١) من حديث رواه مسلم والترمذي، ينظر: المشكاة، ج ١، ص(٩٣-٩٤)، الحديث رقم (٢٨٢) والحديث (٢٨٣) .

(٢) متفق عليه، ينظر: المشكاة، ج ١، ص(٢١٩) الحديث رقم (٦٩٣) .

الشريفة ، لاختصاصها بالمزايا والفضائل ، لأن إحداها بيت الله الحرام وحجُّ الناس وقبلتُهم ، رفع قواعده إبراهيم الخليل عليه السلام ، والثانية قبلة الأمم السالفة ، عمرها سليمان عليه السلام ، والثالثة أسست على التقوى وأنشأها خير البرية - صلى الله عليه وسلم - " .

٩- عن عبدِ اللهِ بنِ عَمْرو بنِ العاصِ ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (مَنْ قامَ بعشرِ آياتٍ لم يكتبْ من الغافلينَ ، ومن قام بمائةِ آيةٍ كُتِبَ من القانتينَ ، ومن قامَ بألفِ آيةٍ كُتِبَ من المُقَنْطِرينَ)(١) .

قال الطيبي :

" قوله :(من قام بعشر آيات) أي : أخذها بقوة وعزم من غير فتور ولا تو ان من قولهم : قام بالأمر ، وقامت الحرب على ساقها (٢) . فيكون كناية عن حفظها والدوام على قراءتها ، والتفكر بمعانيها ، والعمل بمقتضاها ، وإليه الإشارة بقوله :(لم يكتب من الغافلين) أي : لم يثبت اسمه في الصحيفة في زمرة الغافلين " .

١٠- عن ابن عباسٍ ، رضي الله عنهما ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال للعباسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ :(يا عباسُ ! يا عمَّاهُ ! ألا أعطيك؟ ألا أمنحك؟ ألا أخبرك؟ ألا أفعل بك ؟ عشرَ خصالٍ إذا أنتَ فعلتَ ذلكَ ، غفرَ اللهُ لكَ ذَنْبَكَ أولَهُ وآخرَهُ ، قديمَهُ وحديثَهُ ، خَطَأَهُ وعَمْدَهُ ، صغيرَهُ وكبيرَهُ ، سِرَّهُ وعلانيتَهُ ،)(٣) .

---

(١) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٣٧٧) الحديث رقم (١٢٠١) .

(٢) قوله أخذها ... اقتباس من الكشاف ، ج ١ ، ص (٤٠) .

(٣) من حديث رواه أبو داود وابن ماجه والبيهقي في (الدعوات الكبير) ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤١٨- ٤١٩) الحديث رقم (١٣٢٨) .

قال الطيبي :

" قوله : (أوله وآخره ، قديمه وحديثه ...) بدل من قوله :(من ذنبك) على معنى لا تدع من ذنبك شيئاً يقع عليه اسم الذنب ، فهو كناية عن التزكية التامة " .

ويمكن أن يكون الكلام حقيقة ، ولا كناية هنا ، وهذا أقرب من الذهاب إلى الكناية .

١١- عن سلمانَ ، قال : قال رسولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم - :

(لا يَغْتَسِلُ رجلٌ يومَ الجُمُعَةِ ، ويتطهَّرُ ما استطاعَ مِنْ طُهْرٍ ، ويَدَّهِنُ من دُهْنِهِ أَوْ يَمَسُّ من طِيبِ بَيْتِهِ ، ثم يخرُجُ فلا يفرِّقُ بينَ اثنينِ ، ثم يُصلي ما كُتِبَ لَهُ ، ثم يُنْصِتُ إذا تكلمَ الإمامُ ، إلا غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُ وبينَ الجُمُعَةِ الأخرى)(١) .

قال الطيبي :

" قوله : (فلا يفرق بين اثنين) كناية عن التبكير ، أى : عليه أن يبكر فلا يتخطى رقاب الناس ويفرق بين اثنين " .

١٢- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - :

(من عادَ مريضاً نادى مُنادٍ في السماءِ : طِبْتَ وطابَ مَمْشاكَ ، وتَبَوَّأْتَ من الجنةِ مَنْزِلاً)(٢) .

قال الطيبي :

" قوله :(طبت) دعاء له بأن يطيب عيشه في الدنيا والآخرة ، و (طاب ممشاك) كناية عن سيره وسلوكه طريق الآخرة بالتعري من رذائل الأخلاق والتحلي بمحاسن الأفعال ومكارمها " .

---

(١) رواه البخارى ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٣٦) الحديث رقم (١٣٨١) .

(٢) رواه ابن ماجه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٩٥) الحديث رقم (١٥٧٥) .

١٣- عن البَراءِ بن عازبٍ ، قال : خرجنا معَ النبيّ -صلى الله عليه وسلم - في جَنازةِ رجلٍ منَ الأنصارِ ، فانتهَيْنا إلى القبرِ ، ولمّا يُلْحَدْ ، فجلسَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم - وجلسنا حَوْلَهُ ، كأنّ على رُؤوسِنا الطيرَ ...)(١) .

قال الطيبي :

" قوله : (كأن على رؤوسنا الطير) كناية عن إطراقهم رؤوسهم ، وسكونهم وعدم التفاتهم يميناً أو شمالاً " .

١٤ - عن عبد الرحمن بن كعب ، عن أبيه ، قال : لما حضرت كعباً الوفاة أتته أم بشر بنت البراء بن معرُور ، فقالت : يا أبا عبد الرحمن! إن لقيت فلاناً فاقرأ عليه مني السلام، فقال : غفر الله لك يا أم بشر ، نحن أشغلُ من ذلك. فقالت : يا أبا عبد الرحمن! أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن أرواح المؤمنين في طير خضر تعلقُ بشجر الجنة) ؟ قال : بلى قالت : فهو ذاك .(٢)

قال الطيبي :

" قوله :(تعلق بشجر الجنة) قال الجوهري : عَلُقَت الإبلُ العِضاه تَعلُقُ بالضم إذا تشبثتها (٣) وتناولتْها بأفواهها ، ومنه الحديث :(أرواح الشهداء في حواصلِ طير خُضْرٍ تَعْلُقُ من ورق الجنة) (٤) .

ولعل الظاهر أن يقال : تعلق من شجر الجنة ، وتعديته بالباء يفيد الاتصال والإلحاق ، لعله كنى به عن الأكل منها ، لأنها إذا اتصلت بشجرة الجنة وتشبثت بها أكلت من ثمرها " .

قلت :

يلاحظ دقة عبارة الطيبي في قوله :" لعله كنى عن الأكل منها .. " حيث لم يقطع

---

(١) من الحديث (١٦٣٠) وقد تقدم تخريجه ص(٢٠١) من الرسالة .

(٢) رواه ابن ماجه،والبيهقي في كتاب (البعث والنشور) ؛ المشكاة ، ج ١ ، ص (٥١٥) الحديث رقم (١٦٣١).

(٣) في الصحاح : تَسَنَّمَتْها .

(٤) الصحاح ، مادة :(علق)

بالكناية هنا مراعاة لمكانة الحديث من أن يُقَوِّلَ النصَّ ما لم يقله النبي - صلى الله عليه وسلم - وهذا منهج علمي رفيع في طريقة عرض الآراء والتأدب مع كلام خاتم الأنبياء ·

١٥- عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : كان ابنُ حُنَيفٍ[١] وقيسُ بنُ سَعدٍ ، قاعِدَيْنِ بالقادسية ، فَمُرَّ عليهما بجنازةٍ ، فقاما ، فقيلَ لهما : إنها منْ أهلِ الأرضِ؟! أي من أهلِ الذِّمَّة ، فقالا : إنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - مرَّتْ به جنازةٌ فقام ، فقيل له : إنها جنازةُ يهودي؟! فقال : (أليْسَتْ نَفْساً)[٢] ·

قال الطيبي :

" الأرض هنا كناية عن السفالة والرذالة ، قال تعالى :(ولوْ شِئْنا لَرَفَعْنَاهُ بها ولكنَّهُ أَخْلَدَ إلى الأرضِ)[٣] أي : مال إلى السفالة [٤] ، ولذلك فسر (أهل الأرض) بأهل الذمة ونحوه في المعنى " ·

١٦- عن حكيمِ بنِ حِزَامٍ ، قال : سألْتُ رسولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فأعطاني ثم سألْتُه فأعطاني ، ثم قال لي :(ياحكيمُ! إنَّ هذا المالَ خَضِرٌ حُلْوٌ ، فمنْ أَخَذَهُ بسَخاوَةِ نفسٍ بُورِكَ لَهُ فيه ، ومن أَخَذَهُ بإشْرافِ نفسٍ لم يُباركْ لهُ فيه ، وكان كالذي يأكلُ ولا يشبَعُ ، واليدُ العليا خَيْرٌ من اليدِ السُّفْلى)[٥] ·

قال الطيبي :

" كنى في الحديث بالسخاوة عن كف النفس من الحرص والشره ، كما كنى في الآية

---

(١) في التعليق ، ج ٢ ، ص (٢٤٨) : (سَهْلُ بن حنيف) ·

(٢) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٢٩) الحديث رقم (١٦٨٠) ·

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٧٦) ·

(٤) كذا في الكشاف ، ج ٢ ، ص (١٧٨) ·

(٥) من الحديث (١٨٤٢) وقد سبق تخريجه ص (١٥٩) من الرسالة ·

بتوقي النفس من الشح والحرص المجبولة عليهما عن السخاء ، لأن من توقى من الشح يكون سخياً مفلحاً في الدارين ، قال تعالى :(ومَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُولئكَ هُمُ المفلحونَ)(١) " .

١٧- عن أبي هريرةَ ، أن النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - دخل على بلال ، وعندَهُ صُبْرَةٌ من تمرٍ ، فقال :(ماهذا يا بلالُ؟) قال : شيءٌ ادَّخرْتُه لِغَدٍ . فقال : (أما تخشى أن ترى له غداً بُخاراً في نارِ جهنمَ يومَ القيامةِ ، أنفقْ بلالُ! ولا تخشَ من ذي العرشِ إقْلالاً)(٢) .

قال الطيبي :

" قوله :(بخاراً في نار جهنم) أي أثراً يصل إليك ، فهو كناية عن قربه منها كما أن قوله تعالى :(لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا)(٣) كناية عن بعدها " .

١٨- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (يا نساءَ المسلماتِ! لا تَحْقِرَنَّ جارةٌ لجارَتِها ولو فِرْسِنَ شاةٍ)(٤) .

قال الطيبي مبيناً هذا الحديث ، ذاكراً الكناية فيه :

" قوله :(لا تحقرن جارة) قال التوربشتي : هذا اختصار لمعرفة المخاطبين بالمراد منه ، أي : لا تحقرن أن تهدي إلى جارتها ولو أن تهدي فرسن شاة والفرسن وإن كان مما لا ينتفع به استعمل هنا للمبالغة (٥) .

---

(١) سورة الحشر ، الآية (٩) .

(٢) رواه البيهقي في (شعب الإيمان) ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٩٠- ٥٩١) ، الحديث رقم (١٨٨٥) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (١٠٢) .

(٤) تقدم ص (٣٠١) من الرسالة .

(٥) ينظر : التعليق ، ج ٢ ، ص (٣٤٨) .

أقول : ويمكن أن يقال : إنه من النهي عن الشيء والأمر بضده ، وهو كناية عن التحاب والتواد ، كأنه قيل : لتحاب جارة جارتها بإرسال هدية ولو كانت حقيرة، ويتساوى فيه الفقير والغني ، وخص النهي بالنساء لأنهن مواد الشنآن والمحبة".

١٩- عن ابن عمر ، أن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - قال :
(إن الجنةَ تُزخْرَفُ لرمضانَ منْ رَأْسِ الحَوْلِ إلى حَوْلٍ قابِلٍ) قال :(فإذا كانَ أولُ يومٍ من رمضانَ هَبَّتْ ريحٌ تحتَ العرشِ مِنْ وَرَقِ الجنةِ على الحُورِ العين ، فَيَقُلْنَ يا ربِّ! اجعلْ لنا من عِبادِكَ أزواجاً تَقَرُّ بهمْ أَعْيُنُنا ، وتَقَرُّ أَعْيُنُهُمْ بنا)(١).

يردد الطيبي قوله (تقر بهم أعيننا) بين الكناية والحقيقة فيقول :
" قوله :(تقر بهم أعيننا) هو إما من القُرّ : البرد ، أو من القرار(٢).
فالأول : كناية عن السرور والفرح ، وحقيقته إبراد الله دمعة عينه لأن دمعة الفرح والسرور باردة .
والثاني : عبارة عن بلوغ الأمنية ورضاه بها ، لأنه من فاز ببغيته تقر نفسه ، ولا تستشرف عينه إلى مطلوبه لحصوله " .

٢٠- عن جابر ، قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفر ، فَرأى زِحاماً ورجلاً قد ظُلِّلَ عليه ، فقال :(مَا هذا ؟) قالوا : صائمٌ . فقال :(ليسَ منَ البِرِّ الصَّوْمُ في السَّفَرِ)(٣).

---

(١) رواه البيهقي في " شعب الإيمان " ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦١٣- ٦١٤) ، الحديث رقم (١٩٦٧) .
(٢) في المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، مادة(قر): "قرّ في مكانه يَقِرُّ قَراراً إذا ثبتَ ثبُوتاً جامداً ، وأصله من القُرّ وهو البَرْدُ" .
(٣) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٢٨) الحديث رقم (٢٠٢١) .

قال الطيبي :

" قوله :(قد ظلل عليه) كناية عن بلوغ الجهد والطاقة في تأثير العطش وحرارة الصوم " .

٢١- عن أبي سَعيدٍ الخُدْرِيّ ، قال : قُلْنا يومَ الخَنْدَقِ : يا رسولَ اللهِ! هلْ مِنْ شيءٍ، نقولُهُ؟ فقد بلغتِ القُلُوبُ الحَناجِرُ(١) .

قال الطيبي :

" قوله :(فقد بلغت القلوب الحناجر) كناية عن شدة الأمر وبلوغه غايته " .

٢٢- عن أبي رَزِينٍ العُقَيْلِيِّ ، أنه أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسولَ اللهِ! إن أبي شَيْخٌ كبيرٌ لا يستطيعُ الحَجَّ ولا العُمْرَةَ ولا الظَّعْنَ ، قال : (حُجَّ عن أَبيكَ واعْتَمِرْ)(٢).

يرى الطيبي أن (الظعن) المذكور في الحديث يمكن أن يكنى به عن القوة فلا يكون على حقيقته ، فيقول :

" قوله :(ولا الظعن) قال التوربشتي : الظَّعْن بفتح الظاء وسكون العين : الرحلة، وذكر ذلك على وجه البيان للحال التي انتهى إليها من كبر السن ، أى : لا يقوى على السير ، ولا على الركوب(٣).

أقول : يمكن أن يكنى به عن القوة ، ويراد بنفي الاستطاعة عدم الزاد والراحلة كأنه قيل : ليس له زاد ولا راحلة ولا قوة بعد أن وجب عليه الحج " انتهى .

---

(١) من حديث رواه أحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٧٥٨) الحديث رقم (٢٤٥٥) .

(٢) رواه الترمذى وأبو داود والنسائي ، وقال الترمذى :" هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ " ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٧٧٦) الحديث رقم (٢٥٢٨) .

(٣) ينظر : المرقاة ، ج ٥ ، ص (٢٧٦) ولم يذكر اسم التوربشتي ، وهو منسوب إلى التوربشتي في التعليق ، ج ٣ ، ص (١٨٠) .

قلت : يلاحظ أن الطيبي استنبط الكناية من فحوى كلام التوربشتي حين قال : « أي لا يقوى على السير ولا على الركوب » فجعل الطيبي الظعن كناية عن القوة وهذا يبين مدى اهتمامه بإبراز النكات البيانية من الحديث النبوي .

٢٣- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (مَنْ أعانَ على قَتْلِ مؤمنٍ شَطْرَ كلمةٍ ، لَقِيَ اللهَ ، مكتوبٌ بينَ عَيْنَيْهِ : آيِسٌ مِنْ رحمةِ اللهِ)(١).

قال الطيبي :

« قوله :(شطر كلمة...) كناية عن كونه كافراً ، قال تعالى :(إنه لا ييأسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إلا القومُ الكافرونَ)(٢) . يعني يفضحه على رؤوس الأشهاد بهذه السمة الفظيعة بين كريمتيه ، وهذا من باب التغليظ والتشديد ، ولا يرى أبلغ منه » .

٢٤- عن أبي الدَّرداءِ ، عن رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - قال :(مَنْ أَخَذَ أَرْضاً بِجِزْيَتِهَا فقدِ استَقالَ هِجْرَتَهُ)(٣).

قال الطيبي :

« إذا قلت : قد تعورف واشتهر أن ضرب الجزية كناية عن الذل والصغار ، فما بال الهجرة كنى بها عن العزة ؟.

قلت : لأنها مبدأ عزة الاسلام ، ومنشأ رفعته ، حيث نصر الله صاحبها بالأنصار وأعز الدين بهم ، وفل شوكة المشركين ، وقطع شأفتهم واستأصلها » .

---

(١) رواه ابن ماجه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٠٣٥) الحديث رقم (٣٤٨٤) .

(٢) سورة يوسف ، الآية (٨٧) .

(٣) من حديث رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٠٥٣) الحديث رقم (٣٥٤٦) .

٢٥- عن عبد اللهِ بن عُمَرَ ، قال : سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم- يقول :
(من خَلَعَ يَداً مِنْ طاعةٍ لقيَ اللهَ يومَ القيامةِ ولا حُجَّةَ له ، ومن ماتَ وليسَ في عُنُقِهِ بَيْعَةٌ ماتَ مِيتَةً جاهلية)(١) .

قال الطيبي :
" قوله : (من طاعة) أي طاعة كانت قليلة أو كثيرة ، ولما كان وضع اليد كناية عن العهد وإنشاء البيعة لجرى العادة على وضع اليد على اليد حال المعاهدة ، كنى عن النقض بخلع اليد ونزعها ، يريد من نقض العهد وخلع نفسه من بيعة الإمام لقي الله تعالى آثماً لا عذر له " .

٢٦- عن أبي أُمامَةَ ، عن النبي ، - صلى الله عليه وسلم - قال :
(إنَّ الأميرَ إذا ابتغى الرِّيبَةَ في الناسِ أفْسَدَهُمْ)(٢) .

- وعن مُعاويةَ ، قال : سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :
(إنَّكَ إذا اتَّبَعْتَ عَوْراتِ الناسِ أفْسَدْتَهُمْ)(٣) .

قال الطيبي :
" قوله : (عورات الناس) العورة الخلل (٤) .. كنى في الحديث الأول عن العيوب بالريبة ، وهنا بالعورة ، إيذاناً بأن عيوب الناس كعورات مستورات يحرم كشفها والريبة فيها ، كما يحرم كشف المخدرات عن سترها " .

(١) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٠٨٨) الحديث رقم (٣٦٧٤). وذكر بعضه الشريف الرضي في كتابه " المجازات النبوية " ص (١٣٤) بلفظ : " من خَلَعَ يداً من طاعةٍ لَقِيَ اللهَ ولا حُجَّةَ له " وقال : " وهذه استعارة ، والمراد بخلع اليد ههنا الخروج عن طاعة الإمام العادل ، فشبه عليه الصلاة والسلام من يخرج عن طاعة سلطانه بالأسير الذي نزع يده من رِبْقَتِهِ ، وأخرج عنقه من جامعته - وهي القيد - فكأنه عليه الصلاة والسلام أقام لوازم الطاعة في الأعناق مقام الجوامع في الأيدي والرقاب ، وجعل الخارج منها كالمارق من ربقة الأسر ...." .
(٢) رواه أبو داود ، ورقمه في المشكاة (٣٧٠٨) .
(٣) رواه البيهقي في " شعب الإيمان " ورقم الحديث في المشكاة (٣٧٠٩) ينظر: المشكاة ج ٢ ، ص (١٠٩٥) .
(٤) ينظر : الصحاح ، مادة " عور " .

٢٧ ـ عن عبد الله بن حُبْشِيّ أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أى الأعمال أفضل ؟ قال : (طول القيام) ، قيل فأى الصدقة أفضل ؟ قال : (جُهْدُ المقِلّ) قيل: فأى الهجرة أفضل ؟ قال : (من هجر ما حرم الله عليه) ، قيل فأي الجهاد أفضل؟قال (من جاهد المشركينَ بماله ونفسه)، قيل فأى القتل أشرف؟ قال: (من أهريقَ دمُه وعُقِرَ جوادُه) . (١)

قال الطيبي :

" قوله :(من أهريق دمه وعقر جواده) قطع عقب(٢) الجواد كناية عن غاية شجاعته وبطولته ، وأنه مما لا يطاق أن يظفر به إلا بعقر جواده " .

وقد أشار الشيخ علي القارى إلى وجود أكثر من كناية في هذا التركيب فقال :

" وفي الكلام كنايتان عن قتله وقتل مركوبه ، حيث اجتمع له الاجتهاد في الجهاد راكباً وماشياً ، ومالاً ونفساً "(٣) .

قلت : الحاصل أن في التركيب ثلاث كنايات ، الأولى عن قتله ، والثانية عن قتل جواده ، والثالثة مركبة منهما وهي غاية شجاعته ومنتهى بطولته .

٢٨ـ عن ابن عباسٍ، أن رسولَ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالَ لأصحابِهِ : (إنّه لمّا أُصيبَ إخوانُكم يومَ أُحُدٍ ، جعلَ اللهُ أرواحَهم في جوفِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، تَرِدُ أنهارَ الجنةِ ، تأكلُ من ثِمارها ، وتأوِي إلى قناديلَ منْ ذهبٍ مُعلَّقةٍ في ظلِّ العرشِ

---

(١) رواه أبو داود ، المشكاة ج ٢ ، ص (١١٢٦) الحديث رقم (٣٨٣٣) .

(٢) في المعجم الوسيط ، في مادة (عقر) :" عقر البعيرَ: قطع إحدى قوائمه ليسقط ويتمكن من ذبحه ... وانعقرُ البعيرُ والفرسُ : ضُربتْ قوائمهُ بالسيفِ".

(٣) المرقاة ، ج ٧ ، ص (٢٩٥) .

فلمَّا وَجَدوا طِيبَ مأكَلِهِم ومَشْرَبِهِمْ ومَقِيلِهِمْ ، قالوا : من يُبَلِّغُ إخوانَنا عنَّا أنّنا أحياءٌ في الجنةِ؟"(١).

قال الطيبي :

" قوله :(ومقيلهم) المقيل المكان الذى يؤوى إليه للاستراحة وقت الظهيرة والنوم فيه(٢) ، وهو ههنا كناية عن التنعم والترفة ، لأن المترفهين في الدنيا يعيشون فيها منعمين " .

ولا أدرى لماذا ذهب الطيبي إلى أن المقيل هنا كناية وليس حقيقة؟

٢٩- عن فَضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ ، قال : سمعتُ عُمَرَ بنَ الخطابِ يقولُ : سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقولُ : (الشهداءُ أربعةٌ : رجلٌ مؤمنٌ جَيِّدُ الإيمانِ ، لَقِيَ العدوَّ فصدقَ اللهَ حتى قُتِلَ ، فذلكَ الذي يَرْفَعُ الناسُ إليهِ أعينَهُمْ يومَ القيامةِ هكذا) ورفع رَأْسَهُ حتى سَقطتْ قَلَنْسُوَتُهُ ، فما أدري أقَلَنْسُوَةَ عمرَ أرادَ أم قلنسوةَ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -؟(٣).

قال الطيبي :

" قوله : (هكذا) مصدر قوله يرفع ، أى يرفع الناس إليه أعينهم مثل رفع رأسي هكذا كما تشاهدون ، وهذا القول :(رفع رأسه حتى سقطت قلنسوته) كناية عن تناهي رفعة منزلته " .

---

(١) من حديث رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١٣١) الحديث رقم (٣٨٥٣) .

(٢) المَقِيلُ : المَقال ، والمَقال : القيلولة ، وموضع القيلولة ، ينظر : المعجم الوسيط ، مادة (قال) .

(٣) من حديث رواه الترمذى ، وقال :" هذا حديث حسن غريب " ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١٣٢- ١١٣٣) الحديث رقم (٣٨٥٨) .

٣٠- عن أنسٍ، قال: لم يكنْ شيءٌ أحبَّ إلى رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - بعدَ النساءِ من الخيلِ.(١)

قال الطيبي:

" قوله: (من الخيل) ذكر الخيل ههنا كناية عن الغزو والمجاهدة في سبيل الله، وقرانه مع النساء هنا لإرادة التكميل (٢). وذلك لنفي اشتغال الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالنساء عن معالي الأمور ، فكمل بالخيل ليؤذن أنه مع ذلك مجاهد بطل ".

٣١- عن عَمْرِو بنِ الحَمِقِ، قال: سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (مَنْ أَمَّنَ رجلاً على نَفْسِهِ فَقَتَلَهُ، أُعطيَ لِواءَ الغَدْرِ يومَ القيامةِ)(٣).

---

(١) رواه النسائي، . المشكاة، ج ٢، ص (١١٤١) الحديث رقم (٣٨٩٠).

(٢) تقدم تعريف التكميل ص (>>) من الرسالة.

(٣) رواه البغوي في شرح السنة، المشكاة، ج ٢، ص (١١٦٤) الحديث رقم (٣٩٧٩).

قال الطيبي :

" لواء الغدر استعارة ، ومجموع الكلام كناية عن فضيحته على رؤوس الأشهاد ".

٣٢- عن أبي رافعٍ ، قال : بعثتني قُريشٌ إلى رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فلما رأيتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - أُلْقِيَ في قلبي الإسلامُ ، فقلت : يا رسولَ الله! إني واللهِ لا أَرْجِعُ إليهمْ أبداً . قال :(إنّي لا أَخِيسُ بالعهدِ ولا أَحْبِسُ البُرُدَ(١) ، ولكن ارجعْ فإنْ كانَ في نفسِكَ الذي في نَفْسِكَ الآنَ فارْجِعْ) قال: فذهبتُ ، ثم أتيتُ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - فأَسْلَمْتُ(٢).

قال الطيبي :

" قوله :(لا أرجع إليهم أبداً) كناية عن تمكن الإسلام من قلبه ، ولذلك أكده بالقسم ، وذيله بقوله :(أبداً)(٣) وإليه الإشارة بقوله :(فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجع) كأنه أراد أن يظهر الإسلام بعد أخذه بمجامع قلبه ، فقيل له : لا تظهر لأنه متضمن لنقض العهد ، أو لضررك برجوعك إليهم " .

٣٣- عن أبي هريرة ، قال : قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - :(أَيُّما قَرْيَةٍ أَتَيْتُمُوها وأَقَمْتُمْ فيها ، فَسَهْمُكُمْ فيها ، وأيما قَرْيَةٍ عَصَتِ اللهَ ورسولَهُ ، فإنَّ خُمُسَها للهِ ولرسولِهِ ، ثم هِيَ لَكُمْ)(٤).

قال الطيبي متحدثاً عن الكناية في قوله عليه السلام :(عصت الله ورسوله) مبيناً جمالها :

---

(١) جمع بريد ، وهو الرسول ، ينظر : المعجم الوسيط ، مادة (برد).

(٢) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١٦٥) الحديث رقم (٣٩٨١) .

(٣) التذييل : هو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد ، ينظر :الإيضاح ج ١ ، ص (٣٠٧) .

(٤) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١٦٩) الحديث رقم (٣٩٩٤) .

" كنى عن مقاتلتهم بقوله :(عصت الله ورسوله) تعظيماً لشأن المخاطبين وأنهم إنما يقاتلون في سبيل الله ، ويجاهدون لله ، فمن قاتلهم فقد عصى الله ورسوله " .

٣٤- عن عُمَرَ بن أبي سَلَمَةَ ، قال : كنتُ غُلاماً في حِجْرِ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - ..(١)

قال الطيبي :

" قوله : (في حجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم) هو كناية عن كونه ربيباً له ، وأنه في حضنه يربيه تربية الأولاد ، وكان عمر هذا ابن أم سلمة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - " .

٣٥- عن عبد الله بن عَمْرٍو ، قال : ما رُئِيَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يأكلُ مُتَّكِئاً قطُّ ، ولا يَطأُ عَقِبَهُ رَجُلانِ)(٢) .

قال الطيبي :

" قوله : (ولا يطأ عقبه رجلان) قال المظهر : يعني من عادته التواضع ، يمشي في وسط الجمع أو في آخرهم ، ولا يمشي أمامهم " (٣) .

ويرد رأى المظهر قائلاً :

" أقول : لا يساعد هذا التأويل التثنية في (رجلان) ولعله كناية عن تواضعه صلوات الله عليه ، وأنه لم يكن يمشي مشيَ الجبابرة مع الأتباع والخدم ويؤيده اقترانه بقوله :(ما رئي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأكل متكئاً قط) فإنه كان من دأب المترفين " .

---

(١) من الحديث (٤١٥٩) وقد تقدم ص (٣١ >) من الرسالة .

(٢) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٢١٧- ١٢١٨) الحديث رقم (٤٢١٢).

(٣) المرقاة ، ج ٨ ، ص (١٨٥) .

٣٦- عن ابنِ المُسَيِّبِ، سُمِعَ يقولُ: (إن اللهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ ، نظيفٌ يُحِبُّ النظافةَ، كريمٌ يحبُّ الكرمَ ، جَوَادٌ يحبُّ الجودَ ، فَنظِّفوا - أراهُ قال : أَفْنِيَتَكُمْ - ولاتَشَبَّهوا باليهودِ) قال (١): فذكرتُ ذلكَ لِمُهاجِرِ بنِ مِسْمَارٍ ، فقال : حَدَّثَنِيهِ عامِرُ بنُ سَعْدٍ ، عن أبيهِ ، عنِ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - مِثْلَهُ ، إلا أنه قال: (نَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ)(٢).

قال الطيبي :

" قوله :(فنظفوا) الفاء فيه جواب شرط محذوف ، أي إذا تقرر ذلك فطيبوا كل ما أمكن تطييبه ، ونظفوا كل ما سهل لكم تنظيفه ، حتى أفنية الدار وهي متسع أمام الدار ، وهو كناية عن نهاية الكرم والجود ، فإن ساحة الدار إذا كانت واسعة نظيفة طيبة ، كانت أدعى لجلب الضيفان وتناوب الواردين والصادرين ، وإليه ينظر قول الحماسي :

فإنْ تُمْسِ مَهْجُورَ الْفِناءِ فَرُبَّما ... أقامَ بِهِ بَعْدَ الوُفُودِ وُفُودُ (٣)"

٣٧- عن عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ ، قال : كنا في الجاهليةِ نقولُ : أَنْعَمَ اللهُ بكَ عَيْناً وأَنْعِمْ صَباحاً ، فلما كانَ الإسلامُ نُهِينا عن ذلكَ (٤) .

قال الطيبي مبيناً الكناية في قوله :(أنعم الله بك عيناً) :

" يحتمل أن تكون الباء سببية ، وعيناً مفعول أنعم ، والتنكير فيه للتفخيم أي : أنعم الله بسببك عيناً ، وأي عين؟ عين من يحبك ، فتكون كناية عن

---

(١) أي السامع .

(٢) رواه الترمذي ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٢٧١- ١٢٧٢) الحديث رقم (٤٤٨٧) .

(٣) لأبي عطاء السندي يرثي ابن هبيرة ، ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج ٢ ، ص (٨٠٠) . وهو في الكشاف ، ج ٣ ، ص (٢٦٠) .

(٤) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣١٩) الحديث رقم (٤٦٥٤) .

طيب عيشه ، ورفاهية لا يحوم حولها خشونة" .

٣٨- عن عائشةَ ، رضي الله عنها ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أُتيَ بصبيٍّ ، فقبَّله ، فقال : (أما إنهم مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ ، وإنهمْ لمنْ ريحانِ اللهِ)(١).

- وعن يَعْلَى بن أُمية ، قال : إن حَسناً وحُسيناً - رضي الله عنهما - استبقا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فضمَّهما إليه ، وقال : (إن الولدَ مبخلةٌ مجبنةٌ)(٢).

قال الطيبي :

" قوله (مبخلة مجبنة) هما ههنا كنايتان عن المحبة على ما يقتضيه المقام فيكون مدحاً ، وإن كان في الحديث السابق كناية عن الذم " .

٣٩- عن معاويةَ بن جاهمةَ ، أن جاهمةَ جاءَ إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله! أردتُ أنْ أغزوَ وقد جئتُ أستشيرُكَ ، فقال : (هلْ لكَ من أُمٍّ؟) ، قال : نعم ، قال : (فالزمْها ، فإن الجنَّةَ عندَ رِجْلِها)(٣).

قال الطيبي :

" قوله : (عند رجلها) كناية عن غاية الخضوع ونهاية التذلل ، كما في قوله تعالى : (واخْفِضْ لهما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرحمةِ)(٤). ولعله - صلى الله عليه وسلم - عرف من حاله وحال أمه حيث ألزمه خدمتها ولزومها أن ذلك أولى به " .

---

(١) رواه البغوي في " شرح السنة" ورقمه في المشكاة (٤٦٩١) .

(٢) رواه أحمد ، ورقم الحديث في المشكاة : (٤٦٩٢) .
ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٢٩) .

(٣) رواه أحمد ، والنسائي ، والبيهقي في " شعب الإيمان " . ينظر : المشكاة ج ٣ ، ص (١٣٨٢) الحديث رقم (٤٩٣٩) .

(٤) سورة الإسراء ، الآية (٢٤) .

٤٠- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(إنَّ الدنيا حُلْوَةٌ خَضِرةٌ ، وإن اللهَ مُستخلِفُكم فيها ، فناظرٌ كيفَ تعملونَ)(١).

قال الطيبي :

" قوله :(خَضِرَةٌ) قال في الفائق : أي خَضْرَاءُ ناعمة ، يقال : أَخْضَر وخَضِر كقولهم أَعْوَر وَعَوِر (٢).

أقول : قوله (حلوة خضرة) كناية عن كونها غرارة ، تغتر الناس بلونها وطعمها وليس تحتها طائل " .

٤١- عن أبي أَيُّوب الأنصاري ، رضي الله عنه ، قال : جاء رجلٌ إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : عظني وأوجز . فقال :(إذا قمتَ في صلاتِكَ فصلِّ صلاةَ مُوَدِّعٍ ، ولا تكلمْ بكلامٍ تَعذِرُ منه(٣) غداً ، وأجمع الإياسَ مما في أيدي الناسِ)(٤).

قال الطيبي :

" قوله :(ولا تكلم بكلام تعذر منه غداً) كناية عن حفظ اللسان ، وأن لا تتكلم بما تحتاج أن تعتذر له " .

٤٢- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(يخرجُ في آخرِ الزمانِ رجالٌ يَخْتِلونَ الدنيا بالدينِ ، يلبسونَ للناسِ جلودَ الضَأْنِ

---

(١) من حديث رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٢٣- ١٤٢٤) الحديث رقم (٥١٤٥) .

(٢) ج ٢ ، ص (١٤٠) .

(٣) كذا في المرقاة أيضاً ، ج ٩ ، ص (٣٩١) .
وفي مسند الإمام أحمد ، ج ٥ ، ص (٤١٢) ورد بلفظ تعتذر .
وكذا في المجازات النبوية للشريف الرضي ، ص (١٣٦) .

(٤) رواه أحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٤١) الحديث رقم (٥٢٢٦) .

من اللين ، ألسنتهم أحلى من السُّكَر ، وقلوبهم قلوبُ الذئاب ..)(١) .

قال الطيبي مشيراً الى الكناية وحسن التطابق في هذا الحديث :

" قوله : (يلبسون للناس جلود الضأن) كناية عن إظهار الملاسنة واللين مع الناس ، وما أحسن التطابق بين القولين ، أعني هذا وقوله :(وقلوبهم قلوب الذئاب) " .

٤٣ـ عن أبي بَكْرة ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
(إنها ستكونُ فِتنٌ ، ألا ثم تكون فتنٌ ، ألا ثم تكونُ فتنةٌ ، القاعدُ خيرٌ من الماشي فيها ، والماشي فيها خيرٌ من الساعي إليها ، ألا فإذا وَقعتْ ، فمن كان له إبلٌ فَلْيَلْحَقْ بإبلِه ، ومن كان له غَنَمٌ فليلحقْ بغنمِه ، ومن كانت له أرضٌ فليلحقْ بأرضِهِ)(٢) .

قال الطيبي :

" قوله : (فمن كان له إبل ...إلخ) كناية عن الاعتزال عنها والاشتغال بخويصة نفسه " .

٤٤ـ عن أبي هريرةُ ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
(واللهِ لَينزِلَنَّ ابنُ مريمَ حكماً عادلاً ، فليكسِرَنَّ الصليبَ ، وليقتُلَنَّ الخِنْزيرَ وليضَعَنَّ الجزيةَ ، وليتركَنَّ القِلاص ، فلا يسعى عليها ، ولتذهَبَنَّ الشحناءُ والتباغُضُ والتحاسُدُ ، وليَدْعُوَنَّ إلى المالِ فلا يقبله أحدٌ)(٣).

---

(١) من حديث رواه الترمذى ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٦٣ـ ١٤٦٤) الحديث رقم (٥٣٢٣) .

(٢) من حديث رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٨٢) الحديث رقم (٥٣٨٥) .

(٣) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٢٣) الحديث رقم (٥٥٠٦) .

قال الطيبي :

" قوله : (وليتركن القلاص) القِلاصُ جمع قَلُوصٍ ، وهي الناقةُ الشابة(١) .

قال المظهر : يعني ليتركن عيسى عليه السلام إبل الصدقة ، ولا يأمر أحداً أن يسعى عليها ، ويأخذها ، لأنه لا يجد من يقبلها لاستغناء الناس عنها ، والمراد بالسعي : العمل (٢) " .

ثم عقب على كلام المظهر بقوله :

" أقول : ويجوز أن يكون ذلك كناية عن ترك التجارات والضرب في الأرض لطلب المال وتحصيل ما يحتاج إليه لاستغنائهم " انتهى .

قلت : هذا يدل على أن الطيبي يريد إبراز النكات البيانية ما أمكنه ذلك فحاول هنا إبراز رأي آخر يستند إلى علم البيان سعياً لإضافة شيء جديد ولتوسيع المعاني المرادة ، وهذا منهج قيم شريطة أن يخلو من التكلف والتعقيد .

٤٥- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يومَ حُنَيْنٍ أثناءَ المعركة :

(هذا حِينَ حَمِيَ الوطيسُ)(٣) .

- وعن البراء ، قال : كُنَّا واللهِ إذا احْمَرَّ البأسُ نَتَّقِي بِهِ ، وإن الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحاذِيهِ ، يعني النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- (٤) .

قال الطيبي شارحاً للحديثين ، مبيناً بلاغة المصطفى -صلوات الله وسلامه

---

(١) ينظر : المعجم الوسيط ، مادة :(قلص) .

(٢) المرقاة ، ج ١٠ ، ص (٢٣١) .

(٣) من حديث رواه مسلم عن العباس ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٦٤٩) الحديث رقم (٥٨٨٨) .

(٤) رواه الشيخان ، ينظر : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص (١٦٥٠) ، الحديث رقم (٥٨٩٠) .

عليه :

" قال في النهاية : الوطيس شِبْه التَنّور ، وقيل هو الضِّرابُ في الحرب ، وقال الأصمعي : هو حِجارة مُدَوَّرةٌ إذا حَمِيَتْ لم يَقْدِرْ أحد يطَؤُها ، ولم يسمع هذا الكلام من أحد قبل النبي - صلى الله عليه وسلم -[1] وهو من فصيح الكلام عبر به عن اشْتِباكِ الحرب ، وقيامها على سَاقٍ[2]. واحمرار البأس كناية عن اشتداد الحرب واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة ، أو لاستعار نار الحرب واشتعالها ، كما في الحديث السابق (حمي الوطيس) . وفيه بيان شجاعته - صلوات الله وسلامه عليه - وعظيم ثقته بالله " .

٤٦- عن أُمّ سَلَمَةَ ، قالت : سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لأزواجِهِ : (إن الذي يحثو عليكنّ بعدي هو الصادقُ البارُّ ، اللهم اسقِ عَبْدُ الرحمن بنَ عوفٍ من سلسبيلِ الجنةِ)[3] .

قال الطيبي :

" (يحثو عليكن) أي يجود وينثر عليكن ما تنفقن ، وهو كناية عن المبالغة في الكثرة " .

× × ×

---

(١) الجاحظ أول من أشار إلى هذا المثال وأشباهه في كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - مما لم يسبقه إليه أحد وصار مثلاً سائراً ، ينظر : البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص (١٥) ، والحيوان ، ج ١ ، ص (٣٣٥). وذكر الحديثَ الشريفُ الرضي في (المجازات النبوية) ص (٤٥) وقال :(وهذه اللفظة الأغلب عليها من جملة الأمثال ... إلا أن لها بعض الدخول في باب الاستعارة) .

(٢) ج ٥ ، ص (٢٠٤)

(٣) رواه أحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٧٢٩) الحديث رقم (٦١٢٢) .

بعض الكنايات ينقلها الطيبي عن العلماء دون أن يضيف شيئاً ، ومن أمثلة ذلك :

١- عن عائشةَ رضي الله عنها ، قالتْ : دُعِيَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- إلى جَنازةِ صبيٍّ مِنَ الأنصارِ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ! طُوبى لهذا ، عُصفورٌ من عصافيرِ الجنةِ ...)[1] .

يذكر الطيبي من معاني (طوبى) إصابة الخير على الكناية فيقول ناقلاً عن العلماء دون أن يحدد أسماءهم :

" قوله : (طوبى) فُعْلَى من الطِيب ، قلبوا الياء واواً للضمة قبلها[2] .

قيل : معنى طوبى له : أطيب المعيشة له ..

وقيل : معناه : أصبت خيراً[3] على الكناية ، لأن إصابة الخير مستلزمة لطيب العيش ، وأن يقال للمصيب طوبى لك . فأطلق اللازم وأراد الملزوم " .

٢- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (إذا قُبِرَ المَيِّتُ أتاهُ مَلَكانِ أَسْوَدانِ أَزْرَقانِ ، يقالُ لأَحَدِهِما : المُنْكَرُ ، وللآخَرِ : النَّكِيرُ)[4].

في قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (أتاه ملكان أسودان أزرقان) ، آراء للعلماء ، منها أنه كناية عن شدة الغضب ، وقد ذكر هذه الآراء الطيبي ، وعزاها لشراح الحديث النبوي - دون أن يحددهم - فقال :

" قال الشارحون : أراد بالسواد سواد منظرهما ، وبالزرقة زرقة أعينهما

---

(١) من الحديث (٨٤) وقد سبق تخريجه ص (٤٥ ٣) من الرسالة .

(٢) الصحاح للجوهري ، مادة (طيب).والنهاية ، ج ٣ ، ص (١٤١) .

(٣) في الكشاف :" معنى طوبى لك : أصبت خيراً وطيباً " ينظر : ج ٢ ، ص (٥٢٨) .

(٤) من الحديث رقم (١٣٠) وقد سبق تخريجه ص (٤٠) من الرسالة .

وذلك لما في لون السواد وزرقة العين من الهول والنكير[1] ، والزرقة أبغض ألوان العيون إلى العرب ، لأن الروم أعداؤهم ، وهم زرق العيون ، ولذلك قالوا في صفة العدو : أسود الكبد ، أزرق العين ، ويحتمل أن يكون المراد قبح المنظر وفظاظة الصورة ، يقال : كلمت فلاناً فما رد علي سوداء ولا بيضاء ، أي : فما أجابني بكلمة قبيحة ولا حسنة ، والزرقة تقليب البصر وتحديد النظر ، يقال : زرقت عينه إذا انقلبت وظهر بياضها ، وهي كناية عن شدة الغضب ، فإن الغضبان ينظر إلى المغضوب عليه شَزْرًا بحيث تنقلب عينه " .

٣- عن خارِجَةَ بنِ حُذافَةَ ، قال : خرجَ علَيْنا رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم- وقال: (إنَّ اللهَ أَمَدَّكُمْ بصلاةٍ هيَ خيرٌ لكمْ منْ حُمْرِ النَّعَمِ : الوِتْرُ جعلَهُ اللهُ لكمْ فيما بينَ صلاةِ العشاءِ إلى أنْ يَطْلُعَ الفجرُ)[2] .

قال الطيبي :

" قوله : (حمر النعم) قال المظهر : هي عند العرب أعز الأموال وأشرفها فجعلت كناية عن خير الدنيا كله ، كأنه قيل : هذه الصلاة خير لكم مما تحبون من عرض الدنيا وزينتها ، لأنها ذخيرة للآخرة (والآخِرَةُ خيرٌ وأَبْقَى)"[3] .

٤- عن عبدِ اللهِ بنِ أبي أَوْفَى : أَنَّ رسولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - في بعضِ

---

(١) يؤيد هذا قول بشار بن برد :

إن الكريمَ لتخفى عنكَ عُسْرَتُهُ ... حتى تراهُ غنياً وهو مَجْهودُ

وللبخيلِ على أموالِه عِلَلٌ ... زرقُ العيونِ عليها أوجهٌ سُودُ

ينظر : ديوانه ، ج ٣ ، ص (١٢٨) .

(٢) رواه الترمذي وأبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٣٩٧) الحديث رقم (١٢٦٧) .

(٣) سورة الأعلى ، الآية (١٧) .

المرقاة ، ج ٣ ، ص (١٦٨) .

أيامِهِ التي لَقِيَ فيها العدوَّ انتظرُ حتى مالتِ الشمسُ ، ثم قامَ في الناسِ فقالَ : (يا أيها الناسُ لا تتمنَّوْا لِقاءَ العدوِّ ، واسألوا اللهَ العافيَةَ ، فإذا لَقِيتُمْ فاصْبِرُوا ، واعلموا أنَّ الجنةَ تحتَ ظلالِ السيوفِ)(١).

قال الطيبي :

" قوله :(تحت ظلال السيوف) قال في النهاية : هو كناية عن الدُّنُوِّ من الضِّرَابِ في الجهاد ، حتى يَعْلُوَه السيفُ ، ويصيرَ ظِلُّهُ عليه (٢)" .

٥- في قصة صلح الحديبية (فجاءَهُ أبو بَصيرٍ رجلٌ من قريشٍ وهوَ مسلمٌ ، فأرسلوا في طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ ، فدفعهُ(٣) إلى الرجلينِ ، فخرجا به ، حتى إذا بَلَغا ذا الحُلَيْفَةِ ، نزلوا يأكلونَ من تَمْرٍ لَهُمْ ، فقال أبو بصيرٍ لأحدِ الرجُلَيْنِ : واللهِ إني لأرى سَيْفَكَ هذا يا فلانُ جيِّداً ، أرِني أنظرْ إليه . فأمْكَنَهُ مِنْهُ ، فضَرَبَهُ حتى بَرَدَ ، وفرَّ الآخرُ حتى أتى المدينةَ ...)(٤).

قال الطيبي :

" قوله :(حتى بردَ) قال القاضي : أي :ماتَ ، ويقال : بَرَدَهُ فلانٌ إذا قتله على سبيل الكناية ، فإن البرودة من توابع الموت ولوازمه ، ومنه السيوفُ البوارِدُ(٥)".

٦- عن المقدادِ بنِ الأسوَدِ ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(إذا رأيتمُ المدّاحينَ فاحْثُوا في وجوهِهِمُ الترابَ)(٦).

---

(١) من حديث متفق عليه ، ينظر: المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١٥١) الحديث رقم (٣٩٣٠) .

(٢) ج ٣ ، ص (١٥٩) .

(٣) أي النبي - صلى الله عليه وسلم - .

(٤) من الحديث (٤٠٤٢) وقد سبق تخريجه ص (٢٥٨) من الرسالة .

(٥) المرقاة ، ج ٨ ، ص (٨٠) .

(٦) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٥٨) الحديث رقم (٤٨٢٦) .

يوضح الطيبي المراد بالمداحين ، ثم يبين المراد بقوله عليه السلام : (فاحثوا في وجوههم التراب) وأنه يجوز أن يكون من باب الكناية فيقول ناقلاً عن العلماء :

« قوله (المداحين) قال الخطابي : المداحون هم الذين اتخذوا مدح الناس عادة وجعلوه بضاعة ، يستأكلون به الممدوح ، فأما من مدح الرجل على الفعل الحسن والأمر المحمود ، يكون منه ترغيباً له في أمثاله ، وتحريضاً للناس على الاقتداء في أشباهه ، فليس بمداح [1].

وقال البغوي : قد استعمل المقداد الحديثَ على ظاهره في تناول عين التراب، وحثيه في وجه المادح ، وقد يُتأول على أن يكون معناه : الخيبة والحرمان،أي مَنْ تعرض لكم بالثناء والمدح فلا تعطوه ، واحرموه ، كنى بالتراب عن الحرمان ، كقولهم : ما في يده غير التراب ، وكقوله - صلى الله عليه وسلم - :(إذا جاءك يطلب ثمن الكلب فاملأ كَفَّهُ تراباً) وفي الجملة : المدح والثناء على الرجل مكروه، لأنه قلما يسلمُ المادح عن كذبٍ يقوله في مدحه ، وقلما يسلمُ الممدوحُ عن عُجبٍ يدخله [2]» .

٧- في حديث حذيفة ، قال عليه الصلاة والسلام :(ثم ينشأُ دعاةُ الضَّلالِ ، فإنْ كانَ للهِ في الأرضِ خليفةٌ جَلَدَ ظهركَ ، وأخذَ مالَكَ ، فأطعْه ، وإلا فمتْ وأنتَ عاضٌّ على جِذْلِ شجرةٍ)[3].

قال الطيبي :

« قوله :(وإلا فمت وأنت عاض) قال القاضي : أي إن لم يكن لله في الأرض خليفة ،

---

(١) معالم السنن ، ج ٧ ، ص (١٧٥) .

(٢) شرح السنة للبغوي ، ج ١٣ ، ص (١٥٠- ١٥١) .

(٣) من الحديث (٥٣٩٦) وقد تقدم تخريجه ص (٨٠) من الرسالة .

فعليك بالعزلة ، والصبر على غصص الزمان ، والتحمل لمشاقه وشدائده ، وعضّ جذل الشجرة ، وهو أصله كناية عن مكابدة الشدائد من قولهم : فلان يعض بالحجارة لشدة الألم ، ويحتمل أن يكون المراد منه أن ينقطع عن الناس ، ويتبوأ أجمة ، ويلزم أصل شجرة إلى أن يموت ، أو ينقلب الأمر ، من قولهم : عض فلان بصاحبه ، إذا لزمه ولصق به "(١) .

٨- قال عليه الصلاة والسلام في حديثه عن الدجال :(ويمُرُّ بالخَرِبَةِ فيقولُ لها :أَخْرِجي كُنوزَكِ ، فَتَتْبَعُهُ كُنوزُها كيَعَاسِيبِ النَّحْلِ)(٢).

قال الطيبي :

" قال النووي : اليعاسيب ذكور النحل ، هكذا فسره ابن قتيبة وآخرون ، وقال القاضي : المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة ، لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها ، لأنه متى طار تبعته جماعته(٣). وقال الأشرف : معناه تتبع الدجال كنوز الأرض كما تتبع اليعسوب النحل ، وهو كناية عن سرعة اتباعه ، أى تتبعه الكنوز بالسرعة(٤) . "

أقول : حسب كلام القاضي :" كنى عن الجماعة باليعسوب " تكون الكناية عن موصوف ، وكان الأولى أن يقول : هو مجاز مرسل من إطلاق الخاص وإرادة العام .
وأما قول الأشرف عن الحديث : "هو كناية عن سرعة اتباعه" فهذا صحيح والكناية هنا عن صفة .

---

(١) ينظر : المرقاة ، ج ١٠ ، ص (١٢٥) .
(٢) من الحديث (٥٤٧٥) وقد تقدم تخريجه ص (١٤١) من الرسالة .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ١٨ ، ص (٦٦- ٦٧) .
(٤) المرقاة ، ج ١٠ ، ص (١٩٦- ١٩٧) .

٩ـ عن عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
(خيرُ أمتي قَرْني ، ثم الذينَ يَلُونَهُمْ ، ثم الذينَ يَلُونَهُمْ ، ثم إن بعدَ هُمْ قوماً يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ ، ويَخُونُونَ ولا يُؤْتَمَنُونَ ، ويَنْذُرُونَ ولا يَفُونَ ، ويظهرُ فيهم السِّمَنُ)(١).

قال الطيبي :

" قوله :(ويظهر فيهم السمن) قال التوربشتي : كنى به عن الغفلة ، وقلة الاهتمام بأمر الدين ، فإن الغالب على ذوي السمانة أن لا يهتموا بارتياض النفوس ، بل معظم همهم تناول الحظوظ ، والتفرغ للدعة والنوم(٢).
قال النووي : قالوا والمذموم من السمن ما يستكسب ، وأما من هو فيه خلقة فلا يدخل في هذا (٣) " .

× × ×

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٦٩٥) الحديث رقم (٦٠٠١) .
(٢) ينظر : المرقاة ، ج ١١ ، ص (٢٧٧) .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٦ ، ص (٨٦ـ ٨٧) .

ثانياً : كناية عن موصوف :

ذكر الطيبي عدداً من الكنايات من هذا النوع[١] ، وهي أقل مما ذكره من النوع السابق ، والموصوف هنا إما انسان ، أو حيوان ، أو مكان ، أو غير ذلك من الأمور ... ، وربما يبين الطيبي سر الكناية وسبب التعبير بها ، وقد نقل بعض هذه الكنايات عن بعض العلماء دون أن يضيف شيئاً ، كما أطلق مصطلح الكناية هنا على بعض علاقات المجاز المرسل ، وفيما يلي بعض الأمثلة لهذا النوع من الكناية :

١- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (اجتنبوا السَّبْعَ الموبقاتِ) وذكر في آخر الحديث : (وقذفُ المُحْصَناتِ المؤمناتِ الغافلاتِ)[٢].

قال الطيبي :

" قوله : (المحصنات المؤمنات الغافلات) الغافلات كناية عن البريئات ، لأن البريء غافل عما بهت به من الزنا " .

٢- عن عليٍ ، قالَ : قالَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (يُوشِكُ أن يأْتِيَ على الناسِ زمانٌ لا يبْقى من الإسلام إلا اسْمُهُ ، ولا يبْقى من القرآنِ إلا رَسْمُهُ ، مَساجِدُهُمْ عَامِرَةٌ وهي خَرابٌ من الهُدى ، عُلماؤُهُمْ شَرُّ مَنْ تحتَ أَدِيمِ السماءِ ، مِنْ عِنْدِهِمْ تَخْرُجُ الفِتنةُ وفيهمْ تعودُ)[٣].

---

(١) ذكر الدكتور علي العماري ضابط هذه الكناية وهو :
" أن يكون المكنى عنه فيها ذاتاً ملازمة للمعنى المفهوم من الكلام ، وقد يكون لفظ الكناية ذاتاً وقد يكون صفة " .
ينظر كتابه : " البيان " ، ص (١٨٠) .
(٢) من الحديث رقم (٥٢) وقد سبق تخريجه ص (٢٢) من الرسالة .
(٣) رواه البيهقي في " شعب الإيمان " ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٩١) الحديث رقم (٢٧٦) .

قال الطيبي :

" قوله :(وهي خراب من الهدى) أى : من ذي الهدى أو الهادي ، لأنه لو وجد الهادي لوجد الهدى ، فأطلق الهدى وأريد الهادي على سبيل الكناية ، وهو يحتمل معنيين :

أحدهما : أن خراب المساجد من أجل عدم الهادي ، الذى ينتفع الناس بهداه في أبواب الدين ، ويرشدهم إلى الخير .

وثانيهما : أن خرابها لوجود هداة السوء ، الذين يزيغون الناس ببدعهم وضلالهم وتسميتهم بالهداة من باب التهكم " انتهى .

أقول : الوجه الثاني أولى ، وينصره ما في الحديث وهو قوله (علماؤهم شَرٌّ من تحتَ أديمِ السماءِ) فالعلماء هم الهداة ، وهم موجودون ، إلا أنهم ابتعدوا عن تطبيق ما يقولونه للناس ، فصاروا هداة سوء فضلوا وأضلوا .

٣- عن أَنَسٍ ، قال : كانَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يَدْخُلُ الخَلاءَ ، فَأَحْمِلُ أنا وغلامٌ إِداوَةً(١) منْ ماءٍ وعَنَزَةً(٢) يَسْتَنْجي بِالماءِ)(٣).

قال الطيبي :

" قوله :(يستنجي بالماء) أى يزيل النجوةَ والعَذِرَةَ به ، والنَّجْوَةُ ما ارتفع من الأرض ، جعلت كناية عن الحدث ، لأن صاحب الحاجة يتستر بها ، كما جعل الغائط وهو المطمئن من الأرض كناية عنه " .

---

(١) أى مطهرة ، وهي ظرف من جلد يتوضأ منه .

(٢) أطول من العصا وأقصر من الرمح فيها سنان ، قيل ليركزها بجنبه لتكون إشارة إلى منع من يروم المرور بقربه .
ينظر : المرقاة ، ج ١ ، ص (٣٥٣) .

(٣) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (١١١) الحديث رقم (٣٤٢) .

٤- عن عائشةَ ، قالتْ : قالَ رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - :(لا تُقْبَلُ صَلاةُ حائِضٍ إلا بِخِمَارٍ)(١).

قال الطيبي :

" قال البغوي : فيه دليل على أن رأسها عورة ، فلو كشفته في الصلاة لا تصح صلاتها ، هذا في الحرة ، وأما في الأمة فتصح صلاتها مكشوفةَ الرأس ، وعورتها ما بين سُرَّتِها وركبتها كالرجل (٢). " .

ويستنبط الطيبي كناية عجيبة من خلال ما سبق قائلاً :

" أقول والله أعلم : كان من حق الظاهر أن يقال : لا تقبل صلاة الحرة إلا بخمار فكنى عنها بما يختص بها من الوصف توهيناً لها بما يصدر عنها من كشف رأسها ، كأنه قيل لها : غطي رأسك يا ذات الحيض ، ومن ثم سمى الله تعالى المحيض بالأذى (٣) " .

٥- عن زيدِ بنِ أَرْقَمَ ، قال : قالَ أصحابُ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - : يا رسولَ الله! ما هذهِ الأَضَاحِي ؟. قال :(سُنَّةُ أَبِيكُمْ إبراهيمَ عليهِ السلامُ) . قالوا : فَما لَنا فيها يا رسولَ اللهِ؟. قال :(بكلِّ شَعرةٍ حَسَنَةٌ) . قالوا : فالصُّوفُ يا رسولَ اللهِ؟. قال :(بكلِّ شَعرةٍ من الصوفِ حَسَنَةٌ)(٤).

---

(١) رواه أبو داود والترمذي ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٢٣٨) الحديث رقم (٧٦٢).
(٢) شرح السنة ، ج ٢ ، ص (٤٣٧) .
(٣) وذلك في سورة البقرة ، الآية (٢٢٢) وأولها :(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فاعتزِلُوا النساءَ في المحيضِ) .
(٤) رواه أحمد وابن ماجه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٦٣- ٤٦٤) الحديث رقم (١٤٧٦) .

قال الطيبي :

" قوله :(بكل شعرة حسنة) الباء بمعنى في ليطابق السؤال ، أي : أي شيء لنا من الثواب في الأضاحي؟. فأجاب في كل شعرة منها حسنة ، ولما كان الشعر كناية عن المَعْزِ ، كنوا عن الضأنِ بالصوف " .

٦- عن ابن عمرَ ، قالَ : قالَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- :(إنا أُمَّةٌ أُمِّيةٌ لا نكْتُبُ ولا نَحْسُبُ)(١).

قال الطيبي :

" قوله :(إنا أمة أمية) إنا كناية عن جيل العرب " .

٧- عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول :(من خرَجَ منَ الطاعةِ وفارَقَ الجماعةَ ، فماتَ، ماتَ ميتةً جاهليةً ، ومنْ قاتلَ تحتَ رايةٍ عِمِّيَّةٍ ، يغضبُ لعصبيةٍ ، أو يَدْعو لعصبيةٍ ، أو ينصرُ عصبيةً ،فقُتِلَ فقِتْلَةٌ جاهليةٌ)(٢).

قال الطيبي :

" قوله :(تحت راية عِمِّيَّةٍ) كناية عن جماعة مجتمعين على أمر مجهول ، لا يعرف أنه حق أو باطل ، فيدعون الناسَ إليه ويقاتلونَ له " .

٨- عن ابن عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- :(عَيْنانِ لاتَمَسُّهُما

---

(١) من حديث متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦١٥) الحديث رقم (١٩٧١) .

(٢) من حديث رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٠٨٦- ١٠٨٧) الحديث رقم (٣٦٦٩) .

النارُ : عينٌ بكتْ من خشيةِ اللهِ ، وعينٌ باتتْ تحْرُسُ في سبيلِ اللهِ)(١).

قال الطيبي :

" قوله :(عين بكت من خشية الله) كناية عن العالم المتعبد المجاهد مع نفسه لقوله تعالى :(إنما يَخْشَى اللهَ من عِبَادِهِ العلماءُ)(٢) حيث حصر الخشية فيهم غير متجاوزة عنهم (٣) فحصلت النسبة بين العينين ، عين مجاهدة مع النفس والشيطان ، وعين مجاهدة مع الكفار " انتهى .

أقول : العين هنا مجاز مرسل علاقته الجزئية(٤). ويراد بالعين الأولى صاحبها الذي يبكي من خشية الله ، سواء كان عالماً أو من عامة الناس ، كما يراد بالعين الثانية صاحبها الذي يحرس في سبيل الله ، سواء كان قائداً أو مقوداً ، وإن كان الغالب على أهل العلم الخشية ، والغالب على عامة الناس الغفلة ، بيد أن هذا لا يمنع وجود الغفلة عند بعض العلماء ووجود الخشية عند بعض العامة . فكلام الطيبي هنا فيه تكلف واضح حيث جعل القصر في الآية حقيقياً ، بينما هو قصر إضافي .

٩- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(أَخْنى الأسماءِ يومَ القيامةِ عندَ اللهِ رجلٌ يُسمَّى مَلِكَ الأملاكِ) رواه البخاري ، وفي رواية لمسلم قال :(أغيظُ رجلٍ على اللهِ يومَ القيامةِ وأخبثُهُ رجلٌ كانَ يُسمَّى مَلِكَ الأملاكِ ، لا ملك إلا الله)(٥).

قال الطيبي :

" قوله :(ملك الأملاك) معنى ملك الأملاك ، أي يسمى باسم من له هذا الوصف وهو الله

---

(١) رواه الترمذي ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١٢٥) الحديث رقم (٣٨٢٩) .

(٢) سورة فاطر ، الآية (٢٨) .

(٣) لعل الطيبي نظر إلى قول الزمخشري في الكشاف ، ج ٣ ، ص (٦١١) :" كأن المعنى: إن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم " .

(٤) ينظر ص(٢٥١) من الرسالة .

(٥) المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٤٥) الحديث رقم (٤٧٥٥) .

تعالى ، ونظيره قوله تعالى :(ولئن سألتَهم مَنْ خلقَ السماوات والأرضَ ليَقُولُنَّ خلقهنَّ العزيزُ العليمُ) إلى آخر الآيات الثلاث[1] ، وليس هذا من مقول الكفار وجوابهم ، بل جوابهم الله فحسب ، يعني إنك إذا سألت الكفار عن خلق السماوات والأرض ، ينسبون الخلق إلى من هذه صفاته وهو الله تعالى[2] ، ولو شئت قلت هذا الوجه أبلغ لأنه من باب الكناية ، فإنهم يكنون بأخص أوصاف الرجل عن ذاته ، والمسمى به ، وتنزيله على ما نحن بصدده أن يقال : إن هذا الوصف بلغ في الشهرة وعدم الإلباس بحيث ساوى الموصوف ، فإذا أطلق لم يتبادر إلى الذهن غيره ، ولو احتمل الغير لبطلت المساواة " .

١٠- عن معاذ بن جبل ، رضي الله عنه ، قال : لما بعثَه رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم -إلى اليمنِ ، خرجَ معه رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم - يوصيه ، ومعاذ راكبٌ ورسولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم - يمشي تحتَ راحلتِه ، فلما فرغ قال : (يا معاذُ إنكَ عسى أن لا تلقاني بعدَ عامي هذا ، ولعلكَ أنْ تمرَّ بمسجدي هذا وقبري) فبكى معاذٌ جَشَعاً لفراقِ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ثم التفتَ فأقبلَ بوجههِ نحوَ المدينةِ ، فقال :(إن أولى الناس بي المتَّقون ، من كانوا وحيثُ كانوا)[3] .

قال الطيبي :

" قوله :(ثم التفت) لعل الالتفات كان تسلية لمعاذ بعد ما نعى نفسه إليه ، يعني إذا رجعت الى المدينة بعدى ، فاقتد بأولى الناس بي وهم المتقون ، وكنى

---

(١) سورة الزخرف ، الآيات (٩- ١٢) .
(٢) مستوحى من الكشاف ، ج ٤ ، ص (٢٣٨) .
(٣) رواه أحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٤١) الحديث رقم (٥٢٢٧) .

به عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ·

ونحوه حديث جبير بن مطعم ، أن امرأة سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً ، فأمرها أن ترجعَ إليه ، فقالتْ : يا رسول الله! أرأيتَ إن جئتُ فلم أجدك؟ وكأنها تعني الموت · قال :(فإن لم تجديني فأتي أبا بكر)(١) وفيه دليل على أنه رضي الله عنه خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعده وقائم مقامه " ·

١١- عن أم شريك ، قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لَيفِرنَّ الناسُ من الدجال حتى يلحقوا بالجبال) قالتْ أم شريك : قلتُ : يا رسول الله! فأين العرب يومئذ؟· قال : (هم قليلٌ)(٢).

قال الطيبي :

" قوله : (فأين العرب ··) الفاء جزاء شرط محذوف ، أي : إذا كان حال الناس هذا ، فأين المجاهدون في سبيل الله الذابون عن حريم الاسلام ، المانعون عن أهله صولة أعداء الله؟· تكني عنهم بها " ·

١٢- عن أبي ذرٍ ، قال : إن الصادقَ المصدوقَ - صلى الله عليه وسلم - حدثني :

---

(١) رواه مسلم ، ينظر صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٥ ، ص (١٥٤) · وقد عزاه البغوي في شرح السنة ، ج ١٤ ، ص (٧٩) ، إلى البخاري والترمذي أيضاً ·

(٢) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥١٠) ، الحديث رقم (٥٤٧٧) ·

(إن الناسَ يُحشرونَ ثلاثةَ أفواجٍ : فوجاً راكبينَ طاعمينَ كاسينَ ، وفوجاً تسحبُهم الملائكةُ على وجوهِهِمْ وتحشرُهم النارُ [1] ، وفوجاً يمشونَ ويسعونَ ، ويُلقي اللهُ الآفةَ على الظَّهْرِ فلا يبقى ، حتى إنَّ الرجلَ لتكونُ له الحديقةُ يعطيها بذاتِ القَتَبِ لا يقدر عليها)[2] .

قال الطيبي :

" قوله : (الحديقة يعطيها بذات القتب) ذات القتب وهي خشبة الرَّحْلِ كناية عن البعير تحقيراً ، كما أن قوله تعالى :(ذاتِ أَلْواحٍ وَدُسُرٍ)[3] كناية عن السفينة ، وفي إيثار هذه الصيغة على البعير ، والحديقة على القيمة إشارة إلى أنهم أعطوا أنفسَ الأموالِ بذلك الحقير ، وهذه الصيغة تسمى في علم البديع بالإدماج [4] " .

وأنبه في ختام الحديث عن الكناية عن صفة والكناية عن موصوف إلى أن الطيبي لم يمثل للكناية عن نسبة .

× × ×

---

(١) منصوب على نزع الخافض ، ينظر : المرقاة ، ج ١٠ ، ص (٢٦٠) .
(٢) رواه النسائي ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٥٣٨) الحديث رقم (٥٥٤٨) .
(٣) سورة القمر ، الآية (١٣) .
(٤) تقدم تعريفه ص (٥٢) من الرسالة .

ومن الكنايات التي نقلها الطيبي عن العلماء ، ولم يضف إليها شيئاً ، ما ذكره عند الأحاديث التالية :

١- عن لَقِيطِ بن صَبِرَةَ ، قال : قلتُ : يا رسولَ الله! إنّ لي امرأةً في لسانها شيءٌ - يعني البَذاءَ - قال : (طَلِّقْها) . قلتُ : إن لي منها وَلَداً ، ولها صُحْبَةٌ . قال : (فَمُرْها) يقول عِظْها (فإنْ يكُ فيها خيرٌ فَسَتَقْبَلُ ، ولا تَضْرِبَنَّ ظَعِينَتَكَ ضَرْبَكَ أُمَيَّتَكَ)(١) .

قال الطيبي :

" قال التوربشتي : الظعينة : المرأة ما دامت في الهودج ، فإذا لم تكن في الهودج فليست بظعينة ، قال الشاعر :

قفي قبلَ التفرُّقِ يا ظَعِينا   نُخبِرْكِ اليقينَ وتُخبِرينا (٢) .

فاتسعوا فيها فقالوا للزوجة ظعينة ، وأرى أنهم يكنون بها عن كرائم النساء ، لأن الهودج إنما يضم الكريمة على أهلها ، ولهذا سماها في هذا الموضع ظعينة . أي : لا تضرب الحرة التي هي منك بأعز مكان ضربك أميتك التي هي بأوضع مكان منك ، وأمية تصغير أمة "(٣) .

٢- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(من أعتقَ رقبةً مسلمةً أعتقَ اللهُ بكلِّ عُضْوٍ منه عُضْواً مِنَ النارِ حتى فَرْجَهُ بفرجِهِ)(٤) .

---

(١) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٩٧٣) الحديث رقم (٣٢٦٠) .
(٢) لعمرو بن كلثوم في معلقته ، ينظر : شرح القصائد العشر للتبريزي ، ص (٣٢٤) وشرح المعلقات السبع للزوزني ، ص (١٦٧) . وجمهرة أشعار العرب للقرشي ص (١٤٠) .
(٣) ينظر : التعليق ، ج ٤ ، ص (٥٨) .
(٤) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٠١٠) الحديث رقم (٣٣٨٢) .

قال الطيبي :

" قال في النهاية : الرَّقَبَةُ في الأصل العُنُق ، فَجعِلتْ كناية عن جميع ذات الإنسان تسمية للشيء ببعضه ، فإذا قال : أَعْتِق رقبة فكأنما قال أعتق عَبْداً أو أَمَةً(١) " انتهى .

أقول : وهذا مجاز مرسل فقد أطلق الجزء وأراد الكل ، وتسميته كناية من باب التسامح .

٣- عن أنس ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (البَرَكَةُ في نَوَاصِي الخَيْلِ)(٢) .

قال الطيبي :

" قوله :(نواصي الخيل) قال النووي : أراد بالناصية هنا الشعر المسترسل على الجبهة ، وقال الخطابي : كنى بالناصية عن جميع ذات الفرس ، يقال : فلان مبارك الناصية ، ومبارك العزة ، أي : الذات(٣) " انتهى .

أقول : هذا مجاز مرسل أطلق عليه الخطابي مصطلح الكناية حيث لم تضبط المصطلحات البلاغية حتى عصره ، وسكوت الطيبي عليه هو من باب التسامح .

٤- عن سعد ، قال : مرِضْتُ مرَضاً أتاني النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - يَعودُني ، فوضعَ يدَهُ بينَ ثَدْيَيَّ ، حتى وجدْتُ بردَها على فُؤادِي ، وقال : (إنكَ رجلٌ مَفْؤُودٌ ، ائتِ الحارثَ بنَ كِلْدَةَ أخا ثَقيفٍ فإنه رجلٌ يتطبَّبُ ...)(٤).

---

(١) النهاية ، ج ٢ ، ص (٢٤٩) .

(٢) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١٣٦) الحديث رقم (٣٨٦٦) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٣ ، ص (١٦) .

(٤) من حديث رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٢٢٠) الحديث رقم (٤٢٢٤) .

قال الطيبي :

" قال التوربشتي : المفؤود : الذي أصابه داء في فؤاده ، وأهل اللغة يقولون الفؤاد هو القلب ، وقيل : هو غشاء القلب ، وكان مصدوراً ، فكنى بالفؤاد عن الصدر لكونه محله(١) " .

أقول : قوله :" كنى بالفؤاد عن الصدر لكونه محله" هو من باب التسامح ، إذ لا كناية هنا وإنما مجاز مرسل علاقته المحلية ، وإطلاق الكناية على بعض علاقات المجاز المرسل نجده عند الزمخشري أيضاً ، فالزمخشري كما قرر الدكتور محمد أبو موسى يذكر في كنايات المفرد صوراً من المجاز المرسل ويسميها كناية ، فمثلاً يجعل عبارة :" فلان طاهر الثياب " كناية ، لأن الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكنى به عنه (٢) ، وهو حقيقة من المجاز المرسل الذي علاقته المجاورة أو الحالية(٣).

٥- عن أبي أُمامةَ ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(عرضَ عَلَيَّ ربي ليجعلَ لي بطحاءَ مكةَ ذهباً ، فقلتُ : لا ، يا رب! ولكن أَشبَعُ يوماً ، وأجوعُ يوماً ، فإذا جعتُ تضرّعتُ إليكَ وذكرتُكَ ، وإذا شبِعتُ حمدتُكَ وشكرتُكَ)(٤).

قال الطيبي :

" قوله :(فإذا جعت..) جمع في القرينتين بين الصبر والشكر ، وهما صفتا المؤمن الكامل ، قال تعالى :(إِنَّ في ذلكَ لآياتٍ لكلِّ صبّارٍ شَكورٍ)(٥) صبار على

---

(١) ينظر : المرقاة ، ج ٨ ، ص (١٩٢) .

(٢) ينظر : الكشاف ، ج ٤ ، ص (٦٤٥) .

(٣) يراجع : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، ص (٤٦٧) .

(٤) رواه أحمد والترمذي ،ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٣٣) الحديث رقم (٥١٩٠).

(٥) سورة الشورى ، الآية (٣٣) .

بلائه ، وشكور لنعمائه ، وهما صفتا المؤمن المخلص ، فجعلهما كناية عنه"(١).

٦- عن عبد الله بن مسعود ، عن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - قال : (تدور رَحَى الإسلام لخمس وثلاثين (٢) أو ستٍّ وثلاثين (٣) أو سبعٍ وثلاثين (٤) ، فإن يَهْلِكُوا فسبيلُ من هَلَكَ ، وإنْ يَقُمْ لهم دينُهم يقمْ لهم سبعين عاماً) قلت : أَمِمَّا بقي أو مما مضى؟. قال :(مما مضى)(٥) .

قال الطيبي :

" قوله :(تدور رحى الاسلام) قال الخطابي : دوران الرحى كناية عن الحرب(٦) والقتال ، شبهها بالرحى الدوَّارة التي تطحن الحب ، لما يكون فيها من تلف الأرواح ، وهلاك الأنفس ، قال الشاعر يصف حرباً :

× فدارت رحانا واستدارت رحاهم ×(٧) " .

٧ - عن أنس قال : مر أبو بكر والعباس بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون ، فقال : ما يبكيكم؟ فقالوا ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم منا ، فدخل أحدهما على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصَّبَ على رأسه حاشية بُرْدٍ ، فصعد المنبر ولم يصعد بعد ذلك اليوم ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : (أوصيكم بالأنصار ، فإنهم كرشي وعيبتي ، وقد قضوا الذى عليهم ، وبقي الذى لهم ، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم)(٨) .

---

(١) قوله : صبار ... إلخ هو في الكشاف ، ج ٤ ، ص (٢٢٧) .

(٢) من ابتداء ظهور دولة الإسلام وتنقضي فيها خلافة الخلفاء الثلاثة .

(٣) فيها قضية الجمل .

(٤) فيها وقعة صفين ، ينظر : المرقاة ، ج ١٠ ، ص (١٣٦) .

(٥) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٨٨) الحديث رقم (٥٤٠٧) .

(٦) في المجازات النبوية ، ص (١١٤) اعتبر الشريف الرضي دوران الرحى مجاز .

(٧) معالم السنن ، ج ٦ ، ص (١٤٠) وتتمة البيت :× سراة النهار ما تولى المناكب × .

(٨) رواه البخاري ، المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٧٥٢) ، الحديث رقم (٦٢١٢) .
وقد ورد بعضه في المجازات النبوية للشريف الرضي ، ص (٦١- ٦٣) ، بلفظ : (الأنصار كَرِشِي وعَيْبَتِي) وقال الشريف :"وفي هذا القول مجازان : أحدهما قوله عليه الصلاة والسلام :كرشي ... ، والمجاز الآخر قوله عليه الصلاة والسلام : وعيبتي .. " .

يشرح الطيبي ألفاظ الحديث ، فيقول ناقلاً :

" قال التوربشتي : الكَرِشُ لكل مُجْتَرٍّ بمنزلة المعدة للإنسان ، والعرب تستعمل الكرش في كلامهم موضع البطن ، والبطن مستودع مكتوم السر ، والعَيْبَةُ مستودع مكنون المتاع[١] والأمر أمران أمر باطن ، والثاني أمر ظاهر ، فيحتمل أنه ضرب المثل بهما إرادة اختصاصهم به في أموره الظاهرة والباطنة[٢]. " .

ثم ينقل عن البغوي كلاماً آخر مفاده أن العيبة كناية عن القلب والصدر فيقول :

" قال في شرح السنة : عيبتي ، أي : خاصتي وموضعُ سري[٣] وفي الحديث : (بيننا عيبة مكفوفة) أي صدر نقي من الغل ، والعرب تكني عن القلب والصدر بالعَيْبَة ، لأنهما مستودع السرائر ، كما أن العياب مستودع الثياب "[٤].

× × ×

---

(١) في الصحاح ، مادة (عيب) : " ما يُجْعَلُ فيه الثياب " .

(٢) المرقاة ، ج ١١ ، ص (٤٢٥) .

(٣) في أساس البلاغة ، مادة (عيب) : " ومن المستعار هو عَيْبَةُ فلان إذا كان موضع سره " .

(٤) ج ١٤ ، ص (١٧٢) .

- المبحث الثاني : فائدة الكناية -

يرى الطيبي أن الكناية أبلغ من التصريح ، ففي العدول إليها لا بد من فائدة قد تكون هذه الفائدة المبالغة ، أو الرغبة في العدول عما يفحش ذكره صريحاً من الكلمات الخسيسة ، أو التعبير عن حال معينة ، أو عن صاحب الحال ، أو غير ذلك .
وهذه الفوائد أشار إليها العلماء قبله ، ومنهم محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك ، فقد ذكر بعضها قائلاً : " ولا يترك التصريح بالشيء إلى الكناية عنه في بليغ الكلام إلا لتوخي نكتة ، كالإيضاح ، أو بيان حال الموصوف ، أو مقدار حاله ، أو القصد إلى المدح ، أو الذم ، أو الاختصار ، أو الستر ، أو الصيانة ، أو التعمية ، أو الإلغاز ، أو التعبير عن الصعب بالسهل ، أو عن الفاحش بالطاهر ، أو عن المعنى القبيح باللفظ الحسن "(١).

إذاً للكناية فوائد متمثلة في أسرارها البلاغية وفوائد متمثلة في حسن موقعها في بعض المواطن .

أولاً: فمن فوائد الكناية التي أوردها الطيبي لاشتمالها على أسرار بلاغية ما يلي :

أ : الكناية تفيد المبالغة (٢) :

وهذا يظهر من خلال الأمثلة التي ذكرها ، ومنها :

---

(١) المصباح ، ص (٧٠) .

(٢) ممن أشار إلى ذلك العلوي في الطراز ، ج ١ ، ص (٤٢٦) و(٤٣٤- ٤٣٥) .

١- عن أبي هريرةَ ، قال : نهى رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - عَنِ الخَصْرِ في الصلاةِ (١) .

ينقل الطيبي كلاماً طويلاً للتوربشتي حول كلمة (الخصر) حيث يرى التوربشتي أنها بمعنى الاختصار ، وقد بدلها بعض الرواة ، فيقول :

" قال التوربشتي : فسر الخصر في هذا الحديث بوضع اليد على الخاصرة ، وهو صنيع اليهود ، والخصر لم يفسر على هذا الوجه في شيء من كتب اللغة ، ولم أطلع عليه إلى الآن ، والحديث على هذا الوجه أخرجه البخاري ، ولعل بعض الرواة ظن أن الخصر يرد بمعنى الاختصار ، وهو وضع اليد على الخاصرة ، وفي رواية أخرى له :(نُهِيَ أن يُصَلِّيَ الرجلُ مُخْتَصِراً)(٢). وكذا رواه مسلم والدارمي والترمذي والنسائي(٣) ، وفي رواية لأبي داود :(نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الاختصارِ في الصلاة)(٤) ، فتبين من ذلك أن المعتبر هو الاختصار لا الخصر"(٥)

بيد أن الطيبي يرد على التوربشتي رداً محكماً تتجلى فيه عبقريتُه وبراعته في فهم النصوص والدفاع عن الرواة ، وذلك عند التماسه من البلاغة العربية مخرجاً بواسطة الكناية ، مظهراً قيمة الكناية ، فيقول - رحمه الله - :

" أقول : رده هذه الرواية على مثل هذه الأئمة المحدثين بقوله : (لم يفسر الخصر

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٣١١) الحديث رقم (٩٨١) .
(٢) فتح الباري ، ج ٣ ، ص (١٠٦) باب الخصر في الصلاة . ط : الريان .

(٣) ينظر : صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٥ ، ص (٣٦) . وسنن الدارمي ، ج١، ص (٣٣٢) والجامع الصحيح للترمذي ، ج ٢ ، ص (٢٢٢) . وسنن النسائي ، ج ٢ ، ص (٩٨) .

(٤) مختصر سنن أبي داود ، ج ١ ، ص (٤٤٤) وعقب عليه أبو داود قائلاً :" يعني يضع يده على خاصرته " .
(٥) ينظر : المرقاة ، ج ٣ ، ص (٦) .

على هذا الوجه في شيء من كتب اللغة) لا وجه له ، لأن ارتكاب المجاز والكناية لم يتوقف على النقل والسماع ، بل على العلاقة المعتبرة (١) ، فكيف لا يكون هذا موجوداً ونظائره موجودة في كلامهم ؟!. وبيانه أن الخصر هو وسط الانسان ، والنهي لما ورد عليه ، عُلِمَ أن ذات الخصر مما لا ينهى عنه ، فتوجه النهي إلى ما يعترضه من الأوصاف والأفعال ، كما تطلق العين واليد والرجل ، ويراد بها ما يصدر عنها ، ولما اتفقت الروايات على أن المراد وضع اليد على الخاصرة ، وجب حمله عليه ، وهو من الكناية التي يبلغ بها الكلام إلى الدرجة العليا ، فإنهم إذا ما أرادوا أن يبالغوا في النفي أو النهي ، ينفون الذات لتنتفي الصفة والحال بالطريق البرهاني ، قال صاحب الكشاف :(حال الشيء تابعه لذاته ، فإذا امتنع ثبوت الذات ، تبعه امتناع ثبوت الحال ، وذلك أقوى لنفي الحال وأبلغ)(٢).» .

فالمبالغة التي تفيدها الكناية ليست في المعنى نفسه وانما في إثبات ذلك المعنى بذكر الدليل عليه او نفيه .

٢- عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(ثلاثةٌ لا تُرد

---

(١) ذكرت ما يتعلق بالمجاز بهذا الخصوص ص(٢٠٦- ٢١١) . وأما بخصوص الكناية فهي إذا كانت من المجاز فينطبق عليها ما يجرى عليه ، وإن لم تكن مجازاً ففي هذه المسألة نظر ، وقد بحثت فلم أجد لدى جمهور البلاغيين من قال بوجوب أن نقتصر بالكناية على النقل والسماع ، وإنما اشترطوا العلاقة المعتبرة وقرينة غير مانعة من إرادة المعنى الأصلي ، وهذا هو الصحيح ، لأن اللغة في تطور دائم لتلائم نمو وتطلعات النفس البشرية حسب مقتضيات كل واقع حضاري يعيش فيه الإنسان ، والاقتصار على السماع جمود ، والتحرر من القواعد والضوابط معناه إنشاء لغة بديلة ، والمحافظة على الأصول مع النمو المتوازن هو المنهج الصحيح .

وقد أشار ابن سنان إلى بعض الكنايات التي اخترعها الكتاب والشعراء وأثنى عليها ، ينظر : سر الفصاحة ، ص(١٦٤- ١٦٥) .

(٢) الكشاف ، ج ١ ، ص(١٢١) .

دَعْوَتُهُمْ : الصائمُ حينَ يُفْطِرُ ، والإمامُ العادلُ ، ودعوةُ المظلومِ ...)(١).

- وعنه ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(ثلاثُ دَعَواتٍ مُسْتَجاباتٌ لا شكَّ فيهنَّ : دَعوةُ الوالدِ ، ودعوةُ المسافرِ ، ودعوةُ المظلومِ)(٢).

قال الطيبي موازناً بين الحديثين :

" قال هناك : (لا ترد دعوتهم) وهنا (مستجابات) وقيدها بقوله :(لا شك فيهن) ليتفقا في التقرير ، لأن : (لا ترد) كناية عن الاستجابة ، وقد تقرر عند علماء البيان ، أن الكناية أبلغ من التصريح ، فجبر التصريح بقوله :(لا شك فيهن) " .

٣- عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(لا ينظرُ الرجلُ إلى عَوْرَةِ الرجلِ ، ولا المرأةُ إلى عورة المرأةِ ، ولا يُفْضي الرجلُ إلى الرجلِ في ثوبٍ واحدٍ ، ولا تفضي المرأةُ إلى المرأةِ في ثوبٍ واحدٍ)(٣).

قال الطيبي :

" قوله :(ولا يفضي) قال الراغب : أَفْضى بيدِهِ إلى كذا ، وأَفْضَى إلى امرأته ، في باب الكنايةِ أبلغُ وأقربُ(٤) ، قال تعالى :(وقدْ أَفْضَى بعضُكُمْ إلى بَعْضٍ)(٥)" (٦).

---

(١) من حديث رواه الترمذي ، المشكاة ، ج ٢ ، ص (٦٩٥) الحديث رقم (٢٢٤٩).

(٢) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه ، المشكاة ج ٢ ، ص (٦٩٥) . الحديث رقم (٢٢٥٠) .

(٣) رواه مسلم ، المشكاة ، ج ٢ ، ص (٩٣١) الحديث رقم (٣١٠٠) .

(٤) زاد في المفردات :" إلى التصريح من قولهم خَلا بها " .

(٥) سورة النساء ، الآية (٢١) .

(٦) المفردات في غريب القرآن ، مادة (فضا) .

٤ـ عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :(لا عَدْوى ولا هَامَةَ ولا نَوْءَ ولا صَفَرَ)(١) .

ـ وعن جابر ، قال : سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :(لا عَدْوى ولا صفَرَ ولا غُولَ)(٢) .

يفسر الطيبي معنى الغول فيقول :

" قوله : (لا غُولَ) قال في النهاية : " الغُولُ أَحَدُ الغِيلان ، وهي جِنْسٌ من الجنّ والشياطين ، كانت العرب تزعمُ أن الغُول في الفَلَاة تتراءى للناس فَتَتَغَوَّل تَغَوُّلاً أي : تتلون تلوناً في صُوَر شتى ، وتَغُولُهُمْ أي : تُضِلُّهم عن الطريق وتُهْلِكُهم . فنفاه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وقيل : قوله : (لا غُول) ليس نَفْياً لعَيْنِ الغُول ووجودِهِ ، وإنما فيه إبطال زَعْم العرب في تَلَوُّنه بالصُّوَر المختلِفَة واغْتِيالِه فيكون المعنى بقوله :(لا غُول) أنها لا تستطيع أن تضل أحداً " . واختار هذا الوجه صاحب النهاية (٣) " .

ثم يبين الكناية في الحديث فيقول :

" أقول : إن لا التي لنفي الجنس دخلت على المذكورات ونفت ذواتها ، وهي غير منفية ، فتوجه النفي إلى أوصافها وأحوالها التي هي مخالفة الشرع ،فإن العدوى وصفر والهامة والنوء موجودة،والمنفي هو ما زعمت الجاهلية إثباتها ، فإن نفي الذات لإرادة نفي الصفات أبلغ لأنه من باب الكناية " .

٥ـ عن أسماءَ بنت يزيد، قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (مَنْ

---

(١) و (٢) رواهما مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٢٩٠) الحديث رقم (٤٥٧٩) والحديث رقم (٤٥٨٠) .

(٣) ج ٣ ، ص (٣٩٦) .

ذَبَّ عن لحمِ أخيهِ بالمغيبَةِ كان حقاً على اللهِ أن يُعتقَه من النارِ)(١).

قال الطيبي :

" قوله :(عن لحم أخيه) هو كناية عن الغيبة لاستعمال التنزيل فيها (٢) ،كأنه قيل : من ذب عن غيبة أخيه في غيبته ، وعلى هذا فالمغيبة ظرف ، ويجوز أن تكون حالاً ، وفي هذه الكناية من المبالغة أنه جعل الغيبة كأكل لحم الإنسان ، ولم يقتصر بل جعلها كأكل لحم أخيه لأنه أشد نفاراً من لحم الأجانب ، وزاد في المبالغة حيث جعل الأخ ميتاً (٣) " .

٦- عن أبي الدَّرداء ، قال : سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول :(ما منْ مسلمٍ يردّ عنْ عِرْضِ أخيه إلا كان حقاً على اللهِ أن يَرُدَّ عنه نارَ جهنم يوم القيامة) ثم تلا هذه الآية :(وكانَ حقاً علينا نَصْرُ المؤمنينَ)(٤) .

قال الطيبي :

" قوله :(وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) استشهاد لقوله :(إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه) والضمير في عنه راجع إلى المسلم الذاب عن عرض أخيه (فيدخل فيه من سيق له الكلام دخولاً أولياً) (٥) كما في قوله تعالى :(فلما جاءَهُمْ ما عَرفوا كَفروا بهِ فلعنةُ اللهِ على الكافرينَ)(٦) وهو أبلغ مما لو قيل عليهم لموقع الكناية " .

---

(١) رواه البيهقي في(شعب الإيمان)،ينظر: المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٣٨٩) الحديث رقم (٤٩٨١).

(٢) يقصد ما ورد في سورة الحجرات في الآية (١٢) وهو قوله تعالى :(ولا يغتب بعضُكُمْ بعضاً أَيُحِبُّ أحدُكم أن يأكُلَ لحمَ أخيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُموهُ واتقوا اللهَ إن اللهَ توابٌ رحيمٌ)

(٣) قوله : جعل الغيبة كأكل ... إلخ . مستوحى من الكشاف ، ج ٤ ، ص (٣٧٣) .

(٤) سورة الروم ، الآية (٤٧) . وروى الحديث البغوي في شرح السنة ، ينظر : المشكاة ج ٣ ، ص (١٣٨٩- ١٣٩٠) الحديث رقم (٤٩٨٢) .

(٥) هذه العبارة مقتبسة من الكشاف ، ج ١ ، ص (١٦٥) .

(٦) سورة البقرة ، الآية (٨٩) .

ب : الإيجاز :

- عن سَلَمَةَ بنِ المُحَبَّقِ ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (مَنْ كانَ له حَمُولَةٌ تَأْوِي إلى شِبَعٍ ، فليصُمْ رمضانَ من حيثُ أدركَهُ)(١) .

قال الطيبي :

" قال التوربشتي والقاضي : الحَمولة بفتح الحاء كل ما يحمل عليه من إبل وحمار وغيرها . والمعنى تؤوي صاحبها أو بصاحبها ، يعني من كان له حمولة تؤويه إلى حال شبع ورفاهية ، ولم يلحقه وعثاء السفر ، ولا مشقة رمضان ، فليصم رمضان والأمر فيه محمول على الندب "(٢) .

وعقب على ما نقله قائلاً :

" أقول : وهي من الكنايات المستحسنة ، عبر عن رفاهية الحال ، وعدم المشقة بهذه الألفاظ البليغة ، فخص لفظ الحمولة ليدل على قوة الظهر وسهولة السير ووصفها بالإيواء لصاحبها إلى الشبع ، فدل على بلوغ المنزل ، بحيث تمكن من تهيئة طعام يكفيه ومسكن يبيت فيه ، ولله دره من كلام فصيح ، حاوٍ لنوعي الإيجاز والإطناب " انتهى .

قلت : أراد الطيبي أن المعاني الكثيرة حوته هذه الكناية الموجزة .

× × ×

(١) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٣٩) الحديث رقم (٢٠٣٦) .
(٢) في المرقاة لم ينسب الكلام ، ينظر : ج ٤ ، ص (٢٧٨) .
وفي التعليق نسب الكلام للتوربشتي ، ينظر : ج ٢ ، ص (٣٩٢- ٣٩٣) .

ج : التصوير :

تصوير المعاني وتجسيدها من سمات الكناية ، وقد بين الطيبي ذلك عند هذا الحديث :

- عن عطيةَ بنِ عُروة السَّعْدِي ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إنَّ الغضبَ من الشيطانِ ، وإنَّ الشيطانَ خُلِقَ من النار ، وإنما تُطْفَأُ النارُ بالماءِ فإذا غضبَ أحدُكُمْ فلْيتوضأ)(١) .

قال الطيبي :

" قوله : (فإذا غضب أحدكم فليتوضأ) أراد أن يقول : إذا غضب أحدكم فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم (٢) فإن الغضب من الشيطان ، فصور حالة الغضب ومنشأه ثم الإرشاد إلى ما يسكنه ، فأخرج الكلام هذا المخرج ، ليكون أنجع وأنفع ، وللموانع أزجر وأردع ، وهذا التصوير لا يمتنع من إجرائه على الحقيقة لأنه من باب الكناية " انتهى .

وقد تعقب الشيخ علي القاري كلام الطيبي هنا حين قال : " إن الوضوء مركب معجون من الماء الحسي والمطهر المعنوي المؤثر في الظاهر والباطن ، وهذا من طب الأنبياء الذي غفل عنه الحكماء ، وأغرب الطيبي حيث أخرج الحديث عن حقيقته الأصلية ، من غير باعث من الأمور النقلية والعقلية "(٣) .

قلت : إن إغراب الطيبي هو بسبب حرصه على إظهار النكات البيانية ، وأرى أنه لا كناية هنا وإنما الكلام وارد على الحقيقة . والله أعلم .

تلك هي أبرز الأسرار البلاغية التي تفيدها الكناية حسب ما ذكره الطيبي .

× × ×

---

(١) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤١٤) الحديث رقم (٥١١٣) .

(٢) ذهب إلى قوله تعالى في سورة الأعراف ، الآية (٢٠٠) : (وإما يَنْزَغَنَّكَ منَ الشيطانِ نَزْغٌ فاستعذْ باللهِ إنهُ سَميعٌ عليمٌ) فمما فسر به النزغ : اعتراء الغضب ينظر : الكشاف ، ج ٢ ، ص (١٩٠) .

(٣) المرقاة ، ج ٩ ، ص (٣١٢) .

ثانياً ـ ومن فوائد الكناية أنه يحسن دخولها في بعض المواطن ، ومن هذه المواطن ذكر الطيبي مايلي:

أ : الكناية تفيد في التعبير عن اللفظ الخسيس :

ذكر الطيبي بعض الأمثلة تفيد الكناية فيها التعبير عن اللفظ الخسيس (١) منها :

١ـ عن جابر ، قال : كان النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا أرادَ البَرازَ انطلقَ حتى لا يراهُ أحدٌ)(٢).

ينقل الطيبي عن التوربشتي جمال الكناية في قوله :(البَراز) ونحوها (الخلاء) وما فيهما من الاستعفاف عما يفحش ذكره ، فيقول :

« قوله :(البَراز) قال التوربشتي : هو بفتح الباء اسم الفَضَاءِ الواسع ، كنوا به عن قضاء حاجة الإنسان ، يقال : تبرز إذا تغوط ، كما كنوا عنها بالخلاء ، وهما كنايتان حسنتان ، يتعففون عما يفحش ذكره صيانة للألسن عما تصان عنه الأبصار (٣). » .

٢ـ عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :(إذا استيقظَ أحدُكمْ من نومه ، فلا يغمسْ يدَهُ في الإناءِ حتى يغسِلَها ، فإنه لا يدْري أينَ باتتْ يدُه)(٤) .

---

(١) ذكر المبرد في كتابه (الكامل)، ج ٢ ، ص (٥ـ ٦) أن الكناية تأتي على ثلاثة أضرب وذكر منها : التعبير عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره ، واعتبر هذا الضرب أحسنها . ويرى ابن سنان الخفاجي في كتابه (سر الفصاحة) ص (١٦٣) أن حسن الكناية عما يجب أن يكنى عنه في الموضع الذى لا يحسن فيه التصريح أصل من أصول الفصاحة . ووضح الدكتور بدوى طبانة في كتابه (علم البيان) ص (٢٢٨) أن تقسيم المبرد للكناية إلى أضرب ثلاثة لا يرجع إلى تقسيم الجنس إلى أنواعه ، ولكنها ضروب لما تؤديه الكناية من أغراض وفائدة في صناعة الكلام . وهذا رأي قويم .

(٢) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (١١١ـ ١١٢) الحديث رقم (٣٤٤) .

(٣) التعليق ، ج ١ ، ص (١٩٤) .

(٤) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (١٢٥) الحديث رقم (٣٩١) .

ذكر الطيبي من فوائد الحديث :

" استعمال ألفاظ الكنايات فيما نتحاشى من التصريح به ، حيث قال :(لا يدري أين باتت يده) ولم يقل لعل يده وقعت على دبره أو ذكره أو على نجاسة " .

٣- عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(إذا جَلَسَ أَحَدُكُمْ بينَ شُعَبِها الأربَعِ ، ثم جَهَدَ ها ، فقد وجبَ الغُسْلُ وإنْ لمْ يُنْزِلْ)(١).

قال الطيبي :

" الشعب الأربع كناية للاجتناب عن التصريح ، والجَهْدُ هو الجدُّ في الأمر وبلوغ الغاية ، لأنه إذا انتهى الأمر به إلى ذلك فقد جد ، وعبر بهذا اللفظ تنزهاً عن التفوه بما يفحش ذكره صريحاً ما وجد إلى الكناية سبيلاً ، إلا في صورة تدعو إلى التصريح على ما ذكر في حديث ماعز بن مالك (٢) لتعلق الحد بذلك ، وقد اعتمد في هذا الحديث على فهم المخاطبين فعبر عنه بالجهد والمراد منه التقاء الختانين ".

٤- عن أنسٍ، قال : شَهِدْنا بنتَ رسول اللهِ - صلى الله عليه وسلم - تُدْفَنُ ،ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - جالسٌ على القَبْرِ ، فرأيتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعانِ ، فقال : (هلْ فيكمْ مِنْ أَحَدٍ لم يُقارِفِ الليلةَ؟) فقال أبو طلحةَ : أنا . قال :(فانزِلْ في قَبْرِها) فنزل في قبرها (٣) .

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص(١٣٥) الحديث رقم (٤٣٠) .

(٢) يقصد ما رواه البخاري وأبو داود عن ابن عباس : قال :(لما أتى ماعز النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له :(لعلك قبلت أو غمزت ... إلخ) وقد جاء هذا الحديث بروايات عدة ، ينظر :
فتح الباري ، ج ١٢ ، ص(١٣٨) ، ط دار الريان .
ومختصر سنن أبي داود ، ج ٦ ، ص(٢٤٨- ٢٤٩) .
والمشكاة ، ج ٢ ، ص(١٠٧٧) الحديث رقم (٣٦٢٧) .

(٣) رواه البخاري ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص(٥٣٧) الحديث رقم (١٧١٥) .

قال الطيبي :

" قوله :(لم يقارف) قال في النهاية : في الحديث :" رجل قَرَفَ على نفسه ذُنُوباً " أي كَسَبَها ، يقال : قارف الذنب وغيره إذا داناه ولاصَقَه ، وقَرَفَهُ بكذا : أضافه إليه واتَّهَمَهُ به ، وقارف امرأته إذا جامَعَها [1] . وفي جامع الأصول : لم يقارف : أي : لم يذنب ذنباً ، ويجوز أن يريد به الجماع فكنى عنه وهو المعني في الحديث.[2]

أقول : مثله في الكناية قوله تعالى :(أُحِلَّ لكمْ ليلةَ الصيامِ الرَّفَثُ إلى نسائِكُمْ)[3]

وكان من عادة أدب القرآن أن يكني عن الجماع باللمس والقربان لشناعة التصريح ، فعكس فكنى عن الجماع بالرفث ، وهو أبشع ، تقبيحاً لفعلهم ، لينزجروا عنه[4] ، كذلك كنى في الحديث عن المباح بالمحظور ليصون جانب بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عما ينبئ عن الأمر المستهجن ، وتخصيص الليلة بالذكر ليحدد عهد المباشرة .

فإن قلت : لِمَ لا يحمل الاقتراف على التصريح؟. قلت : لأن الكناية أبلغ ، فإذا نفى المباح بل المندوب كان أنفى للمحظور ، وأرعى لصيانة جلالة محل بنت نبي الله - صلى الله عليه وسلم - " .

٥- عن جابرٍ ، قال : كانتِ اليهودُ تقولُ : إذا أتى الرجلُ امرأتَه من دُبُرِها في قُبُلِها كانَ الولدُ أَحْوَلَ ، فنزلتْ :(نساؤُكُمْ حَرْثٌ لكمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)[5].

---

(١) النهاية ، ج ٤ ، ص (٤٥) .

(٢) جامع الأصول لابن الأثير ، ج ١١ ، ص (١٤٤) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٨٧) .

(٤) مستوحى من الكشاف ، ج ١ ، ص (٢٣٠) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (٢٢٣) .

والحديث متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (٩٥١) الحديث رقم (٣١٨٣) .

قال الطيبي :

" قال في الكشاف : (حَرْثٌ لكم) : مواضع حرث لكم (١) ، شبههن بالمحارث لما يلقى في أرحامهن من النطف ، التي منها النسل بالبذور ، وقوله :(فأتوا حَرْثَكُم) معناه : فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أى جهة شئتم ، لا تحظر عليكم جهة دون جهة ... وهو من الكنايات اللطيفة ، والتعريضات المستحسنة .(٢) " .

٦- عن عَرْفَجَةَ ، قال : سمعت رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :(إنه سيكونُ هَناتٌ وهَناتٌ ، فمنْ أرادَ أن يُفَرِّقَ أمرَ هذهِ الأُمَّةِ وهيَ جميعٌ ، فاضرِبُوه بالسيفِ كائناً مَنْ كانَ)(٣).

قال الطيبي :

" قوله :(هَنَاتٌ وهَنَاتٌ) قال في النهاية : أى شرور وفساد ، يقال : في فلانٍ هَنَاتٌ ، أى : خِصالُ شَرٍّ ، ولا يقال في الخير ، وواحدُها هَنْتٌ ، وقد تجمع على هَنَوَات وقيل واحدها هَنَةٌ ، تأنيثُ هَنٍ ، وهو كناية عن كل اسم جنس لا تريد أن تصرح به لشناعته (٤). " .

× × ×

(١) في الكشاف :" وهذا مجاز ، شبههن ... " ويظهر أن الطيبي ينقل باختصار .

(٢) ج ١ ، ص (٢٦٦) .

(٣) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٠٨٨) الحديث رقم (٣٦٧٧) .

(٤) ج ٥ ، ص (٢٧٩) .

ب : ومن فوائدها التعبير عن حال صاحبها :

ذكر ذلك عند هذين الحديثين :

١- عن عبدِ اللهِ بن شَقِيقٍ ، قالَ : قلتُ لعائشةَ : أكانَ النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - يصومُ شهراً كلَّهُ؟ قالتْ : ما عَلِمْتُهُ صامَ شهراً كُلَّهُ إلا رمضانَ ، ولا أفْطَرَهُ كلَّه حتى يصومَ مِنْهُ ، حتى مَضَى لسبيلِهِ)(١) .

إن قول عائشة - رضي الله عنها - :(حتى مضى لسبيله) كناية عن الموت . واختيارها لهذه العبارة دون غيرها لأن فيها فائدة أو نكتة يبينها لنا الطيبي بقوله :

«(مضى لسبيله) كناية عن الموت . وفائدة الكناية بيان أنه - صلوات الله وسلامه عليه - لم يكن لبثه في الدنيا إلا لأداء الرسالة التي أمره الله بتبليغها ، فلما أدى ما عليه تركها ، ومضى إلى مأواه ومستقره (في مَقْعَدِ صِدْقٍ عندَ مَليكٍ مُقْتَدِرٍ)(٢) » .

٢- عن سُوَيْدِ بن وهبٍ، عن رجلٍ من أبناءِ أصحابِ رسولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - عن أبيهِ ، قالَ : قالَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - :(من تركَ لُبْسَ ثوبِ جمالٍ وهو يَقْدِرُ عليهِ - وفي روايةٍ : تَواضُعاً - كساهُ اللهُ حُلَّةَ الكرامةِ ، ومَنْ تَزَوَّجَ للهِ تَوَّجَهُ اللهُ تاجَ المُلْكِ)(٣) .

يردد الطيبي قول النبي - صلى الله عليه وسلم - :(توجه الله تاج الملك)

---

(١) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٣٣) الحديث رقم (٢٠٣٧) .
(٢) سورة القمر ، الآية (٥٥) .
(٣) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١٢٤٦) ، الحديث رقم (٤٣٤٨) .

بين الكناية والحقيقة فيقول :

" قوله :(تاج الملك) كناية عن إجلاله وتوقيره ، أو أعطي في يوم القيامة تاجاً ومملكة في الجنة " .

× × ×

ج : الزجر :

الزجر على سبيل الكناية يكون أبلغ ، وتأثيره في النفس أوقع ، كما في هذا المثال :

- عن أبي الدرداء ، قال : أوصاني خليلي :(أنْ لا تشركْ بالله شيئاً وإن قُطِّعْتَ وحُرِّقْتَ ، ولا تتركْ صلاةً مكتوبةً مُتَعَمِّداً ، فمنْ تركَها متعمداً فقد بَرِئَتْ منه الذمةُ...)(١)

قال الطيبي :

" قوله :(فقد برئت منه الذمة) كناية عن الكفر تغليظاً وزجراً " .

تلك كانت بعض المواقع التي يحسن فيها دخول الكناية حسبما بين الطيبي .

× × ×

---

(١) من حديث رواه ابن ماجه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (١٨٣) الحديث رقم (٥٨٠) .

- الفصل الثاني -

" ألقاب أخرى للكناية "

للكناية ألقاب أخرى عند الطيبي ، فقد تكون الكناية تعريضاً ، أو تكون تلويحية ، أو رمزية ، أو إيمائية ، أو زبدية .

وهذه الألقاب ليست من اختراع الطيبي ، بل هي من تقسيم أبي يعقوب السكاكي - رحمه الله - للكناية ، باستثناء الأخيرة ، فقد ذكر السكاكي أقساماً أخرى للكناية قائلاً :

" ثم إن الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة "(١).

والطيبي متأثر بمفهوم السكاكي لهذه الأقسام . وأما الكناية الزبدية فهي من إضافات الزمخشري (٢) ونقلها عنه الطيبي ، وأطلق عليها هذا الاسم .

وسوف نعرض لهذه الألقاب بالتفصيل .

---

(١) مفتاح العلوم ، ص (١٩٠) . ونقلها عنه عدد من العلماء ، وذكروها في كتبهم ومنها :
- المصباح لبدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك ص (٧٣-٧٤)
- والتلخيص للخطيب القزويني ، ص (٣٤٣- ٣٤٥) .
- والإيضاح ، ج ٢ ، ص (٤٦٦) .
وقد سبق هؤلاء جميعاً الإمام عبد القاهر - رحمه الله - حين ذكر بعض هذه المصطلحات مع الكناية ، حيث قال في دلائل الاعجاز ، ص (٢٣٦- ٢٣٧) : " كذلك إثباتك الصفة للشيء تثبتها له إذا لم تلقه إلى السامع صريحاً وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة ، كان له من الفضل والمزية ، ومن الحسن والرونق ، ما لا يقل قليله ، ولا يجهل موضع الفضيلة فيه " .

(٢) ينظر :
- شروح التلخيص " عروس الأفراح " ، ج ٤ ، ص (٣٥) و ص (٢٦٢) .
- وشرح عقود الجمان للسيوطي ، ص (١٠٢) .

أولاً : التعريض :

ذكر الطيبي التعريض ، وبين فائدته وقيمته الأسلوبية ، والتعريض عنده يؤخذ ويستفاد من السياق والقرائن ، وأغراضه متعددة ، منها : الذم ، والتوبيخ ، والتحذير لمن تلاعب بدينه ، أو غرته الدنيا ، أو أمن مكر الله ، وغير ذلك من المهلكات ، وقد يأتي التعريض عنده لتنويه جانب الموصوف (١) ولم يتعرض للفرق بين الكناية والتعريض (٢) ، ولم يذكر شيئاً فيما إذا كان التعريض يأتي على سبيل المجاز (٣) ، وإنما ذكر أمثلة للتعريض ، وذكر أن التعريض يكون على سبيل الكناية ، ومن أمثلة التعريض عنده ما يلي :

١- عن عُبَادة بن الصَّامِتِ ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ ، وأن محمداً عَبْدُهُ ورسُولُهُ ، وأنَّ عيسى

---

(١) نقل السيوطي عن الطيبي مواضع التعريض في الكلام ، ومنها بعض ما ذكرته ، ولمعرفتها جميعاً ينظر : الإتقان في علوم القرآن ، ج ٢ ، ص (٦٣) .
وشرح عقود الجمان ، ص (١٠٣) .

(٢) ذكر الدكتور علي العماري في كتابه " البيان " ص (١٨٤) فروقاً بين الكناية والتعريض ، وهي أن الكناية تكون في المفرد والتعريض لا يكون إلا في المركب ، وهي مستفادة من اللفظ وهو مستفاد من السياق والقرائن ، وهي معدودة مجازاً أو واسطة بين الحقيقة والمجاز ، وهو لا يوصف بحقيقة ولا مجاز ، لأنه ليس من مدلول اللفظ وإنما يجيء على هامشه ، وهو يرى التعريض أعم من الكناية .

(٣) بين السكاكي في " مفتاح العلوم " ص (١٩٤) أن التعريض تارة يأتي على سبيل الكناية ، وأخرى على سبيل المجاز " فإذا قلت : آذيتني فستعرف ، وأردت المخاطب ومع المخاطب إنساناً آخر معتمداً على قرائن الأحوال كان من القبيل الأول ، وإن لم ترد إلا غير المخاطب كان من القبيل الثاني " .

عبدُ اللهِ ورَسُولُه ، وابنُ أَمَتِهِ ، وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ ، وروحٌ منه ، والجنةَ والنـــارَ حقٌّ ، أدخلَهُ اللهُ الجنةَ على ما كانَ منَ العملِ)(١) .

قال الطيبي :

" قوله : (وأن عيسى) قال القاضي : ذكر عيسى - صلوات الله وسلامه عليه - تعريضاً بالنصارى ، إيذاناً بأن إيمانهم مع القول بالتثليث شرك محض لا يخلصهم من النار (٢) ، وقال الأشرف : ذكر عبده تعريضاً بالنصارى وقولهم بالتثليث ، وذكر رسوله تعريضاً باليهود في إنكارهم رسالته وانتمائهم إلى ما لا يحل من قذفه وقذف أمه .(٣)

وأقول : كذا قوله (وابن أمته) تعريض بالنصارى ، وتقرير لعبديته ، أي : هو عبدي وابن أمتي كيف تنسبونه الي بالبنوة ؟ ، وتعريض باليهود ببراءة ساحته من قذفهم ، فالإضافة في أمته إذاً للتشريف ، وعلى هذا تسميته بالروح ، ووصفه بقوله : (منه) إشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام مقربه وحبيبه ، تعريضاً باليهود وبحطهم من منزلته ، وتنبيه للنصارى على أنه مخلوق من المخلوقات " انتهى .

٢- عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(إن قلوبَ بني آدم كلَّها بين أُصبعين من أصابعِ الرحمن كقلب واحدٍ ، يصرفه كيف يشاء) ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(اللهم مصرفَ القلوبِ صرفْ قلوبنا على طاعتك)(٤) .

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (١٥) الحديث رقم (٢٧) .
(٢) و (٣) في المرقاة ، ج ١ ، ص (١٠١) ولم ينسب الكلام .
وفي التعليق ، ج ١ ، ص (٤٠) نسبه للطيبي .
(٤) تقدم تخريجه ص (١٨٩) من الرسالة .

- عن أنسٍ ، قالَ : كانَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يُكْثِرُ أن يقولَ : (يا مُقلبَ القلوبِ! ثبتْ قلبي على دينِكَ) فقلتُ : يا نبيَّ اللهِ! آمنا بكَ وبما جِئْتَ به ، فهل تخافُ علينا ؟. قال :(نَعَمْ ، إن القلوبَ بين أُصبعين من أصابعِ الله يُقَلِّبُها كيفَ يشاءُ)(١) .

قال الطيبي موازناً بين الحديثين :

" قوله : (يا مقلب القلوب) فإن قلت : ما فائدة تقديم هذه الكلمات في هذا الحديث وتأخيرها في حديث عبد الله بن عمرو ؟ وتخصيصه هنا بثبت وهناك بصرف ؟ وأضاف القلب إلى نفسه ههنا وهناك مع الجماعة ؟.

قلت وبالله التوفيق : قدم ههنا وخصص بذكر ثبت وأضاف القلب إلى نفسه تعريضاً بأصحابه ، لأنه - صلى الله عليه وسلم - مأمون العاقبة فلا يخاف على نفسه وعلى استقامتها لقوله تعالى : (إنكَ لمنَ المُرْسَلينَ × على صراطٍ مستقيمٍ)(٢) ومن ثم خص الدين بالذكر ، ولذلك سأل أنس : هل تخاف على ديننا ؟. ، وأخر هناك وخص بصرف ، وجمع القلب ، لأن سوق الكلام لبيان القَدَرِ ، وكان ذكر الدعاء مستطرداً له " .

٣- عن جابر ، قال : خرجْنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى سعدِ بنِ مُعاذٍ حين تُوفي ، فلما صلى عليه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وُوضِعَ في قبره وسُوِّيَ عليه ، سبَّحَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فسبَّحْنا طويلاً ، ثم كبَّرَ ، فكبرنا ، فقيلَ : يا رسولَ اللهِ! لِمَ سَبَّحْتَ ثُمَّ كَبَّرْتَ؟. قال : (لقد تضايقَ على هذا العبدِ الصالحِ قبرُهُ حتى فَرَّجَهُ اللهُ عنه)(٣) .

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٣٧) الحديث رقم (١٠٢) .
(٢) سورة يس ، الآيتان (٣- ٤) .
(٣) رواه أحمد ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٩) الحديث رقم (١٣٥) .

قال الطيبي :

" قوله :(على هذا العبد الصالح) إشارة إلى كمال تميزه ، ورفعة منزلته ، ثم وصفه بالعبد ونعته بالصلاح لمزيد التخويف والحث على الالتجاء إلى الله تعالى من هذا المنزل الفظيع ، يعني : إذا كان حال هذا العبد الصالح هذا فما بال غيره ؟ تعريضاً بالمؤمنين " .

٤- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(مَثَلي كمثلِ رجلٍ استوْقَدَ ناراً ، فلما أضاءتْ ما حولَها ، جعلَ الفراشُ وهذه الدوابُّ التي تقعُ في النارِ يقَعْنَ فيها ، وجعل يحجُزهنَّ ويغلِبْنه فيَتَقَحَّمْنَ فيها ، فأنا آخذٌ بحُجَزِكُمْ عن النارِ ، وأنتمْ تقحمون فيها)[1] .

قال الطيبي :

" تخصيص ذكر الدواب ، والفراش لا يسمى دابة عرفاً ، فلبيان جهلها ، كقوله تعالى :(إن شرَّ الدوابِّ عندَ اللهِ الصُّمُّ البُكْمُ)[2] كل ذلك تعريضاً بطالب الدنيا المتهالك فيها " .

٥- عن إبراهيمَ بن عبدِ الرحمنِ العُذْرِيِّ ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(يَحْمِلُ هذا العِلْمَ من كلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ ، يَنْفونَ عنهُ تحريفَ الغَالِينَ ، وانْتِحَالَ المُبْطِلِينَ ، وتأويلَ الجاهِلينَ)[3] .

قال الطيبي :

" في الحديث تعريض باليهود وتحريفهم وتبديلهم التوراة[4] ، وتأويلها بالباطل

---

(١) رقم الحديث (١٤٩) وقد تقدم ص (١٨٠) و ص (١٩٩) من الرسالة .

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٢٢) .

(٣) رواه البيهقي ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٨٢) الحديث رقم (٢٤٨) .

(٤) في سورة النساء ، الآية (٤٦) ، يقول تعالى :(مِنَ الذينَ هادوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عن مواضِعِهِ ، ويقولونَ سمعنا وعصينا ...) .

وإحماد عظيم لهذه الأمة المرحومة ، وبيان لجلالة قدر المحدثين وعلو مرتبتهم".

٦- عن عائشةَ ، أنَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في مَرَضِهِ الذي لم يقمْ مِنْهُ :(لعنَ اللهُ اليهودَ والنصارى ، اتخذوا قُبورَ أنبيائِهِمْ مَسَاجِدَ)(١) .

قال الطيبي :

" قوله :(في مرضه) لعله صلوات الله عليه عرف بالمعجزة أنه مرتحل ، فخاف من الناس أن يعظموا قبره ، كما فعل اليهود والنصارى ، فعرض بلعن اليهود والنصارى وصنيعهم كي لا يعاملوا قبره معاملتهم " .

٧- عن أبي هريرة ، قال : إن فقراءَ المهاجرينَ أتوا رسولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : ذهبَ أهلُ الدُّثُورِ(٢) بالدرجاتِ العلى والنعيمِ المقيمِ(٣) .

قال الطيبي :

" قوله : (والنعيم المقيم) وَصْفُهُ بالمقيم تعريضٌ بالنعيم العاجل ، فإنه قلما يصفو ، وإن صفا فهو على وشك الزوال وسرعة الانتقال " .

٨- عن سَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(احْضروا الذِكْرَ ، وادْنُوا من الإمامِ ، فإن الرجلَ لا يزالُ يَتَبَاعدُ حتى يُؤَخَّرَ في الجنةِ وإنْ دخلَها)(٤) .

قال الطيبي :

" في قوله : (وإن دخلها) تعريض بأن الداخل قنع من الجنة ، ومن تلك الدرجات العالية والمقامات الرفيعة بمجرد الدخول " .

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٢٢٢) الحديث رقم (٧١٢) .
(٢) جمع دُثْرٍ وهو المال الكثير ، ينظر : المعجم الوسيط ، مادة (دثر) .
(٣) من حديث متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٣٠٤ - ٣٠٥) الحديث رقم (٩٦٥) .
(٤) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٤٣٨) الحديث رقم (١٣٩١) .

٩- عن أبي هريرةَ ، قال : بعثَ رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - عمرَ على الصَّدَقةِ فقيلَ : منعَ ابنُ جميلٍ ، وخالدُ بنُ الوليدِ ، والعباسُ ، فقالَ رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - :(ما يَنْقِمُ ابنُ جميلٍ إلا أنه كانَ فقيراً فأَغْناهُ اللهُ ورسولُه وأما خالدٌ فإنكمْ تَظْلِمونَ خالداً ، قدِ احْتَبَسَ أَدْراعَهُ وأَعْتُدَهُ في سبيلِ اللهِ ، وأما العباسُ فهيَ عليَّ ومثلُها مَعَها) ثم قالَ :(يا عمرُ! أما شعرتَ أنَّ عمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أبيهِ)(١).

قال الطيبي مبيناً ما في هذا الحديث من تعريض وإسناد مجازي :

" قال بعض أصحاب الغريب : معنى الحديث : ما حمله على منع الزكاة إلا أن أغناه الله ورسوله ، فهو تعريض بكفران النعمة ، وتقريع بسوء المقابلة ، قال تعالى: (وما نَقَمُوا منهمْ إلا أَنْ يُؤْمِنُوا)(٢) أي : ما كرهوا ، قيل : وإنما أسند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الإغناء إلى نفسه أيضاً لأنه - صلى الله عليه وسلم - كان هو السبب لدخوله في الإسلام ، والاستحقاق من الغنائم(٣) بما أباح الله تعالى لأمته منها ببركته(٤) " .

١٠- عن جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، قال : لما قسمَ رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - سَهْمَ ذَوي القُرْبى بينَ بني هاشمٍ وبني المُطَّلِبِ ، أتيتُهُ أنا وعثمانُ بنُ عفانَ ، فقلنا :

---

(١) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٥٨) الحديث رقم (١٧٧٨) .

(٢) سورة البروج ، الآية (٨) .

(٣) ورد في حديث رواه الشيخان عن جابر عنه عليه السلام قال :(أُعطيتُ خمساً لم يُعطهُنَّ أحدٌ قبلي) وذكر منها :(وأُحلَّتْ لي المغانمُ ولم تحلَّ لأحدٍ قبلي) ينظر: المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٦٠١) الحديث رقم (٥٧٤٧) .

(٤) في التعليق ، ج ٢ ، ص (٢٨٣- ٢٨٤) نسب الكلام إلى التوربشتي نقلاً عن أصحاب الغريب .

يا رسولَ الله! هؤلاءِ إخوانُنا من بني هاشمٍ ، لا نُنْكِرُ فَضْلَهُمْ لمكانِكَ الذي وضَعَكَ الله منهمْ ، أرأيتَ إخوانَنا من بني المُطَّلِبِ أعطيْتَهُمْ وتركْتَنا ، وإنما قرابَتُنا وقرابَتُهُمْ واحدةٌ ، فقالَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - :(إنما بَنُو هاشمٍ وبَنُو المطلبِ شيءٌ واحدٌ هكذا) وشَبَّكَ بينَ أصابِعِهِ(١).

قال الطيبي :

" من في منهم ابتدائية متعلقة بوضع ، أى : أنشيء وأصدر وضعك منهم ، أى لا ننكر فضلك لأن الله أنشأك منهم لا منا ، فإن قلت : من أى قبيل هو من فن البيان؟. قلت: من فن التعريض على سبيل الكناية ، فإنهم قد يعبرون عن المسمى بالمجلس والجانب والمكان إجلالاً له وتنويهاً بشأنه ، وأنشد في معناه زهير :

فعرض إذا ما جئت بالباب والحمى ... وإياك أن تنسى فتذكر زينبا

سيكفيك من ذاك المسمى إشارة ... فدعه مصوناً بالجلال محجبا (٢)

ونظيره :(مثلك يجود) بمعنى أنت تجود(٣) ، لا يريدون بالمثل الشبيه والنظير وإنما المراد من هو بمنزلتك من الأريحية والسماحة يجود " .

× × ×

---

(١) رواه الشافعي ، وروى أبو داود والنسائي نحوه ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١٧٥- ١١٧٦) الحديث رقم (٤٠٢٧) .

(٢) البيتان ليسا في ديوانه ، وقد نسبهما إليه صاحب المرقاة أيضاً ، ينظر : ج ٨، ص (٥٧- ٥٨) من المرقاة .

(٣) في المثل السائر ، ج ٣ ، ص (٦١) :" يقال : مثلك إذا سئل أعطى ، أى : أنت إذا سئلت أعطيت ، وسبب ورود هذه اللفظة في هذا الموضع أنه يجعل من جماعة هذه أوصافهم ، وتثبيتاً للأمر وتوكيداً ، ولو كان فيه وحده لقلق منه موضعه ولم يرس فيه قدمه " .

ثانياً : الكناية التلويحية :

عرف السكاكي هذه الكناية بقوله :" فإن كانت ذات مسافة بينها وبين المكنى عنه متباعدة ، لتوسط لوازم كما في:كثير الرماد ، وأشباهه ، كان إطلاق اسم التلويح عليها مناسباً ، لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بعد"(١).

ومن أمثلة هذه الكناية عند الطيبي ما يلي :

١- جاء في حديث نهيٌ عن الشُّرب في الفضة حيث قال عليه الصلاة والسلام :(فإنَّهُ مَنْ شَرِبَ فيها في الدُّنيا لم يشرَبْ فيها في الآخرة)(٢).

قال الطيبي :

" قوله : (لم يشرب) كناية تلويحية عن كونه جهنمياً ، فإن الشرب من أواني الفضة من دأب أهل الجنة ، لقوله تعالى : (قواريرُ منْ فضة)(٣) فمن لم يكن هذا دأبه لم يكن من أهل الجنة ، فيكون جهنمياً " .

٢- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(... إن المَسْألةَ لا تَصْلُحُ إلا لثلاثة: لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ(٤) ، أو لذي غُرْمٍ مُفْظِعٍ ، أو لذي دَمٍ مُوجِعٍ)(٥) .

---

(١) مفتاح العلوم ، ص(١٩٤) .

(٢) من حديث متفق عليه عن البراء بن عازب ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص(٤٨٣- ٤٨٤) الحديث رقم (١٥٢٦) .

(٣) يريد ما ورد في سورة الإنسان ، الآيتان :(١٥- ١٦) وهما :(ويُطافُ عليهمْ بآنيةٍ منْ فضةٍ وأكوابٍ كانتْ قواريرَ × قواريرَ من فضةٍ قدَّروها تقديراً) .

(٤) أي شديد مذل ، ينظر : المعجم الوسيط ، مادة (دقع) .

(٥) من حديث رواه أبو داود عن أنس ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص(٥٧٩ - ٥٨٠) ، الحديث رقم (١٨٥١) .

قال الطيبي شارحاً قول النبي - صلى الله عليه وسلم - :(أو لذى دم موجع):
" قال ابن الأثير والزمخشري : هو أن يتحمل دِيَةً فيسعى فيها حتى يؤدِّيَها إلى أولياء المقتول ، وإن لم يؤدِّها قتل المُتَحَمَّلُ عنه وهو أخوه أو حميمه ، فيوجعه قتله (١) .

فإن قلت : كيف طريقته عند علماء البيان ؟

قلت : الدم كناية تلويحية عن القاتل ، لأن من قوله : (إن المسألة لاتصلح إلا ... أو لذى دم) علم أن هناك غرامة شرعاً ، ودل ذلك على أنها واردة على قاتل متحمل عليه الغرامة ، ثم وصفه بالموجع كناية أخرى ، ومزية عن كون القاتل أخاه إما من جهة القرابة أو الدين ، كقوله تعالى : (فمنْ عُفِيَ لَهُ منْ أَخِيهِ شيءٌ)(٢) ، لأن وجع القلب مستلزم لقتل الشقيق " .

٣- عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(لا تجعلوا بيوتَكم مقابرَ ، إن الشيطانَ يَنْفِرُ من البيتِ الذي يُقْرَأُ فيهِ سورةُ البقرةِ)(٣) .

قال الطيبي :

" قوله :(إن الشيطان ينفر) استئناف كالتعليل للنهي ، كقوله تعالى :(ولا تُخاطِبْني في الذينَ ظَلَمُوا إنّهُمْ مُغرقونَ)(٤) فلا بد من بيان وجه المناسبة بين التعليل والمعلل ، وذلك أن معنى التشبيه : لا تكونوا كالموتى في القبور عارين عن القراءة والذكر ، غير منفرين للشيطان ، ونحوه في النهي قوله تعالى :(فلا

---

(١) ينظر : الفائق ، ج ١ ، ص (٤٣١) . والنهاية ، ج ٥ ، ص (١٥٧) .
(٢) سورة البقرة ، الآية (١٧٨) .
(٣) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٦٥٤) الحديث رقم (٢١١٩) .
(٤) سورة هود ، الآية (٣٧) .

تَمُوتُنَّ إلا وأَنتمْ مُسلمونَ)(١) نهاهم عن أن يموتوا على غير الإسلام والمراد الأمر على ثباتهم في الإسلام حيث إذا أدركهم الموت كانوا مسلمين (٢) ، فكذا ههنا المراد أمرهم على قراءة القرآن ، والعمل به ، والتحري في استنباط معانيه والكشف عن حقائقه ، بحيث يصير ذا جد وحظ وافر من ذلك ، مراغمة للشيطان فقوله :(لا تجعلوا بيوتكم مقابر) كناية تلويحية عن هذه المعاني " .

٤- عن عائشة ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقول :(اللهم اجعلني مِنَ الذينَ إذا أَحْسَنوا استبشَروا ، وإذا أَساؤوا استغفَروا)(٣).

قال الطيبي :

" قوله :(إذا أحسنوا استبشروا) أي: إذا أتوا بعمل حسن قرنوه بالإخلاص ، فيترتب عليه الجزاء ، وهو استحقاق دخول الجنة والاستبشار بها ، كما قال تعالى :(وأَبْشِرُوا بالجنةِ التي كنتمْ تُوعَدونَ)(٤) فهو كناية تلويحية " .

٥- عن أبي هريرة ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :(لا يجتمِعُ كافرٌ وقاتِلُه في النارِ أبداً)(٥).

قال الطيبي :

" قوله :(في النار أبداً) قال النووي : قال القاضي عياض : يحتمل أن هذا مختص بمن قتل كافراً في الجهاد ، فيكون ذلك مكفراً لذنوبه حتى لا يعاقب عليها أو أن يكون عقابه بغير النار ، أو أن يعاقب في غير مكان عقاب الكفار ولا يجتمعان في إدراكها "(٦) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٣٢) .
(٢) تقدم نحو هذا الكلام ص (٤٧) من الرسالة .
(٣) رواه ابن ماجه ، والبيهقي في (الدعوات الكبير) ، ينظر : المشكاة ، ج ٢، ص (٧٢٨) الحديث رقم (٢٣٥٧) .
(٤) سورة فصلت ، الآية (٣٠) .
(٥) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١١٨) ، الحديث رقم (٣٧٩٥) .
(٦) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٣ ، ص (٣٧) .

وعقب على كلام النووي قائلاً :

" أقول : والأول هو الوجه ، وهو من الكناية التلويحية ، نفى الاجتماع فيلزم منه نفي المساواة بينهما ، فيلزم أن لا يدخل المجاهد النار أبداً ، فإنه لو دخلها لساواه ، ويؤيده قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ :(ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم)(١) وقوله : (أبداً) بمعنى قط في الماضي ، وعوض في المستقبل ، تنزيلاً للمستقبل منزلة الماضي " .

٦ـ عن أبي موسى ، قال : قالَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :(إن أبوابَ الجنةِ تحتَ ظلالِ السيوفِ)، فقام رجلٌ رَثُّ الهيئةِ ، فقال : يا أبا موسى! أنتَ سمِعتَ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقولُ هذا؟ قال : نعمْ . فرجعَ إلى أصحابِه ، فقال : أَقْرَأُ عليكمُ السلامَ ، ثم كسرَ جَفْنَ(٢) سيفِهِ فألقاهُ ، ثم مشى بسيفِهِ إلى العدوِّ ، فضربَ بِهِ حتى قُتِلَ (٣).

قال الطيبي :

" قوله (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف) هو كناية تلويحية عن إعلاء كلمة الله العليا ، ونصرة دينه القويم ، الموجبة لأن يفتح لصاحبها أبواب الجنة كلها ويدعى لأن يدخل من أي باب شاء ، وهو أبلغ في الكرامة من أن يقال :(الجنة تحت ظلال السيوف)(٤) ومن ثمة سلم الرجل على صاحبه تسليم توديع ، وكسر جفن سيفه ومضى " .

---

(١) من حديث رواه الترمذي ، وقال :(هذا حديث حسن صحيح) . ينظر : الجامع الصحيح للترمذي ، ج ٤ ، ص (١٤٧) .

(٢) أي غمده ، ينظر : المعجم الوسيط ، مادة (جفن) .

(٣) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ٢ ، ص (١١٣١) الحديث رقم (٣٨٥٢) .

(٤) من كلام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وقد تقدم ص (٣٨٣) من الرسالة .

وقد تعقب الشيخ علي القاري كلام الطيبي هنا قائلاً :

" وفي كونه أبلغ نظر لأهل البلاغة ، إذ لا خفاء أن نفس الشيء تحت ظل الشيء أبلغ من أن يكون تحت ظله بابه ، فيحتاج إلى الدخول ، بخلاف الأول فإنه يدل على أنه واقع فيه لكمال قربه "(١) انتهى.

أقول : ما ذهب إليه القاري هو الصواب ، وتعقبه للطيبي هنا تعقب وجيه .

٧- عن ابن عباس ، قال : (ما ظهرَ الغُلُولُ(٢) في قومٍ إلا ألقى اللهُ في قلوبهم الرُّعبَ)(٣) .

قال الطيبي :

" قوله : (إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب) رتب إلقاء الرعب على الوصف المناسب وهو الغلول ، على الكناية التلويحية ، فإن إلقاء الرعب مشعر بظفر العدو عليهم وهو مشعر بأن تكون أموالهم غنيمة للعدو ، فيلزم منه أن يكون ماله فيئاً للأعداء " .

× × ×

---

(١) المرقاة ، ج ٧ ، ص (٣٠٧) .

(٢) في الصحاح للجوهري ، مادة (غلل) : " غلَّ من المَغْنَمِ غُلُولاً ، أي خان " .

(٣) من حديث رواه مالك ، ينظر : المشكاة ، ج ٣ ، ص (١٤٧٥) الحديث رقم (٥٣٧٠) .

ثالثاً : الكناية الرمزية :

عرف السكاكي هذه الكناية عندما قال :" وإن كانت ذات مسافة قريبة مع نوع من الخفاء كنحو : عريض القفا ، وعريض الوسادة ، كان إطلاق اسم الرمز عليها مناسباً لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية "(١) .

وعرف السيوطي الرمز بأنه :" ما يشار به إلى المطلوب ، مع قلة الوسائط ، وخفاء في الملزوم "(٢).

وقد ذكر الطيبي هذه الكناية مرتين عند هذين الحديثين :

١- عن معاويةَ ، قال : سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقولُ :(المُؤَذِّنونَ أطولُ الناسِ أَعْناقاً يومَ القيامة)(٣).

يشرح الطيبي المراد بقوله :(أطولُ الناس أعناقاً) فيقول :

" قوله :(أطول الناس أعناقاً) قال البغوى : قال ابن الأعرابي : معناه أكثرهم أعمالاً ، يقال : لفلان عُنُقٌ من الخير أى قطعة ، وقال غيره : أكثرهم رجاءً لأن من يرجو شيئاً طال إليه عُنقُه ، فالناس يكونون في الكَرْب وهم في الرَّوْحِ يشرئبونَ أن يُؤْذَنَ لهم في دخول الجنة ، وقيل : معناه الدُّنُو من الله تعالى ، وقيل:أراد لا يُلْجِمُهُم العرقُ فإن الناسَ يوم القيامةِ يكونون في العَرَقِ بقدر أعمالهم ، وقيل : معناه أنهم يكونون رؤساء يومئذ والعرب تصف السادة بطول العنق ، وقيل : الأعناق : الجماعات ، يقال : جاء عُنُقٌ من الناس ، أى : جماعة ، ومعنى الحديث : أن جمع المؤذنين يكون أكثرُ ، فإن من أجاب دعوتهم يكون معهم ، وروى بعضهم :

---

(١) مفتاح العلوم ، ص(١٩٤) .

(٢) شرح عقود الجمان ، ص(١٠٣) .

(٣) رواه مسلم ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص(٢٠٧) الحديث رقم (٦٥٤) .

إعناقًا بكسر الهمزة : أي إسْراعاً إلى الجنة "(١).

بعد ذلك يحلل كلام البغوي بيانياً فيظهر ما فيه من مجاز وكنايات ومن بينها كناية رمزية(٢) فيقول :

" أقول : قوله : (أكثرهم أعمالاً) نحو قوله - صلى الله عليه وسلم -:(أسرعكن لحوقًا بي أطولكن يدًا)(٣) أي أكثركن عطاء ، وسمي العمل بالعنق باعتبار ثقله ، قال تعالى :(فمن ثقلتْ موازينُهُ)(٤) فلما سمي العمل بالعنق جيء بقوله :(أطول الناس) كالترشيح لهذا المجاز ، وكذلك اليد لما سمي بها العطاء أتبعها بالطول مراعاة للمناسبة .

وقوله : (أكثرهم رجاء) كناية رمزية ، ولذلك علل بقوله :(لأن من يرجو شيئًا طاله إليه عنقه) .

وقوله : (الدنو من الله) هذا كناية تلويحية ، لأن طول العنق يدل على طول القامة ، ولا ارتياب أن طول القامة ليس مطلوباً بالذات ، بل لامتيازهم من سائر الناس وارتفاع شأنهم ، كما وصفوا بالغُرّ المُحَجَّلين(٥) للامتياز والاشتهار .

وكذا قوله : (لا يلجمهم العرق) من هذه الكناية ، لأن الوصف بطول القامة إنما يكون للامتياز ، وهو إما لرفعة الشأن كما سبق ، أو للنجاة من المكروه .

وقوله :(يكونون رؤساء فيه) استعارة ، قال صاحب الكشاف :(شبهوا بالأعناق كما قيل لهم : هم الرءوس والنواصي والصدور)(٦) .

وقوله : (وقيل : الأعناق : الجماعات) فعلى هذا الطول مجاز عن الكثرة ، لأن الجماعة إذا توجهوا مقصدًا لهم يكون لهم امتداد في الأرض .

---

(١) شرح السنة ، ج ٢ ، ص (٢٧٧- ٢٧٨) .

(٢) لم أختصر هذا النص مع طوله بسبب ما فيه من نكات بيانية رائعة تدخل ضمن فنون البيان

(٣) تقدم ص(٢٩٣- ٢٩٤) من الرسالة برواية البخاري وهذه رواية مسلم ، ينظر صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٦ ، ص (٨) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية (٨) ، وتتمتها :(فأولئكَ هُمُ المفلحونَ) .

(٥) ورد ذلك ضمن حديث رواه الشيخان عن أبي هريرة ، ينظر: المشكاة ، ج ١ ، ص (٩٦) الحديث ٢٩٠

(٦) الكشاف ، ج ٣ ، ص (٢٩٩) .

وقوله :" إعناقاً أي : إسراعاً " من أعنق إذا أسرع (١)، فعلى هذا الطول يحتمل الحقيقة ، ويجوز أن يقال : إن طول العنق عبارة عن عدم التشوير والخجل ، فإن الخجل منكس الرأس ، متقلص العنق ، قال تعالى :(وَلَوْ ترى إِذِ المجرمونَ ناكِسُوا رُءُوسِهِمْ عندَ رَبِّهِمْ)(٢) . " .

٢- عن عُبيدةَ المُلَيْكِيِّ ، وكانت له صُحْبَةٌ ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(يا أهلَ القرآنِ لا تَتَوَسَّدُوا القرآنَ ، واتْلُوهُ حَقَّ تلاوتِهِ من آناءِ الليلِ والنهارِ)(٣) .

يردد الطيبي قول الرسول الأكرم - صلى الله تعالى عليه وسلم - :(لا تتوسدوا القرآن) بين الكناية الرمزية والكناية التلويحية ، ويحلل الكناية في الحالتين تحليلاً جيداً فيقول :

" قوله :(لا تتوسدوا القرآن) يحتمل وجهين :

---

(١) في أساس البلاغة ، مادة عنق :" أعنقت الريحُ بالتراب : من العَنَق ، وهو السير الفسيح " . وفي المعجم الوسيط ، مادة عنقه :"العَنَقُ: ضربٌ من السيرِ فسيحٌ سريعٌ ، للإبلِ والخيلِ " .

(٢) سورة السجدة ، الآية (١٢) .

(٣) من حديث رواه البيهقي في (شعب الإيمان) . ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص(٦٧٦) الحديث رقم (٢٢١٠) .

وأورد الشريف الرضي في كتابه (المجازات النبوية) ، ص(٤١- ٤٢) قريباً من هذا الحديث بلفظ :(ذاكَ رجلٌ لا يَتَوَسَّدُ القرآنَ) وقال :" وهذه من الاستعارات العجيبة والكنايات الغريبة ، وهي تحتمل معنيين :

أحدهما مدح ، والآخر ذم ، وبين أن المدح إذا كان المراد أنه لا ينام عن قراءة القرآن ...

والذم إذا كان غير حافظ للقرآن وليس ملازماً له .

أحدهما: أن يكون كناية رمزية عن التكاسل، أي لا تجعلوه لكم وسادة تنامون عليه، بل قوموا به واتلوه حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، هذا معنى قوله: (واتلوه حق تلاوته).

وثانيهما: أن يكون كناية تلويحية عن التغافل، فإن من جعل القرآن وسادة يلزم منه النوم، فيلزم منه الغفلة، يعني لا تغفلوا عن تدبر معانيه، وكشف أسراره ولا تتوانوا في العمل بمقتضاه، والإخلاص فيه، وهذا معنى قوله: (واتلوه حق تلاوته).

وقول الله تعالى: (إن الذينَ يَتْلُونَ كتابَ اللهِ وأقاموا الصلاةَ وأنفقوا مما رَزَقْناهُمْ سِراً وعَلانِيَةً يرجونَ تجارةً لن تَبُورَ)(١) جامع للمعنيين، فإن قوله: (أقاموا - وأنفقوا) ماضيان عطفا على (يتلون) وهو مضارع، دلالة على الدوام والاستمرار في التلاوة المثمرة، لتجدد العمل المرجو منه التجارة الرابحة ".

× × ×

---

(١) سورة فاطر، الآية (٢٩).

رابعاً : الكناية الإيمائية :

الكناية الإيمائية هي كناية قلت وسائطها بلا خفاء(1) .

وقد ذكر الطيبي أمثلة لهذه الكناية ، منها :

١- عن أبي رافع ، قال : قال رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - :(لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتكئاً على أريكتِهِ ، يأتِيهِ الأمرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بهِ أو نَهَيْتُ عنهُ ، فيقول: لا أدْرِي ، ما وجدْنا في كتابِ اللهِ اتَّبعناهُ .)(2).

قال الطيبي :

" قوله :(لا ألفين) :ألفيت الشيء وجدته ، وهو كقولك : لا أرينك ههنا ، نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نفسه عن أن تراهم على هذه الحالة والمراد نهيهم عن أن يكونوا على تلك الحالة ، فإنهم إذا كانوا عليها وجدهم صلوات الله وسلامه عليه كذلك ، فهو من باب إطلاق المسبب على السبب ومن الكناية الإيمائية". انتهى .

قلت : يلاحظ أن الكناية الإيمائية تلابس في بعض صورها المجاز المرسل عند الطيبي .

٢- عن أنس ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(ما مِنْ مسلمٍ يَغرِسُ غَرْساً ، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعاً فيأكلُ منه إنسانٌ أو طيرٌ أو بَهيمةٌ ، إلا كانتْ له صدقةٌ)(3).

---

(1) ينظر : مفتاح العلوم للسكاكي ، ص (١٩٤) .
والتلخيص للخطيب القزويني ، ص (٣٤٤) .
وشرح عقود الجمان للسيوطي ، ص (١٠٣) .

(2) رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، والبيهقي في " دلائل النبوة " ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٧) الحديث رقم (١٦٢) .

(3) متفق عليه ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص (٥٩٥) الحديث رقم (١٩٠٠) .

قال الطيبي :

" قوله :(ما من مسلم يغرس غرساً) أقول : نكر مسلماً ، وأوقعه في سياق النفي وزاد من الاستغراقية ، وخص الغرس والزرع ، وعم الحيوان ليدل على سبيل الكناية الإيمائية على أن أى مسلم ، سواء كان حراً أو عبداً ، مطيعاً أو عاصياً ، يعمل أى عمل من المباح ، ينتفع بما عمله أى حيوان كان ، يرجع نفعه إليه ويثاب عليه " .

× × ×

خامساً : الكناية الزبدية :

عرف الطيبي الكناية الزبدية بأنها :" هي التي لا ينظر فيها الى مفردات التراكيب لا حقيقة ولا مجازاً ، بل تؤخذ الزبدة والخلاصة من المجموع " .

ومن أمثلتها عنده ما يلي :

١- في حديث عمر - رضي الله عنه - سألُ جبريلُ - عليه السلام - النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - عن أمارات الساعة فقال عليه الصلاة والسلام :(أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وأن تَرَى الحُفاةَ العُراةَ العَالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يتطاوَلُونَ في البُنْيانِ)(١).

قال الطيبي :

---

(١) من الحديث رقم (٢) وقد سبق تخريجه ص (٤٥) من الرسالة .

" القرينة الثانية[1] دلت بالكناية الزبدية ، التي لا ينظر فيها إلى مفردات التراكيب لا حقيقة ولا مجازاً ، بل تؤخذ الزبدة والخلاصة من المجموع ، على أن الأذلة من الناس ينقلبون أعزة ملوك الأرض ، فينبغي أن تؤول القرينة السابقة[2] بما يقابلها ، ليتطابقا في أن تصير الأعزة أذلة ، ومعلوم أن الأم مربية للولد ومدبرة لأمره ، فإذا صار الولد رباً ومالكاً لها ، لاسيما إذا كان بنتاً ، ينقلب الأمر ، ثم في وضع الأمة ووصفها بالولادة موضع الأم إشعار بمعنى الاسترقاق والاستيلاء ، وأن أولئك الضعفة الأذلة الذين فهموا من القرينة الثانية هم الذين يتعززون ويتسلطون ، ويفتحون البلاد ويسترقون كرائم النساء وشرائفها،ويستولدونها فتلد الأمة ربتها " .

٢- عن أنس، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(ثلاثٌ من أَصْلِ الإيمان: الكَفُّ عمنْ قالَ : لا إلهَ إلا اللهُ ، لا تكفِّرْهُ بذنبٍ، ولا تخرِجْهُ من الإسلامِ بعملٍ، والجهادُ ماضٍ مُذْ بعَثَنِي اللهُ إلى أنْ يُقاتلَ آخرُ هذهِ الأمةِ الدجالَ ، لا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جائرٍ ولا عَدْلُ عادلٍ، والإيمانُ بالأَقْدارِ)[3].

قال الطيبي :

" قوله :(لا يبطله) قال المظهر : لا يجوز ترك الجهاد بأن يكون الإمام ظالماً ، بل يجب عليهم موافقته فيه ، ولا أن يكون الإمام عادلاً فلا يخافون من الكفار ولا يحتاجون إلى الغنائم ، فعلى هذا يكون النفي بمعنى النهي[4] . " .

---

(١) هي قوله : (أن ترى الحفاة ...) .

(٢) وهي قوله :(أن تلد الأمة ربتها) .

(٣) رواه أبو داود ، ينظر : المشكاة ، ج ١ ، ص(٢٤- ٢٥) الحديث رقم (٥٩) .

(٤) ينظر : التعليق ، ج ١ ، ص(٥٧) .

وعقب على رأي المظهر بقوله :

" أقول : ويمكن أن يجريَ على ظاهر الإخْبار كما هو عليه ، ويكون تأكيداً للجملة السابقة ، أي لا يبطله أحد إلى خروج الدجال ، على الكناية بأن لا ينظر إلى مفردات اللفظ ، بل تؤخذ الزبدة والخلاصة من المجموع " .

× × ×

× ×

×

- الخاتمة -

نوجز في هذه الخاتمة عملنا في هذا البحث، ثم النتائج التي توصلنا إليها.

= أما عملنا في البحث، فقد التزمت - بعون الله - بالخطة المقررة، والمنهج الذى ذكرته في المقدمة.

- فمن حيث الخطة: تناولت في التمهيد العناصر التالية:

أولاً - تحدثت عن الجانب البياني في الحديث النبوى قبل الطيبي، وتناولت جهود بعض علماء الأدب والبلاغة وهم: الجاحظ، والشريف الرضي، وابن رشيق القيرواني، وعبد القاهر، وضياء الدين بن الأثير، والعلوى.

ثانياً - تحدثت عن منهج المؤلف في كتابه.

ومدى التزامه بمنهجه، وبينت تأثره بكتاب الكشاف، وأنه سلك منهجاً قائماً على علوم البلاغة العربية، فقد اتخذ البلاغة حجة في فهم الحديث واستنباط الأحكام، وكشف عن جوانب مهمة من البلاغة النبوية، وصحح بعض المفاهيم التي تتصل ببلاغة المتكلم، ودافع عن بلاغة الصحابة - رضي الله عنهم -، وطابق بين معاني القرآن والسنة في بعض الأساليب معتمداً على البلاغة العربية ... وذكرت أنه اعتمد على اللغة، وربما قدم كلام أهلها على كلام المحدثين، وبينت طريقة عرضه للمادة العلمية، وتحدثت عن مصادره التي ذكرها هو.

بعد ذلك بدأت دراسة فنون البيان ضمن أبواب ثلاثة:

- ففي دراسة الباب الأول (فن التشبيه) تناولت في تمهيده تعريف التشبيه عند الطيبي، ثم جعلت هذا الفن ثلاثة فصول:

- الفصل الأول درست فيه أركان التشبيه عند الطيبي، وهو مقسم إلى ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: درست فيه طرفي التشبيه، والعلاقة بينهما، ففي دراسة المشبه ذكرت أن الطيبي وضح المشبه في بعض الصور الغامضة، وتحدث

عن التلميح إلى المشبه وعدم ذكره صراحة في مقام التعظيم ، وعند الحديث عن المشبه به ذكرت أن الطيبي أشار إلى أنه لابد أن يلائم المشبه ، وعند الحديث عن قيمة القيود في المشبه به أتيت بأمثلة ذكر فيها الطيبي ما لهذه القيود من أثر في المعنى ، وعند العلاقة بين الطرفين ذكر الطيبي أن وجود الطرفين دليل على التشبيه ، وقد قام بتوضيح العلاقة بينهما ، وذكر أمثلة لتشبيه المعقول بالمحسوس، وبينت أنه يطلق على بعض صور الاستعارة اسم التشبيه ، وهذا من باب التسامح ، ثم تناولت التشبيه بالحركات وما له من أثر نفسي، وذكرت بعض الأمثلة التي عرضها .

- المبحث الثاني تناولت فيه أداة التشبيه : فدرست موقفه من حذف الأداة وقد قرر أن الحذف أبلغ ، ثم تحدثت عن موقفه من تقدير حرف التشبيه ، وتقديم حرف التشبيه للعناية به ، وعن موقع أداة التشبيه من حيث الإعراب ، واختيار الأمثل من حيث الأسلوب ، وعن صور التشبيه عند حذف الأداة .

- المبحث الثالث : تناولت فيه وجه الشبه ، وتحدثت فيه عن موقفه من حذف الوجه ، وأن ذلك أبلغ من ذكره ، وأن وجه الشبه يكون في بعض الصفات لا كلها ، وبينت أنه ذكر أكثر من وجه في بعض التشبيهات ، وقام بالمفاضلة بين وجوه الشبه ، وأشار إلى الغرابة في وجه الشبه ، وقام بتبيان وجه الشبه في بعض التشبيهات التي لم يذكر فيها الوجه ، وذكرت في آخر هذا الفصل أنه تحدث عن الشك في وجه الشبه ، وأنه استعان بالتشبيه في بيان بعض المعاني الغامضة ، وأنه يتعقب بعض الشارحين

فيما ذكروه عن وجود تشبيهات ينفيها هو ، ثم ذكرت أنه اخترع تشبيهاً عجيباً ، وأن هذا تكلف واضح منه ، كما أنه يضيف إلى بعض التشبيهات ما يتممها حتى تبدو صورة متكاملة .

- الفصل الثاني : تناولت صوراً من التشبيه ذكرها ، وجعلته في ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : تناولت فيه التشبيه المفرق ، فذكرت نماذج منه وذكرت أنه يردد بعض الصور البيانية بين التشبيه التمثيلي والتشبيه المفرق أو المفرد .

- المبحث الثاني : تناولت فيه التشبيه التمثيلي ، وبينت عموم كلمة التمثيل عنده ، ثم عرفت التشبيه التمثيلي ، وبينت أنه يسير على منهج السكاكي في التمثيل ، وقدمت أمثلة للتشبيه التمثيلي عنده .

- المبحث الثالث : تناولت فيه التشبيه البليغ ، وهو يرى أن البليغ ما حذف وجهه وأداته ، وهذا مذهب المتأخرين ، وذكرت أمثلة لهذا النوع من التشبيه ، وبينت أنه لا يهتم بذكر المصطلح البياني عند ذكرها .

- الفصل الثالث : تحدثت عن أغراض التشبيه عند الطيبي ، وذكرت في مقدمة هذا الفصل عناية الطيبي بالتشبيه ، ثم ذكرت أغراض التشبيه في ثلاثة مباحث ، وهي :

- المبحث الأول : الأغراض العامة للتشبيه ، وذكرت منها المبالغة التي عني بها الطيبي كثيراً .

- المبحث الثاني : الأغراض الخاصة للتشبيه ، وهي نوعان :

أ - أغراض تعود إلى المشبه : كبيان حاله ، أو تقرير حاله في نفس السامع ، أو تعظيم المشبه ، أو تقبيحه .

ب ـ أغراض تعود إلى المشبه به ، ومنها التشبيه المقلوب ،وبينت أن الغرض منه المبالغة .

ـ المبحث الثالث : أغراض أخرى للتشبيه : ذكر الطيبي أغراضاً غير السابقة،مثل التقريب ، وتأنيس المخاطبين ، والزجر ، وقد ذكرتها في مبحث خاص تسهيلاً لدراستها .

وقبل اختتام باب التشبيه تناولت موقف الطيبي من بعض الموضوعات التي تتصل بهذا الفن ، وهذه الموضوعات هي : التشابه ، ومغزى التشبيه ، ثم صلة التشبيهات النبوية بالقرآن الكريم .

ـ وفي الباب الثاني : (فن المجاز) : وضحت في مقدمته موقف الطيبي من المجاز وأنه أبلغ من الحقيقة ، وهو يرى أن الحقيقة هي الأصل في الكلام ، والعدول إلى المجاز يكون لسبب ، ويرى أنه لا مجاز في المعجزات والغيبيات ،وأن المجاز موضوع بالوضع النوعي ، فليس مقصوراً على السماع ، وبينت أن هذا رأى جمهور البلاغيين ، وأنه يطلق كلمة الاتساع بمعنى المجاز ، وأنه يكتفي بكلمة مجاز في كثير من الأحيان دون تبيان نوع المجاز .

وقد جعلت هذا الباب في ثلاثة فصول ، وهي :

ـ الفصل الأول تناولت فيه المجاز العقلي ، وبينت أن الطيبي يطلق عليه اسم (الإسناد المجازى) وقد ذكر من علاقته أربعا ، وهي :(السببية ـ الزمانية ـ المكانية ـ المصدرية) ولم يحدد نوع العلاقة في بعض الأحيان .. وبين في بعض المواضع بلاغة المجاز العقلي .

ـ الفصل الثاني في المجاز المرسل ، بينت أنه يطلق عليه كلمة مجاز فقط ، وقد ذكر الطيبي من علاقاته :(السببية ـ المسببية ـ الجزئية ـ اعتبار

ما يكون - اعتبار ما كان - الحالية - المحلية - إطلاق الخاص وإرادة العام - وعكسها - المجاورة - الإطلاق والتقييد) .

وقد وضح الطيبي خلال شرحه للأحاديث النبوية بعض أسرار هذا المجاز ، ومواقعه الحسنة في الكلام .

- الفصل الثالث في الاستعارة ، ذكرت في تمهيده تعريف الاستعارة عند الطيبي ، وبينت تأثره بالسكاكي في هذا التعريف ، ثم جعلت هذا الفصل مباحث ثلاثة :

- المبحث الأول : تناولت فيه أنواع الاستعارات التي ذكرها الطيبي ، وهي: (التصريحية - المكنية والتخييلية - التبعية - المرشحة - المجردة - اللفظية - التهكمية - التمثيلية) وبينت آراءه في هذه الاستعارات موازناً بكلام البلاغيين .

- المبحث الثاني : ذكرت فيه استعارات عامة لم يحدد أنواعها الطيبي ، وإنما اكتفى بذكر مصطلح الاستعارة فقط ، وهي قسمان :

- القسم الأول : استعارات لم يذكر لها مصدراً ، وبينت سبب إغفاله لمصادر بعضها ، وأن بعضها الآخر يمكن أن يكون مصدرها الطيبي .

- القسم الثاني : ذكرت فيه استعارات أشار إلى مصادرها ، وبينت أن سكوته عليها دليل على إقراره بها .

- المبحث الثالث : تناولت فيه قيمة الاستعارة ، وفضلها في الكلام ، وذكرت أن الطيبي يرى من فوائدها المبالغة ، كما أشار إلى حسن موقعها وفائدتها ، واستحسنها في بعض المواضع .

وقبل إنهاء هذا الباب تحدثت عما يسميه الطيبي الادعاء ، وقد جعله شيئاً

ليس من التشبيه ولا من الاستعارة ، وبينت أن صنيع الطيبي من باب التسامح ، لأن الادعاء يوجد أساساً في كل الصور البيانية .

- وفي الباب الثالث :(فن الكناية) : تناولت في تمهيد هذا الباب تعريف الكناية عند الطيبي ، وموقفه من الجمع بين إرادة الكناية والحقيقة معاً في لفظ واحد أو عبارة واحدة ، ثم جعلت هذا الباب فصلين :

- الفصل الأول : تناولت فيه : أقسام الكناية ، وفائدتها ، وجعلته في مبحثين :

- المبحث الأول : تناولت فيه أقسام الكناية ، وذكرت أن الطيبي أورد كنايات كثيرة تدخل تحت قسمين . هما : الكناية عن صفة والكناية عن موصوف ، وقد كان القسم الأول أكثر وروداً عند الطيبي ، وذكرت أنه أطلق على بعض علاقات المجاز المرسل مصطلح الكناية ، ومثل هذه الظاهرة نجدها عند الزمخشرى ، وفي كلا القسمين نقل بعض الكنايات عن بعض العلماء ولم يضف إليها شيئاً .

- المبحث الثاني : تحدثت فيه عن فائدة الكناية ، وذكرت أن الطيبي يرى أن الكناية أبلغ من التصريح ، ومن فوائد الكناية عنده المبالغة ، وتفيد في التعبير عن اللفظ الخسيس ، والإيجاز ، والتصوير ، والتعبير عن حال صاحبها ، والزجر ، وبينت أن الطيبي قد يغرب فَيُجَوِّزُ حمل الكلام على الكناية ، ويكون الكلام محمولاً على الحقيقة .

- الفصل الثاني : تناولت فيه ألقاباً أخرى للكناية . فهي قد تكون تعريضاً ، أو تكون تلويحية ، أو رمزية ، أو إيمائية ، أو زبدية ، وبينت أن الألقاب الأربعة الأولى ذكرها السكاكي ، وأما الكناية الزبدية فهي

من إضافات الزمخشرى ، والطيبي سماها بذلك ، وقد عرضت الأمثلة التي ذكرها الطيبي ، وكان أكثرها في التعريض حيث جعل من أغراضه : الذم ، والتوبيخ ، والتحذير ، ولتنويه جانب الموصوف .

× × ×

= أما منهجي في البحث : فقد التزمت بما ذكرت في المقدمة ، إذ أنني جمعت المادة البيانية ، وتحققت من سلامة النصوص ، ثم قسمتها إلى موضوعات ، ودرست كل موضوع على حدة ، وفق الخطة المذكورة ، وأبقيت كلام الطيبي سليماً كما هو ، فإذا اختصرته أشرت الى ذلك ، وذكرت بعض نقوله عن العلماء ، ولاحظت كيف تعامل مع مصادره ، فربما نقل ولم يضف شيئاً ، وربما أضاف إلى ما ينقله رأياً آخر ، أو نقد ما نقله ، أو استنبط مما نقله أموراً ذات صلة بالبيان ، وربما يلابس شرح بعض الأحاديث بعض الأمور البيانية فذكرتها ، وذكرت الحديث الذى قيلت عنده ، وألحقت النظير بنظيره .

وقمت بتوثيق نقول الطيبي من الكتب المطبوعة ، وأما نقوله من الكتب المخطوطة حتى اليوم فوثقتها من بعض الكتب التي شرحت المشكاة ، مثل (المرقاة) و (التعليق الصبيح) ، ما أمكن ذلك .

وقد ذكرت نصوص الأحاديث النبوية أو بعض ما يتعلق منها بالفن البياني الذى يذكره الطيبي ، وأحلت إلى مواضع الأحاديث في المشكاة ، وعرضت الأحاديث مرتبة حسب ترتيب المشكاة ، وفيما يتعلق بالجانب البياني ، فقد عرضت كلامه ووازنته بكلام البلاغيين ، وبينت موقفهم من القضايا التي ذكرها ، وربما عرفت ببعض

المصطلحات البلاغية التي تمر خلال كلامه .

وقد قمت بشرح بعض المفردات اللغوية الغريبة ، وبإحالة بعض الأحاديث التي استشهد بها إلى مواضعها في كتب الحديث ، وأحلت بعض شواهده البيانية إلى أماكنها في الدواوين الشعرية ، أو كتب البلاغة العربية ، ما أمكن ذلك .

وكنت أناقش الطيبي في بعض القضايا ، وأذكر ما أراه أنه الصواب .

ورجعت إلى عدد من المصادر البلاغية خلال الحديث عن بعض فنون البيان ، كما رجعت إلى عدد من المصادر العلمية خلال حديثي في التمهيد عن البيان النبوى قبل الطيبي ، وعن عصر الطيبي ، وحياته ، ومؤلفاته ، ودراستي لكتابه الكاشف .

وقد قدمت نماذج كثيرة مما ذكره الطيبي من فنون البيان ، ولم أحذف إلا القليل ، وذلك أملاً أن تكون هذه الرسالة مرجعاً في البيان النبوى الذى تناثر الحديث عنه في بطون الكتب القديمة ، بينما استبعد بعض المعاصرين المصطلحات البيانية خلال دراستهم للبيان العربي عموماً ومنه البيان النبوى .

تلك هي أبرز الأفكار العامة في منهج الرسالة .

× × ×

وقد وصلنا من خلال هذا البحث إلى تقرير النتائج التالية :

١- في عرضنا لعناصر التمهيد لاحظنا أن البيان النبوي لم يلق حظاً كافياً من البحث والدراسة البلاغية حتى عصر الطيبي ، وقد أسهم الطيبي إسهاماً جيداً في إثراء البحث البلاغي في الحديث النبوي .

٢- خلال دراستي لشرحه تبينت صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه ، وصحة العنوان .

٣- تبين أنه كتب شرحه للمشكاة بعد شرح الكشاف ، وهذا يعني أنه كان في ذروة النضج العلمي آنئذ .

٤- في دراستنا لكتابه تبين لنا أنه نهج نهجاً علمياً في التأليف .

٥- تبين أنه اختصر كتابه (الخلاصة في أصول الحديث) في مقدمة كتابه الكاشف .

٦- صرح الطيبي بأنه اعتمد على كتاب (الفائق) للزمخشري ، كما نقل من كتاب (الكشاف) نقولاً كثيرة ، وكذلك من (أساس البلاغة) ، مما يدل على أنه أفاد من الزمخشري إفادة واسعة في مجال البلاغة العربية ، كما وجدته قد أشار إلى (مفتاح العلوم) للسكاكي ، مما يدل على أنه أفاد من هذين العالمين دلالة قاطعة ، ولا ريب أنه قد تأثر بغيرهما أيضاً من علماء البلاغة ، فالطيبي من رجال البلاغة وفرسانها ، وله فيها كتابان ، ومن المستبعد أن يكتب شرحاً لكتاب المشكاة معتمداً على كتاب (الكشاف) و (مفتاح العلوم) فقط ، وأعتقد أنه اطلع على أكثر ما كتب في البلاغة قبله حتى ألم بها وألف ، واستحق أن ينعت بأنه من علماء البيان ، ومما يدل على سعة اطلاعه على علوم البلاغة وآراء رجالها قوله : " اتفق علماء البيان " في كثير من المواضع ، وإن لم يصرح بأسماء هؤلاء العلماء ... وهو أقرب إلى مدرسة الزمخشري في فهم النصوص وتحليلها منه إلى السكاكي الذي اهتم بالتقعيد والتقسيم .

٧- خلال دراسة الفنون البيانية عنده ظهر أنه ملم بهذه الفنون ، وتقسيمات البلاغيين لها ، بيد أنه يتسامح في تحديد هذه المصطلحات ، فمثلاً يطلق على الاستعارة في بعض المواضع اسم التشبيه ، ولا يذكر مصطلح (المجاز المرسل) وإنما يكتفي بكلمة مجاز ، ويطلق على بعض صور المجاز المرسل اسم الكناية ، ويطلق كلمة تمثيل على ألوان متعددة من البيان ، من بينها التشبيه الصريح ، والاستعارة التمثيلية ، والتشبيه التمثيلي ، ونحو ذلك . ومثل هذا التسامح نجده عند الزمخشري وهو ممن تأثر بهم الطيبي ، وقد جوز الشيخ عبد القاهر مثل هذا التسامح إذا لم يكن حيث تقرر الأصول والقواعد كما ذكرت ، كما أن الطيبي يتكلف أحياناً في اختراع بعض النكات البيانية ، وقد قام بإعطاء مفهوم خاص للادعاء خلافاً للمشهور في علم البيان ، ونبه إلى بعض النواحي البيانية السامية في البيان النبوي قد غفل عنها الشارحون قبله .

٨- ومن دراسة جهود الطيبي تبين أنه إمام جليل ، عالم بالتفسير ، والحديث ، واللغة ، والبلاغة ، وهو لم يلق حظه الكافي من الدراسة ، ولم يطبع من كتبه إلا (الخلاصة في أصول الحديث) وما يزال شرحه للكشاف وكتابه الكاشف ينتظران رؤية النور .

وفي ختام هذا البحث أسأل الله عز وجل أن يثبتنا بالقول الثابت ، ويحفظ عقولنا من الأهواء ، ويعصم أقلامنا من الزلل ، يا رب هذا جهد الضعيف بين يديك ، فلا تؤاخذني إن أخطأت ، وسامحني إن قصرت ، وتقبل مني هذا العمل ، واجعله خالصاً لوجهك الكريم ، إنك أنت أرحم الراحمين ..

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا اله الا أنت ، نستغفرك ، ونتوب إليك .

× × × × ×

× × ×

×

- المصادر والمراجع -

١ - الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط (٤) ، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م .

٢ - إحياء علوم الدين ، لأبي حامد الغزالي ، ط دار المعرفة ، بيروت . دون ذكر تاريخ الطبعة .

٣ - الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، محمد بن علي الجرجاني ، ت: د. عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر - الفجالة - القاهرة - ١٩٨٢م .

٤ - الإيضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب ، ت :د. عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، ط (٥) ، ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م .

٥ - أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر ، علي وناجي الطنطاوي ، دار الفكر ، ط (٣) ، بيروت ، ١٣٩٢هـ= ١٩٧٣م .

٦ - أدب الكتاب ، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ، ت :محمد بهجة الأثري ، مراجعة محمود شكري الألوسي ، دار الباز ، مكة المكرمة ، دون ذكر لتاريخ الطبعة .

٧ - أساس البلاغة ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، ت :عبد الرحيم محمود دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م .

٨ - أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، ت :هـ . ريتر ، دار المسيرة ، ط (٣) بيروت ، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م .

٩ - أعلام الحديث في شرح صحيح البخارى ، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي ، ت: د٠ محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود ، مركز إحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى ، ط (١) مكة ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م ٠

١٠ - الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ط (٣) ، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م ، بيروت ٠

١١ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، جمال الدين بن هشام الأنصارى ، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، ط (٦) بيروت ، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م ٠

١٢ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط (١) ، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م ٠

١٣ - البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشرى وأثرها في الدراسات البلاغية ، د٠ محمد حسنين أبو موسى ، دار الفكر العربي ، دون ذكر لتاريخ الطبعة ٠

١٤ - البلاغة الواضحة ، علي الجارم ومصطفى أمين ، مطابع دار المعارف بمصر ، ط (٢١) ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م ٠

١٥ - البيان في ضوء أساليب القرآن ، د٠ عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، ط (١) ١٩٨٤م ٠

١٦ - البيان والتبيين ، عمرو بن بحر (الجاحظ) ، ت: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي بمصر ، ط (٤) ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م ٠

١٧ - البيان ، د٠ علي العمارى ، مكتبة الجامعة الأزهرية ، دون ذكر لتاريخ الطبعة ٠

١٨ - تربية الأولاد في الإسلام ، د٠ عبد الله علوان ، دار السلام ، بيروت ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م ، ط ٣ ٠

١٩ - التشبيه البليغ وهل يرقى إلى درجة المجاز ، د٠ عبد العظيم المطعني ، دار الأنصار بالقاهرة ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م ٠

٢٠ - التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل علم البيان ، د٠ محمد أبو موسى مكتبة وهبة ، ط (٢) ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م ٠

٢١ - التصوير الفني في الحديث النبوى ، د٠ محمد الصباغ ، المكتب الإسلامي ، ط (١) ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م ٠

٢٢ - التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح ، محمد إدريس الكاندهلوى ، مكتبة مدينة العلم ، ط (٢) ، مكة المكرمة ، ١٣٥٤هـ ٠

٢٣ _ تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم محمد بن محمد العمادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دون ذكر لتاريخ الطبعة.

٢٤ _ التلخيص في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، ت: عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، دون ذكر لتاريخ الطبعة .

٢٥ _ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت للرماني) ت: محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام دار المعارف بمصر ، ط (٢) ، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م .

٢٦ _ جامع الأصول في أحاديث الرسول ، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ، ابن الأثير ، ت: عبد القادر الأرناؤوط ، دار الفكر ، ط (٢) ، بيروت ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

٢٧ _ الجامع الصحيح (سنن الترمذي) لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، ت: أحمد شاكر ومحمد عبد الباقي وكمال الحوت ، دار الكتب العلمية ، ط(١) ، بيروت ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م .

٢٨ _ جمهرة أشعار العرب ، لأبي زيد القرشي ، دار صادر ، بيروت ، دون ذكر لتاريخ الطبعة .

٢٩ _ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد الهاشمي ، دار الفكر ، ط(١٢) بيروت ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

٣٠ _ الحيوان ، للجاحظ ، ت: عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي ، ط (٣) بيروت ، ١٣٨٨هـ = ١٩٦٩م .

٣١ _ الخلاصة في أصول الحديث ، الحسين بن عبد الله الطيبي ، ت: صبحي السامرائي عالم الكتب ، ط (١) ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

٣٢ _ دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ت: السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة بيروت ، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .

٣٣ - ديوان امرئ القيس ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، ط (٣)، ١٩٦٩م .

٣٤ - ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، ت: محمد عبده عزام ، دار المعارف بمصر - ١٩٦٥م .

٣٥ - ديوان أبي نواس ، ت: أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .

٣٦ - ديوان ابن الدمينة ، ت: أحمد راتب النفاخ ، مكتبة دار العروبة ، مطبعة المدني ١٣٧٩هـ .

٣٧ - ديوان بشار بن برد ، ت: محمد الطاهر بن عاشور ، ومحمد شوقي أمين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م .

٣٨ - ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار صادر - دار بيروت - بيروت ، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م

٣٩ - ديوان شعر حاتم الطائي ، ت: د. عادل سليمان جمال ، مطبعة المدني ، القاهرة . دون ذكر لتاريخ الطبعة .

٤٠ - ديوان العباس بن الأحنف ، دار صادر - دار بيروت - بيروت ، ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م .

٤١ - ديوان عبد الله بن المعتز ، ت: محيي الدين الخياط ، المكتبة العربية بدمشق .

٤٢ - ديوان الفرزدق ، دار صادر - دار بيروت - بيروت ، ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م .

٤٣ - سر الفصاحة ، عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي ، دار الباز بمكة ط (١) ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .

٤٤ - سقط الزند ، لأبي العلاء المعري ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

٤٥ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الاسلامي ، ط (٤) ، ١٣٩٨هـ .

٤٦ - سنن ابن ماجه ، لابن ماجه القزويني ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة العلمية ، لبنان ، دون ذكر لتاريخ الطبعة .

٤٧ - سنن الدارمي ، عبد الله بن الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي ، طبع بعناية محمد أحمد دهمان ، نشر دار إحياء السنة النبوية . دون ذكر لتاريخ الطبعة .

٤٨ - سنن النسائي المجتبى ، لأحمد بن شعيب النسائي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط (١) ، ١٣٨٣هـ = ١٩٦٤م .

٤٩ - شرح ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني ، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، دون ذكر لتاريخ الطبعة .

٥٠ - شرح ديباجة القاموس ، للشيخ نصر الهوريني . (مطبوع مع القاموس) دون ذكر للناشر وتاريخ الطبعة .

٥١ - شرح ديوان الحماسة ، لأحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، ت: أحمد أمين وعبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، ط (٢) ، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٨م .

٥٢ - شرح ديوان لبيد ، ت: د. إحسان عباس ، نشر وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت ، ١٩٦٢م .

٥٣ - شرح ديوان المتنبي ، عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

٥٤ - شرح السنة ، للحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي ، ت: شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، ط (١) ، ١٣٩٠هـ = ١٩٧١م .

٥٥ - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، جمال الدين بن هشام الأنصاري ت: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دون ذكر للناشر والطبعة .

٥٦- شرح القصائد العشر ، يحيي بن علي (الخطيب التبريزي)، ت :د. فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط (٤) ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

٥٧- شرح عقود الجمان في المعاني والبيان ، جلال الدين السيوطي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م .

٥٨- شرح الكافية الشافية ، جمال الدين بن مالك ، ت : د. عبد المنعم أحمد الهريدي ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ط (١) ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .

٥٩- شرح المفصل ، لابن يعيش ، عالم الكتب بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة . دون ذكر لتاريخ الطبعة .

٦٠- شرح المعلقات السبع ، الحسين بن أحمد الزوزني ، دار الجيل ، ط (٣) بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .

٦١- شروح التلخيص ، للتفتازاني والمغربي والسبكي والقزويني والدسوقي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ، دون ذكر لتاريخ الطبعة .

٦٢- شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدى ، ت: مطاع الطرابيشي ، ط: مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .

٦٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهرى ، ت: أحمد عبد الغفور عطار ، ط (٢) ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .

٦٤ـ الطب النبوى ، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي (ابن قيم الجوزية) ت :د٠السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، ط (١) ، ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م ٠

٦٥ـ العقيدة الطحاوية ، شرح وتعليق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ط (١) ، بيروت ، ١٣٩٨هـ =١٩٧٨م ٠

٦٦ـ علم البيان ، د٠ عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٤م ٠

٦٧ـ علم البيان ، د٠ يوسف البيومي ، جامعة الأزهر ، مطبعة عابدين بالقاهرة ، ١٩٧٢م ٠

٦٨ـ علم البيان ، د٠ بدوي طبانة ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٤٠١هـ =١٩٨١م ٠

٦٩ـ علوم البلاغة (البيان ـ المعاني ـ البديع) ، أحمد مصطفى المراغي ، دار القلم بيروت ، ط (٢) ، ١٩٨٤م ٠

٧٠ـ علوم الحديث ومصطلحه ، د٠ صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، ط (١٦)،بيروت ١٩٨٦م ٠

٧١ـ العمدة في صناعة الشعر ونقده ، الحسن بن رشيق القيرواني ، ت :د٠ مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط (١)،٠ ١٤٠٣هـ =١٩٨٣م ٠

٧٢ـ عيار الشعر ، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوى ، ت: عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، ط (١) ، بيروت ، ١٤٠٢هـ =١٩٨٢م ٠

٧٣ـ غريب الحديث ، حمد الخطابي ، ت :عبد الكريم إبراهيم العزباوى ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، ١٤٠٢هـ =١٩٨٢م ٠

٧٤- الفائق في غريب الحديث ، جار الله الزمخشرى ، ت: علي محمد البجاوى ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط (٢) - ١٩٧١ م

٧٥ - فتاوى الإمام النووى المسماة بالمسائل المنثورة ، ت: محمد الحجار ، دار السلام ، ط (٤) ، ١٤٠٦هـ =١٩٨٦م .

٧٦ - فتح البارى بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ، ابن حجر العسقلاني ، ت: عبد العزيز بن باز ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، ومحب الدين الخطيب ، المكتبة السلفية ، دون ذكر لتاريخ الطبعة .

٧٧ - فن التشبيه ، علي الجندى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط (٢) ، ١٣٨٦هـ =١٩٦٦م .

٧٨ - في علم البيان ، د. عبد الرازق أبو زيد زايد ، مكتبة الأنجلو المصرية ط (١) ، ١٩٧٨م .

٧٩ - الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دون ذكر لتاريخ الطبعة .

٨٠ - القاموس المحيط ، للفيروز آبادى ، دون ذكر للناشر والطبعة .

٨١ - قبسات من الرسول ، محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط (٩) .

٨٢ - الكامل في اللغة والأدب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ، مكتبة المعارف ، بيروت ، دون ذكر لتاريخ الطبعة .

٨٣ - الكتاب ، لسيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر) ، ت: عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م .

٨٤ - كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣١٣ هـ

٨٥ - كتاب الإيمان ، محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده ، ت: د. علي الفقيهي ، منشورات إحياء التراث الاسلامي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط (١) ، ١٤٠١هـ =١٩٨١م .

٨٦ - كتاب الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، ت:عبد الكريم الغرباوي ، ومحمود غنيم ، إشراف محمد أبو الفضل إبراهيم ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر بيروت ، مصورة عن طبعة دار الكتب ، دون ذكر لتاريخ الطبعة .

٨٧ - كتاب الأم ، (كتاب المسند) ، محمد بن إدريس الشافعي ، ت: محمد زهري النجار ، دار المعرفة ، بيروت ، ط (٢) ، ١٣٩٣هـ =١٩٧٢م .

٨٨ - كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر ، لأبي هلال العسكرى ، ت: د. مفيد قميحة دار الكتب العلمية ، ط (١) ، ١٤٠١هـ =١٩٨١م .

٨٩ - كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢هـ =١٩٨٢م .

٩٠ - كتاب المغرب في ترتيب المعرب ، لأبي الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزى نشر دار الكتاب العربي ، بيروت - ١٣٢٨ هـ .

٩١ - كتاب المصباح في علم المعاني والبيان والبديع ، بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك ، ط (١) ، المطبعة الخيرية ، ١٣٤١هـ .

٩٢ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، وعيون الأقاويل ، في وجوه التأويل ، جار الله الزمخشرى ، ت: مصطفى حسين أحمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٦هـ =١٩٨٦م .

٩٣ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، إسماعيل العجلوني ، ت: أحمد قلاش ، مؤسسة الرسالة ، ط (٣) ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

٩٤ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علي الهندي ، ت: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط (٥) ، ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م .

٩٥ - لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي ، دار صادر - دار بيروت ، ١٣٨٨هـ =١٩٦٨م .

٩٦ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، ت: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة ، دون ذكر لتاريخ الطبعة .

٩٧ - المجازات النبوية ، الشريف الرضي ، ت طه عبد الرءوف سعد ، شركة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٩١هـ = ١٩٧١م .

٩٨ - المجاز وأثره في الدرس اللغوي ، د. محمد بدري عبد الجليل ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠م .

٩٩ - مجمع الأمثال ، أحمد بن محمد النيسابوري الميداني ، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، ط (٣) ، ١٣٩٣هـ =١٩٧٢م .

١٠٠ - المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ، لأبي موسى المديني الأصفهاني ت: عبد الكريم العزباوي ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى ، ط (١) ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

١٠١ - مختصر تفسير ابن كثير ، محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ط (٧) ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م .

١٠٢ - مختصر سنن أبي داود ، للحافظ المنذري ، ت: محمد حامد الفقي ، مكتبة السنة المحمدية ، القاهرة ، (١٣٦٧ هـ - ١٣٦٩هـ) .

١٠٣ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي بن سلطان محمد القاري ، المكتبة الإمدادية ، ملتان ، باكستان ، ١٣٩٠ = ١٩٧٠ م .

١٠٤ - مسند الإمام أحمد بن حنبل ، نشر المكتب الاسلامي ، ودار صادر ، بيروت . دون ذكر لتاريخ الطبعة .

١٠٥ - مشكاة المصابيح ، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، ت : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط (٣) ، ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م .

١٠٦ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، دون ذكر لتاريخ الطبعة .

١٠٧ - معالم التنزيل ، للبغوي ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، ط (٢) ، ١٩٥٥م .

١٠٨ - معالم السنن ، للخطابي ، ت : محمد حامد الفقي ، مكتبة السنة المحمدية ، القاهرة (مطبوع مع مختصر سنن أبي داود) ، (١٣٦٧هـ - ١٣٦٩م)

١٠٩ - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، عبد الرحيم بن أحمد العباسي ، ت : محمد محيي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٣٦٧هـ = ١٩٤٨ م .

١١٠ - معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، دار المأمون ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٥٧هـ .

١١١ - معجم البلاغة العربية ، د. بدوي طبانة ، دار المنارة بجدة ، ودار الرفاعي بالرياض ، ط (٣) ، ١٤٠٨هـ =١٩٨٨م .

١١٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، تركيا - ١٩٨٦م .

١١٣ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين . ونشره الدكتور أ . ي . ونسنك ، دار الدعوة ، استانبول ، ١٩٨٦ م .

١١٤ - المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ، وأحمد حسن الزيات ، وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار ، مراجعة د. إبراهيم أنيس ، ود. عبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ، ومحمد خلف الله أحمد ، إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر ، ١٩٨٥ م .

١١٥ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين بن هشام الأنصاري ، ت : د. مازن مبارك ، ومحمد علي حمد الله ، مراجعة سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، ط (٥) ، بيروت ، ١٩٧٩م .

١١٦- مفتاح العلوم ، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد السكاكي ، المكتبة العلمية الجديدة ، بيروت ، دون ذكر لتاريخ الطبعة .

١١٧- المفردات في غريب القرآن ، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت: محمد سيد الكيلاني ، دار الباز ، مكة ، دون ذكر لتاريخ الطبعة .

١١٨- موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه ، لأبي الأعلى المودودى ، مؤسسة الرسالة ط (٤) ، ١٤٠١هـ =١٩٨١م .

١١٩- نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دون ذكر للتاريخ .

١٢٠- نهاية الإيجاز في دراية الاعجاز ، فخر الدين الرازى ، ت: د. إبراهيم السامرائي ، ود. محمد بركات حمدى أبو علي ، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان ، الأردن ، ١٩٨٥م .

١٢١- النهاية في غريب الحديث والأثر ، مجد الدين المبارك بن الأثير ، ت: طاهر أحمد الزاوى ، ومحمود محمد الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط (١) ، ١٣٨٣هـ =١٩٦٣م .

× × ×

الدوريات :

مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي ، العدد الخامس ، (١٤٠٢- ١٤٠٣هـ)، اصدار جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

× × ×

× ×

×

ـ الفهـــــــــرس ـ

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحـة

× × × × × × ×

× × × ×

×